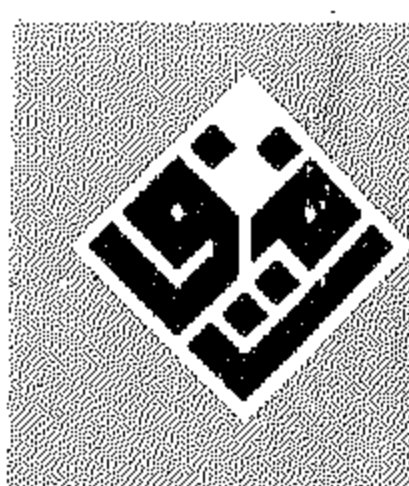
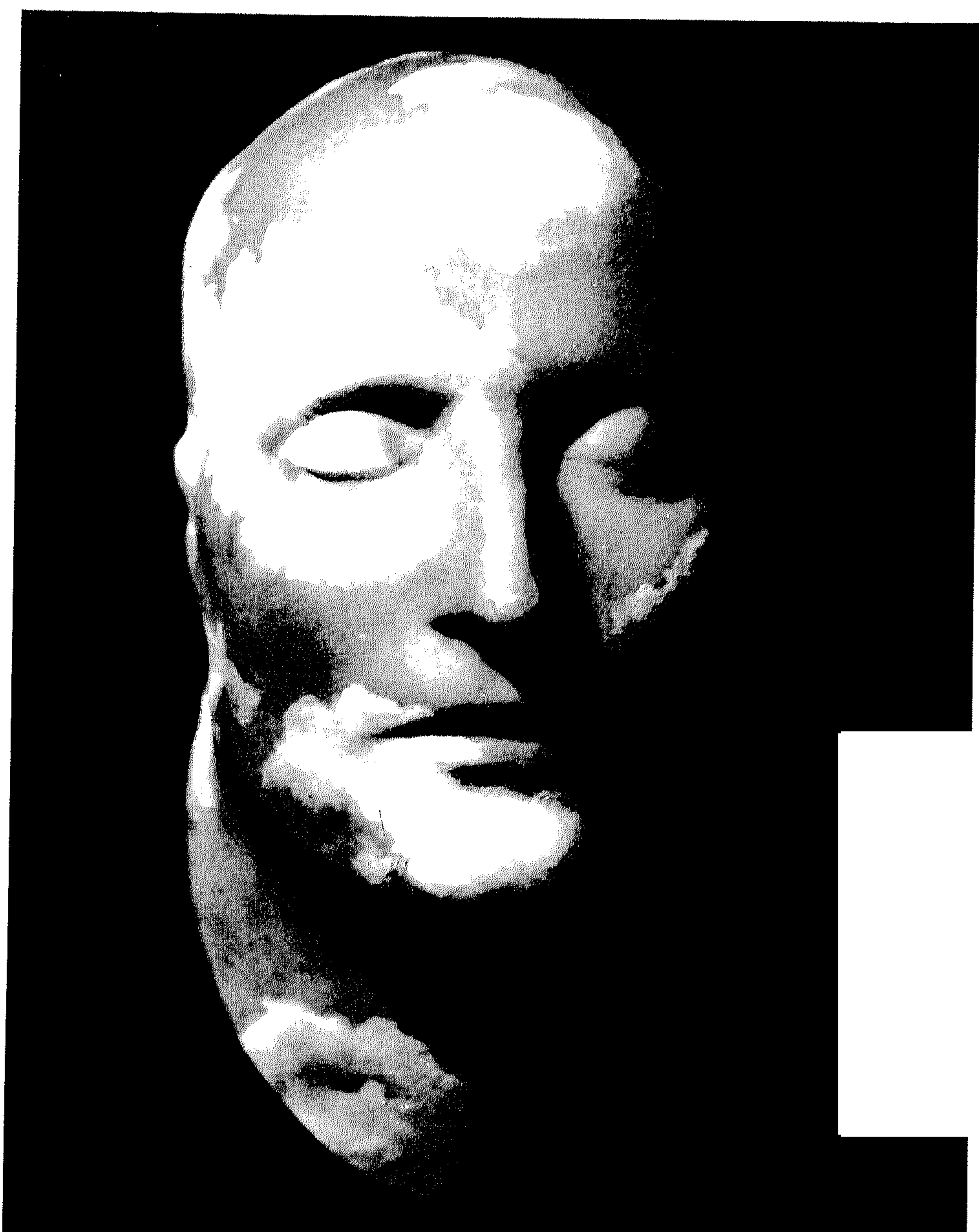


جاک لاکان و اغواء التحليل النفسي

إعداد وترجمة: عبد المقصود عبد الكريم



المشروع القومي للترجمة



المشروع القومي للترجمة

جاءك لكار

واضواء التحليل النفسى

إعداد وترجمة

عبد المقصود عبد الكريم



١٩٩٩

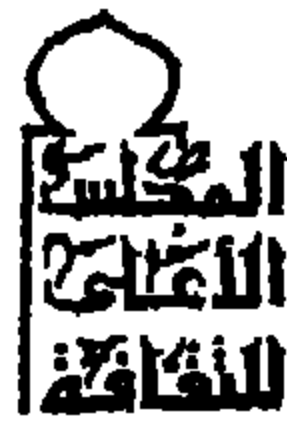
المشروع القومي للترجمة

جاءك لآكان

واغواء التحليل النفسي

إعداد وترجمة

عبد المقصود عبد الكريم



١٩٩٩

إشارة

يتضمن هذا الكتاب سبعة فصول وسردا تاريخيا بأهم الأحداث في حياة جاك لاكان وقصة قصيرة لإدجار ألان بو هي قصة 'الرسالة المسروقة' 'The Purloined Letter'. وقد ترجم السرد التاريخي بأهم الأحداث في حياة جاك لاكان عن :

Dylan Evans, *An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis*, Routledge, 1996, XIX-XXII

وترجمت قصة الرسالة المسروقة عن مختارات لإدجار ألان بو بعنوان :

Edgar Allan Poe, Prose and Poetry; Moscow, Raduga Publishers, 1983

وترجمت ثلاثة فصول عن :

Johan Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press; 1990

وهذه الفصول هي السادس والسابع والثامن من الكتاب الأصلي وتقع في الصفحات من ١٠٢ إلى ٢١٨ وتقع هوامشها في الصفحات من ٢٣٤ إلى ٣٧٠ .

(١) الفصل السادس (وهو الفصل الأول من هذه الترجمة) عنوانه الأصلي :

In place of an Introduction: *The Seminar of Jacques Lacan. Books I and II*

(٢) الفصل السابع (وهو الفصل الثالث من هذه الترجمة) عنوانه الأصلي :

What the psychoanalyst does with words: Austin, Lacan and the speech acts of psychoanalysis

(٣) الفصل الثامن (وهو الفصل السادس من هذه الترجمة) عنوانه الأصلي :

Dead on time: Lacan's theory of temporality

وترجمت ثلاثة فصول أخرى عن :

Malcolm Bowie: *Freud, Proust and Lacan: Theory as fiction*; Cambridge University Press, 1987

وهي الفصل الرابع والفصل الخامس والخاتمة وتقع في الصفحات من ٩٩ إلى ١٧٨
والهوامش من ١٩٨ إلى ٢١٣

(١) الفصل الرابع (وهو الفصل الثاني من هذه الترجمة) عنوانه الأصلي : Lacan
(٢) الفصل الخامس (وهو الفصل الرابع من هذه الترجمة) عنوانه الأصلي :

Lacan and Literature

(٣) الخاتمة Epilogue (وهي الفصل السابع والآخر من هذه الترجمة) .
وترجم فصل عن :

Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Aventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass., 1987), pp. 27-32, 39-51. Reprinted in K.M. Newton, *Theory into Practice* (Macmillan, 1992), pp.174-191.

وهو الفصل الخامس من هذه الترجمة وعنوانه الأصلي :

The Case of Poe: Applications/Implications of Psychoanalysis.

**كرونولوجيا
سرد تاريخي بأهم الأحداث في حياة
جاك لاكان**

دالان إيفانز

عن :

Dylan Evans, *An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis*, Routledge, 1996 .XIX-XXII

نورد فيما يلي كرونولوجيا ببعض الأحداث الرئيسية في حياة لاكان . وقد تم تصنيف هذه الكرونولوجيا على أساس المعلومات التي قدمها بويى Bowie (١٩٩١) : (٢٠٤-٢١٣) ، وماسى Macey (١٩٨٨ : الفصل السابع) ، ومن قبل الجميع ، رودينسكو Roudinesco (١٩٨٦ ، ١٩٩٢) . وننصح المهتمين بمعرفة المزيد من المعلومات التفصيلية بالرجوع إلى تلك المصادر الثلاثة، وأيضا إلى فورستر Forrester (١٩٩٠ : الفصل السادس) ، وميلر Miller (١٩٨١) ، وتوركى Turkle (١٩٧٨) . ولزيد من الكتابات السردية انظر Clément (١٩٨١) وشينيدرمان Schneiderman (١٩٨٣) .

١٩٠١: ميلاد جاك ماريه إميل لاكان فى ١٣ أبريل فى باريس ، وهو الطفل الأول لألفرد لاكان وإميلى بودرى .

١٩٠٣: ميلاد مادلين ، أخت لاكان (٢٥ ديسمبر) .

١٩٠٨: ميلاد مارك فرانسوا ، أخو لاكان (٢٥ ديسمبر) .

١٩١٠: يؤسس فرويد الرابطة الدولية للتحليل النفسى (IPA) .

١٩١٩: ينهى لاكان المرحلة الثانوية فى Collège Stanislas .

١٩٢١: يُسرح لاكان من الخدمة العسكرية بسبب بنيته الضعيفة . وفى السنوات التالية يدرس الطب فى باريس .

١٩٢٦: ظهور أول عمل مشترك للاكان فى Revue Neurologique . وتأسيس جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP) .

١٩٢٧: يبدأ لاكان التدريب الإكلينيكي فى الطب النفسى .

١٩٢٨: يدرس لاكان تحت إشراف Gaëtan Gatian de Clérambaut بالمستشفى الملحق بمديرية الشرطة وكان مستشفى خاصا بالمرضى المختلين عقليا .

١٩٢٩: يرتبط أخو لاكان ، مارك فرانسوا ، بالبندكتيين Benedictines [أتباع القديس بنديكت (٤٨٠-٥٥٠) ، ناسك عاش فى إيطاليا ، وأسس قاعدة رهبانية - المترجم] .

- ١٩٣٠: ينشر لاكان أول مقال بمفرده فى Annales Médico-Psychologiques .
- ١٩٣١: يتزايد اهتمام لاكان بالسريالية ويلتقى بسلفادور دالى .
- ١٩٣٢: ينشر لاكان أطروحة الدكتوراه (عن ذهان البارانونيا وعلاقته بالشخصية) ويرسل نسخة إلى فرويد . ويعبّر فرويد فى بطاقة بريدية عن امتنانه باستلامها .
- ١٩٣٣: ينشر لاكان مقالين فى المجلة السريالية Minotaure ويبدأ الكسندر كوجيف Alexander Kojève محاضراته عن كتاب هيجل فينومينولوجيا الروح فى Ecole des Hautes Etudes . ويحضر لاكان هذه المحاضرات بانتظام فى السنوات التالية .
- ١٩٣٤: ينضم لاكان ، وكان خاضعا بالفعل للتحليل بواسطة رودلف لوينشتاين Rudolph Loenstein ، إلى جمعية باريس للتحليل النفسى كعضو مرشح . يتزوج من ماري لويس بلونديه فى يناير ، وقد أنجبت طفلتهم الأولى ، كارولين ، فى الشهر نفسه .
- ١٩٣٥: يتم تعيين مارك فرانسوا لاكان قسيسا .
- ١٩٣٦: يقدم لاكان بحثه عن مرحلة المرأة إلى المؤتمر الرابع عشر للرابطة الدولية للتحليل النفسى المنعقد فى Marienbad فى الثالث من أغسطس . يبدأ ممارسة التحليل النفسى .
- ١٩٣٨: يحصل لاكان على العضوية الكاملة فى جمعية باريس للتحليل النفسى ، وينشر مقاله عن الأسرة فى دائرة المعارف الفرنسية Encyclopédie Française . وبعد استيلاء هتلر على النمسا ، يغادر فرويد فيينا ليستقر فى لندن ؛ وفى الطريق إلى لندن يمر بباريس ، ويقرر لاكان ألا يحضر الاجتماع الصغير الذى عقد على شرف فرويد .
- ١٩٣٩: يولد ثيبو ، الطفل الثانى للاكان وماري لويس ، فى أغسطس . فى الثالث والعشرين من سبتمبر يموت فرويد فى لندن عن ثلاثة وثمانين عاما . وبعد غزو هتلر لفرنسا يتوقف نشاط جمعية باريس للتحليل النفسى . وأثناء الحرب يعمل لاكان فى مستشفى عسكري فى باريس .

١٩٤٠: ميلاد سيبيل ، الطفل الثالث للاكان ومارى لويس ، فى أغسطس .

١٩٤١: تنجب سلفيا باتيه ، زوجة جورج باتيه ، الطفلة Judith . ومع أنها ابنة لাকাى إلا أنها تحمل لقب باتيه لأن لাকাى كان لا يزال زوجا لمارى لويس . تطلب مارى لويس الطلاق .

١٩٤٥: بعد تحرير فرنسا ، تستأنف جمعية باريس للتحليل النفسى اجتماعاتها من جديد . ويسافر لাকাى إلى إنجلترا ويقضى خمسة أسابيع فى دراسة وضع الطب النفسى فى سنوات الحرب إعلان انفصاله رسميا عن مارى لويس .

١٩٤٧: ينشر لাকাى تقريراً عن زيارته لإنجلترا .

١٩٤٩: يقدم لাকাى بحثاً آخر عن مرحلة المرأة إلى المؤتمر السادس عشر للرابطة الدولية للتحليل النفسى فى زيورخ فى السابع عشر من يوليو .

١٩٥١: يبدأ لাকাى سيميناره الأسبوعى فى شقة سلفيا باتيه فى ٣ شارع ليل . وفى ذلك الوقت يصبح لাকাى نائباً لرئيس جمعية باريس للتحليل النفسى . ونتيجة لممارسات لাকাى فى الجلسات مختلفة المدة ، تطلب منه لجنة التعليم فى جمعية باريس للتحليل النفسى تنظيم ممارساته . ويعدّ لাকাى بتنفيذ ذلك ، لكنه يستمر فى تغيير الوقت الذى تستغرقه الجلسات.

١٩٥٣: يتزوج لাকাى من سلفيا باتيه ويصبح رئيس جمعية باريس للتحليل النفسى . وفى يونيو يستقيل دانييل لاجاش وجوليت فافز بوتنيه وفرانسوا دولتو من جمعية باريس للتحليل النفسى SPP ليؤسسوا الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP . وبعد ذلك مباشرة ، يستقيل لাকাى من SPP وينضم إلى SFP . وفى الثامن من يوليو يفتتح لাকাى لقاء تدشين SFP ، حيث يلقى محاضرة عن 'الرمزى والخيالى والواقعى' . تصله رسالة تخبره بتعليق عضويته فى الرابطة الدولية للتحليل النفسى IPA نتيجة استقالته من SPP وفى سبتمبر يحضر لাকাى المؤتمر السادس عشر للمحللين النفسيين الناطقين باللغات اللاتينية فى روما ؛ كان البحث الذى كتبه لهذه المناسبة (وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى) أطول من أن يُقرأ ومن ثم فقد

تم توزيعه على المشاركين بدلا من قراءته . وفى نوفمبر يبدأ لاكان أول سيمينار عام فى مستشفى سانت أن . ويصبح هذا السيمينار الذى يستمر على مدى سبعة وعشرين عاما ، يصبح على الفور المنبر الرئيسى لنشاط لاكان التعليمى .

١٩٥٤ : ترفض الرابطة الدولية للتحليل النفسى الطلب الذى تقدمت به الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP بالانتساب إليها . ويصرح هانز هارتمان فى رسالة إلى دانييل لاجاش أن وجود لاكان فى SFP هو السبب الأساسى وراء هذا الرفض .

١٩٥٦ : تجدد الجمعية الفرنسية طلب الانتساب للرابطة الدولية ، ويتم رفض الطلب مرة أخرى . ومرة أخرى يبدو أن لاكان كان يمثل نقطة الضعف الأساسية .

١٩٥٩ : مرة أخرى تجدد الجمعية الفرنسية طلب الانتساب للرابطة الدولية . وفى هذه المرة تشكل الرابطة الدولية لجنة لدراسة طلب الجمعية الفرنسية .

١٩٦١ : تصل لجنة الرابطة الدولية إلى باريس لمقابلة أعضاء الجمعية الفرنسية وتكتب تقريرا ، وعلى أساس هذا التقرير ، ترفض الرابطة الدولية الطلب الذى تقدمت به الجمعية الفرنسية بالانتساب إلى عضويتها ، وتقرر بدلا من ذلك أن دراسة وضع المجموعة يحتاج إلى مزيد من الفحص .

١٩٦٣ : تواصل لجنة الرابطة الدولية عقد المزيد من اللقاءات مع أعضاء الجمعية الفرنسية وتكتب تقريرا آخر توصى فيه بالموافقة على انضمام الجمعية الفرنسية كعضو بشرط استبعاد لاكان ومحللين آخرين من قائمة المحللين الذين يقومون بالتدريب . ويشترط التقرير أيضا منع نشاط لاكان فى التدريب إلى الأبد ، ومنع المحللين الذين لازالوا تحت التمرين من حضور سيميناره . وفيما بعد سيصف لاكان هذا الاستبعاد بأنه نوع من 'الحرمان الكنسى' excommunication . ومن ثم يستقيل لاكان من الجمعية الفرنسية .

١٩٦٤ : فى يناير ينقل لاكان سيميناره العام إلى École Normale Supérieure . وفى يونيو يؤسس منظمته الخاصة (EFP) École Freudienne de Paris .

- ١٩٦٥: حل الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP .
- ١٩٦٦ : نشر مختارات من أبحاث لاكان بعنوان *Écrits* . ويقدم لاكان بحثاً لمؤتمر فى جامعة جونز هوبكنز ، بلتيمور .
- ١٩٦٧ : يقترح لاكان أن تتبنى EFP إجراء جديداً يدعى ' the pass ' ، يمنح بواسطته شهادة للأعضاء فى نهاية تحليلهم .
- ١٩٦٨ : يعبر لاكان عن تعاطفه مع احتجاجات الطلبة فى مايو . يفتتح أتباع لاكان قسماً لعلم النفس فى جامعة Vincennes (Paris VIII) ويفتح أبوابه فى ديسمبر وسط استمرار مظاهرات الطلبة .
- ١٩٦٩ : ينتقل سيميناره العام إلى Faculté de Droit
- ١٩٧٣ : نشر نسخة من سيمينار لاكان لعام ١٩٦٤ (المفاهيم الأربعة الرئيسية فى التحليل النفسى - *The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis*) وقد صدرت عن Éditions du Seuil وهى أول ما نشر من سيمينار لاكان .
- ١٩٧٥ : يقوم لاكان بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية ويحاضر فى جامعة ييل Yale University ومعهد ماشوسيتز للتكنولوجيا - Massachusetts Institute of Technology ويقابل ناحوم تشومسكى .
- ١٩٨٠ : بعد مناقشات داخلية حادة فى EFP ، يحلها لاكان ، وينشئ بدلاً منها Cause the Freudienne . ويحضر مؤتمراً دولياً للمحللين اللاكانيين فى Caracas .
- ١٩٨١ : حل the Cause Freudienne وحل مكانها the Ecole de la Cause Freudienne . وفاة لاكان فى باريس فى التاسع من سبتمبر عن ثمانين عاماً .

الفصل الأول

بدلاً من المقدمة

جون فورستر

العنوان الأصلي :

In place of an introduction : *The Seminar of Jacques Lacan. Books I and II*

وهو الفصل السادس من :

Johan Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press ; 1990

المتن من ص ١٠٢ إلى ص ١٤٠ ، الهوامش من ص ٢٣٤ إلى ص ٢٤٠

I

فى ١٦ يونيو من عام ١٩٥٢ ، انسحبت مجموعة من المحللين والمحللين الذين كانوا لا يزالون تحت التمرين من جمعية باريس للتحليل النفسى - Société Psychanal- ytique de Paris (SPP) بعد خلاف حول قضيتين أساسيتين . تتعلق القضية الأولى بإنشاء معهد جديد للتحليل النفسى وبنظامه ، وهو معهد كان يعد لتمرين المحللين ، وقد صار حقيقة واقعية بعد سنوات من الجهود التى بذلتها الجمعية . وتتعلق القضية الثانية ببعض الشكاوى من الممارسات الفاشية للجمعية ومن بنية الجمعية . وتفاقت الأمور حين استلم جاك لاكان- وكان آنذاك رئيس الجمعية ، مع أنه كان عضوا فى الحزب المعادى للفاشية - اقتراحا بسحب الثقة واضطر إلى الاستقالة . ثم دعى للانضمام إلى الانفصاليين الذين أنشئوا فى الحال جمعية جديدة : الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى (SFP) Société Française de Psychanalyse . واستهلت الجمعية أعمالها فى الثامن عشر من يوليو عام ١٩٥٢ بمحاضرة للاكان ، كان عنوانها «الرمزى والخيالى والواقعى» . وفى سبتمبر من العام نفسه ، عقدت الجمعية (SFP) مؤتمرا فى روما قدم فيه لاكان بحثا بعنوان « تقرير (أو خطاب) روما (Rapport (or Discours de Rome » وقد نشر بعد ذلك تحت عنوان «وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى» فى العدد الأول من مجلة التحليل النفسى التى أصدرتها الجمعية . وصار بحثه بمثابة المنفى الفكرى والإلهام العملى لعدد كبير من أعضاء الجمعية الجديدة وكان أحد العوامل المؤثرة فى خلق مناخ من النشاط والتضامن الأخوى والزهو بالعمل المشترك الذى ميز الجمعية منذ نشأتها .

وفى نوفمبر ١٩٥٢ بدأ التعليم فى الجمعية الجديدة واتخذ ثلاثة أشكال مختلفة : أولا ، ألقى جوليت بوتونى Juliette Favez-Boutonier عددا من المحاضرات فى الفصل الدراسى الأول عن «عناصر النظرية التحليلية» ، وألقى دانييل لاجاش Daniel Lapache مجموعة من المحاضرات فى الفصل الدراسى الثانى عن «مبادئ الشفاء التحليلى ونظرياته» : ثانيا ، أشرف جاك لاكان فى أيام الجمعة على «الفحص

الإكلينيكي للمرضى» ؛ ثالثاً ، أشرف جاك لاكان على سيمينار النصوص Séminaire de textes في أيام الأربعاء . وهو السيمينار المقصود حين يشار إلى "سيمينار جاك لاكان" . ودار موضوع سيمينار النصوص في ١٩٥٣ - ١٩٥٤ حول «تقنية التحليل النفسي» . وقد طبعت النسخة الأولى من هذا السيمينار في فرنسا في عام ١٩٧٥ ، وقام بإعداد النص جاك ألن ميلر بتوجيه وإرشاد من لاكان . وكان إعداد جزءاً من رهان بين ميلر ولاكان ، وكان الأخير يعتقد أن إعداد نسخة على نحو ملائم أمرٌ مستحيل .

وكان لاكان قبل ذلك يقوم بتدريس نظرية التحليل النفسي والتعليق على عدد من النصوص في جمعية باريس للتحليل النفسي (SPP) لعدة سنوات . وكان في أوائل الخمسينيات قد اكتسب شهرة كشخص له وضعه النظرى المميز ، وأراؤه المهمة عن التقنية ، وميله إلى التدريس . وقد رسخت شهرة سيميناره الأسبوعي رسوخاً تاماً في الدوائر التحليلية .^(١) وفي الواقع ، كانت آراؤه عن تدريس التحليل - الإشراف على الحالات ، والأسلوب البيوجرافى للمقررات النظرية ومحتواها - من مصادر الصراع مع ساشا نشت Sacha Nacht وكانت صديقه الحميمة ذات يوم ، وهو صراع وسم تأسيس المعهد . ولكن لاكان كان معلماً مشهوراً قبل ذلك ، حين كان يحاضر في السوربون في الثلاثينيات في قاعات مكتظة بالجمهور .^(٢) ويمكن معرفة الأهمية التي كان يُعلقها على التدريس من رسالة طويلة كتبها إلى محلّله السابق رودلف لوينشتاين Rudolph Loewenstein ، بعد أسابيع قليلة من الانفصال :^(٣)

أعترف ، في هذه الرسالة ، أنني كنت أتصل بك لتخفف عني بعض ما كان يمثل كابوساً بالنسبة لى ، لم أكن في الحقيقة أستطيع أن أتحمل تلك الشهور القليلة إلا بمواصلة سيمينار النصوص والإشراف عليه ، بدون توقف ، مع المشاعر المروعة التي كانت تعتمل في نفسى ، أو ، على ما أعتقد ، بدون إلهامه أو طبيعته المتأرجحة على أية حال . على العكس ، كان لهذا العام خصوصية خاصة ، وأظن أنني حققت تقدماً حقيقياً في نظرية عصاب الوسواس القهرى وفي تقنياته الخاصة . نعم ، لقد عشتُ بفضل الجهد الذى بذلته أحياناً في حالة من اليأس الحقيقى .

II

ولد جاك لاكان فى باريس فى ١٣ إبريل من عام ١٩٠١ ، لأم تدعى إميلى بودرى Emilée Baudry وأب يدعى ألفرد لاكان Alfred Lacan.^(٤) تعلم على أيدي اليسوعيين ، وتدرّب كطبيب ثم كطبيب نفسى . وقدم أولى رسائله العلمية فى عام ١٩٢٦ ، ثم قدم أطروحة الدكتوراه (١٩٣٢) عن زهان البارانونيا وعلاقته بالشخصية . وكان معلماه الأكاديميان فى الطب النفسى - إن كان لابد للمرء من معلمين - هما هنرى كلود Henri Claude وجيتان دى كليرامبو Gaëtan Gation de Cléram-bault . كان الأول ذرائعياً يسمح للأطباء النفسيين الفرنسيين الذين اهتموا فى البداية بفرويد بحرية اختيار أفكار جديدة واستخدامها فى وقت كانت «النزعة الجنسية الشاملة» pansexualism ، تلك النزعة 'الألمانية' تقابل من معظم المتخصصين فى الطب باستجابة شيفونية تحمل عداً أخلاقياً . واشتهر الثانى بابتكار تصنيف «التلقائية الذهنية» وبخبرته اللسانية ومعرفته الموسوعية بتاريخ الملابس .

ومهما يكن فقد استقل لاكان عن معلميه وارتبط بجماعة تطور الطب النفسى *L'Évolution Psychiatrique* التى جلبت إلى فرنسا الأفكار الفرويدية وانفتحت أيضاً على المقاربة «الوظيفية» للتطوريين الإنجليز (جون هولنجز جاكسون John Hughlings Jackson وهنرى هد Henry Head) كما انفتحت على المدرسة الظواهرية التى تطورت فى زيورخ وألمانيا فى العشرينيات وصارت فى طليعة الطب النفسى فى الثلاثينيات (كارل ياسبرز ، ويوجين مينكوفسكى Eugen Minkowski ، ولوديج بنسفانجر Ludwig Binswanger) .

ومنذ البداية ، كان لاكان عضواً فى الدوائر السريالية التى التفت حول أندريه بریتون ، كان يكتب الشعر ، ويدعو الأصدقاء إلى عابري مستشفى سانت أن Sainte - Anne ، حيث زخرفوا الحوائط ومارسوا بعض التجارب فى الكتابة التلقائية . ومع أنه كتب مقطوعتين للمجلة السريالية Le Minotaure فى عام ١٩٣٣ - كانت إحداها عن البارانونيا وقد ظهرت فى انسجام تام مع إحدى لوحات سلفادور دالى إلا أن من الواضح أنه قطع روابطه بتلك الجماعات .

فى عام ١٩٣٦ قدم لاكان النسخة الأولى من بحثه عن مرحلة المرأة فى المؤتمر الدولى للتأليل النفسى الذى عقد فى مارينباد Marienbad. ^(٥) ويعطى مقال كُتبه لدائرة المعارف الفرنسية *Encyclopédie française* فى عام ١٩٣٨ بعنوان "الأسرة La Famille" ويبحث كُتبه فى عام ١٩٦٣ بعنوان «وراء مبدأ الواقع» (نشر ضمن كتابات فى عام ١٩٦٦) ، فكرة عن كثافة التصورية التى كان قد أتقنها حول مفهوم مرحلة المرأة : إن دراما الطفل أمام المرأة تجمع بين العناصر الأساسية فى مفهوم فرويد عن النرجسية وصراع الموت بين السيد والعبد فى الجدال الهيجلى- وهى موضوعات تبقى بارزة فى معالجة السيمينار الأول لمرحلة المرأة . وفى هذه المقالات التى كتبها فى الثلاثينيات : ولاء فريد لفرويد ؛ ارتياب لا يلين بكل الأشكال الفكرية الشائعة فى عصره (بما فى ذلك الأفكار «الإنسانية» الجديدة المرتبطة بالظواهرية ؛ وقد قارنها مبكرا فى عام ١٩٣٣ ، فى مراجعة لكتاب كلاسيكى من تأليف مينكوفسكى عن باثولوجيا العصر ، بفلسفة هايدجر الأكثر دقة وتخصصا) ؛ وربما أهم من هذا كله ، النزعة الهيجلية الجديدة التى استوعبها من المحاضرات التى ألقاها الكسندر كوجيف بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٩ . وفى الحقيقة ، إن من يبحث عن مقدمة للعالم الفلسفى الذى عاش فيه لاكان فلن يجد أفضل من قراءة 'بدلا من المقدمة' فى بداية كتاب الكسندر كوجيف مدخل لقراءة هيجل (١٩٤٧) .

ومع نهاية الحرب ، قام لاكان برحلة إلى إنجلترا بحثا عن مناخ أخلاقى اكتسب قوته من حرب انقضت فى الدفاع والكفاح وليس فى الاستسلام والخداع : كان إحساسه بالحرية كبيرا خارج فرنسا وتواصل هذا الإحساس فى الحماس الذى قابل به العمل التأليلى للجماعتين اللتين أنشأهما ويلفرد بيون Wilfred Bion وجون ريمان John Rickman. ^(٦) وكان لاكان يرى ، فى وقت ما ، أن جماعة بيون تمثل الطريق الصحيح لمستقبل التأليل النفسى . وربما كان وراء هذا التقارب أفكار لاكان الجديدة التى عبر عنها فى بحثين كتبهما فى عام ١٩٤٥ (قطع بهما سبع سنوات من الصمت الذى فرضه على نفسه) ، وكان أحدهما عن منطق الجماعات ووظيفة الزمن ، والآخر عن منطق الارتياب والبارانونيا. ^(٧) ومن المؤكد أن النتائج العملية للبحث الأول

كانت بالغة الأهمية حيث بدأ لاكان ، نتيجة لمنطق مناقشته لطبيعة علاقة الزمن بالفعل والتردد ، يعدل في الزمن الذي تستغرقه جلساته التحليلية. وكان هذا التعديل في الوقت الذي يدفع المريض مقابل له أساس النقد المستمر والمدمر لممارساته ، بداية من عام ١٩٥٢ (حين وافق على أن يتوقف الأعضاء الآخرين في جمعية باريس للتحليل النفسي (SPP) عن تطبيق تجاربه في جلسات مختلفة الطول) ، واستمر الوضع على ما كان عليه في الستينيات حين اتهم لاكان بعدم التكيف مع شفرة الممارسة الجديدة التي قدمتها الرابطة الدولية للتحليل النفسي (IPA) ، وتضمن للمريض أن يكون الوقت الذي تستغرقه الجلسة ثابتاً . وفي السنوات التالية ، بقي الاختلاف في طول زمن الجلسة ومازال السمة المميزة للتحليل اللاكاني . وكانت هذه القضية الواضحة والمعلنة وراء قرار 'عزل' لاكان من الرابطة الدولية للتحليل النفسي في عام ١٩٦٣. ^(٨)

اتخذ نقاد لاكان ، في الرابطة الدولية للتحليل النفسي ، من ممارسته الإكلينيكية علامة لقياس كفاءته كمدرّب في مجال التحليل (لم يتساءل أحد مطلقاً عن حقه في أن يكون محللاً) . وكانوا أكثر حذراً أمام كتاباته ، لدرجة اللامبالاة ، وربما كان علينا أن نقول لدرجة التجاهل التام .

كان سيمينار لاكان الأسبوعي سرّاً شهرته . وبحلول منتصف الخمسينيات كانت نسخة لاكان عن التحليل النفسي هي النسخة التي يعتدُّ بها في فرنسا ، كما يتضح ذلك من كتابات ميشيل فوكو ^(٩) وبول ريكور ^(١٠) . ولم يكن السيمينار مجرد البؤرة الأساسية لدارسي التحليل والمحللين الشباب في الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي SFP ، ولكنه أصبح مركز الجاذبية لعدد من المفكرين من ذوى الاهتمامات المختلفة -من بينهم لويس ألتوسير Louis Althusser ، وفيليب سولير Philippe Sollers وجوليا كريستيفا Julia Kristeva . وفي عام ١٩٦٣ اضطر لاكان تحت ضغط الأزمة المتعلقة بوضعه في الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي إلى وقف نشاط السيمينار في مستشفى سانت أن ، ولكنه بدأ نشاطه بعد شهرين في إيكول نورمال Ecole Normale ، أمام خمسمائة مستمع . وبحلول منتصف الستينيات كان السيمينار يعقد في كلية الحقوق أمام ما يربو على ألف شخص . وصارت الزيارة المنتظمة لسيمينار لاكان جزءاً أساسياً من الحياة العامة *vie mondaine* في باريس .

ومهما يكن فقد تحركت مبادئ لاكان أمام أتباعه دائما ، ليس لمجرد أن تسبق كلاب ديانا ، كما صورها ،^(١١) ولكن نتيجة التذبذب الجدلى فى أفكاره ، أيضا . كان لاكان معلما فى المقام الأول ثم يأتى بعد ذلك دوره كمنظر . وإذا كان ينزع إلى التلميح نزوعا ذاتيا حين تأتى الفرصة مباشرة فى الجلسة الأسبوعية حيث كانت ترد بدون إعداد ، فقد مارس هذا التلميح أضعافا مضاعفة فى كتاباته . انبثقت كل هذه الكتابات تقريبا عن جلسات السيمينار ، وعن المحاضرات التى كان يدعى لإلقائها ، وعن المؤتمرات ، ولكنها كانت تُنقح بعد ذلك وتُكثف تكثيفا شديدا أثناء الكتابة ، وتتضاعف الإشارات ويزداد التعقيد التركيبى والغموض . كان لاكان سيد الحوار وقد صرح بأنه الإنجاز الجوهرى للمحلل . إنه ، كمحاور بارع ، لم يستعد خطواته إطلاقا ليكرر نفسه ، مثلما يشعر المدرس بالاضطرار إلى ذلك ، ولكنه كان يستعيد خطواته ليرى طريقه بصورة أوضح . إن لاكان المدون فى السيمينار أقرب ما يكون إلى ساحر الكلمة التى وجد فرويد نفسه يضعها ،^(١٢) وتبرزه الكتابات اللاكانية أحيانا باعتباره قبلانيا cabalist [القبلانية cabala : فلسفة دينية سرية ، عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط ، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيرا صوفيا - المترجم ، عن المورد] وخيميائيا alchemist [الخيميائى أو المشتغل بالكيمياء القديمة التى كانت غايتها تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب - المترجم] .

يشير لاكان بكثرة إلى المحاضرات التى افترض فرويد أنه يجب تدريسها فى أى معهد لتدريب المحللين النفسيين فى المستقبل : دروس فى تاريخ الأدب وفقه اللغة وتاريخ الأديان والميثولوجيا .^(١٣) وقد وضع لاكان مفهوم فرويد للتدريب التحليلي ، المضاد للطب على نحو صريح ، فى مواجهة التأكيدات النشتية Nachtian [نسبة إلى ساشا نشت ، وقد ورد ذكرها فى الصفحات السابقة - المترجم] السائدة فى عصره ، فى العبارة التى يصدر بها تقرير روما : 'بيولوجيا أعصاب الإنسان' ، وهو المفهوم الذى تأسس عليه المعهد الفرنسى الجديد فى عام ١٩٥٣ وفجر الانقسام فى جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP). وقد سعى سيمينار لاكان ، إضافة إلى تأثيره على برامج التدريب فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى (SFP)، إلى وضع هذا المفهوم

الفرويدى موضع التنفيذ . ومن ثم ، وُجِّهت الدعواتُ إلى ضيوف من بينهم أشهر الفلاسفة والأنثروبولوجيين واللسانيين الفرنسيين من خارج الجمعية للحديث فى الموضوع العام 'التحليل النفسى والعلوم الإنسانية' وقد ضم السيمينار الثانى هذه الأحاديث التى دارت فى ١٩٥٤ - ١٩٥٥ . والتزم لاكان فى السيمينار بالإبقاء على التحليل النفسى مفتوحا أمام التأثيرات الجديدة وتحديات المفاهيم ، سواء كان مصدرها العلوم الدقيقة exact sciences ، أو الفلسفة ، أو التراث الثقافى المتميز من كتابات الشعراء أو الأخلاقيين أو الصوفية . وهنا يكمن السر فى تفرد لاكان كمحلل : كان أول محلل منذ فرويد يحشد مصادر الثقافة كلها لإنارة بيته التحليلي .

إن أى مطلع على لاكان يدرك السرعة التى كان يغير بها نظرياته . جاء السيمينار فى السبعينيات مختلفا تمام الاختلاف عما كان عليه السيمينار فى الستينيات وأكثر بعدا عن لغة السيمينار فى الخمسينيات . إلا أن كل سيمينار يتكون من مجموعة من الموضوعات يعود إليها لاكان على مدار السنين . ولم يتغير الإطار الأساسى للسيمينار . أولا ، كانت نصوص فرويد أو مفاهيمه الموضوع الحقيقى لاهتمام الجماعة - مع أن المقاربة كانت تتم باستمرار من زاوية غير متوقعة (وهكذا يتم فى السيمينار الأول شرح الأسئلة المتعلقة بالتقنية كجزء من تعليق مسهب على نظرية النرجسية ؛ ويتم فى السيمينار الثانى تناول مسألة الأنا بقراءة المشروع [مشروع سيكولوجيا علمية - المترجم] و وراء مبدأ اللذة لفرويد) . ثانيا ، نجد أن مستوى الإبانة قد تحقق بإيضاحات لاكان النظرية إذا قيس هذا المستوى بمدى انجذاب الدارسين والحواريين إلى دروسه (هكذا لا يسلم لاكان فى السيمينار الأول بصحة مرحلة المرأة إلا ليتمكن من انتقاد الإفراط فى استخدامها خاصة على أيدى الدارسين الذين فتنهم دروسه ؛ ورسخ فى السيمينار الثانى جدل الأنا والآخر رسوخا يكفى لتقديم الجدل الجديد عن الذات والآخر Other) . أخيرا ، رجع لاكان باستمرار إلى مجموعة ثابتة نسبيا من نقاط التثبيث أو المسائل الثقافية والتصورية دائمة العطاء : الذات الديكارتية ومنهج الشك ؛ أهمية الحقيقة والكذب والخداع بالنسبة للمحلل ؛ التأثير الضار للفكرة التحليلية المثالية عن 'أنا قوية' ؛ علاقة التحليل النفسى بالتراث

الفلسفى ، سواء أكان كلاسيكيا (الفلسفة القديمة وفلسفة القرن الثامن عشر) ، أم أخلاقيا (لا روشفوكو La Rochefoucauld بلتزار جرسيان Baltasar Gracián وفردريك نيتشه) ، أم منطقيا (راسل وفيتجنشتاين Wittgenstein وتارسكى Tarski؛ بالإضافة إلى عدد آخر من النقاط المرجعية الثابتة . ويحتوى كل سيمينار ، بالطبع ، على دليل أمام أسماعنا ، إذا جاز التعبير ، عن قوة اللغة : تأثيرها على كلام المحلل ، وعلى التباس الرمز وتألقه الباهر ، وعلى منطق الحوار .

وكان "تقرير روما" بداية كتابات لاكان التى وضعت اللغة والكلام فى مركز اهتمامات المحلل النفسى ؛ وكان نثره الرائع احتفاء بهذا التوجه الجديد .^(١٤) وثمة مقولتان ، أو صيغتان ، يقدمان فهما واضحا لمشروع لاكان : 'يبنى اللاشعورى كلفة' ؛ 'اللاشعورى خطاب الآخر'. ويمكن تمييز عدد من المستويات المختلفة فى هذا المشروع . المستوى الأول ، الكلام مادة العمل فى التحليل النفسى : الكلام هو ما يتيح صياغة مفاهيم العمليات التى اكتشفها فرويد فى الحلم وزلات اللسان والنكات . وبحلول عام ١٩٥٥ ، كان لاكان قد برهن ، مقتفيا خطوات ياكبسون ، على أن التكثيف والإزاحة عند فرويد بديلان لعمليتى الاستعارة والكناية وهما عمليتان مؤثرتان فى اللغة .

المستوى الثانى ، يدلُّ اكتشاف فرويد لرمزية الأعراض (رموز تتعلق بالذاكرة) ، وتمثيلها لأفكار وذكريات مكبوتة ، على أن الأعراض (ومن ثم ، اللاشعورى) تبنى لغويا . ويوجد مفتاح معناها ، كما يوافق المحللون جميعا ، فى عملية الإحالة transference وهى عملية يُترجم فيها خطابُ المريض ببطء الأعراض والخوافات وأنماط السلوك وسمات الشخصية، يترجمها إلى كلام يوجه إلى المحلل ويورطه . وهكذا ينظر إلى المحلل بوصفه الشاهد على بوح المريض أو بوصفه الآخر الذى استُحضِر إلى الوجود بواسطة اللغة . إن ما يقوله المحلل فى الرد ، بقدر ما يكون اكتشافا موفقا أو غير متوقع ويكون له تأثير على المحلل ويستحوذ عليه (يجلب الضحك أو الدموع ، يجافى أو يواسى) ، يمثل معنى اللاشعورى : اللاشعورى هو خطاب الآخر .

أكد لاكان ، باستخدام نظرية لغوية انبثقت جزئيا من أعمال هيجل^(١٥) وهایدجر ، بالإضافة إلى بنوية فرديناند دي سوسير ورومان ياكبسون و كلود ليفى

شترأوس ، على بنية العناصر اللغوية التى تحدد المادة التى يقدمها المرضى للتحليل .
ويجب رؤية التفسير والتحليل فى تأثيرهما المتزامن فى العناصر اللغوية التى تميز كل
مريض - وبتعبير آخر ، فى العناصر اللغوية التى تُفقد وتُشوّه وتُبدّل فى عملية بناء
الأعراض من ناحية ، وذاتية المريض كمتحدث من الناحية الأخرى .

ومهما يكن الأمر فقد شكك لاكان فى توازى نسقى الدال والمدلول اللذين يكونان
اللغة فى رأى سوسير . وأكد ، بدلا من ذلك ، على أسبقية الدال فى تحديد المعنى (قد
يؤدى اللعب بالكلمات إلى بناء عرض محتمل ؛ مثلا ، يتم التعبير عن بغض رتمان
Ratman لرجل أمريكى فى سلوك قهرى يهدف إلى إنقاص الوزن بالمعادلة : دك Dick
(اسم الرجل) = دك dick (بدين بالألمانية) . ومع أنه ركز على السمات الأساسية
للسق اللغوى ، إلا أن تأكيدَه عليها كان أقل من تأكيدَه على العلاقة الديناميكية بين
الذات والكلام الصادر عنها . وقد ميز بداية من نظريته عن مرحلة المرأة ومفهوم
الخيالى الملازم لها ، ميز بين الأنا (وحدة بناء خيالية) والذات ، التى ترتبط بعلاقة
معقدة مع الأنا و الآخر other (النظير الخيالى للأنا) والآخر Other : مبدأ
الآخرية otherness الذى يفترضه سلفا أى نشاط كلامى . وهذه الأخيرة ، أى كلمة
"الآخر الكبيرة" ، تحمل الشفرة اللغوية وتكفل المعنى ، وهى الطرف الثالث فى أية
علاقة ثنائية : سواء أكانت تحليللا أم عشقا . وهذا الآخر يكفل كلام الذات ، حتى لو
كان الكلام يهدف أساسا إلى الكذب على الآخر . إلا أنه يشوّه ويبدل فى بنية فنتازية ،
تسود فيها الأنا وعلاقتها (الفنتازية) بموضوعاتها . ومن ثم تكون علاقة الذات بالآخر
هى خط اللاشعورى الرئيسى الذى يسعى التحليل إلى تنقية الطريق أمامه . إلا أننا
نلاحظ أن مفهوم الآخر لا يُذكر ، صراحة على الأقل ، فى السيمينار الأول ، ولم يظهر
إلا فى السيمينار الثانى .

مضى تطور هذه النظريات خطوة خطوة مع 'عودة' لاكان ، العودة الشهيرة "إلى
فرويد" . كان المحللون جميعا يقرّون فرويد ويناقشونه ويستشهدون به ، إلا أن لاكان
أضفى على هذه القراءة خاصية جديدة تماما .^(١٦) وبينما كان عدد كبير من المحللين ،
خاضعة الذين تدربوا فى بريطانيا وأمريكا ، يستشهدون بفرويد وكأنه سلطة علمية

توصلت إلى نتائج علينا أن نبني عليها مستوى آخر من النظريات ، أو مستوى آخر من الحقائق الدقيقة ، اقتنع لاكان بأن التحليل النفسي لا يمكن أن يبتدع من جديد ، كلما عقد المحلل والمحلل اتفاقية بينهما ، إلا بتكرار الأعمال الافتتاحية الملونة فى كتابات فرويد وإعادة فحصها . إن قراءة فرويد تتوقف على نظرية العلاقة التحليلية ، أى على التحليل النفسى ؛ إنها لا تماثل قراءة الطبيعة . وبدلاً من قراءة فرويد بطريقة العالم بين لاكان الطريقة التى على المحلل النفسى أن يقرأ بها فرويد ، إنها الطريقة التى يقرأ بها الناقد الأدبى شكسبير أو يقرأ الفيلسوف بها أفلاطون . لا يمكن اقتلاع جملة من سياقها ؛ إنها تكتسب المعنى من السياق . لا يمكن قراءة بحث بدون التحقق من المشكلة التصورية الأكثر شمولاً ، أو من الصعوبة العملية ، التى يمثل إجابة لها . وكان يسأل دائماً : ما تأثير التحليل النفسى فى هذا النص ؟ ومن ثم يتضح ، بتفسير نظريات لاكان الخاصة فى كل خطوة مع قراءات فرويد ، كيف كان لاكان يقدم الجديد فى مسائل موجودة فى أعمال فرويد مقتفياً الطريق التى سبق أن وطأها فرويد . وهكذا ، ترتبط مرحلة المرأة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم النرجسية عند فرويد وبمفهوم أن الأنا والحب كليهما نرجسيان بصورة أساسية . أو ، لنأخذ مثلاً آخر لهذا التفسير ، لقد أكد لاكان على مفهوم *Nachträglichkeit* (الفعل المؤجل) ، والعلة الاسترجاعية الحقيقية للشعورى ، والنتيجة الأساسية لمجموعة الدوال التى تصنعه . ويقرأ ، بالمثل ، ما كتبه فرويد عن أصل المجتمع والقانون فى الطوطم والتابو كأسطورة تؤكد على الوظيفة الجوهرية للأب فى تكوين ذات الإنسان . وبالمقارنة مع أصحاب النظريات التحليلية الحديثة التى تؤكد على المرحلة التى تسبق بروز علاقة الأم بالطفل (قبل الأوديبية ، قبل الجنسية) ، يؤكد لاكان على مركزية تاريخ العقدة الأوديبية الثلاثية بالنسبة للذات ، حيث تكون وظيفة الأب جوهرية وأسطورية : جوهرية حيث أن الأب يمثل القانون ، قانون اللغة (الخالى من المعنى) فى المقام الأخير ، ويقدم المصطلح الثالث أو الوظيفة الوسيطة التى تتيح للطفل العثور على مكان فى النظام الرمضى (اللغة) والهروب من الزقاق المسدود ، زقاق الافتتان بصورة مرحلة المرأة (الآخر) ، التى تدرك فى الفتازيا كافتتانٍ بالأم ؛ وأسطورية ، لأن وظيفة الأب مجازية تماماً-إنه ليس أباً حقيقياً (من

لحم ودم) أو أبا خياليا (مع أن هذه الصورة الأخيرة تتشكل فى الفنتازيا على هيئة قوة عقابية مثالية) ولكنه اسم الأب Name of the Father ، مع اسمه يتحدد مكان الطفل فى العالم الاجتماعى ، ويتاح له أن يصبح كائنا له جنس عبر الوظيفة القضيبية (أى علامة الاختلاف الجنسى) التى يشير إليها اسم الأب .

وهكذا تكون كتابات لاكان عن دخول الطفل إلى الرمزى بواسطة الوظيفة الأسطورية للأب نسخة منقحة عن عقدة أوديب فى كتابات فرويد . إن عقدة أوديب تبين كيف يصبح للأطفال جنسٌ (عبر عدد من الاستجابات للحرمان من القضيب) وكيف يصبحون بشرا (بالهروب من أم مرحلة المرأة ، التى يجعل عدم اكتمالها إحساس الطفل بالنقص إحساسا فظيعا ، إلى الرمزى ، حيث يكتسب النقص بعدا رمزيا عبر تولد الرغبة) . ويواصل لاكان بثلاثية المفاهيم التى تناسب كل مجال (الحاجة / الواقعى ، الاحتياج / الخيالى ، الرغبة / الرمزى) ، الثلاثية التى تناولها بالتفصيل فى السيمينار فى أواخر الخمسينيات ، يواصل نقده لتلك النسخ بين نظرية التحليل النفسى التى تساوى بين مفهوم فرويد للدوافع والحاجة المحددة بيولوجيا ، مبرهنا على أن الواقع الحقيقى للفعل التحليلى هو عالم الرغبة ، الذى تخلقه اللغة محاولة الحاجة إلى رغبة فى الاستجابة لاحتياجات الآخر (الأم) other (m)^(١٧) للحب . إن الرغبة ، مثلما هو الحال بالنسبة للدافع الفرويدى ، لا يتم إشباعها أبدا ، وتتواجد دائما ، ويتم استبدالها وتحويلها باستمرار . إلا أن لاكان يعارض من ينكرون نظرية الدافع. عند فرويد باسم (علاقات الموضوع) (مريورى بريولى Marjorie Brierley ورونالد فيربرن Ronald Fairbrain والمدرسة البريطانية) كما يعارض من يقولون بتمائل الدافع والحاجة . وقد برهن لاكان فى الواقع على أن منظرى علاقات الموضوع أنكروا غالبا ما أطلقوا عليه نظرية الدافع لأنهم افترضوا بتهور أنها ساوت بين الدافع والحاجة . وكانت قراءات لاكان لفرويد تصويبا لهذه الفرضيات الفجة التى تفتقر إلى تفسير . ويحتوى السيمينار الأول والسيمينار الثانى على معظم المناقشات التى تتناول هذا النقد المزدوج ، حيث قتل لاكان أبحاث هؤلاء وغيرهم من المنظرين التحليليين بحثا ليبرهن على أن نظرياتهم وممارستهم تؤدي إلى دروب مسدودة .

وبعد ذلك وابتداء من منتصف الستينيات ، ركزت نظريات لاكان على العلاقات بين الدال والذات والآخر و"الموضوع الصغير" *objet petit a* ، وهو مفهوم ارتبط بالآخر في مرحلة المرآة من ناحية ، وارتبط ، من الناحية الأخرى ، بالموضوعات المفضلة في الدوافع الفرويدية : الثدي ، البراز ، البول ، القضيب - وأضاف لاكان إليها الصوت (والتحديق) . وانصبَّ اهتمامه على تحديد الخواص الأساسية في الخطاب التحليلي - امتدادا لتأكيداته على الكلام كوسط تحليلي فريد في تأثيره . وتزايد توغل الجانب اللغوي من تدريسه في لغة الرياضيات ، بما في ذلك تعريف خواص "الفضاءات" المتنوعة التي تفترضها نظرية التحليل النفسي (على سبيل المثال ، الخارج/الداخل ؛ الشعوري/اللاشعوري) : لكن السلاسل الدالة على الرغبات والاحتياجات لا ترتبط معا بواسطة الذات في فضاء اللاشعوري فقط ، المميز عن الشعور والمتصل به (ومن ثم يمثل تمثيلا جيدا بسلسلة موبايوس *Mobius strip*) [شكل ثلاثي الأبعاد يمكن تكوينه من ورقة مستطيلة بعد طيها وتوصيل طرفيها - المترجم] ، ولكنها ترتبط أيضا في عقدة بروميو *Borromean knot* : نسبة إلى عائلة بروميو ؛ مجموعة من ثلاثة دوائر مرتبطة مع بعضها بحيث تنفصل إذا قطعت أي منها - المترجم] وقد عزز الارتباط الوثيق بالرياضيات (دراسة الرموز ونظرية الأرقام) والفلسفة (نظرية المعرفة والمنطق) هجومه على "السيكولوجزم *psychologism*" [نظرية تستخدم المفاهيم السيكلوجية لتفسير الأحداث التاريخية - المترجم] .

وفي هذه المرحلة أصبح تفكير لاكان أكثر عرضة للترديد الببغاوي والمحاكاة الساخرة ، كما يتضح في الكثير من كتابات تابعيه . وافترض ، مع تكاثر الخطابات اللاكانية داخل المدرسة الفرويدية *Ecole Freudienne* في باريس (أسسها لاكان في عام ١٩٦٤ ، حين تمزقت أوصال الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي (SFP) في محاولة للتوفيق بينه وبين الرابطة الدولية للتحليل النفسي (IPA) خارجها ، افترض نظرية من أربعة خطابات ، وهي نظرية غامرت بتوضيح الطريقة التي نشأت بها المحاكاة الساخرة والترديد الببغاوي ؛ وصارت خطابات الهستيري ، وخطاب السيد مملة وسخيفة في الخطاب الأكاديمي *discours universitaire* . وفي النهاية ، في أواخر

السبعينيات وأوائل الثمانينيات ، ما عاد أحد يعرف بأى خطاب تحدث جاك لاكان نفسه : وكما قال أحيانا ، كان يقوم بالتحليل فى سيميناره وكان جمهوره محليين له . وبعد الانهيار النهائى للمدرسة الفرويدية بتسعة عشر شهرا كتب رسالة إلى لوموند Le Monde افتتحها بالكلمات الآتية : أنا ، جاك لاكان ، وحيد كما كنت دائما...) ، ومات فى ٩ سبتمبر عام ١٩٨١ .

III

جاك لاكان

والتحليل فى اللغة الإنجليزية

يتطلب الأمر التعليق على علاقة لاكان بالتحليل فى اللغة الإنجليزية . ومن الشائع حتى الآن فى المناقشات التى تدور حول لاكان ألا يذكر اسمه إلا ليرفض بوصفه مهووسا ومشعوذا . وإذا وضعنا الاقتناع بهذه الفرضية فى الاعتبار ، فلا يمكن إلا نقول إن قراءته مستحيلة (ومن ثم فهو مشعوذ) ولا تكمن أهميته إلا فى خطورته ، بسبب وجود أتباعه المتملقين الذين ينشرون نظرياته الحمقاء ويشوهون فهم العامة لحقيقة التحليل النفسى . إن حقيقة أنه فرنسى ، وحقيقة أنه يكتب نثرا صعبا بأسلوب شديد الخصوصية ، تؤخذان كدليل قاطع وبديهى على عدم أهميته .

إن نقدا من هذا الطراز لا يحتاج ، عادة ، إلى رد . إنه نقد لا يليق إلا بالمؤرخين وعلماء الاجتماع نوى النزعات الشيفونية المتحجرة . وبالإضافة إلى ذلك، يبدو واضحا أن المجلدين اللذين يضمنان سيمينار لاكان وتطبع ترجمتهما الإنجليزية الآن فى مطبعة جامعة كمبردج يحملان رداً كافيا . إلا أنه يبقى ما يقال عن العلاقة بين لاكان ومدرسته – والمحللين الذين أثر فيهم – وسياق أولئك الذين يعملون فى اللغة الإنجليزية سواء أكان السياق تحليليا أم غير تحليلي .

«إننا ، فى فرنسا ، لاكانيون تماما ، بالضبط مثلما نحن فرويديون تماما» هذا ما قيل ، فى تقديم ندوة دولية عن التحليل النفسى ، على لسان جويس ماك دوجال Joyce Mac Dougall ، وهو محلل من الناطقين بالإنجليزية يقيم فى فرنسا . ورأى من هذا القبيل لا يمثل إعلانا عن الالتزام بالولاء ؛ إنه اعتراف بحقيقة أن أى محلل يعمل فى اللغة الفرنسية ، فى السياق الثقافى الفرنسى ، بتاريخه الفريد ، لا يمكن إلا أن يكون لاكانيا . حتى اللغة الفرنسية لاكانية .

افتح قاموسا فرنسيا معتمدا *Petit Robert* ، وهو قاموس بمثابة *Shorter Ox-ford English Dictionary* ، وافتحه على مادة *Symbolique* [الرمزى] ستجد تحت صيغة الاسم المذكر :

«Specialt. *Psychan.* "L'ordre des phénomènes auxquels la psychanalyse a à faire en tant qu'ils sont structurés comme un langage" (LACAN) .

[اختصاصى . تحليل نفسى . "نظام الظواهر التى يتعامل معها التحليل النفسى طالما تبنى كلغة " (لاكان) "] . وستجد إشارات أخرى للاكان الذى يُقدّم هنا ، عليك أن تلاحظ ذلك ، كسلطة لغوية على نحو قاطع . ومن المستبعد أن يحارب محلل نفسى يقوم بتحليل الناس جميعا ضد ما تقبله اللغة .

والأهم من ذلك ، أنه بينما لا ينتمى كثير من المحللين وربما معظمهم إلى مدارس تعتق نظريات لاكان صراحةً ، وبينما يودُّ كثير من المحللين الذين قضوا سنوات طويلة فى التدريب طبقا للخطوط اللاكانية أن يضعوا مسافةً كبيرةً بينهم وبين الذين يعلنون أنهم لاكانيون ، مسافةً كذلك التى بينهم وبين معظم المحللين الأمريكيين المتعصبين ، إلا أن هؤلاء المحللين جميعا يودون شيئا ويفعلون شيئا آخر ، وفى الظروف المبشرة على نحو مناسب مازالوا يقدمون أنفسهم بوصفهم لاكانيين .

وهذه القدرة على الانشقاق والإنكار ليست جديدة على التحليل النفسى . وليس على المرء إلا أن يتأمل سلوك عدد كبير من المحللين البريطانيين فى عملية التفاهم الخاصة بانشقاق ميلانى كلاين/أنا فرويد فى الجمعية البريطانية منذ الأربعينيات – هناك، كان الجانبان كلاهما 'فرويديين' ، إلا أن النزاع المذهبى يظهر فى الوقت نفسه بصورة مطلقة أمام المشاركين ، ويبدو وكأنه نتيجة لفجوات لا يمكن تجاوزها . ولكن الأمر يختلف عما كان عليه الوضع فى حالة لاكان ، حيث لم ترغب ميلانى كلاين أو أنا فرويد على ترك الرابطة الدولية للتحليل النفسى – مع أن الإشاعات ، وليست الكتابات التاريخية الوافية ، تقول إن الأمور اقتربت من ذلك فى لحظة من اللحظات . إلا أن هذا ربما حدث فى ظروف تاريخية فريدة وخاصة حيث كانت جماعة راسخة ، تشكّل العمود الفقرى لجمعية قومية وتمنحها شكلها المميز ، وتأتى جماعة من الخارج لتعيش تحت

السقف نفسه وتنازعها - يضاف إلى ذلك أن هذه الجماعة القادمة من الخارج تتمتع بخاصة فريدة تتمثل في اسم أبي رائدتها . وفي مثل هذه الظروف ، كان من المستحيل استبعاد إحداهما من الرابطة الدولية للتحليل النفسي . وليس هذا هو الحال في خلافات ومناوشات أقل شهرة . من يحظى الآن بأهمية أكبر في نزاعات جمعيتي التحليل النفسي الأمريكيين المرتبطتين باسمي ساندور رادو Sandor Rado وجوليس مازرمان Jules Massermann ؟

وطبقا لكل التعليقات ، لم يكن للانشقاق الأصلي في الجمعية الفرنسية ، أي انشقاق عام ١٩٥٣ ، علاقة كبيرة بشخصية لاكان أو بشخصه ، إلا أن بعض آرائه عن أسلوب معاهد التدريب على التحليل النفسي لعبت دورا مهما في الصراع . إلا أن القضية انحسرت على نحو متزايد في الفترة من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٤ في مشكلة واحدة لا تقبل الحل : مسألة شخص لاكان . وأخيرا جاء الإنذار : لن يسمح للمحللين الفرنسيين في الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي بالانضمام إلى الرابطة الدولية للتحليل النفسي إلا إذا وافقوا على حذف اسم لاكان من قائمة المحللين القائمين بالتدريب . وكان البند الثالث عشر ، كما هو معروف ، يتطلب أن تقوم الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي ببيتر اسمي لاكان وفرانسوا دولتو Françoise Dolto من قائمة المحللين المدربين . وقد عنّ للمفاوضين وهم على درج الطائفة ، ربما كفكرة أخيرة ، أن يعودوا من ادينبرج إلى باريس ليكتبوا تقريراً عن نجاح المفاوضات . كان الأمر بمثابة غصة في حلق الكثير من المحللين الفرنسيين . هل يقومون ببيتر اسمي المحلل الذي قام بتحليل عدد كبير منهم ، وأشرف على تدريب عدد أكبر ، وكان سيميناره حجر الزاوية في تعليمهم التحليلي ؟ وارتدى البعض ، في الواقع ، قناع كاسيوس Cassius المعروف عليهم . ذهب لاكان ، محروما من الكنيسة ، كما قال ، وذهب معه احتمال بقاء الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي على قيد الحياة ، وحينذاك ولد أول معهد للتحليل النفسي يرتكز على شخصية لاكان البارزة : المدرسة الفرويدية في باريس .

ولن يريد فهم ظاهرة لاكان التي استحوذت على قطاع كبير من الانتلجنسيا الفرنسية ، يوجد عملاق مطبوعان بالإنجليزية : سياسات التحليل النفسي Psychoan-

alytic Politic من تأليف شيرى توركل Sherry Turkل وهو عمل طموح فى علم الاجتماع ، وحياء جاك لاكان ومفاتيحه *The life and legends of Jacque Lacan* من تأليف كاترين كليمن Cathérine Clément وهو عمل متجانس على نحو رائع ، حيث أنه جاء نتيجة لسنوات طويلة من الاطلاع على ظاهرة لاكان . فى أوائل الخمسينيات بدا كل شىء وكأنه زوبعة فى فنان : فى عام ١٩٥٢ كان عدد الدارسين الذين يحضرون سيمينار لاكان خمسة وعشرين ، وكان فخورا بعدم تناقص العدد بمرور الوقت فى ذلك العام ؛ وكان عدد المحللين المسموح لهم بالمشاركة فى الاقتراعات الحاسمة التى أدت إلى انقسام ١٩٥٣ أقل من عشرين . وبعد ثلاثين عاما، حين مات لاكان ، خصصت الصحف الفرنسية اليومية تسع صفحات لتغطية الحدث . وبين هذين العهدين المختلفين ، قدم لاكان سيميناره . وساعد أيضا على تأسيس جمعية للتحليل النفسى كان لا يمكن أن تبقى على قيد الحياة سواء به أم بدونه ، وأسس أخرى وتقدم وحده بعزم ، ليحلها قبل وفاته بتسعة عشر شهرا . لكن تأثيره على قضايا التحليل النفسى كان منعدما من الناحية العملية خارج فرنسا طبقا للتقرير الرسمى للرابطة الدولية للتحليل النفسى . إلا أنه يحدث الآن ، فى بريطانيا وأمريكا وأستراليا وفى كل مكان من البلاد الناطقة بالإنجليزية ، ناهيك عن التأثيرات الأكبر والأسرع فى إيطاليا وأسبانيا وأمريكا الجنوبية، نمو متزايد لثقافة تحليلية تسيطر عليها الأفكار والشعارات اللاكانية ، لكنها ثقافة لا تساهم فى تأهيل المحلل النفسى لاعتراف الرابطة الدولية . اضطر لاكان إلى إقامة حانوته 'فى الخارج' . ويبقى أن على حركة التحليل النفسى الدولية أن تتصالح مع ذلك الاضطراب وتتأجه .

وإذا كانت هناك وسيلة واحدة ليفهم بها المحللون النفسيون لاكان ، فهى بالتأكيد نسخ الدروس التى قدمها للمحللين تحت التدريب فى كل عام منذ ١٩٥٣ . وهذا السيمينار مشغول باستمرار بأسئلة عن التقنية والمناهج ، وبإيضاح المجادلات النظرية المضطربة يوميا بصورة مباشرة فى الجلسة التحليلية . وبالنسبة لغير المحللين ، ربما يقدم السيمينار شيئا يمكن أن يضاهى محاضرات تمهيدية لفرويد ، شيئا أيسر منالا، وأكثر جاذبية ، وأكثر إغواء ، حتى من كتاباته الأخرى ، إلا أنه شىء شديد الأصالة : المحلل النفسى فى محادثة ، حين يكون فى البيت ، أو حين يجب أن يكون فيه .

IV

سيمينار لاكان الكتاب الأول • أبحاث فرويد في التقنية

١٩٥٣-١٩٥٤

أدار لاکان سيميناره كجزء أساسى من برنامج التدريب فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى . وكان العنوان العام 'سيمينار وتعليق على نصوص فرويد' . ويعالج السيمينار الأول كتابات فرويد عن التقنية . إلا أن اهتمامه لا يقتصر على كتابات فرويد المعروفة للقراء فى الطبعة المحققة تحت ذلك العنوان (أى مجموعة الأبحاث التى يضمها المجلد الثانى عشر ، تحت العنوان العام ، 'أبحاث فى التقنية' ، بما فى ذلك أربعة أبحاث جُمِعتُ معا بعنوان 'وصايا فى تقنية التحليل النفسى') ، لكنه يتناول أعمال فرويد بصورة أوسع ، خاصة تلك الأبحاث التى تنتمى للفترة الانتقالية المهمة التى بدأت بمفهوم النرجسية . ويهتم السيمينار الثانى بموضوع الأنا فى نظرية فرويد والتقنية التحليلية . وتتم ترجمة السيمينار الثالث إلى الإنجليزية أيضا ، وهو يطور نظرية الأنا والخيالى والرمزى ، ويشرح ، فى إسهاب شديد ، حالة شريبر Schreber والنظريات التحليلية فى الذهان . وفى عام ١٩٨٦ طبع فى فرنسا سيمينار آخر ينتمى إلى الخمسينيات : الكتاب السابع ، أخلاقيات التحليل النفسى ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ *Livre VII. L'Ethique de la Psychanalyse 1959-1960* ، يهتم بأخلاقيات التحليل النفسى ، والمحلل ، ويبدأ بالتأمل فى الأخلاق النيقوماخية *Nicomachean ethics* لأرسطو ، وأنتيجون لسوفوكليس ، والماركيز دى ساد .

ومن المهم أن نؤكد على أن هذا السيمينار كان موجها إلى المحللين تحت التدريب . ومن هنا انبثقت البورتان اللتان اهتم بهما دائما : الأسئلة التقنية (ماذا يفعل المحلل ، ماذا على المحلل أن يفعل ، ماذا فعل المحللون - «ماذا نفعل حين نحلل؟»)^(١٨)

والاهتمام بالنظرية التحليلية المعاصرة ، بترابطها النظري ونتائجها بالنسبة للأسئلة المتعلقة بالتقنية . وفى الخمسينيات ، كان لاكان يتوجه إلى محلى المدرسة البريطانية بصورة أساسية من بين المحللين النفسيين المعاصرين الذين توجه إليهم - قد تعامل مع البريطانيين باهتمام يربو بكثير (ودرسهم بصورة أكثر تعاطفا) عن اهتمامه بالأمريكيين . يحتوى السيمينار الأول على مناقشات مسهبة لأعمال أنا فرويد وميشيل بلنت وميلانى كلاين . وبالمثل ، يخضع موضوع علاقات الموضوع ، لمناقشات واسعة فى السيمينار الثانى ، وتفحص أعمال رونالد فريبرين فحصا دقيقا . وفى الحقيقة ، كان لاكان يميل فى أعماله إلى وضع التحليل الأوربي فى مواجهة التحليل الأمريكى ، واقتصرت تعليقاته اللاذعة فى معظمها على المحللين الذين لجئوا إلى أمريكا مهاجرين ونسوا المعنى الحقيقى لاكتشاف فرويد وهم يكافحون حتى 'يتكيف' التحليل النفسى مع طرق غريبة على تقاليد الثقافة الأوربية .

فى سبتمبر ١٩٥٢ طرح لاكان فى 'تقرير روما' ثلاث مسائل تواجه التحليل النفسى المعاصر: (١٩)

(أ) وظيفة الخيالى ، وخاصة مسألة الفتازيا ومكانتها الرمزية (وتصاغ هذه المسألة وكلاين فى الذاكرة) ؛

(ب) علاقات الموضوع الليبىدى (ومنظرو « علاقات الموضوع » فى الذاكرة) ؛

(ج) الإحالة العكسية counter transference [الإحالة transference : هى إسقاط مشاعر المريض وأفكاره على المعالج أو المحلل ، والإحالة العكسية : هى إسقاط مشاعر المعالج أو المحلل ، الشعورية واللاشعورية ، وأفكاره على المريض ، والترجمة الدارجة لهذين المصطلحين هى الطرح والطرح العكسى أو التحويل والتحويل العكسى - المترجم] ومسألة تدريب المحلل (كان فى ذاكرة لاكان عدد من أبحاث بولا هيمن Paula Heimann وأنى رايش Annie Reich ومارجريت ليتل Margret Little وقد نوقشت أعمال الأخير ببعض التفصيل فى السيمينار الأول - ونشرت تلك الأبحاث فى

مجلة التحليل النفسى الدولية فى عام ١٩٥٠ ، وساهمت ، بالإضافة إلى بحث فينيكوت Winnicott فى عام ١٩٤٧ وهو بحث مبشر نشر بعنوان 'الكراهية فى الإحالة العكسية' ، فى وضع هذه المسألة على جدول أعمال المحللين جميعا) .

وكان من المتوقع أن يقدم سيمينار لاكان فى العام الذى تلا نشر "تقرير روما" هذه المسائل بدأب ، وبأشكال متنوعة .

وحتى يفهم المرء الطريقة التى تصور بها لاكان سيميناره ، فإن عليه أن يتعرف على الخريطة المعرفية التى تخططها أعمال لاكان أمام المستمع والقارئ ، وهى خريطة شديدة الخصوصية . ويوجد الكلام ، بالطبع ، فى القلب من تصوره . وينبثق اهتمامه باللغة من معرفته بأن الكلام هو الوسط الفريد للتحليل النفسى والأداة التى يمارس بها كل تأثيراته ، سواء أكانت مفيدة أم ضارة . إلا أن اللغة لم تكن أبدا تصورا واحدا : يتم تصورها بطرق مختلفة . ويطور لاكان فى السيمينار الأول عددا كبيرا من النقاط التى مسها فى 'تقرير روما' ، الكلام كأساس للتبادل فى المجتمع الإنسانى (كلمة السر)، الحقيقة منبثقة من محور الكذب والخداع ، الالتباس الشامل فى الكلام التحليلي ، مما يتيح لشيء جديد أن يصبح شعوريا . ولكن كان هذا هو لاكان الذى لم يكن قد اهتم بعد بخلق تكامل بين النظرية التحليلية واللسانيات السوسيرية . هنا لا توجد مناقشات حول وظيفة الدال وتفوقه ؛ ويبرز مصطلح *signifiant* ، وثمة أسس قوية لترجمته ، كما يحدث أحيانا ، إلى 'signifying' وليس "الدال *signifier*" . وحتى وقت متأخر ، حتى عام ١٩٥٥ أو عام ١٩٥٦ لم يكن لاكان قد بدأ فى استخدام المصطلحات بأسلوب سوسيرى [نسبة إلى سوسير- المترجم] مباشر . وتأتى الإشارة الأولى فى كتابات فى "الشيء الفرويدى" - وهو بحث كتب فى أواخر ١٩٥٥ و ١٩٥٦ - والجزء الذى يتناول الدال والمدلول فى ذلك البحث من الأجزاء نقحت تنقيحا تاما بين ظهور البحث فى ١٩٥٦ وإعادة نشره فى كتابات (٢٠) ويمكن للمرء ، فى الواقع ، أن يبرهن على نحو ملائم على أن استفادة لاكان من سوسير فى ذلك الوقت كانت تشير ببساطة إلى أن فرويد كان لسانيا أمام الأدب *avant la lettre* ، حيث

نصّ ، فى كتبه عن الأحلام وزلات اللسان والنكات ، على قوانين اللغة التى يخضع لها الحلم والعرض ، برغم استخدام بعض الحيل غير اللغوية . وربما بدأ التقارب بين نظرية الأحلام عند فرويد ومصطلحى 'الاستعارة' و'الكناية' فى ١٩٥٦ ، مع قراءة لاكان مناقشة ياكبسون لآليات الحلم عند فرويد وهى مناقشة موجزة نشرت فى ذلك العام .^(٢١)

ولا يطور لاكان الفارق بين "الأخر other" و "الأخر Other" ، إلا فى ثنايا السيمينار الثانى ، ويكتسب الموضوع أهمية كبيرة فى كل أعماله التى تلت ذلك ، ويميزها عن التراث الفينومينولوجى فى فرنسا بعد الحرب ، ذلك التراث الذى يمثله سارتر ومارلو بونتي خير تمثيل . إلا أنه من الواضح أن لاكان قد أشار فى "تقرير روما" إلى هذا الفرق التصورى الذى يغطيه وارتبط بتأكيد على اللغة ، وارتبط ارتباطا وثيقا باهتمامه بالوسط الذى يعمل فيه التحليل النفسى . وينظرة حالية إلى الماضى نستطيع أن نرى أن مفهوم الكلام واللغة الذى اتضح هناك كان يحتاج إلى إنجاز هذا الفارق .

ارتبط تفكير لاكان فى اللغة ، دائما ، ارتباطا وثيقا بانعكاساتها على الذات وعلاقاتها بالموضوع أو "الأخر" - المتلقى . ومن قبل ، فى عام ١٩٥٤ ، فى بحث عن الزمنية temporality بعنوان «الزمن المنطقى وتأكيد اليقين المتوقع - Le temps l'as- sation de certitude anticipée'logique et» ، رسم لاكان فوارق قاطعة بين المفاهيم الثلاثة للذات ليصف المراحل الثلاث لجدل الذات . توجد ، أولا ، الذات المنطقية التى لا تحتاج إلى وجود الآخرين لتصدر حكمها : الذات العقلية ، ذات 'من المعروف أن ...' (أو بالتعبير الأكثر شيوعا فى الإنجليزية '... it is known that' of 'the 'it') ، «التى يمكن أن تكون الرب ، أو الطاولة ، أو حوض الغسيل».^(٢٢)

ثانيا ، ثمة نوات بلا أسماء وهى نوات العلاقات المتبادلة بين النوات والعلاقات بين الأنداد ، ولا تعرف إلا بقدر ما تكون متبادلة بين ذات وأخرى ، وهى نوات متكافئة مع الآخر عموما ، فى علاقة تبادلية لا تكون المعرفة الذاتية فيها ممكنة إلا من خلال الخاصية التى نحن بصدها فى الآخر ('The 'on', or 'one'). ثالثا ، يكتسب ضمير المتكلم (Je) المتفرد ، ويميزه على نحو فريد الفعل الذى ينبثق فيه "ضمير المتكلم" the 'I' فى عملية اعتزال الآخرين أو الانفصال عنهم أو 'التطهر' منهم .

وفى ذلك الوقت ، رسم لاكان توازيا واضحا بين جدل الذات المنطقية كما أوجزنا هنا وتولد الذات السيكولوجية من اللاتحديد الذى يُدرك بين المرء والآخر فى مرحلة المرأة . وفى هذه المرحلة ، فسر الحركة التى تسبب تشوش النفس self والآخر فى مرحلة المرأة ، بانبثاق الغيرة . وأعلن أيضا أن المناقشة فى بحثه تؤثت الشكل المنطقى الجوهرى (وليس الشكل الوجودى) للذات السيكولوجية .

وفى الأعمال التالية ، لم يكن من الممكن أن يرسم لاكان مثل هذا الفارق الحاد بين الذات السيكولوجية والذات المنطقية . ويمكن أن نقول إنه لم يهتم اهتماما خاصا بالذات السيكولوجية ، مع أنه وصف مرحلة المرأة مستخدما ، غالبا ، مصطلحات سيكولوجية باعتبارها تمثل طورا من أطوار تطور الذات السيكولوجية . ويمكن لنا أن نفهم ارتيابه فى قيمة دراسة الذات السيكولوجية حين نتأمل عباراته عن سيكولوجيا الأنا ، وهى على قدر كبير من الأهمية كجزء من نظرية التنقيح فى التحليل النفسى وقد هاجم فيها أعمال علماء نفس الأنا الأمريكيين وأعمال مجموعة أنا فرويد . ويصف فى السيمينار الأول الأنا السيكولوجية بأنها ذات وظيفة تكوينية، بينما الأنا التحليلية ذات وظيفة ديناميكية : تظهر الأنا [فى التحليل] كدفاع ، وكرفض^(٢٣) . ويبعد الاتجاه العام فى السيمينار الأول ، فى الواقع ، عن أن يكون تعليقا تطوريا على مرحلة المرأة - علينا أن نتذكر أن لاكان قدمها أول مرة فى عام ١٩٣٦ ، ثم ظهر بحثه الرئيسى عن مرحلة المرأة فى عام ١٩٤٩ - ويتجه إلى دراسة المرحلة باعتبارها 'وظيفة نموذجية' : نموذجية لعلاقات الذات طالما كانت مرحلة المرأة هى الصورة الأصلية للأنا .^(٢٤) وتنتقد مناقشات لاكان فى هذا السيمينار استخدام التفسيرات التى تفترض أن مرحلة المرأة ، كمرحلة من مراحل التطور ، قريبة الشبه بالمراحل أو الأطوار التحليلية الأخرى ، كما تنتقد الفكرة التى ترى أنها تمثل امتدادا لتلك المراحل . ويشير فى انتقاد استخدام نموذج مرحلة التطور فى الطفولة، ويعزوه إلى فرينزى بقدر ما يعزوه إلى فرويد (ويجب ، بالتأكيد ، وضع اسم إبرهام مع اسم فرينزى) ، يشير إلى :

ربما يكون من الأفضل ، فى الحقيقة ، ألا نشير هنا إلى المفاهيم التطورية الزائفة . ربما لا يكون المكان هنا مناسبا لطرح فكرة التطور الخصب . إن مسألة

توضيح الآليات البنيوية هي ، بالأحرى ، التي تؤثر في خبرتنا التحليلية ، وهي مسألة تركّز على البالغين . وربما يتضح لنا ، بالاسترجاع ، ما يحدث في الطفولة ، بطريقة افتراضية يمكن التحقق منها إلى حد ما... ما ألح عليه فرويد دائماً كان... الحماية مما يمكن اعتباره ، على كل المستويات ، مراحل مختلفة.^(٢٥)

وفي الحقيقة علينا أن ننظر إلى القسم الأكبر من هذا السيمينار بوصفه إعادة تقييم 'لكل' الاستخدامات ، مهما تكن محدودة ومتنوعة في الوقت نفسه ، الاستخدامات التي يمكن استنباطها من مرحلة المرأة.^(٢٦) وأحد تلك الاستخدامات هو توضيح أن واقع 'المراحل' الفمية والشرجية والجنسية هو واقع الصور الذهنية عن الجسد البشري ، وواقع أنسنة العالم ، وإدراكه كصور ذهنية مرتبطة ببنية الجسد'.^(٢٧)

كان بحث مرحلة المرأة جزءاً من محاولة بارعة ودعوية للتعليل على علاقة الذات بالآخرين، وكان البحث الذي كتبه لاكان عن "الزمن المنطقي" جزءاً آخر يساويه من حيث الأهمية وإن اختلفت طبيعة الإسهام . وفي ذلك البحث الذي يرجع إلى عام ١٩٤٥ ، يمكن أن نرى براعة مفهوم الذات في علاقتها بالآخرين : 'بالآخر' بوصفه مخاطباً أو محاوراً في عبارة علمية ؛ بالآخر بوصفه 'مكافئاً موضوعياً' للذات (*qui doivent* " *l'un l'autre se* " reconnaître)^(٢٨) ؛ وكذلك بالآخر الذي ينفصل عنه 'ضمير المتكلم' . ويبيّن تعقيد هذا البحث بانبثاق مفهوم الآخر *Other* في فكر لاكان . وهذا الانبثاق لا ينشأ عن تطوير مرحلة المرأة ، ولكنه ينشأ ، بالأحرى عن اهتمام لاكان ، ذلك الاهتمام المتواصل باللغة . وعلينا هنا أن نفحص مجموعة من الاهتمامات اللغوية التي ينبثق عنها مفهوم الآخر *Other* .

إن الخداع هو الشغل الشاغل للتحليل النفسي الفرويدي . لكن التداخل بين الفلسفة والتحليل النفسي ، وهو تداخل طبيعي للغاية في نظر لاكان وشديد الغرابة في نظر مدارس التحليل الأخرى ، تداخل عظيم الأهمية هنا ، كما شهد على ذلك الوضع الحاسم الذي احتلته فينومينولوجيا الإيمان الرديء والخداع الذاتى ، في نقد سارتر للتحليل النفسي في الوجود والعدم وفي الكثير من المناقشات التي تفرعت عنه في اللغة الإنجليزية.^(٢٩) ويوافق بعض المحللين النفسيين الآخرين على أن موضوعات الخداع

الذاتى والصدق والكذب موضوعات عادية ، وعلى أنها جزء حتمى فى ممارستهم العملية ، لكنهم لا يعطونها أهمية كبيرة على المستوى النظرى .^(٣٠) ومنذ البداية ينشغل لكان قى أعماله بالأهمية النظرية ويرتبط انشغاله بموضوعين : الأول ، حجم الخداع الذاتى فى الأعمال النظرية للمحللين النفسيين ، خاصة فى نظرية الأنا . وهذا الخداع الذاتى يؤثر فى قلب الاكتشاف التحليلى ، أى أن الأنا ليست سيدة فى بيتها . لكن المسألة تتجاوز ذلك ، ومن ثم يرى لكان أن المحللين النفسيين المعاصرين مخدوعون بأوهام شككتها وظيفة الأنا بطريقة شديدة الخصوصية : لا تخدعهم أنوات egos المرضى إلا بقدر ما تخدعهم أنواتهم . إن هؤلاء المحللين يقدمون أنا المحلل كنموذج للمريض ، كشيء يمكن أن يتقمصه المريض ليصلح بنيته الذاتية ، ويرى لكان أن المحلل قد يكون فى وضع الموت (وضع الأخرس - le mort [الميت] بالفرنسية - فى الزفة) ، وضع السيد الميت فى جدل السيد والعبد ، أو وضع الوسيط ، أو حتى الديبلوماسى ، فى محادثة تشارك فيها عدة أطراف ، أو ببساطة وضع الشاهد على الحقيقة - لكنه بالتأكيد ليس فى وضع قريب من وضع المثال ، أو وضع الأنا العليا .

وهكذا يكتشف لكان مظهرا أساسيا من مظاهر الخداع الذاتى للأنا فى تطور نظرية التحليل النفسى : إن الخداع الذاتى الذى يقع فيه المنظرّون ، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالأهمية التى يكتسبها التقمص فى الممارسة التحليلية ، هو ما يسعى شعار 'العودة إلى فرويد' إلى إحضره . لكن هذا الشكل من أشكال الخداع يرتبط بموضوع أقدم : موضوع الأوهام التى تعززها الصورة الذهنية-الارتياح (الأفلاطونى) فى المظاهر (بما فى ذلك النوع الخاص من الوهم الذى تولده العدسات والمرايا ، وهو نوع يمكن أن يبرر نسبياً موقف المعارضين لجاليليو حين رفضوا النظر من تليسكوبه ، لأنهم رأوا أن آلة من هذا النوع لا يمكن أن تولد إلا الوهم) . إننا نجد مناقشة مستمرة لعلم السلوك الحيوانى ، متداخلة مع النموذج البصرى ، ومؤسسة على أعمال تنبرجن Tinbergen ولورنز Lorenz ، وتستدعى أعمالهما لتأكيد الوظيفة الأساسية للصورة الذهنية فى دورات السلوك ، وخاصة السلوك الجنسى . والمصطلحان الرئيسيان هنا هما 'الإغراء' lure و'الإغواء' captation.^(٣١)

وربما يبدو الاعتماد على علم السلوك الحيوانى مثيرا للدهشة بالنظر إلى نقد لاكان للنزعة الطبيعية . ويرى البعض ، فى الواقع ، أن لاكان يعادى البيولوجيا عداء لا يلين . إلا أنه ، مع ذلك ، لم يقترح أبدا أن علينا أن نهمل البيولوجيا أو نتجنبها ، أو نتعامل معها فى حذر ، لقد اعتقد اعتقادا حازما أن أولئك الذين يحاولون تأسيس تحليل نفسى على أسس بيولوجية مخطئون . إلا أن تناقضا حادا للغاية بينه وبين جون بولبى John Bowlby وأمثاله من الذين استخدموا ، فى الخمسينيات ، الأعمال الحديثة لعلماء السلوك الحيوانى ليستغنوا بها عن الهيدروليكا الحيوية bio-hydraulics فى نظرية الغرائز الفرويدية ، ومن المفترض أنها هيدروليكا أسطورية لم تعد مقبولة . لقد تولى بولبى عن الغرائز وتبنى بدلا منها مفاهيم الارتباط ، والمفاهيم الطبيعية التى لا تزول بصمتها فى حالات الفقد والانفصال . وهنا ثمة مفارقة فضولية ، إذا وضعنا فى الاعتبار ما كتبه لورنز وآخرون عن الاندفاع الفرويدى الأصيل فى أعمالهم ، حيث من المحتمل تماما أن بولبى كان يستعير مفاهيم علم السلوك الحيوانى وكانت فى الأصل تحليلية بصورة لا تقبل الشك قبل أن يتم 'تطبيعها' ، وكان يعتقد أن هذه المفاهيم تركز بصورة أكثر رسوخا على الملاحظة الموضوعية للسلوك الحيوانى (حيث أنها مبنية على هذه الملاحظة) . وفى المقابل لم يول لاكان هذه المفاهيم أدنى اهتمام . وكان يرى أن السلوك الحيوانى يدلُّ على الوظيفة العامة للصورة الذهنية فى السلوك الجنسى-الوظيفة العامة للخداع والإزاحة . إن للحيوان والإنسان نزوعا طبيعيا مشتركا ، نزوعا للوقوع فى شرك الصورة : تتميز الحياة الجنسية ، فى الواقع ، تميزا فريدا بقوة الصورة الجذابة . وهو هنا يتناول موضوعا من الموضوعات الفرويدية الكلاسيكية : 'شنود' الحب الجنسى و'جنونه' (باستخدام مصطلحات فرويد) ، حيث الخداع هو القاعدة ، الشرط اللازم فى الواقع ، وليس الاستثناء :

... فى عالم الحيوان ، يسود الخيالى الدورة الكاملة للسلوك الجنسى...احتمالية

الإزاحة ، البعد الوهمى الخيالى ، أساس لكل ما يتعلق بنظام السلوك الجنسى. (٣٢)

وكان لاكان قد أشار إشارةً ضمنية إلى مفارقات الصورة البصرية وأوهامها فى

بحثه عن مرحلة المرأة. (٣٢) إلا أنه يوسع المناقشة ، فى السيمينار الأول ، ويربط أعماله

بالتشابه الذى رسمه فرويد بين إنتاج الظواهر النفسية وعمل المجهر أو التليسكوب . وفى تطور رائع للمناقشة ، يتحول لاكان من الصورة كما توجد فى أبحاث السلوك الحيوانى - كاريكاتير ، تخطيط لصورة - وانعكاس الصورة فى مرآة ، أو فى بحيرة ، إلى مخطط بصرى ، مخطط باقة الأزهار المقلوبة الذى ينتج عن مرآة كروية وأخرى مستوية وهذا كله ليس إلا أداة ، كالتليسكوب الذى اتخذه فرويد نموذجا للنفس ، لتوضيح طريقة إنتاج الصورة وخصائصها : الصور الواقعية والتقديرية . ويمكن فهم مرحلة المرآة كإشارة إلى حدث حقيقى ، إلى طفل يتأمل صورته . إن المخطط البصرى ، وهو فى ذلك كتليسكوب فرويد ، لا يمكن استخدامه كتمثيل لبنية حقيقية أو حتى كتابلوه شخصيات تتأمل كل منها الأخرى . الصورة الآن لا تخرج عن حدود البصريات ، ولا يمكن استخدامها فى التحليل النفسى إلا كنموذج ، وليس كوصف مقتضب .

ومن الواضح أن التحول من مرحلة المرآة إلى المخطط البصرى كان يسير فى اتجاه واحد ، من التعليق التعاقبى إلى التعليق المنطقى أو البنىوى . ويمضى لاكان بعيدا حتى أنه يقول إن أهم ما يميز مرحلة المرآة هو اختفاؤها الفجائى فى اللحظة التى يتغلب فيها الرمزى على الوظائف القائمة التى كانت تؤدى حتى تلك اللحظة إلى التعرف على الرغبة فى الآخر . ويدرك لاكان بوضوح أهمية ما تتضمنه المناقشة المنطقية ، وليس التطورية ، ويؤكد على ضرورتها :

إن هذه الأسبقية [أسبقية التعرف على الرغبة أولا فى الآخر بصورة أساسية] ليست تعاقبية ، لكنها منطقية ، ويقتصر دورنا هنا على الاستدلال . ولا يقلل هذا من كونها أساسية ، إنها تتيح لنا أن نميز مستويات الرمزى والخيالى والواقعى .^(٣٤)

ويضيف ربط هذا المخطط البصرى بمناقشة فرويد فى بحثه عن النرجسية ، يضيف لهذه المناقشة صلابة وقوة . ومن الطبيعى أن يكون لاكان قد اطلع على ما كتبه فرويد عن النرجسية لدعم نظريته عن مرحلة المرآة : إن تطلع نرسييس فى النهر ، متجاهلا صوت إيكو ، تمثيل أسطورى قريب الشبه مما كتبه لاكان عن تشكل الأنا . إلا أن ما كتبه فرويد لم يحسم الأمر بشأن قوة الارتباط ، الذى كان يتمناه ، بين

مفهوم النرجسية وأحد النماذج البصرية . ويستخدم لاكان النموذج البصري لتوسيع ما كتبه فرويد عن مثال الأنا والأنا المثالية - وهما مفهومان يميز بينهما فى بحثه عن النرجسية ثم يتركهما جانبا وهو يواصل تطوير نظرية الأنا والأنا العليا فى العشرينيات.^(٣٥) ويلتقط لاكان شذرات المفاهيم التى قدمها لاكان ويمفصلها مع المخطط البصري ونظريته عن الخيالى ليبين كيف يمكن للنموذج البصري أن يعلق على 'نقطة الالتحام' بين الخيالى والرمزى . ومرة أخرى ، يتوازى هذا الإنجاز مع إنجاز فرويد ، الذى يقودنا بحثه عن النرجسية إلى الأنا العليا ، تجسيد القانون والأخلاق - إنها منطقة تشبه ، إلى حد بعيد ، تلك التى يغطيها الرمزى عند لاكان . ويعود موضوع الصورة كوهم فى نظرية النرجسية بكامل قوته فى نظرية الحب (النرجسى واللاجنسى) ويعود وضعه الحاسم بوصفه افتنانا *verliebtheit* فى أبحاثه عن التقنية والإحالة . ومع دخول الحب كان لاكان على استعداد للانتقال إلى موضوع آخر رئيسى فى السيمينار : مناقشة ميشيل وأليس بلنت Alice Balint عن الحب الأولى وتقنية التحليل النفسى *Primary love and psycho-analytic technique* .

وتحمل مناقشة لاكان لكتاب بلنت نغمة متعاطفة وانتقادية فى الوقت ذاته . يعجب لاكان إعجابا عظيما بعمل بلنت مع المرضى (حتى أنه سيوضح بعد ذلك فى السيمينار فائدة مفاهيمه الخاصة - عن ميثاق الكلام ، والإعلان عن أن حقل التحليل النفسى هو حقل الكذب والخطأ - بحدث من أحداث بلنت الإكلينيكية) ، ويشرح لاكان نظرية بلنت ليوضح وجود انحراف تقنى ومأزق نظرى . إن بلنت 'متورط فى علاقة ثنائية ، وينكر ذلك'^(٣٦) (وهو تعبير أعلنه فلاديمير جرانوف Granoff Vladimir فى السيمينار ، ويرى لاكان أنه تعبير ملائم) . إن انتقاده للتحليل بالصورة التى يبدو عليها فى نموذج العلاقة الثنائية (الخيالية) يشمل كلاين Klein وبلنت . مع كلاين يلاحظ كيف أنها ، المحلّة ، تكفل إعادة تنظيم الرمزى بتقديم الكلمات ، التى ستشكل نواة عقدة أوديب ، إلى الطفل ، وتفشل فى تنظير هذه الحركة . ومع بلنت ، يدخل لاكان فى مناقشة طويلة عن ضرورة رؤية التحليل باعتباره 'علاقة متبادلة بين الذات intersubjective' (وهو مصطلح انتقده فى مناسبات أخرى ، كما رأينا ، مثلا ، فى بحث 'الزمن المنطقى'

باعتباره مضملاً ويفتقر إلى الدقة) : 'طالما بقينا فى سجل التحليل ، فسوف نضطر إلى إفساح المجال أمام علاقة تبادلية أصيلة بين النوات .^(٣٧) إن لاكان ، وكأنه الثقل الموازى لبلنت ، يناقش جدل التحديق gaze ، رؤية الآخر الذى يرانى ، كما افترضه سارتر فى الوجود والعدم . إن موضوع التحديق ، موضوع الذات باعتبارها 'عَيْنًا' ، كبير الأهمية فى نموذج المرأة الذى تطور عن مفهوم مرحلة المرأة ، وتطور بصورة أكبر فى السيمينار الحادى عشر . ويرى لاكان أن التحديق يشير إلى الطريقة التى بواسطتها تتضمن 'الطبولوجيا العينية للجسد' ،^(٣٨) التى تحدد أشكال الخيالى ، تتضمن بُعد الفضاء الخيالى الذى لا يقتصر على سطح الجسد أو فتحاته : إنه يتضمن إشارة إلى وجود الآخر فى الفضاء الخيالى . ولا يمكن لمفهوم تحليلى أن ينكر الإشارة الأساسية إلى الآخر إلا مفهوم يركّز على الذات self ، أو على الأنا ، أو على 'الحب الأنانى' (بلنت) .

ومع أن مقارنة لاكان لأبحاث فرويد عن التقنية مقارنة ملتوية (لم يهتم أبدا بالتغلغل فى مجموعة 'أبحاث عن التقنية' بحثاً بحثاً) ، إلا أن موضوعاً واحداً كبير الأهمية ينبثق منها ويمتد كخيوط فى ثنايا السيمينار : ظاهرة الحب . ومن الطبيعى مع مناقشات كثيرة لظاهرة الافتتان (*verliebtheit* ، أو حالة الوقوع فى الحب) وجود إشارة أساسية إلى الإحالة transference وإلى وضع المحلل فيما يتعلق بها . ولا يوجد فى أى موضع ، بصورة أوضح ، ما إذا كانت إجابة مقنعة عن السؤال : 'ماذا يفعل المحلل ؟' ، ستكون حاسمة لأسئلة التقنية . يوجد ، من ناحية ، موضوع الفتنة والتحديق ونظرية الاستعراض والمرأة . ويوجد ، من الناحية الأخرى ، نظرية الحب ، والرباط الرمزي ، وخصائص الحب الذى تحكمه قوانين العطاء (مما يجعل لاكان يعرف الحب ، بعد ذلك فى السيمينار ، بأنه عطاء ما لا يملكه المرء) . ويستنتج لاكان من هذا كله أن الإحالة ، رغم النظر إليها عادة باعتبارها عملية وهمية illusory 'تحدث فعليا على المستوى الرمزي' .^(٣٩) وفى الجلسة قبل الأخيرة يربط موضوع الميثاق عند ليفى شتراوس وموس Mauss ، ميثاق التبادل والعطاء ، بنظرية الكلام والعلاقة بين الذات والآخر ، ويفترض أن البعد الحاسم للإحالة ، بعيداً عن الحب والكراهية المفترض أنهما جاهزان للعمل فى الإحالة التحليلية ، هو الولع بالتجاهل .

والتطوير الذى أنجزه لاكان ، بعد ذلك ، فى هذا الخط الفكرى تطوير واضح: 'مفهوم الذات التى يفترض أنها تعرف' ، وصراع الذات مع قضايا السيادة والمعرفة المتمثلتين فى احتياج المحلل إلى المحلل . إلا أن من المهم أن نرى أن هذه الفكرة ترتبط ، من ناحية ، بنظرية الإحالة باعتبارها ولعا *passion* ، وترتبط ، من الناحية الأخرى ، بموضوعات الحقيقة والكذب والخداع ، التى يكرس لها بعد ذلك أكثر الأحداث تألقا فى السيمينار . وإذا كان التجاهل والإخلاص ، كما أعلن البعض، يشكلان الوضعين الأساسيين للمحلل ، فإن لاكان كان يأمل فى إعادة توجيه النظرية التحليلية لا ليصنع منها صفات سيكولوجية للمحلل ، ولكن ليضع مبادئ يؤسس عليها تقنية ونظرية عن علاقة الذات بالمحلل ، والآخر *other* والآخر *Other* .

ويعود كل موضوع من هذه الموضوعات للظهور من جديد فى السيمينار التالى ، وتعاد صياغته دائما بمصطلحات مختلفة ، بحيث لا تستطيع غالبا ، إلا بعد عناء شديد ، أن نعرف أنه قد سبق تناوله ، وأنه المشهد التحليلي (واللاكانى) الذى نعرفه . وهذا الشكل من لولة المفاهيم أو تدويمها طريقة فارقة يعيد بها لاكان إنتاج حركة الجلسات التحليلية التى تلتف على نفسها ، وتتكرر بطرق رائعة . تتأخر وتتقدم فى خطوط متعرجة ، فى حركة مماثلة لحركة حصان الشطرنج التى شبه فرويد حركة الخطاب بها ،^(٤٠) أو فى حركة مماثلة لحركة الأرجوحة وهى الحركة التى يتناولها لاكان بالمناقشة فى السيمينار الأول . إنها عملية التغلغل : ليست تكرارا أو تقدما ، ولكنها عملية ضرورية بالتأكيد . وكأن على عبقرية لاكان أن تكرر مناقشاته النظرية وما كتبه عن التطبيق ، أو تكرر تفسيراته لأعمال فرويد ، فى سياقات مختلفة تماما ، بحيث تبدو الفكرة 'ذاتها' (فكرة الانعكاس فى المرآة ، أو مفهوم الميثاق الرمزي) بصورة جديدة وعلى أرضية مختلفة . 'إن الكلمة ليست الشيء، ولكنها ومضة ندرك الشيء فى ضوءها' (ديدرو) . وما نراه مع لاكان ، خلال ومضة الكلمة هو مشهد يتحول أحيانا بشكل فجائى ، وفى أحيان أخرى لا يتحول إلا تحولا طفيفا ، إلا أن المحصلة النهائية هى التغير المستمر . وبمرور الوقت تغيرت نظريات لاكان تغيرا جذريا ، حيث كان كل سيمينار يدفعه إلى التطوير والتأمل . لا توجد نظرية لاكانية ، ولكن كان هناك تعليم

على نحو فريد وفارق . ومعظم هذا التعليم مجسّدٌ في السيمينار ومنها سيمينار عن
أبحاث فرويد في التقنية ، ودارت جلساته بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٤ ، وهو الأول ،
ومدون بصورة كاملة نسبيا .

سيمينار جاك لاكان
الكتاب الثانى
الاتا فى نظرية فرويد وفى تقنية التحليل النفسى
١٩٥٤ - ١٩٥٥

"يمكن أن تكونوا لاكانيين ؛ مثلما أنا فرويدى"

جاك لاكان (٤١)

كان موضوع السنة الثانية من سيمينار لاكان التليمى فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى عن 'الأنا فى نظرية فرويد وفى تقنية التحليل النفسى' . وتمثل بعض الجلسات أساس المواد المنشورة التى كتبها لاكان بعد ذلك فى الخمسينيات ، خاصة "سيمينار عن الرسالة المسروقة" وهو سيمينار شهير ، نشر فى مجلة الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ، التحليل النفسى العدد الثانى ١٩٥٦ 1956 *La Psychanalyse* 2 . واستهل به لاكان كتابات ، الكتاب المنشور فى عام ١٩٦٦ .

وبدايةً من هذا السيمينار فى أوائل الخمسينيات ، ركزت أعمال لاكان على التليم . وكل ما كتبه لاكان هو بالأساس تقطير وخلصه لمواد تم إنتاجها وتكرر ورودها فى سيميناره الأسبوعى - وقد نُقِّحتْ ، أحياناً ، عدة مرات بأشكال متنوعة . فى أوائل الخمسينيات كان سيمينار لاكان النقطة الوحيدة تقريباً للتعرف على تفكير لاكان : والآن ، وبعد وفاته بسنوات ، تقدم النسخ المنشورة من هذا السيمينار أفضل وسيلة للتعرف على ذلك التفكير . إن الصعوبة التى تشتهر بها 'كتابات' لاكان ، وهو الاسم الذى أطلقه عليها حين جمع بعضها للنشر فى عام ١٩٦٦ ، تضعف تماماً فى هذا التدوين للممارسات التليمية . إن حقيقة عودته باستمرار إلى موضوعات معينة ، كما ذكرنا من قبل بإيجاز ، تتيح للقارئ رؤية المسألة ، المفهوم المطروح للمناقشة ، من زوايا مختلفة .

وأنوى هنا أن أقدم إلى من قد يقرأ السيمينار الثانى دليلاً إلى نص يأخذ شكل الفسيفساء الباروكى أكثر مما يأخذ شكل التتابع الخطى . ويصف لكان سيميناره بأنه 'بانوراما'، وكل ما أسعى إليه هو تنوين قائمة ببعض الموضوعات التى تحدد للقارئ عدداً من المواضع التى يرى منها على الأقل مشهداً لبعض المعالم الرئيسية. وتبرز ثلاثة من هذه الموضوعات الرئيسية : الآلة ، والآخر Other ، والتكرار إذا نظرنا إلى سيمينار السنة كوحدة شاملة .

ونجد فى السيمينار الثانى المزيج نفسه الذى يميز السيمينار الأول ، نجد مزيجاً من التعليق النصي ، والاستطراد ، والتماثل غير المتوقع ، والإشارة . وإن كان ثمة اختلاف فهو يتمثل فى أن درجة المناظرة الحيوية وإثارة الأسئلة من قبل المشاركين عن خطاب لكان فى هذا السيمينار كانت أكثر حدة مما كان عليه الحال فى السيمينار الأول ، ويعرض السيمينار المزيج نفسه غير المتوقع من الإشارات الأدبية ، والمناقشات الفلسفية ، من التاريخ التحليلي للحالات ، وتشريح المفاهيم . إلا أن النظرة النهائية ، بالرغم من ذلك ، تختلف .

بينما انصب اهتمام لكان الأساسى فى السيمينار الأول على تطوير الأفكار التى وردت فى أعماله السابقة ، خاصة فى "تقرير روما" (نشر فى عام ١٩٥٣ بعنوان 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى') وفى أبحاثه عن مرحلة المرأة ، فإن السيمينار الثانى يحتوى على موضوع جديد يمثل علامة فارقة : نظرية الآلة والتواصل والسبرنطيقا . وكانت ذروة سيمينار ذلك العام محاضرة ساهم بها لكان فى سلسلة متوازية من المحاضرات عن 'التحليل النفسى والعلوم الإنسانية' ، نظمتها الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى : وكانت المحاضرة بعنوان 'التحليل النفسى والسبرنطيقا أو عن طبيعة اللغة وقد تأثرت ، فى الحقيقية ، دروس سيمينار تلك السنة تأثراً جوهرياً بهذه السلسلة التى جرت متوازية مع السيمينار . إن موضوع الآلة والسبرنطيقا وموضوع العلوم الإنسانية (بتضافرهما فيما قدمه لكان) يقدمان لمحة عن تعليمه تنأى به عن أن يكون مجرد تعليق على نصوص فرويد . وبين أنه (ذلك الذى لا يقتصر أبداً على التعليق المباشر)، يمضى باتجاه التأمل الواسع فى إبستمولوجيا التحليل النفسى

واختبار الأصالة الحقيقية فى أعمال فرويد . وكان يستهل السيمينار ، غالباً ، بإشارات إلى محاضرات الليلة السابقة وإلى المناقشات التى أثارتهـا-خاصة تلك المحاضرات التى ألقاها بنفست Benvensite ، وهيبولت Hypolite ، وكوريه Koyre ، وليفى شتراوس ، وميرلو - بونتي Merleau - Ponty . ومن ثم ، يدرك القارئ أن النسخ الموجودة من السيمينار الثانى لا تسجل إلا جزءاً من سلسلة مناقشات استمرت على مدار العام فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى .

وما قد يثير دهشة قارئ السيمينار الثانى هو الاتجاه الذى يدرس منه لاكان موضوعه المفضل ، الأنا فى النظرية التحليلية والتقنية التحليلية . ولا توجد بالفعل إشارات إلى النص الفرويدى الذى كان أساسياً فى المناقشات المائة التى دارت فى بريطانيا وأمريكا : نص فرويد عن الأنا والهو . ولا يناقش لاكان ، وهو أمر أكثر إثارة للدهشة ، بحث فرويد عن النرجسية ، ويبحث لاكان المكمل له ، 'مرحلة المرأة'. ويفترض لاكان أن أعضاء السيمينار على اطلاع بالعمل الذى اكتمل فى السنة السابقة ، فى السيمينار الأول ، حيث نوقش موضوع الأنا مناقشةً مستفيضةً مع نظرية الخيالى ومسائل التقنية التى أثارها التقمص والعلاقة الثنائية . وهناك ، ركز لاكان على نظرية مرحلة المرأة فى تشكّل الأنا ، مكملاً ذلك 'بمخطط الباقية المقلوبة' الذى استخدمه كنموذج للعملية التحليلية . وفى السمينار الثانى ينتقل لاكان من مقدمة النرجسية - التى كانت متزامنة مع كتابات فرويد عن التقنية - إلى الطوبوجرافيا الثانية فى العشرينيات . ويسلم لاكان بأن الأنا فى هذا النموذج الطوبوجرافى الثانى (سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا (١٩٢١) ، الأنا والهو (١٩٢٣) تمثل تحولاً فى نظرية فرويد ، تحولاً جعله مفهوم النرجسية ممكناً؛ ولكنه يرى أن مفتاح اختبار هذا التحول يكمن فى أول أعمال فرويد الرئيسية فى العشرينيات - وراء مبدأ اللذة (١٩٢٠) .

وينهمك لاكان انهماكاً شديداً معناه فى الجذور المعرفية للتحليل النفسى وفى تفسيرها حتى يتمكن من فهم وراء مبدأ اللذة ، أصعب أعمال فرويد وأكثرها استعصاء على الفهم . وعموماً ، يقتصر مشروع لاكان فى التعليق على نص فرويد على تقديم قراءة واحدة له ضمن قراءات أخرى فى محاولة للتعبير عن الظروف التى جعلت ما

يقوله فرويد ممكناً^(٤٢) وفى الواقع ، ثمة مناسبات عديدة كان لاكان يختم فيها مناقشاته بالقول : 'إذا كان اكتشاف فرويد لا يعنى ذلك ، فهو لا يعنى أى شئ' . ويتطلب الانهماك فى مثل هذا المشروع ، هذا المنهج فى القراءة ، خاصة حين يتناول كتاباً مثل وراء مبدأ اللذة ، يتطلب عملاً تمهيدياً يوضح الخلفية على نحو يفوق المعتاد . كشذرة من التأمل الخالص ، يتواءم مع تفسير تأملى ويتطلب ، فى الحقيقة ، ذلك النوع من التفسير .^(٤٣) ويدور فى هذا السيمينار جانبٌ كبير من المناقشات المنهجية والتاريخية والفلسفية : الفقرات المبكرة عن موضع اكتشاف فرويد من تاريخ الأنا منذ سقراط حتى الآن ، ويرى لاكان أن هناك علاقةً وطيدةً بين فرويد والتراث 'الأخلاقي' من لارشفوكو وبسكال إلى نيتشه ؛ الادعاء بأن تحول فرويد فى العشرينيات ، خاصة فى وراء مبدأ اللذة ، يرجع إلى إنقاذ التحليل النفسى من النوبان فى السيكلوجيا الأكاديمية ، وإنقاذه بالمثل من انعدام التأثير على المرضى أنفسهم الذين شفوا أولاً بواسطته ، والذين ، بوجوده الحقيقى ، أصبحوا محصنين ضده . وكان هذا الموضوع الأخير ، وبقي ، موضوعاً دائماً فى أعمال لاكان^(٤٤) الادعاء المتعلق بالانكماش العام فى التأثير العلاجي^(٤٥) بعد الحرب العالمية الأولى (واستمر بعد الحرب العالمية الثانية) . ويشكل هذا الادعاء إحدى قواعد دعوته إلى ضرورة تنقيح أسس التحليل النفسى ، بالعودة إلى فرويد . ولكن يجب أن تكرر العودة إلى فرويد استراتيجية فرويد ، أى إعادة ابتكار التحليل النفسى حين يصبح مألوفاً ويفقد غرابته : إن المرضى الذين يمكن أن يقدموا تفسيراً تحليلياً لأنفسهم يعرضون 'الحيلة الأكثر إزعاجاً التى يمكن لنا انتزاعها من كاهن الوحي'^(٤٦) بحيث يحتفظ الكهنة بخطوة أمام المتضرعين^(٤٧) .

يخصص لاكان الأجزاء الأساسية من السيمينار الثانى لمناقشة الوضع المعرفى للتحليل النفسى وعلاقته بالعلوم الدقيقة exact sciences ، وتبلغ الذروة حين قال فى محاضراته عن 'التحليل النفسى والسبرنطيقا' إن التحليل النفسى ينتمى إلى 'العلوم الحدسية' : تلك الفروع المعرفية التى تهتم 'بمغزى الفرصة'^(٤٨) ولا يتضح لنا تماماً كيف اختار لاكان مصطلح 'الحدسى' conjectural^(٤٩) 'الحدسى' هنا يقابل 'الدقيق' مثلاً 'المحتمل' يقابل 'الأكيد' وأيضاً مثلاً 'الرأى' يقابل 'المعرفة'^(٥٠) ولكن يتضح ، مع ذلك ، السياق الذى يقدم فيه لاكان هذا الادعاء: كادعاء ، أو أمل ، لصالح التحليل النفسى ، على التحليل النفسى ألا يضيع فى بحث يانس عن جدارته بالاحترام الذى

تتمتع به العلوم الدقيقة - جدارة بالاحترام تحتفظ بها نتيجة العمى الذى يقود
الإبستمولوجيا إلى التفاضى عن علاقة الإنسان الحاسمة بالرمز ، الذى يحدد حدود
العلوم 'الدقيقة' والإنسانية واحتمالات تلك العلوم .

إنها على أية حال الفرصة الأولى التى يستخدم فيها لاكان مفهوم العلوم الحدسية .^(٥١)
إلا أن الأرضية المؤتثة بمناقشات مستفيضة عن الآلة ، والواقع (يتساءل لاكان فى
السيمينار الثانى : 'لماذا لا تتكلم النباتات ؟' ^(٥٢)) ، السبرنطيقا ، والفرصة ، وطبيعة
الرياضيات ، تعطى انطبعا أقوى عن حدود العلوم الحدسية التى ينتمى إليها التحليل
النفسى وطبيعة تلك العلوم . (ربما رأى آخرون ، أتوا بعد ذلك ، أن الحقل المعرفى
المتميز هو ذلك الذى شغلته البنيوية ، لفترة قصيرة رائعة) .

وربما تكون نقطة البداية فى مناقشة لاكان للمسائل المتعلقة بعلاقة التحليل
النفسى بتاريخ الفلسفة والفكر عموما ، وبمسائل الأهمية الحيوية لنظرية التحليل
وتقنيته ، ربما تكون أطروحة بسيطة : إن البشر يشبهون الآلات أكثر مما يشبهون
الحيوانات .^(٥٣) تأتى العبارة بفرضيتين مثيرتين للخلاف إلى حد ما ، لكنهما مألوفتان
تماما ، وتشيد شيئا جديدا تماما يعكس أزمتهما .

أولا ، هناك ثمار مادية القرنين السابع عشر والثامن عشر (من ديكارت فى
الإنسان *L'Homme* إلى لاميتريه فى الإنسان الآلى *L'Homme machine*) : إن
الحيوانات آلات بالمعنى الفج ، أى أنها مصنوعة وتؤدى وظائفها كما تؤدى أجزاء الآلة
الأتوماتيكية والمحركات المائية وظائفها . وهناك ، بعد ذلك ، ثمار النزعة الطبيعية فى القرن
التاسع عشر (داروين) : إن البشر حيوانات ، لأن أجسادهم تؤدى الوظائف نفسها
التي تؤدىها الحيوانات وطبقا للقوانين ذاتها ، والأهم ، أنهم يشاركون الحيوانات التاريخ
نفسه . ومن ثم ، استنتج عدد كبير من المفكرين فى القرن العشرين أن البشر حيوانات
وآلات فى الوقت ذاته . وهو استنتاج صائب . وتنسجم أطروحة لاكان انسجاما دقيقا
مع الادعاءين فى الوقت ذاته إلا أنها تقدم لنا مهمة أخرى على الفور ، مهمة نتجنبها
عادة بالرضا الوسنان ، أو بالهلع القلق ، بها نقبل تطبيع البشر *natulralization*
وميكنتهم *mechanization* أو نجابه ذلك الموقف : المهمة هى تحديد القرابة

والتشابهات الدقيقة في هذين الادعاءين . وإذا وضعنا في الاعتبار سياق التحليل النفسي في منتصف القرن ، الذي بدا أنه لا يستطيع أن يتصور أن شيئاً عدا البيولوجيا بإمكانه أن يقوم بدور الأم أو المربية بالنسبة للتحليل النفسي الذي نبت ريشه ، فإن نتائج تكون ثورية : بدلا من أن تعد (أم أنه تهديد ؟) البيولوجيا الأم باستيعاب (أم أنه إنكار ؟) ابنها الطبيعي ، أى التحليل النفسي ، يجد الوليد نفسه في حقل يخصه بالكامل ، إلا أن أحد الجيران المقربين على الأقل يتكلم لغته الخاصة ، ألا وهي لغة الرمز .

استخدم لاكان في السيمينار الأول مناقشات وآراء تفصيلية تتعلق بالسلوك الحيواني لشرح نظريته عن الخيالي ، بدون المجازفة بالظهور بمظهر الاختزالي البيولوجي، وهي تهمة كثيرا ما وجهها إلى نظرائه في التحليل النفسي . وفي السيمينار الثاني ، يوجد التحول إلى المصدر الآخر للإزعاج في ميتاسيكولوجيا فرويد ، وتوجهها الميكانيكي ، ويحدث تطور غير متوقع . يرى كثيرون أنه كان من المتوقع أن يقف لاكان بتأكيد على اللغة والكلام ، وهو تأكيد متأثر بفلسفة هيغل وهايدجر ، أن يقف إلى جانب نوى النزعة الإنسانية ، المعادين للنزعة البيولوجية، المدافعين عن تلقائية autonomy التحليل النفسي . إنه ، بالعكس ، معادٍ بعنف للنزعة الإنسانية (تقريبا بالصورة التي يرحب بها ميشيل فوكو بشبح 'موت الإنسان' في الفصل الأخير من نظام الأشياء *The order of things*) . ورفض أى دفاع عن تلقائية التحليل النفسي الذي أنكر ادعاءات الفروع المعرفية الأخرى عن صلتها الوثيقة بنظرياته وتطبيقاته . وأدرك لاكان أن مثل هذا الدفاع (المماثل لسياسة النعامة التي يصفها كما اتضحت في قصة بو الرسالة المسروقة) ، ارتبط غالبا بالإهمال المتعمد للفكر البيولوجي والفيزيائي .

إن آراء لاكان عن المنزلة الإستمولوجية للتحليل النفسي أضفت عليه منزلة أرفع بكل معنى الكلمة : علاقة ديناميكية متكافئة بين التحليل النفسي والعلوم الأخرى ، العلوم الدقيقة . ويرى لاكان أن نظرية فرويد بمثابة ثورة كوبرنيكية ليس فقط بمعنى أنها غيرت وضع الإنسان في الكون بإزاحة مركز الإنسان بعيدا عن ذاته، ولكن أيضا بمعنى أنها أثرت تأثيرا أساسيا على معنى الفيزياء (ومن ثم على المفهوم الحقيقي

للكون) . إن الفيزياء ، وهى فى ذلك تشبه التحليل النفسى ، تنتج عن علاقة الإنسان بالرمز ، إلا أن الرمز الذى تنشغل به الفيزياء رمز رياضى ، 'حرف صغير مكتوب على السبورة' . وتضطر الذات فى الفيزياء ، إضافة إلى ذلك ، إلى تبني موقف خاص إزاء الرمز : موقف الذات الموضوعية المحايدة ، وهو موقف قابل للتبادل مع أى ذات أخرى . ومن الناحية الأخرى ، كشف التحليل النفسى العلاقة غير المتوازنة بين الذات الجسدية الفانية والرمز . لنضرب مثلاً ، استخدمه لكان بصورة خاصة إلى حد بعيد : لكل منا علاقة برمز خالص سواء أكان اسم العائلة أم اللقب أم اسم الأب ، وهو رمز يحمل معه علاقة بميلادنا ونبذور المستقبل (ومن ثم بموتنا الخاص) . أن اسم الأب يقدم هنا بُعداً أساسياً فى اللغة كلها : البقاء الشبيه ببقاء الصخور ، ذلك البقاء الذى تسعى اللغة إلى فرضه على عالم مشوش سريع الزوال ، والحرية التى تمنحها سرعة زوال الكلام وتفككه للحيوان الذى يرفض ضغط الواقع المستمر وينغمس بدلاً من ذلك فى خلق عالم احتمالى بديل لا يخضع لقوانين البيولوجيا المتعلقة بالحياة والموت .

للمرئ نفسه ، وحدة اللغات الطبيعية ، خصائص تختلف تمام الاختلاف عن خصائص اللغات الاصطلاحية فى الرياضيات ، كما اتضح ذلك فى وجود الأحلام (ومنهج فرويد فى تفسيرها) . إلا أن لكان كان يتمنى تحديد طريقة لاصطياد ذات التحليل النفسى بين هاتين الوظيفتين للرمز : بين الرموز الطبيعية (ويتم اصطيادها فى الخيالى) وقوانين الرمزى :

تنبثق الرموز الأولى ، الرموز الطبيعية ، من عدد من الصور السائدة - صور الجسد الأدمى ، صور عدد من الموضوعات الواضحة كالشمس والقمر ، وبعض الصور الأخرى . ومن هنا تكتسب اللغة الإنسانية قيمتها ومصادرها وذبذبتها العاطفية . هل هذا الخيالى متجانس مع الرمزى ؟ لا . وسيكون اختزاله إلى مجرد تأكيد على هذه الموضوعات الخيالية انحرافاً عن معنى التحليل النفسى ... (٥٥)

الرمزى ، فى المقابل ، هو شكل اللغة ، الشكل النسقى الأساسى - وهو ما يدعو لكان "التوحيدي combinatorial" ، وهو لا يقل بدائية عن الرموز الطبيعية ، والأهم أنه يتشكل من الوجود الحقيقى للرمز :

المعنى هو حقيقة أن الإنسان ليس سيد هذه اللغة البدائية الأولى . لقد تم إلقاءه فيها... الإنسان ليس سيدا فى بيته . ثمة شىء يندمج فيه ، ويحكم بالفعل من خلال توافقاته... ينهمك الإنسان بكل وجوده فى موكب الأرقام، فى ترميز بدائى يختلف عن التمثيل الخيالى. وفى وسط ذلك ، علينا أن نتعرف على شىء ما فى الإنسان. (٥٦)

وبالتالى ، فإن الاكتشاف الجديد بشأن الموضوع الذى يمثله اكتشاف فرويد بالنسبة للاكان يتطلب حتما مراجعة مفهوم "موضوع العلم" (الموضوع التى يبدو أن وجود العلم ، كنسق للمعرفة ، يقترحه) ، حيث يعتمد العلم ، مثلما هو الحال فى التحليل النفسى ، فى تأثيره على الرمز .

إن لاكان ينفذ ، كلما تطرق إلى مناقشة العلوم الحدسية ، إلى تاريخ العلم وفلسفته :

... من المستحيل ألا نضع نظرية عامة للرمز ، محور التقسيم الجديد للعلوم حيث ستحتل علوم الإنسان مرة أخرى وضعها المركزى كعلوم للذاتية. (٥٧)

إنه يضع احتمالية العلوم الحدسية مع العلوم الدقيقة التى جعلت الطبيعة ، بدايةً من نيوتن ، بكاء وقابلة للقياس ، طبقا لقانون الرمز ، أى طبقا لقوانين الرياضيات : يذكّر لاكان جمهوره بأن أنقى رمز متاح هو الحرف الصغير على السبورة ، بصرف النظر عما إذا كان رمز التكامل أو 'ط' [٧/٢٢] ، نسبة محيط الدائرة إلى قطرها - المترجم [أو رمز اللانهاية . إن العلوم التجريبية تركز على الرياضيات لتقدم للواقع ما يقبل القياس . إلا أن أية سلسلة من الحروف الصغيرة ، أو بصورة أوضح وأكثر إزعاجا لمن يجهل الرياضيات ، سلسلة من الأرقام الصغيرة ، مثل ١٠٠٠١١١٠١٠٠٠ ، تتطلب ترتيبا وتتابعاً لتكتسب وضعاً ، ومن ثم يكون لها معنى . أى أنها تُدرك باعتبارها تعمل وفقاً لقاعدة-إنها تحتاج إلى تفسير . وهنا يردّد لاكان ، بوعى ، الانتقادات التى وجهها علماء الرياضيات البحتة من أمثال d'Alembert إلى نظرية الاحتمالات التى كانت جديدة فى القرن الثامن عشر . إن حقيقة أن القواعد ضرورية لتوليد الحقائق الرياضية ، وهى من ثم ضرورية لتفسير العالم القابل للقياس ، توضح

أيضا للاكان كيف يجعل مفهوم التكرار الفرويدي - الذى تتأسس عليه فى النهاية فكرة الإحالة بصورتها الحقيقة - شبيها بتأثير مجموعة الدوال التى تشكل اللاشعورى .

ومن ثم يرى لكان أن مشروع فرويد فى السيكولوجيا العلمية هو المحاولة التحليلية الأولى لإخضاع ظواهر الوعى لقاعدة . ولكن ذلك لم يكتمل بالاختزال المزعوم إلى مادة وحركة ، وهو الاختزال الذى يمثل حلم القرن التاسع عشر بعالم الآلة ، عالم المحرك البخارى ، ولكنه يكتمل بالعودة إلى مفهوم أقدم للآلة ، مفهوم بسكال والاحتماليين فى القرن الثامن عشر ، وهو مفهوم يطابق أيضا ، على نحو فجائى ، فى عام ١٩٥٤ واليوم ، المفهوم السبرنطيقى والرياضى للآلة كنسق محدود من التوجيهات لإنجاز عمليات بسيطة بالاعتماد على خواص الرموز التى تكون "الداخل input" .

وهكذا ، فإن مفهوم لكان للتكرار فى التحليل النفسى يجعله بمعنى ما أكثر شبها بنظرية المعلومات وما يدعى الآن 'الذكاء الاصطناعى' ، أكثر من الشبه بينه وبين الخاصية شبه البيولوجية quasi-biological للكائنات الحية . ولم تكتمل الأعمال الأساسية لإعادة توجيه تاريخ العلم ، تلك التى يستلزمها تفسير من هذا النوع للتكرار وعلاقته بالعلوم بعد - الفرويدية ، لم تكتمل إلا فى السنوات العشر الأخيرة على أيدى المؤرخين المحترفين ، أثناء العمل فى تاريخ نظرية الاحتمالات والديناميكا الحرارية - مثلا ، فى كتاب إيان هكنج Ian Hacking انبثاق الاحتمالية *The emergence of probability* وهو عمل يمثل بداية لعهد جديد ، والتفسيرات الثورية لسيكولوجيا القرن الثامن عشر ورياضيات داستون Daston وإحصاء بورتر Porter وآخرين .

ومع مثل هذه الإطلالة على خريطة العلوم ، لم يكن أمام لكان إلا أن يتفاعل مع الحركة ذات القاعدة العريضة فى تاريخ الأفكار ، تلك الحركة المرتبطة بنظرية المعلومات وعلم السبرنطيقا (وهو الاسم الذى أطلقه واينر ، فى كتاب بهذا العنوان نشر فى عام ١٩٤٨) . إلا أنه ، فى أى استخدام لمفاهيم جديدة عن الرسالة message والاتصال والمعلومات ، ينبغى أن يُبقى النسق على الحساسية السائدة فى الفروق اللغوية الدقيقة وحدود المحادثة كما وضحها فرويد فى تاريخ الحالات وتحليل الأحلام ، وكانت السمة الخاصة بأسلوب لكان ، وقد لاحظها واينر بصورة رائعة فى كتابه استغلال البشر

للـبشر *The human use of human beings* (١٩٥٠) ، وكانت حاسمة بالنسبة للسبرنطيقا فى أطوارها الأولى . إن البراعة فى مناقشة الصدفة والرقم والعلامة هى السر وراء النجاح الكبير لتحليل لاكان لقصة إدجار ألان بو ، الرسالة المسروقة ، فى السيميوتار الثانى ؛ بصورة جعلت من الممكن ابتكار مقاربة جديدة تماما لمفهوم التكرار الذى يتأسس عليه وراء مبدأ اللذة . إن التكرار ليس مجرد حقيقة إمبيريقية ، وليس مجرد شيئا اكتشفه المحلل النفسى وهو يلاحظ مرضى العصاب وهم يكررون صدماتهم المنسية ، ويكررون (فى الإحالة) علاقاتهم المنسية بآبائهم ؛ لكن التكرار قاعدة تفسيرية أساسية أيضا ، شبيهة بمفهوم كانطى^{٥٨} يلائم التحليل النفسى . إنها قاعدة مرشدة ، حين يأتى المريض بفعل أو يتفوه بشيء غير مفهوم ، حيث يكون الفعل أو الكلام تكرارا لشيء لم يكتشف بعد . وقد صاغها فرويد فى جملة ، ألح كثيرا على المفارقة والعمق الأصليين فيها : 'قبل كل شيء ، سوف يبدأ المريض علاجه بالتكرار...'.^(٥٨) وحيث أن المحلل يتخذ بالضرورة وضع من لا يفهم (يأتى المريض ، يطلب من المحلل أن يفهمه ، ويخلق بالتالى حالة من عدم الفهم وهى حالة يتطلبها العمل التحليلى ليصبح ممكنا) ، فإن ما يتم البحث عنه دائما هو المشهد المجهول الذى يتكرر ، أو القاعدة التى تتوافق مع الفعل أو الكلام الذى تضطلع به خاصية التكرار بالنسبة للذات . يدخل المريض إلى عرين المحلل وفى يده مسجل صغير walkman - ماذا يتكرر هنا ؟

وحيث افترض لاكان هذا المفهوم الجديد للتكرار كمقولة يتأسس عليها الفهم التحليلى ، وهو يناقش قصة بو ، قدم فى الوقت ذاته قراءة أدبية لذلك النص القصير مازالت نموذجية وثرية فى تضمينها للنقد الأدبى سواء أكان تحليليا أم لم يكن .^(٥٩) وقد درس لاكان هذه المسائل عن طريق 'الآلة' وهو طريق لا يبشر ظاهريا بالنجاح .

إن استخدام لاكان لمصطلح 'الآلة' ، المصطلح الذى يتحدث عنه فى معظم السيميوتار الثانى كان سيتضح أكثر لو استخدم مصطلح 'آلة تورنج' [كمبيوتر افتراضى له قدرة غير محدودة على تخزين المعلومات ؛ وتورنج Turing عالم رياضيات إنجليزى توفى عام ١٩٥٤ - المترجم] ، أو كان هذا المصطلح متاحا له . وقد عرف دينيت Dennett آلة تورنج بأنها 'ليست سوى نظام محدود من الإرشادات لإنجاز

عمليات بسيطة على مجموعات الرموز التي تشكل "الداخل" :^(٦٠) إلا أن بعض تأملات لاكان ما كان لها أن تكون حادثة على هذا النحو إذا اقتصر مصطلح 'الآلة' على ذلك التعريف المعترف به في الوقت الحالي . يربط لاكان بين آلتين، ويشركهما في محادثة ، ليوضح أن على مفهوم الخيالي ، الذي يمثل الارتباط الأساسي بين الإنسان والصورة ، أن عليه أن يلتحم بعالم الآلات المتحدثة . وكان يأمل أيضا في تحديد الصعوبات التاريخية في تطور التفكير بشأن الآلة ، من ديكارت إلى هيجل ومن ثم إلى فرويد . وهكذا يتأرجح بين مناقشة الآلات وعلاقتها بالطاقة (كما هو الحال أيضا في السبرنطيقا والأعمال المرتبطة بعامل الأنثروبيا وعلاقته بنظرية المعلومات) [الأنثروبيا entropy : عامل رياضي لقياس الطاقة غير المستفادة في نظام ديناميكي حراري - المترجم ، عن المورد] والآلات وعلاقتها 'بالتفكير' (كما في حالة الأبحاث الكلاسيكية عن آلة تورنج التي أجراها تورنج ولوكاس Lucas وتشارش Church ، وغيرهم) : الآلة التي صارت ممكنة بفضل مناهج جودل Gödel في الإثبات وما أضافه تورنج لهذه المناهج .^(٦١)

ناقش لاكان ما يفترضه الآن أنصار الذكاء الاصطناعي : تدعم نظرية الآلة المجردة ، المؤسسة على مفهوم المعلومات ، وليس على مفهوم 'الميكانيكا' بالصورة التي كان عليها في القرن الثامن عشر ، أو على مفهوم 'الكائن المتوحد' unified organism في العلوم قى القرن التاسع عشر ، تدعم تلك النظرية بوضوح نمودجا غير اختزالي ، مفعما بالقوة . وتقوم بذلك لأن رياضياتها ونماذجها تتعامل أساسا مع قوانين الرمز . وكان على لاكان أن يعود في أعماله التالية إلى صف جودل في هذا الحقل من حقول البحث ، وهو يناقش نظرية العدد وعلاقتها بمفهوم التقمص .^(٦٢) ومع ذلك علّق الجانب السبرنطيقى فيما بعد تعليقا مؤقتا في السيمينار .

وقد قاده توضيح نتائج مقاربتة الجديدة للآلة ولوازمها الفلسفية إلى التركيز على 'بيولوجيا' وراء مبدأ اللذة ونظرية الليبيدو عند فرويد .^(٦٣) ويخلص إلى أن أيا منهما لا يمثل بيولوجيا حقيقية ، وإلى أنهما يشكلان "بيولوجيا" غير بيولوجية non-biological biology . ويخلص ، في الحقيقة ، في الجملة الختامية لسيمينار ذلك العام إلى أن

غريزة الموت ليست سوى قناع النظام الرمزي... النظام الرمزي لا كينونة له ويلح في الوقت ذاته على أن تكون له كينونة ، وهو ما فكر فيه فرويد حين تكلم عن غريزة الموت باعتبارها الغريزة الأساسية أكثر من سواها ...^(٦٤) إن استمرار المناقشة يربط مفهوم فرويد للتكرار بنظرية الآلة ، بتقديم تفسير جديد لعلم الطاقة : energetics [فرع من فروع الميكانيكا في الطاقة وتحولاتها - المترجم ، عن المورد] في القرنين التاسع عشر والعشرين ولنظرية المعلومات التي تعتبر متولدة عنه. وفقد هذا التفسير بعض خصوصيته منذ إعادة تفسير مفاهيم الفيزياء بصورة شاملة على أيدي كل من بريجوجاين Prigogine وستينجرز Stengers بوصفها تتمركز حول الديناميكا الحرارية ومنذ وصف الأنساق اللاعكسية . non-reversible^(٦٥) وحتى يفهم لاكان كيف أساء فرويد بناء ظواهر برزت بواسطة الذات التي يتم تحليلها (وخاصة ظواهر التكرار ، وبصورة أكثر شمولاً ، تلك الظواهر التي تجمعت تحت مفهوم 'دائرة الخطاب' الذي أدخله لاكان إلى السيمينار) فيما يبدو أنه تربة بيولوجية ، ليفهم ذلك يعود إلى النموذج الذي تأسس عليه وراء مبدأ اللذة : ميتا سيكولوجيا المشروع [مشروع سيكولوجيا علمية (١٨٩٤) Project for a scientific psychology - المترجم] والفصل السابع من تفسير الأحلام .

مع المشروع ، يكتشف لاكان الآلة من جديد ، الآلة التي 'دارت بنفسها تقريبا' بتعبير فرويد . ويرى لاكان بوضوح أن الآلة ليست غريبة على العلوم الإنسانية ، كما افترض ذلك المفكرون 'نوو النزعة الإنسانية' . 'الآلة تجسيد لأكثر نشاطات الإنسان اديكالية' .^(٦٦) وتمدُّ السبرنطيقا لاكان بالمواد اللازمة لتجسيد هذه الأطروحة . ويحدد ن ، واضعاً في الاعتبار ما قد ندعوه قراءة مشروع فرويد طبقاً لنظرية المعلومات ، أن النسخة السيكلوجية لهذا النموذج وهي النسخ الموجودة في تفسير الأحلام ، محاولة لاتخاذ خطوة أخرى إلى الأمام بإدخال بعد الزمنية (الذي تنشأ عنه كل نضاتها الداخلية) . وبعد ذلك ينكبُّ لاكان على دعواه (ذات التوجه السبرنطيقى) : اهتمام نظرية الأحلام لفرويد بسيكولوجية الحلم أقل من اهتمامها برسالة الحلم (ومن ثم 'الحالم') ؛ لقد اهتم فرويد بالرسالة كما هي ، بالرسالة كجزء من "خطاب متقطع ولكنه لحوح" .^(٦٧)

إن الموضوع المتواتر في هذا السيمينار وفي غيره هو مناقشة ما يعتقد أنه 'سيكولوجيا' متجانسة - حيناً في أعمال فرويد وحيناً في أعمال أولئك المحللين النفسيين الذين يعتبرون أنفسهم بناءً سيكولوجياً - وهو في الحقيقة أشبه ما يكون بوصف للعملية التحليلية ، للعلاقة بين المحلل والمحلل . وهكذا يبين لاكان كيف أن مفهوم فرويد للرقابة لا يشير إلى حدث سيكولوجي أو عملية سيكولوجية داخلية ، لكنه بالأحرى ذو علاقة بمفهوم المقاومة في تفسير الأحلام والممارسات التحليلية إلا أنه يختلف عنه ، وهو أكثر شبهاً بـ 'قانون الخطاب' و 'القانون' الذي ينصُّ على أن المرء لا يستطيع فهم القانون برمته . وتمت ، بالمثل ، مناقشة أن المقاومة ليست حالة سيكولوجية داخلية ، تُعزى 'وكأنها قضية مسئولية (بصرف النظر عن إمكانية التسامح بشأنها) ، إلى المريض (أو ، بصورة لا تصدق ، إلى العَرَض) ، لكنها تتعلق بضغط المحلل وعمله . (ثمة مقاومة واحدة فقط ، إنها مقاومة المحلل .^(٦٨)) وحين يتناول لاكان نظرية فيربرن عن الحافز المضاد Fairbairn's anti-drive theory ، وهي نسخة من التحليل النفسى عن علاقات الموضوع ، يتحد مفهوم 'الموضوع الباطنى the internal object' أو 'الموضوع المبطن' 'the internalised object' مع تقنية تكون فيها أنا المحلل هي المقياس الوحيد لعالم المريض ، عالمه الخيالى ؛ وبالإضافة إلى ذلك ، يمثل مفهوم 'الأنا الملاحظة' اسماً آخر للمحلل الذى 'يراقب' المريض .^(٦٩) وكل انتقاد من هذه الانتقادات يمثل هجوماً على سيكولوجيا التحليل النفسى ، وهو انتقاد مرتبط بإصدار توصية لجعل نظرية التحليل النفسى أقوى ارتباطاً بممارسة التحليل . بالمثل ، حين يتعلق الأمر بمرضانا ، من فضلك اهتم بالنص أكثر مما تهتم بسيكولوجية المؤلف - وهذا هو التوجه التام لتعليمى .^(٧٠)

وحتى يرسم لاكان نسخة من هذا الإصدار ، فإنه ينكبُّ على نظرية فرويد عن الأحلام ، ليبين أن اهتمام فرويد بسيكولوجية الأحلام (بالرغم من كتابة فصل ختامى فى تفسير الأحلام بعنوان 'سيكولوجيا عمليات الحلم') كان أقل من اهتمامه بمعانيها ومناهج تفسيرها . أى أن اهتمام فرويد بخصوصيات النص كان يفوق اهتمامه بالعمليات الذهنية . وهنا ينهمك لاكان فى أحد استطراداته الظاهرية - فى عمل من الأعمال التى

تدل على المعية غير متوقعة ، تلك الأعمال التي تمثل سر شهرته : إعادة النظر في حلم حقنة إرما ، موضحا أن السؤال الذي طرحه فرويد على نفسه كان : 'ما معنى الحلم؟' وعليه رد حلمه : 'معنى' . ويتم تخصيص جزء كبير مما تبقى من السيمينار الثاني لاستكشاف الرمزي واستكشاف مقامة المصطلح الذي صار مصطلحا مركزيا في جزء كبير من أعمال لاكان التالية : ألا وهو مصطلح الآخر the Other .

ويمضى لاكان ، بعد أن وضح أن ممارسة التحليل تتطلب معرفة بأن العلاقات موجودة منذ البداية يمضى متعقبا خطى فرويد ، إلى أبعد 'من' ذلك . والسبيل الذي يسلكه إلى هذا 'الأبعد' هو طريق الرمزي : وعن طريق الآلة مثلما هو الحال في معظم أجزاء هذا السيمينار . وخلال الاهتمام بلعبة زوجي أم فردي [جوز ولا فرد] - التي يرى لاكان أنها تعكس أكثر الآلات الحديثة بدائية ، وهي الآلة التي تعمل في التلوين الثنائي ، أي الآلة الحاسبة الرقمية ، وتقدم اللعبة ذاتها توقعات لتحليل قصة بو ، حيث أنها مأخوذة عن تلك القصة - وفيه يوضح لاكان خطاب اللاشعوري وعلاقات الرمز والواقع . وهنا تبرز قيمة الرمزي : حيث نرى الذات مستقرة في علاقة سلبية مع تلك النوات الموجودة ضمن سلسلة الخطابات وتحتاج إلى استجابة تلك الذات (مثلا ، كانت الحكايات التي تحكيها عائلة فرويد تمثل عنصرا كبيرا الأهمية في مفهومه عن عقدة أوديب^(٧١) . حيث يتحول لاكان بصورة متعرجة ، منتقلا إلى تحليل الرسالة المسروقة ، وكانت حقا اكتشافا ملائما بالنسبة له ، حيث أنها تكمل تكرار المشاهد المؤلف للمحلل بدقة رياضية لسلسلة تتحدد بواسطة بنية (القواعد التي يتم بواسطتها إنتاج السلسلة) ، وينبثق عنها شيء غير متوقع^(٧٢) . وتقدم حركة الرسالة في حكاية بو مجازا تصويريا للعملية التحليلية ، وتوضح أيضا أن البنية التي توضع فيها الرسالة هي التي تحدد تأثيرات المعنى واحتمالية الفهم بالنسبة للمشاركين في نقل الرسالة . إن الرسالة هي وحدة آلة اللغة ، وأفعال المشاركين هي كلام هذه الرسالة ، هذه الآلة، والرسالة في الحقيقة هي ما يحدثهم أو يخاطبهم . وعند هذه النقطة ، يقدم لاكان ، بواسطة مسألة علاقة الكلام باللغة وعلاقة اللعب play والألعاب games (le jeu) ، يقدم الآخر the Other ، ومع التخطيط L (أو تخطيط على شكل حرف Z) ، وبه يواصل وصف

تقلبات عملية التحليل وعلاقتها بمفاهيمه عن الأنا والآخر other ، عن الذات والآخر Other ، والخيالى والرمزى والواقعى .

لا يمكن أن نُفَرِّط هنا فى التأكيد على أهمية مفهوم الآخر فى فكر لاكان ؛ أو تعدد التكافؤ الأساسى لهذا المفهوم . حيث أن خلفيات مفهوم الآخر موضوع أكبر من أن نناقشه هنا بصورة كافية . ونكتفى هنا ببعض الإشارات الموجزة .

إن بُعد الخداع والكذب ، وهو موضوع حظى بقدر عظيم من الأهمية فى السيميائى الأول ويتكرر فى أعمال لاكان ويميزها ، يكفل هنا ضرورة وجود مفهوم الآخر . وتضطرنا حقيقة أن الذات قد تكذب ، تضطرنا إلى التفكير فى أن ثمة شيئاً وراء تبادل العلاقات بين الذات intersubjectivity^(٧٣) إنه يضع ، غالباً ، خبرة الخداع والكذب ، وهى خبرة مألوفة تماماً فى الحياة اليومية ، ومألوفة أضعاف ذلك فى الحياة اليومية للتحليل النفسى ، يضعها جنباً إلى جنب مع أهمية تلك الخبرة فى تاريخ الفلسفة والعلم . وينكبُّ مرة أخرى على مناقشة موضوع الروح الحارسة demon عند ديكارت (التي قد تخدعه وتجعله يصدق ما هو غير حقيقى) وضرورة الرب الذى ينطق بالحقيقة ويستحضره ديكارت ليضع عالم العلم على الأرض، وعلى مناقشة تكرار reprise أَيْنِشتاين ، وإشارته إلى رب العالم ، وإلى أنه ليس خبيثاً . ودخل واينر ، أيضاً ، إلى المقاطعة ذاتها ، موضحاً أن أَيْنِشتاين يفترض أن الرب لا يخدع وهو يلعب البوكر مع عالم الفيزياء - وقد استوعب لاكان فى شغف أعماله وأعمال غيره من السبرنطيقيين^(٧٤) . لكن ما يمنح القوة لتأملات لاكان عن الخداع هو أن كذب المريض يخدع المحلل بقدر ما تخدعه حيلة الرب . وفى السيميائى الثالث ، يصوغ لاكان السبب وراء تقديم الآخر على النحو التالى :

ولماذا بحرف A كبير [فى كلمة Autre ، بالفرنسية ، أى الآخر] ؟ إنه دون شك ، سبب مجنون ، مثلاً هو جنون فى كل مرة نضطر إلى أن نأتى بعلامات مكملات لتلك العلامات التى تقدمها اللغة . السبب المجنون هنا هو التالى . أنتِ زوجتى - ومع ذلك ، ماذا تعرفين عن ذلك الشيء ؟ أنتِ سيدى - فى الواقع ، هل أنتِ على يقين من ذلك ؟ إن ما يخلق القيمة التى تؤسس تلك الكلمات هو هدف الرسالة ،

كما أن ما يبرز من هذا الادعاء ، هو أن الآخر other يوجد باعتباره آخر Other مطلقا . ومطلق هنا ، بمعنى أننا نتعرف عليه لكننا لا نعرفه . وبالمثل ، إن الذى يشكّل الادعاء ، فى النهاية ، هو أنك لا تعرف ما إن كان ادعاء أم لا . إن ذلك العنصر المجهول الذى يمثل تبدل الآخر هو بصورة جوهرية ما يميز علاقة الكلام على مستوى توجيه الكلام إلى الآخر .^(٧٥)

وكما سبق أن ذكرت ، علينا ألا ننسى تأثير نظرية اللعب *The theory of games* لكلود شانون Claude Shannon وجون فون نيومان John von Neumann وأوسكار مورجنسترن Oskar Morgenstern ، وأعمال نوربرت وايتنر على فكر لاكان فى السيمينار الثانى ، ومن ثم على توليد مفهوم الآخر . وإذا كان مفهوم 'الآخر other' أو 'الآخر Other' قد وجد صداه المباشر بعد الحرب فى اهتمام سارتر من جديد بمشكلة 'الآخر' ، تلك المشكلة الكانطية ، فى الوجود والعدم (وأيضا ، بالمسألة الكانطية المرتبطة بالعلاقة بين الأنا المتعالية والأنا الإمبريقية) ، إلا أن الهيكل التفصيلي لمفهوم لاكان يدين أكثر بتفسيراته لفينومينولوجيا هيجل ، مع سياق اللغة والاستبدال والبنية عند ليفي شتراوس وموس . ويأخذ لاكان من هيجل ، نون تعديل ، خاصية من جدل 'الروح الجميلة' ، خاصية التبادل بين النوات ، تلك الخاصية الضرورية لكل الحالات الإنسانية ، المعرفية والوجدانية والأخلاقية . ومن هنا تأتى فكرة لاكان عن أن الرغبة الأساسية التى تبحث عن تعبير فى التحليل النفسى هى الرغبة فى التعرف . وأية رغبة فى التعرف تستدعى على نحو مباشر المفهوم الذى قد تكون عليه رغبة الآخر التى تقودها إلى التعرف على الذات . ومن ثم تأتى عبارة لاكان المشهورة 'الرغبة هى رغبة الآخر' . إنه يأخذ عن موس Mauss وليفى شتراوس فرضية أن علاقات الاستبدال ، بين النساء ، بين الكلمات ، بين 'هبات' موس - مع ما تجلبه من الإلزام المراءى mirror-ing - أساسية فى العلاقات الاجتماعية التى يمارسها الإنسان . ووراء تلك العناصر ، توجد تأملات لاكان فى تحولات الكلام الخاصة ، واطرق الخاصة لمخاطبة الآخر ، وهى تأملات تتضمن وجود آخر Other وراء الآخر other : خاصة ، حين أكذب على الآخر other ، أستدعى الآخر Other كمستودع للحقيقة التى أحجبها . وأيضا ، حين

أخاطب آخر بكلام يهدف توقيع ميثاق أو عقد - يكون المثالان المفضلان عند لاكان هما 'أنت زوجتي' ، و 'أنت سيدى' ^(٧٦) وبعيدا عن هذه الإشارات الثقافية ، يكون من الواضح أن تأملات لاكان فى تخوم نسخته الخاصة عن 'آخر' (بحرف 0 صغير) مرحلة المرأة ونتائجها وفى علاقة الخيالى بالرمزى ، تأملات عظيمة الأهمية . إن تميز لاكان ، تميزه الكبير على سارتر وميرلو بونتى وعلى نظرائه الآخرين ، يكمن فى التزامه بمواجهة خاصة تتعلق بممارسة خاصة : 'أى "آخر" يكون المحلل النفسى ؟' ، 'أية نظرية عن "الآخرية" otherness تلزم للتعليق على وجود الخطاب التحليلى وتوجيه فعل المحلل ؟' .

وما ينتقده لاكان فى أعمال فيربيرن هو إهمال ما يدور بين الذات ، وهو إهمال يبرز فى إهمال بُعد الكلام واللغة ، وهو ما فعله لاكان مع بلنت فى العام السابق على ذلك العام . وليست الحاجة هى موضع الخلاف فى التحليل ، كما ذكر ذلك عدد كبير من المحللين البريطانيين متصورين الحاجة طبقا لنموذج الحالات الفسيولوجية الحاسمة ، لكن الرغبة هى موضع الخلاف : الرغبة فى التعرف . ومن ثم فإن الذات لا تواجه مجرد موضوع ؛ إن الخبرات التحليلية تشير كلها إلى أن العلاقة مع ذات أخرى هى التى 'تضع' العلاقة بالموضوع فى موضعها . إن علاقات الموضوع ثلاثية دائما (وربما قال آخرون إنها أوديبية) ، مثلما يصف فرويد النكات بأنها جميعا تشتمل على ثلاثة أشخاص : الراوى والمستمع ('الشخص الثالث فى النكتة') ، ^(٧٧) والشخص الثانى الغائب هو موضوع النكتة . ^(٧٨)

وهذا هو التخطيط الذى يستخدمه لاكان لتحليل كوميديا امفثريون *Amphitryon* : فى النهاية ، تكون دائما ، مسألة أنا وأنت والآخر . ^(٧٩) إن الأنا فى كل مسرحيات موليير وبلوتس تظهر فى صورة هزلية أكثر قدرة على إثارة إعزاز الغريب وإثارة الرغبة فى إلغاء الآخر : القرين . إلا أن تحليل لاكان يجدل المصير المخزى للأنا وقرينها (البعد الخيالى) ببحث عن بنية الزواج ومثالياتها : المرأة والزوج والرب (رب الرمزى) . وهنا يقترب السيمينار من النهاية ، بمحاضرة شاملة عن السبرنطيقا ، وجولة أخيرة من الخطط L ، ويلخص فيها لاكان تمفصل النظرية والممارسة . ووعد أن يقوم فى

العام التالى باستكشاف بنية البارانونيا ونسق شريبر Schreber's system . وقد وفى بوعده فى السيمينار الثالث الذى خصصه للذهان *Les Psychoses* . إلا أن ثمة اتجاهًا قد يتم فيه تطوير الأبحاث عن الآلة فى السيمينار الثانى بصورة أكثر اكتمالا ، وإعادة اقتفاء الخطوات التى لم يحد عنها لاكان إطلاقا ، سواء أكان قد تأملها أم لا .

ومن المؤكد أن المناخ الفكرى فى عام ١٩٥٤ كان على وشك التحول الجذرى - وفى الواقع ، كان قد تحول فى تلك اللحظة - بطريقة لم تخطر على بال لاكان : ثورة فى البيولوجيا ترتبط بحل شفرة الجينات الوراثية . كيف بدا له تنظيم البيولوجيا والتحليل النفسى من جديد ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن البيولوجيا نفسها كانت تجسد الرمز وتشفيره فى اتحاد جديد ، يتكون من أربعة حروف [لعله يقصد كلمة gene - المترجم] ؟ ومن المؤكد أن البيولوجيا التى استخدمها أولئك المحللون الذين انتقدتهم لاكان قد أزيحت جانبا منذ تلك اللحظة ، بحيث ربما كان لاكان ، فى إحلال اللسانيات مكان البيولوجيا والإلحاح الدال مكان وظيفة التكيف فى السيمينار الثانى ، قد انهمك فى هجوم وقائى غير ضرورى ، إذا وضعنا فى الاعتبار ما تستلزمه المفاهيم (دونكيرك Dunkirk العلمى أو حصان طروادة) التى تم فرضها على العلوم الإنسانية بمجرد أن تحولت البيولوجيا إلى بيولوجيا جزيئية molecular ، ومن ثم صارت القسم الأكثر سطوعا والأحدث والأفضل ذخيرة بين علوم الشفرات ، والقراءة والكتابة ، ونقل الرسائل . إننى أتخيل أن التشاؤم الحماسى للاكان وسخريته ربما كانا سيتأثران بمعرفة أن الأقدار الجنسية للرجال والنساء - مثلما هو الحال بالنسبة للحياة والموت - ترتبط الآن فى عصر الإيدز AIDS ، ارتباطا لا تنفصم عراه ، بكينونة مبهمة اسمها إنزيم المسخ العكسى reverse transcriptase.

هوامش الفصل الأول

كتب هذا المقال في الأصل كمقدمة لترجمة السيمينار ، الكتاب الأول والكتاب الثاني ، وهي الترجمة التي قمت بها بالاشتراك مع سلفانا توماسيلي Sylvana Tomaseli ، ونشرتها مطبعة جامعة كمبردج في بريطانيا العظمى ونورتون في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٨ ؛ وللإطلاع على التفاصيل الكاملة ، راجع الببلوجرافيا . لقد أصر جاك ألن ميلر Jacques-Alain Miller ، محرر الطبعة الفرنسية الأصلية ، على ظهور الترجمة الإنجليزية للسيمينار بين يدي القارئ الإنجليزي بدون أية مقدمات ، كما هو الحال تماما في الطبعة الفرنسية وفي الطبعة التي ظهرت بلغات أخرى . ومع ذلك كنت أرى ، ومازلت عند رأيي ، أن من الأفضل أن نكتب مثل هذه المقدمة لنصٍّ اشتهر مؤلفه في البلاد الناطقة بالإنجليزية بأنه كاتب بالغ الصعوبة . وأمل أن تكون الإشارات التاريخية ، بصورة خاصة ، مفيدة للمتلقى غير الملم بتاريخ صار قريبا من الأسطورة في دوائر التحليل النفسي الفرنسية . وللإطلاع على تعليق واف على هذه الأحداث التاريخية ، راجع :

Roudinesco, *La Bataille de cent ans. Histoire de la psychanalyse en France Vol 2. 1925-1985.*

وكتاب ماسي Macey بعنوان *Lacan in context* ، وهو كتاب بالغ الأهمية ولكنني لم أتمكن من الاعتماد أو التعليق على أي منهما في كتابة هذه المقدمة . وأود هنا أن أوجه الشكر لسلفانا توماسيلي وجاكلين روز Jacqueline Rose وسيباستن جاردنر Sebastian Gardner على ما قدموه من نصائح وتعليقات على النسخ الأولى من هذا المقال .

I

١ - يشير لاكان ، في الحقيقة ، إلى الجلسات التي عقدت قبل عام ١٩٥٣ في السيمينار الأول وفي الجلسات التالية - خاصة إلى تحليله لولفمان Wolfman ورتمان Ratman (وقد أخذ جزء منه الطريق إلى بحثه أسطورة الشخص العصبي 'The neurotic's individual myth' ، محاضرة ألقاها عام ١٩٥٣ ونشرت عام ١٩٧٩ بالإنجليزية في نسخة منقحة ، وهي ضمن الببلوجرافيا) ، وإلى مناقشة حالة دورا التي يمكن لنا أن نفترض أنها نقحت في البحث الذي قدمه لاكان إلى مؤتمر المحللين النفسيين الناطقين باللاتينية في عام ١٩٥١ بعنوان 'Intervention on the transference' ، وترجم في :

Mitchell and Rose, eds , *Feminine sexuality* pp.62-73.

٢ - بالاتصال الشخصي مع دكتور إليس هيلمان Dr Ilse Hellman

II

- ٣ - رسالة مؤرخة في ١٤ يوليو ١٩٥٣ ، ونشرت في *La Scission* , ed , Miller , ص ١٣١
- ٤ - القسم التالي مشتق بصورة جزئية من مقالين لى سبق نشرهما ('اللسانى والذهانى The Linguistic and the psychotic' و'جاك لاكان 'Lacan Jacques')
- ٥ - وضع بحث لاكان الاصلى بعنوان 'The looking-glass phase' ضمن قائمة الأبحاث التى تمت قراءتها فى المؤتمر . وهو معروف على نحو أفضل فى النسخة المؤرخة فى ١٩٤٩ والمنشورة فى كتابات ، وقد ترجمت إلى الإنجليزية ضمن المختارات بعنوان 'The mirror stage as formative of the function of the I'
- ٦ - راجع لاكان فى 'La psychiatrie anglaise et la guerre'
- ٧ - راجع لاكان فى 'Les temps logiques et l'assertion de certitude anticipée' وفى 'Le nombre treize et la forme logique de la suspicion' ؛ وللإطلاع على مناقشة تفصيلية لهذين البحثين ، راجع الفصل الثامن ص ١٧٨ - ١٩٢ [من الأصل الإنجليزي للكتاب الذى أخذنا عنه هذا المقال ويمثل الفصل السادس من هذه الترجمة] .
- ٨ - نشرت وثائق هذا 'العزل' (كما دعاه لاكان ، فى الجلسة الافتتاحية للسيناتور الحادى عشر ، فى يناير ١٩٦١) ؛ راجع Miller (ed.), *L'Excommunication* ، وللإطلاع على تعليق شامل على هذه الأحداث ، راجع Roudinesco, *La Bataille* ، المجلد الثانى ، ومقالا مفيدا بعنوان *Jacques Lacan curriculum vitae* فى كتاب ماسى *Lacan in contexts* ، ص ٢٣٦ - ٢٤٦ . ويمكن لنا أن نفهم ، من الوثائق الأصلية ، بعض القضايا الخاصة بممارسات لاكان وبنوهر التعليمى ، تلك القضايا التى كانت وراء قرار الرابطة الدولية للتحليل النفسى باعتباره شخصا 'غير مرغوب فيه' ؛ وكانت المناقشات التى قدمت للدفاع عن اختلاف زمن الجلسة بلا فائدة - لا أحد يستطيع أن 'يتوقع' الزمن الذى تستغرقه الجلسة ؛ وقيل ليتجنب لاكان الإحالة السلبية فإنه كان يلعب لعبة مدمرة مع تحليل الإحالة ، حتى أنه كان يتلاعب بها ؛ وقيل أيضا إن لاكان كان يرى أنه مصدر الثواب والعقاب ؛ وقيل إن تأثيره كان عظيما للغاية على ملابس تلاميذه ومعجمهم . واعترف أيضا تقرير اللجنة الاستشارية ، المكتوب فى عام ١٩٦٣ ، بأن 'لاكان هو مفسر التحليل النفسى للجماهير العريضة' وأضاف التقرير 'ولكن كان على تلاميذه تنقيح ما يقوم به . وهذه النقاط مأخوذة عما صار معروفا باسم وثيقة بيريه Perrier : تقرير 'compte-rendu' فرانسوا بيريه عن تقرير شفهي لبير توركيه Pierre Turquet

وتفترض فيه السرية ، وكان موجهها إلى بعض المسؤولين في الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي . وقد اعترض توركيه الذى اشترك مع اللجنة الاستشارية التي شكلتها الرابطة الدولية للتحليل النفسي لكتابة التقارير عن الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي ونقل عنه أن هذا 'التقرير' لا يعكس إطلاقاً 'المغزى الحقيقى' لتقرير اللجنة أو 'روح' ذلك التقرير . وظل التقرير بدون نشر ، ولم يكن متاحاً للمناقشة . ويوجد المزيد من هذه المادة الموسعة عن هذه الأحداث ، وعن خبرات المحللين في جلسات لاكان القصيرة ، يوجد في Roudinesco, La Bataille de cent ans, المجلد الثانى وخاصة ص ٤٢٧ - ٤٣٤ . وللإطلاع على مناظرة جديدة بين اللاكانيين وغير اللاكانيين عن استخدام الجلسات مختلفة المدة ، راجع Etudes Freudinnes 25 April 1985

٩ - راجع فوكو ، 'Introduction' to Binswanger, *Le Reve et l'existence* وهو أول أعماله المنشورة ، وهى مقدمة رائعة للترجمة الفرنسية لكتاب Traum und Existenz وهو من تأليف Ludwig Binswanger ، وفيها ينكب ميشيل فوكو على النسخة اللاكانية للنظرية التحليلية بجانب نسخة كلاين ، ويوضح أنه قلب اهتمامه الأساسى من أجل المقاربة الجديدة للتحليل النفسى التي كانت تتطور أسبوعياً في مستشفى سانت آن ، راجع الفصل الثانى عشر ، ص ٢٨٩ - ٢٩٣ [من الأصل الإنجليزى للكتاب الذى أخذنا عنه هذا المقال] .

١٠ - راجع ريكور في فرويد والفلسفة *Freud and philosophy* (١٩٦١) . وانهمك ريكور ، بعد ذلك في الستينيات ، في مناظرات لازعة مع اللاكانيين ، كانت في جزء منها عن دينه المفترض للاكان . وللإطلاع على تعليق محايد عن هذه المناظرات ، راجع Roudinesco ، مصدر سابق ، ص ٨٩٣ - ٤٠٥ .

١١ - راجع لاكان ، 'الشئ الفرويدى' The Freudian Thing ، (١٩٥٧) ، ص ٤٣٦ .

١٢ - راجع فرويد [SE VII (1980a) pp. 283-302] 'Psychial (or mental) treatment' ، للإطلاع على فقرة نالت حظها من الشهرة : 'سيكون من الصعب بلا شك على رجل الشارع أن يفهم كيف يمكن التخلص من الخلل الباثولوجى في الجسم والعقل ببعض الكلمات "ليس إلا" . وسيشعر أننا نطالبه بالاعتقاد في السحر . وهو في ذلك لا يرتكب خطأ حقيقياً ، لأن الكلمات التي نتداولها في كلامنا اليومى ليست إلا نوعاً من السحر المخفف . وسيكون علينا أن نتبع مساراً ملتوياً لنشرح كيف يشرع العلم في أن يعيد للكلمات جزءاً على الأقل من قوتها السحرية التي كانت لها من قبل' .

١٣ - راجع فرويد ، Stud Erg 337; The question of lay analysis GW XIV 281; SE XX 246

١٤ - ثمة ترجمتان لهذا العمل ، وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى ' : تلك التى قام بها ويلدن Wilden ، بعنوان 'The language of the self' ، فى عام ١٩٦٨ ، مع بعض الملاحظات الوافية وتعليق مسهب على الموضوعات التى تتناولها أعمال لاكان وتأثيراتها - ومازال من الواضح أن كتاب ويلدن يمثل أفضل المقدمات لأعمال لاكان ؛ والترجمة الثانية هى تلك التى قام بها ألن شيردن Alan Sheriden فى ترجمة كتابات .

١٥ - على سبيل المثال فى جملتين نوقشتا فى السيمينار الأول والسيمينار الثانى : 'المفهوم زمن الشئ' ؛ 'الكلمة قاتلة الشئ' .

١٦ - للاطلاع على نظرة حديثة ودقيقة لقراءة لاكان لأعمال فرويد ، راجع بويى Bowie فى كتابه *Freud, Proust and Lacan: Theory as a fiction* [وتوجد ترجمة لثلاثة فصول من الكتاب المشار إليه ضمن هذه الفصول التى نترجمها وسوف تتم الإشارة إليها فى مواضعها - المترجم] .

١٧ - إنها تورية مستحيلة فى الفرنسية ، ولكنها تتوأم تماما مع فكر لاكان ، وتتيح لنا أن نرى على نحو أوضح الجسر بين نسخة لاكان عن مرحلة المرأة ، التى تركز بوضوح على الآخر ، ومفهوم فينيكوت Winnicott ذلك المفهوم المعاصر للأم (خاصة لعينيها ، أو تحديقها) وهى تعكس صورة الأم (إلى الخلف) إلى ذاته .

III

عنوان هذا القسم من وضع المترجم .

IV

١٨ - راجع السيمينار الأول ص ١٠ ؛ والإشارات هنا إلى رقم الصفحات فى الطبعة الإنجليزية .

١٩ - راجع كتابات ٢٤٢ - ٢/٣٥

٢ - ظهر أول مرة فى Evolution Psychiatrique, 1956, pp. 225-252 ، إن مدى ما كان به لاكان من تنقيح لمقالاته منذ الخمسينيات حتى أخذت الشكل الذى تقرأ به فى كل مكان تقريبا والشكل الذى نوتت عليه فى كتابات فى عام ١٩٦٦ ، هذا التنقيح لم يلاحظ فى الغالب ، ومن المؤكد أنه لم يدرس بالتفصيل . ومن الواضح أنه ذو أهمية كبيرة لمن يأمل فى فهم تطور فكر لاكان سنة بعد سنة .

٢ - راجع ، Two aspects of language and two types of aphasic disturbance in ، Jakobson and Halle, *Fundamentals of language*, p. ٩٠ .

٢٢ - راجع كتابات ٢٠٧ - ٢٠٨ . راجع أيضا ١٧٨ - ١٩٢ [من الأصل الإنجليزي الذي ترجمنا عنه هذا المقال وهو الفصل السادس من هذه الترجمة - المترجم] ، وخاصة ص ٣٥٩ ،

الهامش ٧٧

٢٣ - راجع السيمينار الأول ص ص ٥٢ - ٥٣

٢٤ - راجع السيمينار الأول ص ٧٤

٢٥ - راجع السيمينار الأول ص ص ١٢٧ - ١٢٨

٢٦ - راجع السيمينار الأول ص ١١٥

٢٧ - راجع السيمينار الأول ص ١٤١

٢٨ - راجع كتابات ٢٠٨

٢٩ - راجع الأبحاث المنشورة في Wollheim and Hopkins, eds., *Philosophical essays on Freud* ، [خاصة بحث دونالد دافيدسون Donald Davidson]

٣٠ - الاستثناء في هذا الجانب ، مثلما هو الحال في جوانب أخرى عديدة ، هو Bion, *Attention and interpretation*, chapter II, Lies and thinker" ، ص ص ٩٧ - ١٠٥

٣١ - إن captation [الإغواء] ، وقد ترجم إلى captation ، مصطلح فارق يشير به لاكان إلى بعد الخداع والفتنة بواسطة الصورة . واعتقد عدد كبير أنه استخدم المصطلح بصورة مبتكرة وخاصة . ولكن هذا الاستخدام ربما نشأ استجابة للنقد المتعاطف الذي كتبه Pichon ، في 'M. Lacan devant la famille' ، وأعيد نشره حديثا مع تعليق لرودينسكو ، بعنوان 'Monsieur Pichon devant la famille' ويشير Pichon فيما كتبه إلى مصطلح 'captation' الذي أدخله M. Codet إلى التحليل النفسي . واستخدمه بعد ذلك كل من Pichon و Laforque و Codet . وينتقد Pichon لاكان لأنه لم يستخدم المصطلح ، حيث يعتقد أنه أكثر ملاءمة لوصف ما يركز عليه لاكان تركيزا هائلا في مقاله 'La famille' ، ألا وهو التقمص النرجسى . ويبدو ، ظاهريا ، أن لاكان تأثر بهذا التعنيف تأثرا عميقا ، ولكنه استمر في استخدام 'captation' كمصطلح خاص به .

٣٢ - راجع السيمينار الأول ص ١٢٨

٣٣ - للاطلاع على مناقشة رائعة عن هذه المفارقات ، التي كانت أعمال لاكان الحافز وراءها ، راجع Eco ، فني 'Mirrors'

٢٤ - راجع السيمينار الأول ١٧٠

٢٥ - راجع :

Laplanche and Pontalis, *The language of psychoanalysis*, entries on
ideal ego/ego ideal

٢٦ - راجع السيمينار الأول ص ٢٠٥

٢٧ - المصدر السابق ص ٢١٧

٢٨ - المصدر السابق ص ٢٢٢

٢٩ - المصدر السابق ص ٢٣٠

٤٠ - راجع : *Studies on hysteria* GW I 298 , Stud Erg 82; SE II 289

V

٤١ - راجع :

Opening address to Caracas Conference, July 1980 , published in
L'Ane, April - May, pp. 30-31

٤٢ - راجع السيمينار الأول ص ٣٢

٤٣ - منذ سيمينار لاكان في ١٩٥٤ - ١٩٥٥ وجدت تفسيرات تأملية مماثلة ، تأسست بصورة
واضحة على تحولات البحر ، وتتعلق من المنظور العام لأعماله ؛ وكانت تفسيرات دريدا أكثرها
أهمية وأصالة ، تفسيراته في 'Speculer-sur'Freud'

٤٤ - راجع كتابات ص ص ٤٦٢ - ٤٦٣

٤٥ - المصدر السابق ٢٤٢ / ٣٥

٤٦ - المصدر السابق ٤٦٣

٤٧ - في السيمينار الثاني ، يصوغ لاكان بأسلوب ساخر إحدى النقاط المرتبطة بالموضوع إلى
النحو التالي :

إن بارانويا ما بعد التحليل أبعد من أن تكون مشكلة أسطورية ... إنك لا تحتاج إلى محلل
نفسى بارع ليحبها ، يكفي أن تعتقد اعتقادا حماسيا في التحليل النفسى . رأيت حالات
بارانويا يمكن أن تعتبر بارانويا ما بعد التحليل ، ويمكن أن تعتبر حالات تلقائية . ويمكن للذات ،
في بيئة ملائمة ، حيث الانشغال بالحقائق السيكلوجية قوى للغاية ، يمكن لها أن تنجح بدون

شك ، بشرط وجود الرغبة ، فى تطويق نفسها بمشاكل زائفة ، وأن تجسدها فى لغة جاهزة - ألا وهى لغة التحليل النفسى التى يتحدث الجميع عنها . وعادة يستغرق الهذيان المزمّن وقتاً طويلاً ليستفحل ، وعلى الذات أن تلقى فيه بالكثير - إنها ، عموماً ، تغرس فيه ثلث حياتها . ويجب أن أقول إن أدبيات التحليل النفسى تشكل ، إلى حد ما ، هذياناً جاهزاً ، وليست رؤية نوات ترتديه جاهزاً بالأمر النادر . وأسلوب المتعصبين الصامتين ، إذا جاز التعبير ، عن سر الخبرة التحليلية، ذلك السر الذى يفوق الوصف صورة واهية منه ، لكنه يتأسس على نحو متجانس مع ما أطلق عليه الآن بارانويا . (السيمينار الثانى ، ٢٤٢)

وربما نستنتج من ذلك أنه بقدر ما تصبح الثقافة مشربة بالتحليل النفسى لتتخذ الشكل البارانونى لنظام معرفى ، تكتسب تلك الثقافة مناعة خاصة ضد التأثيرات التحليلية للتحليل النفسى .

٤٨ - راجع السيمينار الثانى ، ٢٩٦

٤٩ - إلا أن الإشارة فى السيمينار الثانى إلى كوندرسيه Condorcet تبين أن المصدر ربما يرجع إلى القرن الثامن عشر . وكان ليفى شتراوس فى الوقت نفسه تقريباً ، كان يوضح الفرق بين التفسير 'الآلى' والتفسير 'الإحصائى' (راجع ليفى شتراوس الأنثروبولوجيا البنيوية *Structural Anthropology* ، لكن الفرق الذى كشف عنه لا كان كان أكثر راديكالية .

٥٠ - ربما يوجد المزيد من تطور أفكار لاكان فى السيمينار الحادى عشر ، فى مناقشة مبادئ أرسطو عن العلية *causality* وموضع البخت *tuché* كمفهوم على يناسب القضايا الإنسانية ؛ راجع الفصل الثامن ، ص ٢٠٧ [من الأصل الإنجليزى للكتاب الذى ترجمنا عنه هذا الفصل وهو الفصل السادس من هذه الترجمة - المترجم] .

٥١ - راجع 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٢٨٤ - ٩ / ٧٣ - ٧٧ ؛ ولم يكن الأخير - إن الإشارة تستمر فى السيمينار الحادى عشر .

٥٢ - راجع السيمينار الثانى ص ٢٣٤ .

٥٣ - المصدر السابق ص ٣١ - ٣٢ .

٥٤ - راجع 'سيمينار عن الرسالة المسروقة' ، ص ٤٤ ، والسيمينار الثانى ص ٢٠٣

٥٥ - راجع السيمينار الثانى ص ٢٠٦

٥٦ - المصدر السابق ص ٢٠٧

٥٧ - راجع 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٢٨٥ / ٧٣

٥٨ - راجع فرويد ، SE (1914 g) Remembering, repeating and working-through
XII 150 ، التأكيد في الأصل ، راجع أيضا الفصل التاسع ص ١٤٢ [من الأصل الإنجليزي] .

٥٩ - إن كونها نموذجية لا ينفي ، في رأيي ، أنها تهدمت وتقطعت بنقد دريدا 'Le facteur de la verite' ، كما يشير إلى ذلك مقال بربارا جونسون عن لاكان ودريدا : إن سلسلة القراءات تكرر أيضا الانتقال (الانتشار) الذي اهتم به كل من لاكان ودريدا . راجع جونسون 'The frame of reference: Poe, Lacan, Derrida' ، وراجع أيضا Felman في 'To open the question' .

٦٠ - راجع ، Dennett "The abilities of men and machines" in Dennett, *Brainstorms*, p. 257

٦١ - للاطلاع على مقدمة تعالج هذه المنطقة ، راجع Hofstadter, *Godel, Escher, Bach* ، وبوجه خاص الفصل السابع ؛ وراجع أيضا : Boden, *Artificial intelligence and natural man*

و Dennett "The abilities of men and machines" in Dennett, *Brainstorms*

٦٢ - راجع لاكان :

Le Seminaire, Livre IX. L'Identification. 1961-62, Le Seminaire, Livre XIII. L'Objet de la psychanalyse. 1965-66, and La science et la verite" (1965). E. 861

٦٣ - راجع فرويد SE XVI (1916-17) Introductory lectures ، ص ص ٣٢٠ - ٣٥٧

٦٤ - راجع السيمينار الثاني ص ٣٢٦

٦٥ - راجع ، Prigogine and Stengers, *Order out of chaos* ؛ وللإطلاع على أول عنصر من عناصر إعادة التفسير بصورة شاملة ، راجع ،

Wiener, *The human use of human beings*

٦٦ - راجع السيمينار الثاني ص ٧٤

٦٧ - المصدر السابق ص ١٢٥

٦٨ - المصدر السابق ص ٢٢٨

٦٩ - المصدر السابق ص ٢٥٤

٧٠ - المصدر السابق ص ١٥٣

٧١ - راجع فورستر ، Language and the origin of psychoanalysis, pp. 84-96

٧٢ - احتوت أولى النسخ المنشورة من 'سيميوار عن الرسالة المسروقة' وهي النسخة المنشورة في La Psychanalyse 2, 1956, ، احتوت على ملخص مكثف لبعض التيمات التي جعلت الرسالة المسروقة ملائمة تماما لأعمال السيميوار في ذلك العام :إن تحليل تتابع الدوال (الحروف ، الأرقام) يوضح خواص التكرار والإبداع . وقد نشرت نسخة موسعة من البحث والتلخيص في كتابات . ولسوء الحظ لم تترجم نسخة ١٩٦٦ في French Freud number of Yale French Studies الصادرة في عام ١٩٧٢ ، وهي الترجمة التي جعلت 'السيميوار' يقرأ في بريطانيا وأمريكا خارج سياق مناقشة لاكان للتكرار ، ومناقشته للألة والسبرنطيقا .

٧٣ - راجع السيميوار الثاني ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

٧٤ - راجع :

Wiener, *The human use of human beings* (1954, second edition), New York: Bantam, 1968, 33-4

وكان رأي لاكان بأن الكذب والخداع حاسمان في التحليل النفسي وممارساته سابقا على التأثير السبرنطيقى، مثلا 'تبرز' اللغة [هذه الحقيقة ، من خلال كشف مسألة كيف أن ما يعبر عن كذبتها الخاصة يمكن أن ينتهى بصياغة حقيقتها العامة] (لاكان ، 'مقال حول أسباب الزمان' ، (١٩٤٦) ، كتابات ١٦٦

٧٥ - راجع السيميوار الثالث ص ٤٨ .

٧٦ - راجع الفصل السابع خاصة ص ١٥٣ وما بعدها [من الأصل الإنجليزى ، وهو الفصل الثالث من هذه الترجمة - المترجم] .

٧٧ - راجع فرويد : Jokes and their relation to the unconscious (1905c), GW VI : 207; Stud IV 139; SE VIII 148 .

٧٨ - راجع المصدر السابق GW VI 207; Stud IV 170; SE VIII 181 . 'في النكتة لا غنى عن الشخص الثالث لإكمال العملية التى تبعث اللذة ، ومن الناحية الأخرى يمكن أن يكون الشخص الثانى غائبا ...'

٧٩ - راجع السيميوار الثاني ص ٢٦٤

الفصل الثاني

لاكان والعودة إلى فرويد

مالكولم بوي

العنوان الأصلي :

Lacan

وهو الفصل الرابع من :

Malcolm Bowie: *Freud, Proust and Lacan : Theory as fiction* ; Cambridge University Press, 1987; pp. 99-133 ; 198-204.

المتن من ص ٩٩ إلى ص ١٣٣ ، والهوامش من ص ١٩٨ إلى ص ٢٠٤

إنه يفتقر تماما إلى وجود مستقر ، ويسرع في زوال

سرمدى ...

كيركيجارد : إما/أو

يُعدُّ الفهم الدقيق لأرسطو ، باستثناء فهم الأنبياء ، أسمى ما يمكن أن يحققه المرء ؛^(١) ستبدو كلمات ابن ميمون ، بما تبرزه ظاهريا من إعجاب سهل ، منفرةً لكثير من المعاصرين . وربما مازال التصور الرومانسى للعبقريّة يجعلنا نتوقع أن تنبعث أفكار المفكر الأصيل على نحو رائع ومكتمل تمام الاكتمال من أعماقه ، أو من الطبيعة ، أو من حيث لا ندري . نتوقع من المبدع الحقيقي أن يحقق كل شيء ، بينما تَعَثُرُ العقول المحدودة على وظيفة حقيقية لها في قراءة نصوص تنتمي للماضى وفي دراسة تلك النصوص بالتفصيل . وإذا سلمنا بهذه الفرضية فقد نرتبك إزاء بعض المفكرين الذين يقدمون أنفسهم كقراء ومفسرين لصروح فكرية موجودة ، مع وجود دليل قوى يجعلنا نعتقد في أن هذا التفكير الذى تتم ممارسته فى ضوء السلف الجليل وفى ظلاله قد يكون على قدر عظيم من الأصالة والقوة . أفلوطين يقرأ أفلاطون ؛ ابن ميمون يقرأ أرسطو ؛ وابن رشد يقرأ الاثنين ؛ ماركس الشاب يقرأ هيجل . قد يتطلب تقييم الأصالة فى مثل هذه الحالات جهدا يفوق المعتاد : ربما نفهم إنجاز المفكر اللاحق فهما جيدا إذا كنا على استعداد للعودة إلى أعمال المفكر السابق واقتفاء كل ما أحدثته من تحولات وتحريفات خلاقة . إلا أن بحثا من هذا القبيل قد يكون ممتعا : إنه ينبهنا إلى طرق الأصالة التى تهملها الولاءات الحديثة بالإضافة إلى الدور الكبير الذى تلعبه إعادة التفكير وإعادة الكتابة حتى فى أعمال من تلك التى لا تعترف بأية أسلاف وتقدم نفسها بوصفها استثناء لكل القواعد إلا قواعدها الخاصة .

لاكان يقرأ فرويد . إن هذه الجملة أبسط وأهم ما يمكن أن يقال عنه . ولكن استكشافه لأعمال فرويد ، ذلك الاستكشاف الذى استغرق خمسين عاما ، يختلف عن تلك القراءات التى ذكرتها من حيث النقاء الكامل لدوافعه . بينما بحث الآخرون لمقابلة مجموعة من الأفكار بمجموعة أخرى (يلتقى أرسطو فى أعمال ابن رشد بالفلسفة الإسلامية وفى أعمال ابن ميمون باليهودية الربانية) ، أو لتطوير تيار فكرى من

التيارات الأصلية لتفضيله على تيارات أخرى (يعكف أفلوطين على دراسة أفلاطون الميتافيزيقي والصوفي) ، يقول لاكان إن هدفه الرئيسي قراءة فرويد قراءة جيدة وفهمه بوضوح .

إن 'العودة إلى فرويد' ، التي يعلن إنها رسالته الشخصية وشعاره ، تتبع مسارين مختلفين . العملية الأولى ، وهي الأوضح ، استخراج أفكار فرويد من ركाम الشروح والتفسيرات المبتذلة التي أهالها عليها الكتاب الذين جاؤا من بعده . وتشترك حركة التحليل النفسي الدولية في المجادلات المتقّدة حول مسعى لاكان الرئيسي ؛ إن أولئك الذين تمثّل لهم مفاهيم فرويد مجرد سلعة-مثلا ، المتعالم الذي يؤلف الكتب الرخيصة أو المحافظ المتأنق - لا يستحقون حتى السخرية العابرة . إن معظم المحللين النفسيين المتأخرين ارتكبوا ما هو أسوأ من سوء فهم فرويد : فقدوا كل إحساس بأهمية أفكار فرويد وحيرتها وقدرتها الإبداعية حين صاغها للمرة الأولى . تعلموا تلك الأفكار وأعادوها كلها بصورة سطحية ، وأظهروا الولاء لها بسذاجة وخداع للذات يمثلان عائقا في وجه الفحص العلمي للعمليات العقلية بدلا من دفعه إلى الأمام . إن إجراءات نشأة التحليل النفسي التي بحث عنها فرويد ليضمن استمرارية تعاليمه تنتج عنها غالبا آثار جانبية خطيرة : ألم ينتج عن هذه الأشكال شكلية متشائمة تثبط المبادرة بالمجازفة الحمقاء ، وتحول سلطة الرأي الذي نتعلمه إلى مبدأ التعقل الانقيادي حيث تتبدل مصداقية البحث قبل أن تضمحل في النهاية ؟^(٢) (٢٣٩) . وكثيرا ما يعود التحليل النفسي في كتابات لاكان إلى مصادره ، ويعيد فحص تصورات ، وطقوسه ومؤسساته من نقطة الأفضلية التي يقدمها مكتشفوه في حالتها الأصلية دون تصنيف .

أما العملية الثانية ، فهي أكثر تعقيدا وتُعرض لاكان لما هو أخطر من خلق أعداء له بين زملاء المهنة . إنه يصحح بعض المفاهيم الفرويدية بالرجوع إلى آخرين . والاكتشاف الذي يضعه لاكان في المركز من إنجازات فرويد ، ويستخدمه في تصحيح فرويد من الداخل كأداة أساسية للتصور ، هو اكتشاف اللاشعوري - اللاشعوري الذي يبدو كنسقٍ مستقل في مقابل نسقٍ ما قبل الشعوري - الشعوري

preconscious-conscious^(٣) فى ثانى نماذج فرويد الكبرى عن الجهاز النفسى .
(فى الأول ، وهو عمل كتب فى عام ١٨٩٥ ونشر بعد وفاة فرويد بعنوان 'مَشروع
سيكولوجيا علمية' (I, 283-397) ، وفيه يظهر المفهوم بصورة غامضة ؛ فى الثالث -
الثلاثى الذى يشمل الهو والأنا والأنا العليا ، وقد نشر فى عام ١٩٢٣ ، (الأنا والهو
The Ego and the Id, XIX, 3-66 ، حيث يكتسب المفهوم دورا جديدا ومعقدا :
مرة أخرى تظهر خصائص اللاشعورى ، الخصائص الرئيسية فى أوصاف الهو ،
وتُعزى بعض الأجزاء اللاشعورية إلى الأنا والأنا العليا ، أيضا .) وتسود هذه النسخة
عن اللاشعورى فى فكر فرويد فى مرحلته الإبداعية العظيمة التى تمتد من تفسير
الأحلام (١٩٠٠) إلى الأبحاث الميتاسيكولوجية فى عام ١٩١٥ . إنه مفهوم
طوبوجرافى وديناميكى فى الوقت ذاته ، ويحتل ، فى بحثين عن 'الكبت' واللاشعورى'
(XIV, 143-158, 161-215) ، مركز تعليقات فرويد الأكثر تعقيدا ، التعليقات التى
تنصبُّ على الوظائف العقلية .

ويرى لكان ، شأنه فى ذلك شأن عدد كبير من الكتَّاب ، أن بصيرة فرويد
الأساسية لم تكن - لم تكن بكل وضوح- تكمن فى اكتشاف وجود اللاشعورى ، ولكن
فى اكتشاف أن له بنيةً ، وأن هذه البنية تؤثر بطرق لا حصر لها على أقوال البشر
وأفعالهم ، وتكشف عن نفسها بهذا التأثير وتصبح قابلة للتحليل . إن اللاشعورى
بالصورة التى يبدو عليها فى تفسير الأحلام ، وسيكوباثولوجيا الحياة اليومية
(١٩٠١) ، والنكات وعلاقتها باللاشعورى (١٩٠٥) ، طُلِقَ voluble ويفصح عن نفسه
فى صور لا تنتهى . إنه يلحُّ علينا لنسمعه فى أحلامنا ، وفيما ننساه، وفيما نتذكره
بصورة مشوَّهة ، وفى زلات اللسان أو القلم ، وفى النكات ، والرموز، وفى العادات
اللفظية والجسدية . إن الطاقة النفسية التى تسبب الكبت وتحافظ على استمراره ،
تواجهها وتتحداهها طاقة أخرى تسعى ، بالخداع والحيلة عموما ، إلى دفع محتويات
اللاشعورى المكبوتة إلى مجال ما قبل الشعورى-الشعورى . والجدل الدائم الذى ينتج
عن هذا الصراع له سحره الخاص عند لكان ، ويأتى استخدامه اللغة البلاغية فى
أكثر الصور قوةً والتفافا حين يصور اللاشعورى متكلمًا رغم الكبت والرقابة . إنه
يوسع ، مثلا ، فى الفقرة التالية أليجوريا أفلاطون عن الكهف ويعدِّلها: ^(٤)

إن الموضع الذى نسال عنه هو مدخل الكهف الحقيقى فيما يتعلق بما هو معروف من أن أفلاطون يرشدنا إلى المخرج ، بينما يتخيل الناس أنهم يرون المحلل النفسى يتجول فى الداخل . لكن المسألة أبسط من ذلك ، لأنه مدخل لا تصل إليه إلا حين يغلونه (إنه موضع لا يجتذب السياح على الإطلاق) ، لأن الوسيلة الوحيدة لمواربته هى أن تنادى من الداخل . (٥)

حين نصل إلى كهف اللاشعورى ، لا نصل أبدا إلا حين يُغلق ؛ والطريقة الوحيدة للدخول تتمثل فى أن نكون بالداخل ؛ ولا يمكن أن يعرف بنية اللاشعورى إلا من هو على استعداد للتسليم بقدرة اللاشعورى ، القدرة الهائلة على الإزاحة ، والإيمان بتلك القدرة . (٦)

ويشير لاكان ، فى محاولاته العديدة لإعادة تدريس التحليل النفسى واستثارة بصائره الخاصة ، إلى قدرة الكبت اللوح كما تمارس فى كل من العملية التحليلية والاستنباط التجريدى من النظرية التحليلية . إن اكتشاف اللاشعورى نفسه معرض للكبت : يصاب اللاشعورى ، وهو يمثل ، طبقا للتعريفات الأصلية التى يتأسس عليها التحليل النفسى ، واقع الطاقة الغريزية النهمه وهو لا يعرف الاستقرار أو الاحتواء أو التحديد ، يصاب بالشلل ويتم تدجينه على أيدي دارسيه المحترفين . وتصبح قوة التبيد والافتراء ، تلك القوة الاستثنائية عملة زائفة ومعتادة فى لعبة التصور المعتادة .

لكن إفساد الرسالة اللاشعورية على أيدي المحللين بعد الفرويديين له ما يناظره فى أعمال فرويد . كان اكتشاف فرويد اكتشافا مفزعا ، ومن ثم دفعته رؤيته للعقل بوصفه منقسما انقساما ذاتيا self - divided ورؤيته للنمو الذى لا يمكن التحكم فيه ولخاصية الاصطياد الذاتى لجانبه اللاشعورى إلى البحث عن سلوى فى عالم وثير من التأمل الأسطورى والميتافيزيقى . ومع أن فرويد انحرف عن اكتشافه بطرق تجعل اكتشافه يتيح له أن يتنبأ ، إلا أن مغامرته الفكرية تعتبر نموذجية من حيث المخاطر التى تعرض لها : يقدمه لاكان بوصفه أكتيون [Actaeon : صياد فى الأساطير الإغريقية تحول إلى أيل وقتلته كلابه لأنه رأى أرتميس إلهة الصيد وهى تغتسل ، راجع الفصل الأخير من هذا الكتاب - المترجم] الجديد ، أكتيون الذى تهاجمه أفكاره

وتفترسه لأنه كشف النقاب عن إلهة اللاشعورى (٤١٣ ، ٤٣٦) .^(٧) إن الهدف الذى حدده لاكان لنفسه هو استمرار التفكير فى التفكير الفرويدى الهائل ، ولو كان بتقطيع الأوصال ، والسماح للتعاليم المكبوتة بأن تعود إلى التحليل النفسى عودتها المفككة بحيث تتحقق ونمعن النظر فيها . ويمكن الآن أن نرى أبعاد المفارقة فى 'عودة' لاكان 'إلى فرويد' ، وما قد يستلزمه هذا الرأى ، وهو رأى ينبم عن إخلاص حقيقى ، من عصيان .

وحين يعيد لاكان التفكير فى نصوص فرويد 'من الداخل' ، يرفض إغواءات الموافقة الكاملة والمعارضة الكاملة فى اتساق متساوٍ . وتتضح بدايات هذا التوتر فى أول عمل كبير نشره لاكان : عن ذهان البارانونيا وعلاقته بالشخصية - *De la psy- chose paranoïaque dans ses rapports avec la personnalité* (١٩٣٢) . دخل لاكان التحليل النفسى مرورا بالطب والطب النفسى ، ويمثل هذا العمل ، وهو الأطروحة التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه ، نقطة تحول حاسمة فى مسيرته الفكرية . إنه يصعد ، وهو يلاحظ كل التفاصيل الأكاديمية التى يتطلبها الشكل عادة ، يصعد من هجومه العنيف على الكثير من نماذج التفسير السائدة فى التحليل النفسى . وقد أعاقته دراسة البارانونيا قدرة الطب النفسى الراسخ على تقديس فرضيات لم تختبر إلا بصورة واهية وهزيلة ، وتحويلها إلى مبادئ . إن الذين يفسرون البارانونيا بالرجوع إلى أساس عضوى مفترض لها ، أو إلى ميل وراثى ، أو إلى نوع من التكوين الجسدى للمريض ، يلونون بحيلة تفسيرية يستخدمونها دائما وتتيح لهم ألا يعترفوا بتعقد النوات الإنسانية الفردية .

ويوفر التحليل النفسى للاكان آلية دقيقة التناغم لإعادة النظر إلى المصاب بالبارانونيا بوصفه شخصا . وقد توصف البارانونيا ، بصورة لا تقل فى أهميتها عن العصاب الذى تطورت حوله فى الأصل نظرية التحليل النفسى ، ويتم تحليلها تحليلا مترابطا بالرجوع إلى شخصية المصاب وإلى نشاطه الجيسى وخبرات طفولته وتطوره العاطفى وعلاقاته العائلية وقدراته العقلية وأمنيته الخاصة . وبمجرد تجميع هذه المادة وتنظيمها ، لا يمكن أن نجنى شيئا من وراء غرس المريض فى دراسة إكلينيكية

معدة سلفا سواء أكانت دراسة للنموذج typology أم كانت دراسة للشخصية characterology وبإلهام من التحليل النفسى ، يتمتع لاكان بالقدرة على تصور علم للشخصية تحتفظ فيه الذات بماضيها وأهدافها وذكائها الإبداعي . ولكن حتى حين يحرر لاكان هذا الدرس ويهلل 'للعبقرية الفذة لأستاذ التحليل' (عن ذهان البارانونيا *De la psychose paranoïaque* ، ٣٢٤) ، ^(٨) يؤكد حدود ما يدين به ويلفت الأنظار إلى التشويش confusion فى نظرية فرويد . ويعتمد لاكان ، بالإضافة إلى ذلك وبصورة متميزة مرة أخرى ، على أعمال مفكرين آخرين ، منها أعمال سبينوزا ووليم جيمس وبيرجسون وراسل ، ليبقى على نموذج النظرى قابلا للاختراق من قبل أنساق التفكير الأخرى . وقد ابتكر أسلوبا فكريا مدهشا فى المناقشة المتقدمة فى عن ذهان البارانونيا وفى ترتيبها السلس ومفاهيم التصحيح المتبادل .

حين قرأ لاكان بحثه عن مفهوم "مرحلة المرأة" فى المؤتمر الدولى للتحليل النفسى الذى دارت أحداثه فى عام ١٩٣٦ فى مارينباد Marienbad - وقد دخل الحركة رسميا بهذا البحث - كان قد بدأ استكشاف طريقة فى التعبير بالكلمات ، وظلت هذه الطريقة طريقته المميزة . وجاءت معظم أعماله النظرية ، بعد ذلك التاريخ ، على هيئة أبحاث وتقارير فى المؤتمرات التى تخاطب المحترفين ؛ كانت ترتجل من مذكرات ثم تنقح للنشر ، وقد حررت فى طبعاتها التالية مصحوبة بالحواشى غالباً . وفى عام ١٩٦٦ ظهر عدد كبير من هذه الأبحاث فى كتابات وتحمل بعض الخصائص من كل من 'التداعى الحر' الذى يفرضه التحليل النفسى على المريض أثناء الكلام ، ومن 'الانتباه المركز دائماً' الذى نتوقع من المحلل النفسى أن يتحلى به وهو يستمع إلى كلام المريض ؛ ^(٩) مما يعنى أن لاكان يقدم إلى القارئ عن قصد أفكاره الرئيسية ومواقفه الخلافية المهمة فى صورة رثة ragged وغير مترابطة desultory . ويأخذنا السيمينار الأسبوعى ، سواء المنشور منه أو ما هو قيد النشر ، السيمينار الذى عقده لاكان فى باريس على مدى ما يزيد عن عقدين ، إلى ما يفوق ذلك فى ورشته التأملية . ^(١٠) تقوم بعض أقسام السيمينار Séminaire بتوضيح الأفكار الرئيسية فى كتابات ، وتنقحها أقسام أخرى بإتقان ، وتبقى أقسام أخرى مجرد تسجيل لاهتمامات مؤارة

يسقط العقل النقدي إزاعها في الصمت ساخطا أو معجبا . يطمح نثر لاكان باستمرار في الوصول إلى منزلة الكلام . وأهدافه واضحة من الكتابة بهذا الأسلوب : أن يتم الإحساس بطاقات اللاشعوري في الإيقاع المتقلب في الجمل التي يكتبها ، وإعاقة القارئ عن تشييد بنايات نظرية مبتسرة على النص وإرغامه على المشاركة الكاملة في العمل الخلاق للغة .

وهذه السمة التي تميز كتابات لاكان تجعل تلخيص مساهماته في المعجم التقني لتحليل النفسى عملية بالغة الصعوبة . إننا لا نعثر ببساطة ، في المصطلحات والمفاهيم التي توسع فيها أو أعاد صياغتها ، على مصطلحات فرويد ومفاهيمه في شكل مستقر ومحدد . إن كل مصطلح ومفهوم من تلك المصطلحات والمفاهيم يعرف الآخر أثناء القيام بالعمل التحليلي ويتعرض لتغيرات حادة في المضمون مع تبدل السياق الفكري . إن لاكان بناء مفاهيم متحركة واهية الترابط ، بحيث يكون من الأفضل أن نسأل ، ونحن إزاء مصطلح معين ، 'ماذا يفعل' أو 'ما المسارات التي يتجول فيها' بدل أن نسأل 'ماذا يعنى' وبالإضافة إلى ذلك ، تعمل مفاهيم لاكان كلها ، بصرف النظر عما إذا كان الدور الذي تلعبه في النماذج النفسية psychical models (أو 'topologies' كما يُطلق عليها غالبا) نورا أساسيا أو ثانويا ، تعمل وكأنها أسلحة تتصارع : لا يكتمل تعليق عليها بدون أن يقول شيئا عن الطرق القابلة للتكيف مع الاحتياجات المتغيرة للمناقشة في مهنة يتأصل فيها الشقاق .

تأمل ، مثلا ، مفهوم 'مرحلة المرأة' الذي أشرنا إليه من قبل . تقع هذه المرحلة من عمر الإنسان بين الشهر السادس والشهر الثامن عشر . وهي فترة يتمتع فيها ('الإنسان الصغير le petit homme') بالقدرة للمرة الأولى ، بالرغم من افتقاره للقدرة على السيطرة على نشاطات جسمه ، على أن يتخيل نفسه كيانا مترابطا يهيمن على نفسه . وتتعين له هذه الصورة حين يرى صورته في المرأة :

يبدو أن هذه الفرضية المتهلهة عن صورة الطفل المراهية التي يراها في مرحلة الطفولة *infans* ، ماتزال غارقة في ضعف جهازه الحركي والاعتماد على من يرعاه ، وتعرض بصورة نموذجية المنشأ الرمزي الذي يترسب فيه 'ضمير

المتكلم / فى شكل بدائى ، قبل أن يتشياً فى جدل تقمص الآخر ، وقبل أن تعيد إليه اللغة ، عموماً ، وظيفته كذات .^(١١) (٩٤)

إلا إن تلك اللحظة التى يحدث فيها التقمص الذاتى self-identification ، مهما تكن ، لحظة حاسمة ، ليس لأنها تمثل مرحلة على الطريق إلى 'البلوغ' أو 'النضوج الجنسى' - وتتعرض مثل هذه النماذج التطورية عن الذات الإنسانية المتبدلة لهجوم دائم من لاكان - ولكن لأنها تمثل نزوعاً دائماً لدى الفرد : نزوعاً يقوده فى حياته إلى البحث عن اكتمال خيالى 'أنا مثالية' ideal ego 'وتعزيزها . إن الوحدة المبتكرة فى هذه اللحظات ، والأنا التى تمثل نتاجاً للابتكارات المتتالية زائفتان ؛ إنهما محاولتان للالتفاف حول بعض العوامل التى لا مفر منها فى الحياة الإنسانية : العوز والغياب والنقص . ويتضح ، حتى من السطور القليلة التى اقتبستها ولخصتها ، أن مفهوم لاكان عن مرحلة المرأة يتجاوز إلى حد بعيد تخوم سيكولوجيا الأطفال فى أكمل صورها . فى نهاية الفقرة تتشكل نظرية فى اللغة ونظرية فى الإدراك المتبادل بين الأشخاص interpersonal ؛ وينبثق نظام آخر من الخبرة فى مواجهة نظام التقمص الخيالى الذى تدشنه اللحظة 'المرآوية' ؛ وقد نلمح اعتراضاً من اعتراضات لاكان الأثرية ضد التحليل النفسى فى ممارساته التقليدية : إذا لم تكن الأنا سوى ترسب خيالى ، فياله من عبث أن يجند أنصار 'سيكولوجيا الأنا' أنفسهم لإنماء ذلك الوجود الشبكي وترسيخه .

إن كل الأنساق التصورية المعقدة تعمل ، بمعنى من المعانى ، وفقاً لهذه الطريقة ، حيث يساعد كل عنصر على التعريف بالعناصر الأخرى وتنشيطها . وحيث أن الذين يؤلفون هذه الأنساق يقومون بتقسيمها ، طبقاً للأعراف المتبعة ، إلى وحدات فرعية يمكن اقتفاؤها منفصلة ، فإن عدم حدوث مثل هذا التقسيم يمثل فى رأى لاكان حيرة فكرية . يعمل كل مفهوم كنقطة عقدية nodal point فى شبكة من الاختيار والرفض ، ويُقَدَّم إلى القارئ فى لغة تبقى فيها المهمة العملية ، مهمة الاختيار والرفض ، تبقى ملموسة كاضطراب فى تركيب الجملة . وأعود الآن إلى سلسلة من البصائر والحدوس الأساسية عن بنية اللاشعورى ، البنية التى تتأسس عليها نظرية لاكان الكاملة عن

العملية النفسية . إن النحت والكتابة لا يفهمان فهما كاملا، طبقا لأشهر الطرق التي تمثل تفكيره ، ولا يمثلان أمام القضاء المسئول إلا حين نتأملهما فى سياق هذه النظرية .

يدمج فرويد فى تعليقه الأساسى على اللاشعورى سلسلة من النماذج الطبوغرافية والديناميكية والاقتصادية .^(١٣) ولم يكن اكتشافه من الاكتشافات التي يمكن إعلانها وتطويرها فى لغة نظرية أحادية معدة سلفا . وحين كان يسرد ، بعد سنوات طويلة من ممارسة التحليل والتأمل فيه ، خصائص اللاشعورى كنسق ، فى بحث عن 'اللاشعورى' (١٩١٥) ، كان لا يزال يستخدم معجما تقنيا يساهم فيه مساهمة متميزة كل من البيولوجيا والميكانيكا والمنطق والدراسات اللغوية . وأعلن أن اللاشعورى يتمتع فى جوهره بمجموعة من النوافع الغريزية تملك القدرة على التعايش بدون أن تتعارض أو تتبادل التأثير ؛ إنه لا يعرف الإنكار أو الشك أو أية درجة من درجات اليقين ؛ إنه يمثل واقع العملية الأولية ، التى تنتقل فيها الطاقة النفسية بحرية بين الأفكار بواسطة الإزاحة والتكثيف ؛^(١٣) إنه سرمدي timeless ؛ لا يبالى بالواقع الخارجى ، ولكنه يبالى بتحقيق المتعة واجتناب ما يعكر الصفو (189-186, XIV) .

كان لاكان يرى بحدسه الرئيسى أن تعليق فرويد على اللاشعورى وعلاقته بنسق ما قبل الشعورى - الشعورى يمكن إعادة تنظيمه حول بعض المفاهيم اللسانية ليصبح أكثر إقناعا وأكثر مرونة . وقد ألح فرويد نفسه إلى هذا التجديد ، وتكتسب أعماله عن 'حقائق اللغة' شهرة استثنائية فيما يتعلق بذلك الأمر . إنه يُبدى براعة ودقة فائقتين كناقِدٍ نصيٍّ فى تحليل الحكايات اللفظية وهو تحليل قديم ، لتواريخ حالاته المرضية ولكتبه عن الأحلام وزلات اللسان والنكات ، الذخيرة الأساسية كدليل . وتمثل الوظائف التى تتطور فى اللغة الإنسانية موضوعا قريبا من نفسه بصورة خاصة . ويستشهد ، غالبا ، فى كتاباته السيكلوجية بالعلوم اللسانية لتقديم التناظرات والدليل الذى يعززها . ويرى لاكان أن موضوع عدم اعتماد فرويد بأية صورة على اللسانيات يمثل مسألة فرصة تاريخية (٤٤٦ - ٧ ، ٧٩٩) : كان سويسير وآخرون يضعون أسس هذا الفرع المعرفى حين كان فرويد يشيد نظريته ، ولا نتوقع منه أن تكون له القدرة

على الحصول على معرفة تفصيلية من علم متاخم له ولا يزال فى طور النشأة *in statu nascend* ، أو الحصول على استنتاجات مفيدة منه .

إن الدروس التى كانت مصادفة الميلاد سببا فى أن يكون فرويد غير قادر على تعلمها بينما يكون لاكان قادرا على ذلك هى فى الأساس تلك الدروس التى تهتم بالتحليل التزامنى synchronic لأنساق الدالة المعقدة . إن فقه اللغة المقارن ، وكان لا يزال ملك العلوم اللغوية فى السنوات التى كان يتشكل فيها عقل فرويد ، كان يفتقر إلى ما يعلمه لنا عن هذا التحليل ، بالإضافة إلى أنه كان فى بعض الأحيان يدفع السيكلوجى إلى الوقوع فى الخطأ . إن مراجعة فرويد فى عام ١٩١٠ . لعمل كارل أبل Karl Abel ، مثلا ، وعنوانه *The Antithetical Meaning of Primary Words* (١٨٨٤) وهو عمل يعتمد على الحدس ولا يصح الآن عموما ، جعلته تلك المراجعة يوازى بين العقل الحالم ، الذى لا يعرف التناقضات ، وحالة اللغة الإنسانية الأولية التى افترضها أبل وتحمل فيها بعض الكلمات معانى متضادة فى وقت واحد (XI, 155-61) . (من المفترض أن الكلمة الإنجليزية القديمة *bat* ["جيد good"] وكلمة *badde* ["ردىء bad"] مشتقتان من جذر مشترك يعنى 'جيد - ردىء') . وكان عمل أبل بمثابة الدعامة الوحيدة التى بنى عليها رأيه بأن 'تكافؤ الأضداد سمة حفرية عامة فى تفكير الإنسان' ('تعليق موجز على التحليل النفسى - *A Short Account of Psychoanalysis* (١٩٣٤) ، XIX ، ٣٠٦) . ويمكن لنا أن نقول إنه ، بعبارة أخرى أسس فنتازيا متميزة ومأمولة عن 'أصل الأشياء' على فقرة من فقه اللغة التليفيقى . (١٤)

وعلى الجانب الآخر ، تكبح اللسانيات هذا النوع من التأمل وتقترح نموذجا أكثر خصوبة للمقارنة بين اللغة والعقل . إنها بقدر ما تدرس أصغر الوحدات المتميزة التى تشكل اللغة وطرق استيعاب هذه الوحدات وتداخلها فى أنساق شاملة ، تقدم للجهاز النفسى *psychical apparatus* سلسلة من النماذج التى يمكن اختبارها . وبينما دفع فقه اللغة بفرويد إلى أرض مشاع مليئة بالتقلبات ، استطاعت اللسانيات ، كما تناولها لاكان ، إعادة التحليل النفسى إلى المهام التى كان فرويد منوطا بها فى أفضل الأحوال : استنباط البنية النفسية والإفصاح المترابط عنها .

"يبنى اللاشعورى كلفة" [L'inconscient est structuré comme un langage] بالفرنسية ، ونظرا للأهمية البالغة لهذه العبارة وللشهرة التي كانت من نصيبها ، نورد هنا ترجمتها الإنجليزية أيضا [the unconscious is structured like a language] ^(١٥). تبين هذه العبارة ، وهى من أشهر ما نطق به لاكان ، أهمية ما يدين به للسانيات ؛ وتذكرنا ، بصياغتها فى صورة تشبيه ، بالمشاكل التي تُطرح على التحليل النفسى ويستعين فيها بالمفاهيم اللسانية . وهناك بعض الأسئلة التي نودُّ طرحها ، فى البداية ، على عبارة لاكان : إلى أى مدى يكون هذا النوع من التماثلات دقيقا ومفيدا ؟ هل للمصطلح الأول أسبقية منطقية على المصطلح الثانى ؟ وإذا عكسنا ترتيب المصطلحين ، هل يقال الشئ نفسه ، أم يقال شئ مختلف ولكنه على الدرجة نفسها من الأهمية ، أم يقال شئ أقل أهمية ؟ تأتى أعمال لاكان فى هذه المنطقة نتاجا لتخطيطات ذات اتجاهين - تأثير اللاشعورى على اللغة واللغة على اللاشعورى - وقد تم إنجازها فى تحدٍّ دائم لرغبة قارئه فى العثور على معالم ثابتة لن تتم إطلاقا الإجابة عنها فى الأسئلة السابقة . وكان نزوعه للتفكير فى هذه القضية الجوهرية ، فى الحقيقة ، لوضع منطق الأسئلة التي تثار على هذا النحو موضع التساؤل .

وعموما ، يمكن النظر إلى علاقة اللغة واللاشعورى بطريقتين . أولا ، من المحتمل أن تكون التوترات والصراعات التي تدور داخل النفس قد استطاعت أن تلعب فى البداية دورا فى تحديد لغة الإنسان : إن فكرة أن اللغة خُلقت فى الصورة الجزئية partial image لللاشعورى ، الموجود من قبل ، تقدم على الأقل تفسيراً شعرياً مغريا لمعنى التواشج 'الطبيعى' بين النسقين ، وهو معنى يقره دارسو اللاشعورى . ثانيا ، اللغة هى الأداة الوحيدة للتحليل النفسى : لا يتاح اللاشعورى ، سواء للمريض وهو يحكى أحلامه وخيالاته أو للمحلل وهو يدقق خطاب المريض ويفسره ، إلا فى صورة لغوية بسيطة . ولا يمكن لنا أن نتأمل حالة لاشعورية 'محضة' pure قبل - لغوية pre linguistic - ، أو السعى إلى وصف الطرق التي تؤثر بها أنوات اللغة الراصدة على المواد اللاشعورية المرصودة . وحيث أن اللغة هى ، أيضا ، وسيط هذه الفحوص الثانوية فإنها تكون قد 'خدعتنا' مرة بانكساراتها ، وسوف تخدعنا مرة أخرى بانحرافاتنا .

يضيق لاكان ذرعا بالمقاربة الأولى ، ويميل إلى تفسير المسألة برمتها بالطريقة الثانية : اللغة تخلق اللاشعورى *language creates the unconscious* [التأكيد للمترجم] . ويرى أن التوسط اللغوى يمتد أبعد بكثير من الديالوج التحليلي . ويشير إلى أن الإنسان نفسه ينغرس ، وهو يكتسب اللغة ، في نظام رمزي سابق الوجود ومن ثم تخضع رغبته للضغوط النسقية لذلك النظام : إن الإنسان يتيح للغة وهو يتبناها أن تؤثر على طاقاته الغريزية الحرة وأن تنظمها (٤٤٥) . إنه امتياز خاص بالإنسان ، مستخدم اللغة ، أن يبقى غافلا وهو يصنع الأشياء بالكلمات عن المدى الذى ساهمت ، وما زالت تساهم ، به الكلمات فى صناعته .

إن الأعمال التفصيلية عن المكونات البنيوية الأولية لكل من اللغة واللاشعورى تدعم مقارنة لاكان بينهما كنسقين كاملين وتدعم تعليقه على مختلف التبادلات المحتملة بينهما . يعتمد لاكان اعتمادا خاصا على تعريف سويسير للعلامة اللغوية linguistic sign وهو تعريف مزدوج الاسم binomial - الدال والمدلول وتجمع بينهما رابطة اعتباطية ويعتمد أيضا على القطب الاستعارى والقطب الكنائى فى النظام اللفظى الذى افترضه رومان ياكبسون .^(١٦) (سأتناول هذه المصطلحات بالشرح بعد لحظات) وهذه المفاهيم مفيدة لعدة أسباب : لأنها تناظر تناظرا تاما بعض الأزواج المتضادة antithetical pairs فى فكر فرويد ؛ ولأنها قابلة للاتحاد والتبديل فى التصويرات الجبرية الزائفة للعملية الذهنية التى فضلها لاكان باستمرار ؛ ولأن هناك قييدا صارما مفروضا على القيام بمقارنة على نطاق أوسع . ويتمثل القيد ببساطة فى أن ما يناظر الجملة ، أو البنية التركيبية عموما ، بالغ الضالة فيما يقدمه فرويد عن اللاشعورى .^(١٧) إن القدر الأكبر من الأصالة المدهشة التى يعزوها فرويد إلى اللاشعورى ينجم عن رفضه الولاء لأشكال التنظيم التراتبى hierarchical التى يقدمها التركيب اللغوى . ومن ثم قد يكون لنسق لغة معينة ، كما يتضح فى نحوها ، دورٌ ضئيل للغاية فى تعليقات التحليل النفسى على الوظائف الذهنية . واختار لاكان أن يؤسس نماذجه على بعض البنيات التحتية المزدوجة التى تتمتع بقدرة فائقة على الاتحاد المتجدد بدلا من الاعتماد على مجموعة من المقولات النحوية التى لا تقبل التكيف .

وقد حظى هذا الاستخدام لمبادئ سوسير في التحليل النفسى بأول تعبير كامل عنه فى بحثين ، جاء البحث الأول بعنوان "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى *Fonction et champ de la parole et du langage en psychanalyse*" (٢٣٧ - ٣٢٢) ، وكان البحث الثانى بعنوان 'تأثير الأدب فى اللاشعورى أو التعبير منذ فرويد *L'instance de la lettre dans l'inconscient ou la raison depuis Freud*' (٤٩٣ - ٥٣٨) ، وقد نشر البحث الأول فى عام ١٩٥٣ ونشر الثانى فى عام ١٩٥٧.^(١٨) لكن لاكان لا يستدعى نظرية لغوية مستقرة إلى التحليل النفسى بهدف تنظيم مجموعة من التعاليم التى لا تزال جامحة : إن تلاقى فرويد وسوسير يخلق إمكانية للتفكير فى كل منهما على ضوء الآخر [التأكيد للمترجم] .

تمثل العلامة فى رأى سوسير صداما وارتباطا على نحو فجائى بين واقعين محددين ، كل منهما ، فى حد ذاته ، مائع وغير متميز : التفكير من ناحية والصور السمعية *acoustic images* من الناحية الأخرى . ولكن بمجرد ارتباط جزء من واقع التفكير (المدلول) بجزء من واقع الصوت (الدال) تنشأ بينهما علاقة حميمة إلى درجة اعتماد كل منهما على الآخر اعتمادا كاملا :

مرة أخرى يمكن مقارنة اللغة بقطعة من الورق : وجهها التفكير وظهرها الصوت : لا يمكن أن نمزق الوجه بدون أن نمزق الظهر فى الوقت ذاته ، وبالمثل لا يمكن فى اللغة أن نعزل الصوت عن التفكير أو التفكير عن الصوت ؛ ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بعملية تجريد تؤدي إلى خلق سيكولوجيا محضة أو فونولوجيا محضة.^(١٩)

إن ما يتساعل عنه لاكان ، حتى حين يستعير المصطلحات السوسيرية [نسبة إلى سوسير] ، حالة التناسق والتوازن بين الدال والمدلول مثلما يصفها فى الفقرة السابقة . إنه يستخدم الصيغة S/s (الدال على المدلول *signifier over signified*) كشكل من أشكال التلخيص الشديد لنظرية سوسير ، وأيضا ، كوسيلة لتسليط الضوء على المشكلة المستعصية فيها : حالة المدلول ودوره الدقيق . وإلى هنا يعالج لاكان هذه القاعدة الحسابية S/s ، التى يبدو للوهلة الأولى أنها لا تعدو أن تكون عملية إجرائية

فى حساب للتفاضل والتكامل من ابتكاره ، يعالجها وكأنها قصيدة عيانية وشعار شخصى . إن الخط الفاصل بين الرمزين يمثل أكثر من مجرد رمز : إنه تمثيل تصويرى لشق ضرورى بينهما ، شق لا يمكن إزالته . وبالمثل ، يمثل وضع المدلول أسفل الخط أكثر من مجرد مسألة خضوع للتقاليد الحسابية . إن المدلول ، فى تعليق لاكان ، 'ينزلق' ، فى الواقع ، 'أسفل' الدال وينجح فى مقاومة المحاولات التى تحاول تحديد وضعه وتثبيت حدوده . إننا نرى بأبصارنا تفوق الدال (الحرف الكبير ، البنط الرومانى ، الوضع الأعلى) على المدلول (الحرف الصغير ، البنط الإيطالى ، الوضع الأسفل) . والفكرة الرئيسية التى يثيرها لاكان فى المناقشة تتمثل فى أن البحث عن المدلول فى صورته 'المحضة' - ويتعبير آخر ، البحث عن بنىات التفكير الأصلية خارج الكلمات-بحث طائش ؛ إن اللغة لها دور تكوينى فى تفكير الإنسان ؛ وليس ثمة وجود 'سيكولوجيا محضة' من النوع الذى استشهد به سويسير . إن السلسلة الدالة ذاتها هى موضوع الاهتمام الحقيقى عند المحلل النفسى واللسانى : والعلاقات التى يمكن ملاحظتها فى تلك السلسلة هى أوثق الشواهد على البنية النفسية وبنية الذات الإنسانية .

ويستطيع لاكان توظيف نواة تفكير سويسير ، بمجرد تصويرها على هذا النحو ، كوسيلة لتنظيم نظرية التحليل النفسى وزعزعتها . ويبدو ، للوهلة الأولى ، وكأن مشروعه محدود بصورة خطيرة . حيث أن التمييز بين الدال والمدلول يكون ، طالما تعلق الأمر بمقابلة الظاهر بالمستتر ، قابلاً للتكيف إلى أقصى الحدود مع بعض التمييزات المتنوعة التى قدمها فرويد نفسه وتناولها منفصلة ، وربما يكون من الممكن استيعابه ضمنها : على سبيل المثال ، تلك التمييزات بين الشعورى واللاشعورى ، بين صور الحلم وأفكار الحلم المستترة ، بين الأعراض العصابية والرغبات المكبوتة . ولم يكن لاكان ، وهو يقلص هذه الأزواج من المقولات المتضادة إلى شفرة تتكون من مصطلحين وتلائم كل الأغراض ، لم يكن شخصاً كسولاً ينسق تفكير فرويد بصورة غير مشروعة . إن إجراءات التحليل البنىوى التى يتبعها لفحص مجموعة من الدوال signifiers التى ترتبط بارتباطات متنوعة إجراءات صاغها فرويد فى تعليقاته على

عمل الحلم . يقدم فرويد ، مثلاً ، فى الفقرة التالية من النكات وعلاقتها باللاشعورى *Jokes and their Relation to the Unconscious* ، وهو يلخص مفهوم الإزاحة displacement ، صورة واضحة للدال وهو يؤدى دوره :

إن عمل الحلم...يضخم هذا الأسلوب من أساليب التعبير غير المباشر بما يتجاوز كل الروابط . ويكفى ، تحت ضغط الرقابة ، أن يعمل أى ارتباط بالتميح كبديل ، لتحدث الإزاحة من أى عنصر إلى أى عنصر آخر . واستبدال التدايعيات الداخلية (التشابه ، الارتباط السببى ... إلخ .) بما يعرف بالتدايعيات الخارجية (التزامن ، التجاور ، التشابه فى الصوت) أمر لافت للنظر كخاصية تميز عمل الحلم بصورة خاصة . (VIII, 172)

ويبدو فرويد ، وهو يقوم بتحليل الحالات فى عدد لا يحصى من المواضع ، كراصد يبتهج بملاحظة اللاشعورى الذى يشبع رغباته بمعالجة بارعة للمواد الدخيلة التى لا يرغب فيها . والفرق بين ما يؤكد عليه فرويد وما يؤكد عليه لاكان يتمثل فى أن فرويد يقر بقوة 'التدايعيات الخارجية' ويرى أنها لا تُفهم فهما كاملاً إلا بالقياس إلى 'التدايعيات الداخلية' التى تُقنَّعُها أو تحل مكانها ؛ ويرى أن صور الحلم تحتاج إلى أفكار. الحلم الكامنة الحدسية حتى تتضح ؛ ويرى أن المدلول يغرى بالمطاردة حتى وهو ينأى عن المشهد . لكن لاكان يرى أن هذا التأرجح بين الدال والمدلول قد يحوّل الأنظار بسهولة عن الأول إلى منطقة مائعة لفتنازياً تشبع الرغبة ؛ ويرى أن العلاقة بين الدوال أحد المصادر المهمة مع أنها تقدم للمحلل قدراً هائلاً من المعلومات .

إن تأكيد لاكان على الدال وفصل المكونات البنيوية عن المكونات التأويلية فى نظرية فرويد يستلزم جولة إضافية فى مجال اللسانيات . ومرة أخرى يدين لاكان لياكسون الذى رأى فى قطبى التنظيم اللفظى مفتاحاً لنموذجى الارتباط فى السلسلة الدالة وهما نموذجان تحتيان ولا يمكن اختزالهما . ويرى ياكسون أن القطبين ، الاستعارى والكنائى ، يتنافسان فى أية عملية رمزية ، وقد لفت الأنظار إلى التداخل المحتمل بين مقولاته والمقولات التى يستخدمها فرويد فى تحديد خصائص اللاشعورى . وقد تأسس كل من 'الإزاحة displacement' و'التكثيف condensation' على مبدأ

التماس contiguit ، إن أحدهما ينتمى إلى الكنائى metonymic وينتمى الآخر إلى المجاز المرسل synecdochic ؛^(٢٠) وتم تأسيس 'التقمص' والرمزية' على التشابه ، ومن ثم فهما استعاريان .^(٢١) ولا يهتم لكان أدنى اهتمام بما يقدمه مفهوم ياكبسون ، ويقدم زوجا من التكافؤات الأبسط والأبرع: التكتيف (Verdichtung) يناظر الاستعارة ، والإزاحة (Verschiebung) تناظر الكناية (٥١١) . إنها من المفاهيم الأساسية فى أعمال فرويد ؛ ويمكن بسهولة أن ينقلب تقمص فرويد ورمزيته إلى أى منهما .

لكن لكان لا يقنع بترك الأمور على هذا النحو ، حيث يتم وضع كل مصطلح من المصطلحات اللسانية على خط مستقيم مع شكل من أشكال الوظائف الذهنية اللاشعورية . إن مصطلحات ياكبسون ، شأنها فى ذلك شأن مصطلحات سوسير ، فى حاجة إلى اختبار إضافى حتى يتم قبولها : إذا كان من الممكن بالنسبة لها أن تكون ما تصفه ، أى أن تصبح دوالاً بحكم خصائصها ، فعليها أن تبدو متعددة ، ومحددة بعوامل كثيرة ،^(٢٢) وقابلة دائماً لاستخدامات جديدة . وعند هذه النهاية ، وهى نهاية لبدء جديد مستمر ، يتم خلق زوج آخر من العلاقات المتقاطعة (٥١٧ - ١٨) : تتضمن الآلية النفسية التى تؤدى إلى ظهور الأعراض العصابية اقتران دالين - الرُضّ الجنسى sexual trauma اللاشعورى والتغيرات التى تحدث فى الجسم أو الأفعال التى يقوم بها - وهى من ثم استعارية ؛ بينما تتضمن الرغبة اللاشعورية النهمة غير القابلة للتدمير ، تتضمن إزاحة دائمة من موضوع إلى موضوع ومن ثم فهى كنائية . (لا ينتج أى عرض عن توقف الوظيفة الكنائية ولكنه يؤدى إلى ظهور فتش fetish) .

إن مصطلحى 'الاستعارة' والكناية' يقدمان ، نتيجةً لهذا التعديل المزوج فى قطبية ياكبسون، تقسيمات فرعية subdivisions واضحة ومفيدة لمفهوم الدال ، ويلعبان لعبة خاصة مبهمة الدلالة . وهى عملية مألوفة فى أعمال لكان كلها . وتصبح الميتالغة metalanguage النظرية عند لكان لغة نقية وبسيطة-مما يعنى أنها تصبح لغة مختلفة الخواص ومعقدة : 'لا توجد ميتالغة...لا توجد لغة يمكن أن تقول الحقيقة

عن الحقيقة ، /حيث أن الحقيقة تتأسس على أساس أنها نتكلم فقط ولا تملك أية وسيلة أخرى' (٨٦٧ - ٦٨) . (٢٣)

أشرتُ من قبل إلى أن الشكل الحقيقي الذى تطرح فيه فرضية 'يبنى اللاشعورى كلفة' يلفت الأنظار إلى حدوده المحتملة كمبدأ نظرى . ولكن أن أن تتضح الوسائل التى يستخدمها لاكان ليتجنب هذه الحدود . وتتلاشى الأسبقية المنطقية أو التعااقبية chronological بين اللاشعورى واللغة بمجرد أن نتخيل 'نظاما رمزيا' يشملهما . ويحافظ لاكان بكل دقة ، بالاختصار على مبادئ اللغة كما يصفها سويسير وياكسون بدلا من استكشاف أشكال التنظيم التركيبية الأعلى ، على اتصاله بالمكونات الأساسية الفارقة فى كل الأنساق الرمزية . إن اللاشعورى ، بقدر ما نراه ونسمعه فى الكلام والأعراض والأحلام والإهمال أو الخطأ اللإرادى ، تحكمه القواعد التى تحكم الأنساق الأخرى كلها : القواعد التى عبّر عنها لاكان فى إيجاز 'بمنطق الدال logic of the Signifier' . إن لاكان ، بقدر ما يثق فى أنه توصلُ هنا إلى شيء أساسى وعام ، يلفت الأنظار إلى عنصر من عناصر الإسهاب فى جملة 'يبنى كلفة' : 'إن كلمة 'يبنى' وكلمة 'كلفة' تعنيان بالنسبة لى الشيء نفسه'؛ (٢٤) 'لا توجد بنية بدون لغة' (التلفزيون ، ١٨) . (٢٥) وفى مثل هذه المواضع يبدو اللاشعورى اللاكانى أبعد ما يكون عن سلفه الفرويدى الذى يحفّزه ظاهريا . لم يكتفِ فرويد بالتمييز بين Wortvorstellungen ('حضور الكلمة') و Sachvorstellungen ('حضور الشيء') ولكنه صاغ اللاشعورى كحقل عمل يخص حضور الشيء منفصلا عن الكلمة المناظرة (٢٦) GW, X, 300 (1915), XIV, 201-2; "The Unconscious". ولا يكتفى لاكان ، فى تعريفاته للاشعورى ، بمنح الأسبقية لحضور الكلمة ولكنه يقدم تعريفاته الخاصة ، أحيانا ، باعتبارها تستبعد تعريفات فرويد وتحلّ محلها : 'اللاشعورى ليس فرويدياً ؛ إنه لاكانى' . (٢٧)

إن الدور الخاص - ويدعى بأسماء متنوعة : أسبقية ، أولية ، أفضلية ، تفوقا ، إلحاحا ، سمواً - الذى يعزوه لاكان للدال فى الحياة النفسية تصاحبه عملية هائلة

لإعادة تعريف المصطلحات وحملة من المناظرات المستمرة . وأشير هنا إلى مصطلحي *sujeet* ('الذات subject') و *moi* ('الأنا ego') . وبينما تمثل الأنا ، وقد لُمِحَتْ في مرحلة المرآة للمرة الأولى ، نتاجا عيانيا للتقمصات الخيالية المتعاقبة وقد عُلِقَتْ في الذهن كقاعدة راسخة ، أو كقاعدة تسعى إلى الرسوخ، كقاعدة 'لهوية' الشخصية ، فإن الذات ليست شيئا على الإطلاق ، ولا يمكن القبض عليها إلا كمجموعة من التوترات ، أو التحولات ، أو الجیشان الجدلى فى عملية مستمرة ومقصودة باتجاه المستقبل . ويرى لاكان الأنا ، بوصفها نقطة التوتر فى طوبوجرافيا فرويد عن الهو - الأنا - الأنا العليا ، يراها مكونا أساسيا فى نموذج جدلى حقيقى للذات الإنسانية . لكن الأنا، التى تُرى كنهاية فى ذاتها وكمقرٌ للفردية ، مقرٌ معرضٌ للتهديد ويحتاج دائما إلى التحصين ضد الغزوات العدائية من الهو والأنا العليا ، تعالج بازدراء: تتصرف هذه الأنا الراسخة الهادئة بغباء على أيدي 'مديرى الأرواح' والمهندسين الاجتماعيين . ومفهوم الذات هو الذى يحتل المركز فى تعليقات لاكان على الجهاز النفسى النشط ، وليس مفهوم الأنا . والذات لا تختفى فى يدى لاكان ، كما يحدث فى عبارة نمطية ، ولكنها تسلك مسارات متشعبة يحبكها ويعيد حبكها .

إن السلسلة الدالة تدعم قاعدة حركية الذات . ولا يقتصر دور الدال على تكوين الذات والسيطرة عليها فقط - يتكلم لاكان عن 'سيادة الدال فى الذات' (٢٠) وعن 'تفوق الدال على الذات' (٣٩) - ولكنه ، أيضا ، يحتاج إلى الذات احتياجا إيجابيا كمصطلح وسيط 'الدال هو الذى يعبر عن الذات لدال آخر' (٨١٩) . (٢٨) إن الذات والدال ، بعيدا عن كون الذات نتيجة ثانوية للدال أو ظاهرة مصاحبة له ، بينهما علاقة اعتماد متبادل ، حتى أن ما قد ينسب لأحدهما من الضرورى أن ينسب للآخر ، مع تعديل أو 'انحراف' مناسب . إن كلا منهما يتَّسم بالقدرة على الإزاحة البنيوية اللامحدودة ، وهى قدرة لها بالضرورة أسبقية على كل السمات الفطرية أو المكتسبة : إن إزاحة الدال تحدد النوات فى أفعالها ، فى قدرها ، فى رفضها ، فى عماها ، فى نهايتها ، وفى مآلها ، فى مواهبها الفطرية وفى مكتسباتها الاجتماعية ،

بصرف النظر عن الشخصية أو الجنس و...كل ما يمكن اعتباره مادةً لعلم النفس ، الأدوات والأمتعة ، سيتبع طريق الدال شئنا أم أبينا .^(٢٩)

تميل لغة علم النفس التقليدي ميلا راسخا إلى وصف العقل كما لو كان تجمعا ثابتا لعدد من الأشياء ، أو القوى ، أو الملكات ، وقد يبدو تصوير لاكان للذات قيد التكوين في نظر من ترتبط توقعاتهم للترابط في بناء النموذج النفسى ارتباطا شرطيا بتلك اللغة ، قد يبدو مهلهلا وتافها بصورة مستحيلة . ومما هو جدير بالملاحظة أن رأيه في الذات بوصفها فارغة 'تماما' ومتقلبة وتفتقر إلى مركز ، يجب أن ينبثق هذا الرأى ، في مروره من هدف تحليلي إلى آخر خلال لغة تتعرى فيها بالحاح كل توقعات الترابط المنتظر ، مقنعا ودقيقا .

ويدعو لاكان حقل الدال ، الذى يشهد الإعادة الأبدية لبناء الذات ، بالنظام الرمضى the Symbolic order . وهو النظام السائد فى ثلاثية الرمضى - الخيالى - الواقعى التى كان لها دور خلاق فى تفكير لاكان يقارن بدور ثلاثية الهو - الأنا - الأنا العليا فى المرحلة الأخيرة من فكر فرويد . (ومع أن أنظمة لاكان الثلاثة وأقسام فرويد الثلاثة تستخدم للقيام بالدور ذاته فى العمل التحليلي ، إلا أنه من المستحيل وضع مصطلح مقابل آخر بصورة قاطعة .) ومن الأفضل أن نفكر فى كل نظام من أنظمة لاكان كمركز جانبي يتغير باستمرار فى مناقشاته بدلا من التفكير فيه كنظام ثابت ؛ ويمكن استخدامه فى كل لحظة لإعادة تعريف النظامين الآخرين . وقد اقترحت من قبل نوعا من التقابل بين الرمضى والخيالى فى التعليق على الذات والأنا . بينما يتميز أحدهما بالاختلاف والانفصال والإزاحة ، يبحث الآخر عن الهوية أو التشابه . ينمو الخيالى من خبرة الرضيع 'بالأنا المراهية' ويمتد بعيدا إلى خبرة الراشد بالآخرين وبالعالم الخارجى : حيثما يوجد تقمص زائف - سواء أكان فى الذات أم كان بين الذات والآخر أم بين الذات وشئ من الأشياء - يسود الخيالى . ومع أن النظامين فارقان ومتضادان ، إلا أن الرمضى يقتحم الخيالى وينظمه ويوجهه ؛ تكشف السلسلة الدالة زيف استقرار الخيالى وتجبره على الحركة .

والواقعى هو النظام الأكثر إثارة للارتباك ، ويحظى فى كتابات باهتمام أقل بكثير مما يحظى به النظامان الآخران ؛ ويحتوى سيميئار لاكان على أكثر التعليقات

عليه اكتمالا وإثارة للتساؤل . ويمكن إدراك اتجاهين عامين متباعدين ظاهريا فيما يقدمه لاكان عن هذا المفهوم . الأول يتمثل في أن الواقعي هو ذلك الذى هناك ، هناك من قبل ، بعيدا عن متناول الذات ، سواء أكان موضوعا فيزيقيا أم كان صدمة جنسية ؛ وحين تظهر فى المشهد كنوات تكون قد لُعبتْ ألعابُ معينة ، وتم الإلقاء بزهر النرد . وتكمن المسألة فى : 'إن الواقعي هو ذلك الذى يعود دائما إلى المكان نفسه' (XI, 43)^(٣٠) ولكن إدراك هذا الأمر لا يعنى إرغامنا على الإذعان فى صمت: 'ألا تشعر بوجود شيء ساخر أو مضحك فى حقيقة أن زهر النرد قد تم إلقاءه بالفعل؟' (II, 256)^(٣١) والطريق التى وراء هذا الواقعي 'المضحك' هى الطريق الإنسانية الفريدة التى يقدمها النظام الرمزي : وعلينا أن نوجه الشكر لهذا النظام الذى قد يسمح بإلقاء زهر النرد من جديد . ويتمثل الثانى فى أن الواقعي ، مع ذلك ، هو الهوى الأصلية التى تعمل عليها اللغة : 'إن عالم الكلمات هو الذى يخلق عالم الأشياء - ويتم تشويش الأشياء فوراً *hic et nunc* فى عملية التكوين' (٢٧٦)^(٣٢)؛ إن الواقعي يكتسب بنيته بقدرة الإنسان على إطلاق اسم عليه . ولا يوجد بين هذه المفاهيم مفهوم أصيل بصورة خاصة ؛ إن اللغة العامة تلعب دورا بارزا فى تقديم كل مفهوم ؛ والتباعد بينهما ليس سوى تباعد ظاهري . إنها مفاهيم تؤكد حدود القدرة اللغوية : الواقعي هو ذلك الخارجى بصورة جذرية بالنسبة لسلسلة الدوال . والذات قد تبنى الواقعي - أو حتى 'تخلقه' - لنفسها ، ولكنها لا تستطيع أن تطلق عليه اسما (II, 252) . إنه 'خارج' اللغة ، خارجها العضال العنيد ؛ الهدف المتقهقر بصورة غير محدودة ، الهدف الذى تميل السلسلة الدالة باتجاهه ؛ نقطة تلاشى الرمزي والخيالي . ونتيجة لهذا الرأى ، يقترب الواقعي فى فكر لاكان من معنى 'الفائق الوصف' أو 'المستحيل' . إن دوره فى الثلاثية كمصطلح أقل من دور المصطلحين الآخرين . ولكنه يعيد ، ببراعة ، تقديم المشاكل واللاتناسق فيما قد يصبح بسهولة ثنائية رائعة بين الرمزي والخيالي ، وتذكير الذات الكلية المأمولة عند لاكان بأن البناعين الرمزي والخيالي يحدثان فى عالم يفوقها .

إن تعليق لاكان على الذات بوصفها 'مهمشة' *decentred* وجدلية قد تم تنقيحه بطرق عديدة وتم تحصينه نسقياً من خطر التعزيز ، أو ما يبدو أنه تعزيز ، من

مجموعة من المفاهيم الثابتة الجاهزة للاستخدام باستمرار . وبالرغم من عدم توفر طريقة مضمونة أمام لاكان ، أو أى شخص آخر ، ليحول بين معتقد مبعثر بعناية وبين أن يصبح معتقداً مركزياً ، أو يحول بين المقاومة وبين انحرافها عن الانحراف الناشئ عن مقاومتها الخاصة ، إلا أن التدابير التى اتخذها أدت دورها ، عموماً ، على نحو طيب . وبالنسبة للمرادفات المتقاربة التى يستخدمها فى رسم تطواف الذات ، تطوافها المتقطع (*refente, division, Spaltung, fading, and so forth*) فإنها تبقى نشطة بواسطة المصطلح السائد ذى المعانى المتعددة ، *L'Autre* ('الآخر') . يأتى مصطلح 'الآخر' بإصرار ، أكثر مما يأتى أى مصطلح آخر من مصطلحات لاكان ، أن يقتصر دوره على تقديم معنى واحد ؛ ويقدم فى تجلياته كلها 'نقصاً' أو 'فجوة' للعمليات التى تقوم بها الذات ، ويفقد الذات قدرتها على التفرد أو الاستبطان أو الإدراك أو الاكتمال أو التبادلية ؛ ويضمن عدم تدمير الرغبة بالحفاظ على أهدافها محلياً تحليلاً ألبدياً .

والآخر الأولي *primal* عند لاكان وفرويد هو الأب فى المثلث الأوديبى - الأب الذى يحرم زنا المحارم ويهدد بالإخصاء ويصبح ، بوضع حظرٍ مطلقٍ على رغبة الطفل فى أمه ، القوة المدسنة للقانون . لا يهتم لاكان بالأب الواقعى أو الأب الخيالى لشخص معين ولكنه يهتم بالأب الرمزي الذى يستهل اسمه السلسلة الدالة ويسيرها : 'علينا أن نتعرف على دعامة الوظيفة الرمزية فى اسم الأب الذى تقمصت شخصيته صورة القانون منذ فجر التاريخ' (٢٧٨) .^(٢٣) وتؤدى المواجهة الأصلية مع اسم الأب *nom-du-pere* المشرع ، والنقص الدائم ، ومن ثم عدم الإشباع الذى تتعرض له الذات ، إلى نمط معقد من العدوانية والخنوع المتعاقبين أو المتداخلين ، وهو نمط يميز الذات فى تعاملها مع الآخرين بصورة لا يمكن محوها . (مرة أخرى يستخدم لاكان جدلية السيد والعبد عند هيجل كنموذج لهذه العملية وهو نموذج قابل لإعادة البناء باستمرار .)^(٢٤) وهذه المعاملات ، سواء أكانت فى صورة مواجهة يومية بين الناس أم كانت فى صورة ديالوج بين المريض والمحلل ، تمثل الاهتمام الرئيسى للاكان ، ويقوم بدقة فائقة بشرح دورها المحدد فى تكوين الذات .

إن الذات تتشكل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر :

إن استجابة الآخر هي ما أبحث عنه في الكلام . وسؤالي هو ما يكونني كذاتٍ .
وحتى أتعرف على الآخر مرة أخرى ، فإنني لا أنطق بما كان إلا من زاوية ما
سوف يكون . وحتى يتمكن من الرد أدعوه باسم قد يقبله وقد يرفضه .^(٣٥) (٢٩٩)
حتى الرسالة التي تبثها الذات تستقبلها من الآخر .^(٣٦) (٨٠٧)

ومن ثم يكون الآخر هو الموضع الذي يتكون فيه 'ضمير المتكلم' 'I' الذي يكلمه
بما يسمع . وما ينطق به المرء هو الرد ، الذي يقرر الآخر أن يسمعه سواء نطق
به المرء أم لم ينطق .^(٣٧) (٤٣١)

وتتميز العلاقة بين الذات والآخر بوجود الرغبة :

تعثر رغبة الإنسان على معناها في رغبة الآخر ، ليس لأن الآخر يمسك
بمفتاح الموضوع المرغوب ، ولكن لأن الموضوع الأول للرغبة يتمثل في معرفة
الآخر بها .^(٣٨) (٢٦٨)

وهذا تبسيط شديد في الحقيقة...حيث أن رغبة الآخر تكمن في عبث رغبة
المرء على شكل .^(٣٩) (٨١٣)

إن رغبة المرء هي رغبة الآخر the desire of the Other حيث تمثل 'of' ما
يسميه النحاة 'تحديد التابع' أي بوصف الآخر أنه الذي يرغب (وهذا يقدم
النطاق الحقيقي للشهوة الإنسانية) .^(٤٠) (٨١٤)

نلاحظ في الإشارات وبينها الكثير من التناوب الدقيق في المعنى : الآخر ، مثلا ،
طرف في ثنائية الذات - الآخر الجدلية ، ويمثل في وقت آخر الموضع الحقيقي أو
الحالة الحقيقية 'للآخرية' otherness (alterite, heterononie) هو مصطلح يحمل
معنى المصطلحين . وتزيد الصورة تعقيدا حين يستخدم المصطلح نفسه للربط بين
العالم الداخلي للشخص وعالمه مع الآخرين .

ويرى لاكان أن الاكتشاف الأساسي لفرويد يتمثل في اكتشاف أن الإنسان
يحمل الأخرية في داخله . والانفصام بين نسق اللاشعوري ونسق ما قبل الشعوري -

الشعورى يجعل الإنسان وجهاً لوجهٍ أمام 'الهامشية الجذرية للمرء بالنسبة لنفسه' (٥٤٢).^(٤١) حين نرى اللاشعورى - السلسلة الدالة التى تمر خلالها الرغبات كلها - من نقطة التفضيل عما قبل الشعورى - الشعورى نراه فى مكان آخر ولغة أخرى : 'اللاشعورى خطاب الآخر' (٣٧٩).^(٤٢) والرسالة التى تمرُّ عبر الهوية بين الذات والآخر الخارجى تمر فى الداخل أيضاً ، بالنسبة للفرد الأسمى ، وتتصبُّ العالم الاجتماعى فى عقل الفرد بواسطة اللغة : 'اللاشعورى خطاب الآخر الذى تُستقبل فيه الذات ، فى شكل مقلوب يتلاءم مع الوعد ، رسالتها المنسية' (٤٩٣).^(٤٣) وأضاف لاكان فى مرحلة تالية من مراحل تفكيره مفهوميْن آخرين هما الآخر الصغير *petit autre* والموضوع أ *objet a* ، ويشار إليه أحياناً بالحرف *a* . ومع أن كلا من المفهومين يوفق فى نموذج لاكان النظرى بين حركة الرغبة وتعدد موضوعاتها بصورة غير محدودة ، إلا أنهما يفترقان فى نقطة مهمة. بينما يحتل الآخر الصغير دوراً وسطاً بين الأنا والآخر وينتمى بالتالى إلى الواقع الخيالى للتقمص المراءى ('الآخر ليس آخر على الإطلاق ، حيث أنه يقترن بالأنا اقتراناً جوهرياً' ، ٢ ، ٣٧٠) ،^(٤٤) يمثل الموضوع أ موضوع الرغبة التى تُخترق وتُعبأ بالنقص : إنه اللأدرى *je ne sais* بالإشارة إلى ما يوحى بالرغبة التى تتضح فى الإزاحة وعدم الاكتمال وغير المراءى : 'الموضوع أ ليس كينونة على الإطلاق . الموضوع أ هو ما يفترضه الاحتياج بطريقة التفريغ ...' (XX, 114).^(٤٥) والموضوع أ فى عدد هائل من الأوصاف المتداخلة عند لاكان هو موضوع الرغبة وهو فى الطريق أيضاً ليصبح سبب الرغبة وشرطها .

ربما يجد قارئ لاكان نفسه متحيراً بشأن أوراق اعتماد مصطلح يتجول مشوشاً بين المناقشات : ما هذا 'الآخر' Other الذى يجب تبجيله بحرف كبير ، ويقبل التحول بحرية إلى هذه الدرجة ؟ كيف يظل المصطلح مفيداً كأداة إجرائية حين يمكن أن يُعرَّف بتعريفات متنوعة : أب ، موضع ، نقطة ، أى رفيق جدلى ، أفق داخل الذات ، أفق وراء الذات ، اللاشعورى ، لغة ، الدال ؟ هل يمكن أن يكون الحرف الكبير مستخدماً ليضفى هالة زائفة من السلطة على خليط *ominum gatherum* مشوش ؟

إن تهمة اللامسئولية الفكرية التي يبدو أن مثل هذه الأسئلة تثيرها ضد لاكان ، يمكن إسقاطها إذا نظرنا إلى تفكيره ككل ، وكنسق شامل يتكون من أجزاء تتبادل العمل فيما بينها .^(٤٦) إن اسم الأب *nom - du - pere* ، الآخر الأصلي ، يضع فجوة بين الرغبة وموضوعها (أو موضوعاتها) ، الآخر الذي تُقيدُ به الذات ، وترتبط به ، على كل مستويات الخبرة طول الحياة . ومن المقدّر أن يتكرر هذا التغريب البدائي بطبيعته الحقيقية ، ويتبدل تماما ؛ إنه مصدر اللغة وهو ، بالمثل ، مصدر الذات ، ويقدم شرطا جوهريا من شروط إنسانية الإنسان . ومثلما تنتقل هذه الأخيرة بحرية بين كل الأماكن والأحداث الإنسانية، ينتقل مصطلح 'الآخر' ويتبدل في نثر لاكان . ولا يودّ لاكان أن يعزو أية مسئولية لتعدد الدلالة في مصطلحه ؛ ولا يمكن لشيء من الأشياء أن يطلب منه أن يكون مسئولا عن حقيقة من حقائق الحياة ...

ويتضح من كل ما قلّتُ إلى أي مدى منح لاكان اللغة دورا مهماً بصورة غير مسبقة في مجال البحث في التحليل النفسي . لقد أكد فرويد في كتاب صغير بعنوان *The Question of Lay Analysis* (١٩٢٦) أن 'كلية التحليل النفسي' في المستقبل لن تكتفى بتدريس العلوم المألوفة في كليات الطب ولكنها 'ستقوم بتدريس بعض الفروع المعرفية البعيدة عن الطب ولا تصادف الطبيب في عمله : تاريخ الحضارة ، والميثولوجيا ، وسيكولوجيا الدين ، وعلم الأدب . وإذا لم يطلّع المحلل اطلّاعا واسعا على هذه المواد ، فلن يتمكن من فهم معظم المواد التي يتعامل معها' (XX, 246) . ويضيف لاكان اللسانيات إلى هذه القائمة ، بالإضافة إلى 'البلاغة' ، والجدل بالمعنى التقني لهذه الكلمة كما وردت في طوبيقا *Topics* أرسطو ، وأعلى قمم استايطيقا اللغة : البويطيقا ، وتشمل تقنية النكتة ، تلك التقنية المهمة (٢٨٨) .^(٤٧) والمحلل الذي يحشد هذه الفروع المعرفية لخدمة عمله لا ينفصل عن تقاليد التفكير التحليلي ولكنه يعود إلى مصادره الخصبية . كان فرويد وتابعوه الأوائل يعرفون الأدب وعلوم اللغة ويتفاعلون معها تفاعلا نموذجيا .

ناقشنا ، من قبل ، ما يدين به لاكان للسانيات . ولكن ثمة ثلاثة أمور أخرى يدين بها ، في هذا المجال ، وهي أمور جديرة بالذكر : البلاغة والأسلوبية ، والتأويل النقدي ، والإنتاج الأدبي عموما . وقد تركتُ هذه المجالات بصمتها على أعمال لاكان ، مما

جعلها فى متناول اليد ومثيرة للمشاكل خاصة بالنسبة للمغامرين فى عالم الأدب ،
وتقدم لنا سلسلة من المفاتيح الأساسية فى أية محاولة لفهم الدور التحفيزى
الاستثنائى الذى طوره تفكيره فى 'العلوم الإنسانية' فى فرنسا المعاصرة .

يلتزم لاكان ، فى إشاراتِهِ إلى الاستعارة والمجاز فى البلاغة الكلاسيكية ،
بطريقة المقارنة التأملية التى يفضلها فرويد كثيرا . على سبيل المثال ، يناقش فرويد ،
فى *The Claims of Psychoanalysis to Scientific Interest* ، ببعض الإسهاب
الأحلام 'كلغة' ، وينتقل إلى تشابه آخر خصب ومتميز :

إذا كنا نرى أن التصوير فى الأحلام يتم أساسا ، بالخيالات البصرية
وليس بالكلمات ، تكون مقارنة الأحلام بنسقٍ من أنساق الكتابة مناسبة أكثر من
مقارنتها بلغة . إن تفسير الأحلام ، فى الواقع ، يشبه تمام الشبه حلُّ الشفرة
فى كتابة تصويرية قديمة كالكتابة الهيروغليفية المصرية . حيث توجد فى الحالتين
بعض العناصر التى لا تسعى إلى تفسيرها (أو قراءتها ، حسب الحالة) ولكنها
مصممة فقط للقيام بوظيفتها بوصفها 'محددات' ، أى لترسيخ معنى عنصر آخر
 . إن غموض عناصر الأحلام له ما يوازيه فى أنساق الكتابة القديمة؛ وينطبق
هذا أيضا على حذف العلاقات المختلفة التى يمكن فهمها من السياق فى
الحالتين . وإذا لم يكن هذا المفهوم لطريقة التصوير فى الأحلام يتبع حتى الآن،
فإن ذلك يعود ، كما يمكن أن نفهم بسهولة ، إلى حقيقة أن المحللين النفسيين
جهلة تماما بوضع المعرفة التى يبحث بها عالم اللغة مشكلة من قبيل تلك المشاكل
التي تعرضها الأحلام (XIII, 177) .

إن العلاقة بين الأحلام والكتابة الهيروغليفية عند فرويد تشبه العلاقة بين آليات
اللاشعورى والبلاغة عند لاكان :

تتمثل الصور البلاغية فى الإطناب ، والتقديم والتأخير ، والحذف ، والإرجاء،
والتوقع ، والضم ، والإنكار ، والاستطراد ، والسخرية (Quintilian's figure
sententiarum) ؛ كما أن المجاز يتمثل فى الإثبات بالنفى ، والتلقيب ، والوصف
البليغ ، وهى مصطلحات توحى بأنها مناسبة أكثر من سواها فى توصيف هذه

الآليات . هل يمكن لنا أن نراها مجرد صور بلاغية فى الكلام حين تكون الصور البلاغية هى المبدأ الفعال فى بلاغة الخطاب الذى يتفوه به المحلل بالفعل؟^(٤٨)
(٥٢١)

توحى خصوصية هذه المقارنات - مع أنها تربو كثيرا على الاحتياجات الموضوعية لأية مناقشة من مناقشات الكاتب - بفتنة غير معلنة تعمل فى كل حالة . وقد يظن المرء أن مصدر الفتنة عند فرويد ولاكان لا يكمن فى أن هذه المقارنات تقوم بدور المرشد ولكنه يكمن فى أن هذه المصطلحات تبدو شديدة التناقض بدرجة تجعل المقارنة بينها مستحيلة . إن الهيروغليفية والبلاغة تمثلان انتصار الفكر الدقيق والحيلة المتحضرة على مواد الخبرة الوحشية . ومن ثم كم يبدو اللاشعورى شديد الغرابة ، مع سهولة التفكير فيه كوحش فوضوى ، سيكشف عن أنه يملك حيلة متحضرة لعلاج بنياته . وخلف هذه الغرابة يبرز على الساحة علم جديد يتناول اللاشعورى .

يمنح لاكان فى كتاباته ، كما رأينا ، بعض المهام والامتيازات لمصطلحين بلاغيين هما الاستعارة والكناية . ومع أنه يستخدم عددا آخر من المصطلحات كما رأينا فى القائمة التى اقتبسناها من قبل ، إلا أنها حين تتحد فى الدرس الذى تقدمه تكون أهم بكثير مما لو استخدمت مفردة كأدوات تحليلية .^(٤٩) ويكون المحلل الملم بالبلاغة أقدر من زميله على ملاحظة كل انعطافات الاستخدام العادى التى تُشكّل 'الأسلوب' وإلى تفرد خطاب المريض كفرد وإلى خصائص خطاب اللاشعورى الذى تتيح الكلمة المنطوقة للمحلل أن يعيد بناءه من جديد . والإغراء الدائم الذى تحمله مثل هذه المقارنات ، مقارنات كل من فرويد ولاكان ، ينشأ عن القدرات التعميمية والتخصيصية المتحدة التى تتمتع بها : إنها تدعم حقيقة عامة عن اللاشعورى - حقيقة أن له بنية أو أنه ، فى رأى لاكان ، بنية - وتتيح فى الوقت نفسه للدارس المطلع أن يركز تركيزا شديدا على طريقة معاناة بعض الأفراد .

وتتضح فى كتابات لاكان مهارته وبراعته كمفسر . ويتمثل تمكنه من الأفكار الفرويدية وقدرته على مناقشة المسائل ، على عدة مستويات ومن مختلف الجوانب ، فى قدر هائل من الشرح والتعليق على ما بين السطور : تنبثق فى تتابع سريع لمعانى

جديدة لنصوص فرويد أثناء القراءة ، وقد نلمح ، فى تدفق الكلام الاعتراضى ، تحفظات مهمة حول بعض أفكار فرويد ، سواء أكان ذلك فى شكلها الأسمى أم فى شكلها الاشتقاقى ، سواء أكانت كلمات مفردة أم كانت جملا تتمتع بالشرعية . (افترض لاكان أن جمهوره الأسمى ، سواء أكان من بين زملائه أم من بين تلاميذه ، على معرفة دقيقة بفرويد ؛ والقارئ العام الذى لم يتم إعداده بصورة مناسبة يحتاج إلى قوى استثنائية من التخيل أو خداع الذات ، ليتمكن من مواصلة القراءة فى كتابات - أو إلى افتراض أنه يستعين بهذه القوى .) وبرغم ذلك ثمة مواضع كثيرة فى كتابات وفى السيمينار يمكن قراءة نصوصها وإعادة القراءة دون أن تتضح إلا بصورة ضئيلة . ومن بين هذه النصوص يبرهن نصان على قدرتهما على كشف هذا الأمر بصورة خاصة : جملة لفرويد وقصة قصيرة لإدجار ألان بو .

يتحدث فرويد فى آخر المحاضرة الثالثة من كتابه محاضرات تمهيدية جديدة *New Introductory Lectures* عن العمل المتواصل للتحليل : 'حيث كانت الهو ، ستكون الأنا . إنه دور الثقافة - وهو لا يختلف عن تفريغ المدخل السابق لبحر الشمال Zuider Zee (XXII, 80) وتظهر الجملة قبل الأخيرة وهى فى الأصل [الألماني] 'Wo Es war, soll Ich werden' على النحو التالى فى الترجمة الفرنسية "Le Moi doit déloger le Ça" [على الأنا أن تعزل الهو] . يرفض لاكان هذه الجملة الفرنسية رفضا قاطعا لأنها تستبعد المستويات التى يحملها المعنى فى الأصل . تمثل جملة فرويد قولاً من الأقوال الماثورة الجديرة بالفلسفة قبل سقراط Presocratics (585, 801, XI, 45) . ويشير لاكان إلى أن فرويد ، على عكس المعتاد ، لا يستخدم الصيغتين "das Es" [الهو] و "das Ich" [الأنا] ، وهكذا تحول عاملان نفسيان ، بإسقاط أداة التعريف ، إلى مبدئين عامين ؛ الجملة أمرية أخلاقية ؛ اسمها ليس متضادين تماما (٤١٧) ؛ وتحمل مفارقة مذهلة : 'حيث أن الجملة أمرية فهى تدفعنى إلى افتراض التعليل الخاص بى' (٨٦٥) .^(٥١) ونقدم هنا عددا من الصياغات الجديدة والترجمات المنقحة :

Là où fut ça, il me faut advenir. (524)

Là où c'était, là comme sujet dois-je advenir. (864)

Là où c'était, peut-on dire, là où s'était, voudrions-nous faire qu'on entendit, c'est mon evoir que je vienne à être. (417-18)

Ici, dans le champ du rêve, tu es chez toi. (XI, 45)

Ainsi se ferme la voie imaginaire, par où je dois dans l'analyse advenir, là où s'était l'inconscient. (52) (819)

يؤكد لاكان في كل هذه الصيغ الجديدة أن واقع الطاقة اللاشعورية ، بعيدا عن الحاجة إلى حراسة الأنا وسيطرتها المشددتين دائما ، سخي سخاء يفوق التوقع : إنه المكان الحقيقي للذات ، مستودع الحقيقة . إن 'ضمير المتكلم' لا يقيم هناك كقوة احتلال قسرية ولكن كقوة تهجر الزيف إراديا وتعود إلى موطنها ؛ ويصبح 'ضمير المتكلم' السخي ذاتا بقدر عودته إلى اللاشعوري وتبني بنياته الجمعية .

إذا تأملنا الجملة وحدها في سياق محاضرة فرويد ، تبدو قراءة لاكان لها مستحيلة : إن حاجة الأنا إلى التفوق على الهو تمثل إحدى تيمات فرويد في كتاباته الأولى ، وقد قدم لنا المترجم الفرنسي المخطئ جوهر الإشارة التي تلخص هذه التيمة بيراعة . ولكن ليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن على هذه الإشارة أن تؤكد ، ببساطة ، ما قيل قبها : أبدى فرويد دهشته وحزنه من ولعه مما اعتبره إلحاحا لا مبرر له على الكبت في الأنا ، ويحث عن وسائل لإقناعها ، في الممارسة العلاجية ، بإرخاء قبضتها التي تضغط على الهو ضغطا مدمرا . ومن المحتمل أنه كان يتيح للتأكيد الأخلاقي السابق في محاضراته أن يردد صدى هذه الشكوك .^(٥٣) وما قام به لاكان بشأن هذه الجملة ، في كل ما قال عن الصدى الماثور ، هو إزالة التباسها بطريقة مضادة لما قام به المترجم . وبرغم التغير في التأكيد والتضمين من جملة لأخرى ، إلا أنه رد على كل المعاني المحتملة بمعنى آخر يعتمد على التأكيد المتبادل . وقد انقلب تردد فرويد قبل السقراطي بين أقداره البديلة بالنسبة للحياة النفسية إلى دفاع هادي في يدى لاكان : وكان أحد تلك الأقدار أفضل بصورة لا تنضب .

بينما تتردد جملة فرويد "Wo Es war, soll Ich werden" كإلزامية في كل أعمال لاكان اللاحقة ، إلا أن قصة بو "الرسالة المسروقة" تبرز بصورة أوضح : في

بداية كتابات يشرح لاكان الحكاية بإسهاب بوصفها قصة خرافية عن العملية التحليلية والوظيفة التكوينية للدال . فى قصة بو وزير يدبر مؤامرة ويسرق الرسالة موضوع القصة وهى رسالة موجهة إلى 'شخصية مرموقة' (يُفترض أنها ملكة) ، وتحدث عملية السرقة فى وجود الملك والملكة . ترى الملكة كل شيء ، ولا يرى الملك أى شيء . تلتزم الملكة بالصمت أثناء حدوث السرقة : وتؤكد أنها متورطة . يتم تكليف رئيس الشرطة باسترداد الرسالة ، وتبوء مهمته بالفشل ، ويتشاور مع المخبر السرى دوبيين Dupin . تكدر الشرطة فى البحث بحسن نية لكن المخبر السرى يبحث بدهاء شديد . بينما تفتش الشرطة جناح الوزير بوصةً بوصةً ولا تعثر على شيء ، يرى دوبيين الذى يعرف حقيقة الوزير أن أمن وسيلة لإخفاء الرسالة تركها فى مكان ظاهر أمام الزائر ، ويجد الرسالة ويسرقها مرة أخرى . ولم تكشف القصة أبدا عن محتويات الرسالة .

يتضح ، حتى من هذا التلخيص المبسط ، جزء من إعجاب لاكان بالقصة . ليست الرسالة المسروقة سوى دال متنقل . تكتسب معانى مختلفة وهى تنتقل من يد إلى أخرى وتتحرك من نقطة إلى أخرى فى شبكة معقدة من مدارك البشر (يتحدث بو عن 'معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق') ، وتتوسط أنواعا متباينة من علاقات القوى وتحدد النوات فيما تفعله وتكونه :

بُنيت هذه الحكاية بهذا الأسلوب لتبين أن الرسالة وتحولاتها تحكم مداخل الشخصيات وأبوارهم . إذا كانت 'فى شقاء' فسوف يتحملون الألم . وإذا قدر لهم أن يمروا تحت ظلالها ، فسوف يصبحون انعكاسا لها . وإذا أصبحت الرسالة-إبهام اللغة ، الإبهام الرائع - فى حوزتهم فسوف يصبحون فى حوزة معناها .^(٥٤) (٣٠)

ويشكل عمل لاكان 'سيمينار عن "الرسالة المسروقة" ' La "Le séminaire sur 'Lettre volée' والكثير من الوثائق المتعلقة به (٩ - ٦١) ، بالإضافة إلى النسخة المبكرة المنشورة فى السيمينار الثانى (١١ - ٤٤) ، إنجازا تأويليا لا يصدر إلا عن براعة نادرة . ولكن أليس تفسير لاكان تفسيراً إيجورياً بالأساس ؟ ورغم كل شيء ، فقد تم استنباط الدال المتنقل ، الرسالة المسروقة وهى أيضا *a feuille volante*

(‘صحيفة طائرة fly sheet) ، بقراءة دقيقة واكتسب مدلولاً ثابتاً في العملية : كُتِبَتْ قصة بو ‘عن‘ تنقل الدال وهو ما ‘تعنيه‘. (٥٥) أليس من الغريب أن يكتب أليجوريا ، وهي ميتالفة رائعة *in excelesis* ، ويلقى الضوء عليها من يؤمن باستحالة وجود الميتالفة ؟ بلى ، إنه غريب ، وغير متسق ، ومخيب للآمال مثلما هو الحال في الإلحاح المحدد ، إلحاح لاكان في فهم جملة فرويد ‘Wo Es war...’ ولكن هذا الأمر لا يصح إلا إذا اكتفينا بالنظر إلى الكشف التصويري الواضح في مناقشة لاكان . وإذا تأملنا البنية الدقيقة لكتابات ، ولعبة الإبهام اللوح التي تتخللها ، يتضح لنا أن نماذج التحليل النفسي الأساسية ، وعادة التفسير التحليلي ذاتها ، ربما تكون موضع شك من داخلها .

إن الدين العملي الذي يدين به لاكان للأدب والحالة ‘الكتابية writerly’ الشعورية لكتابات واضحا حتى للقارئ العابر . ويمنح المعجبون به ومنتقدوه هذه الكتابات ، وخاصةً الوجود الخصب للعب بالكلمات ، والمفارقة ، والفكر المنطقي المعاكس ، مكانا بارزا في مناقشاتهم لمدى صلاحية تلك الأعمال سواء أكانوا معها أم ضدها . ومع أن تأكيداً من هذا القبيل مضلل بطرق عديدة ، وقد أدى إلى الوقوع في بعض الأخطاء الخطيرة في تصوير إنجاز لاكان ، إلا أنه ليس من الصعب أن نرى الأهمية النادرة ، الأهمية التي اكتسبتها في نظرية العقل أسئلة – مجرد أسئلة عن الأسلوب. وحيث أن الأدب لا يكتفى بالاعتراف بمصادره اللاشعورية أكثر مما تفعل الأشكال اللغوية الأخرى ، ولكنه يتمتع أيضا بغزارة الفهم الذي يمكن أن نتوصل إليه ، وهو بذلك يقدم للمحلل النفسي نموذجا من نماذج عمل اللاشعوري يعتبر سلسلة دالة لا تتوقف وتتضاعف ذاتيا . (٥٦) ويقوم الشعر خاصةً بهذا الدور بصورة نموذجية :

ولكن على المرء أن يستمع إلى الشعر فقط... ليسمع التعدد الصوتي ، ويرى الخطاب برمته منظوما بطول المقاطع الشعرية في القصيدة .

وليس هناك في الواقع سلسلة دالة ليس لها تمفصل كامل ، كما لو كانت كل وحدة من وحداتها تتصل بعلامة من علامات الترقيم ، مع سياقات مناسبة معلّقة ‘عموديا’ ، إذا جاز التعبير ، من تلك النقطة . (٥٧) (٥٠٣)

ويبدو أن نظرية لاكان في حاجة إلى نوع معين من التعبير الأدبي . إذا كان اللاشعوري 'يشبه الشعر' في بنياته المحددة بالعديد من العناصر والمتعددة الأصوات ، فإن الكاتب الذي يختار تناول اللاشعوري ، ويأمل في اتباع قوانينه في الكتابة ، سيحتاج بالضرورة إلى أن يصبح أكثر 'شبهاً بالشاعر' ليكون أقرب إلى جوهر ذاته . وسوف يوضح تداخل الدوال وتربطها معا في السلسلة المكتوبة للقارئ ماهية اللاشعوري - بتمثيل دوره بدلا من وصفه . وهنا يقدم لنا لاكان تعريفين يعتمد أحدهما على الآخر . يدعم الشعر واللاشعوري أحدهما الآخر دعما متبادلا : إذا أردت أن تفهم 'أ' ، افهم 'ب' أولا ؛ وإذا أردت أن تفهم 'ب' ، افهم 'أ' أولا . وفي هذه الحالة لا يطفو البناء التام للمفهوم بحرية ولكنه ينغرس بقوة في نثر لاكان ، النثر الفاتن والمزهو : وهنا تتجسد النظريات وتتأكد التعريفات التوأمية عند لاكان في الكتابة .

ويمثل نثر لاكان آلية دقيقة تضاعف الروابط بين الدوال وتلقى الضوء عليها . وتزخر لعبة الكلمات بقدر عظيم من العمل الفكري وتقدم قدرا هائلا منه . ونورد هنا بعض الأمثلة مع تعليق موجز على ما يتضمنه كل مثال : 'la politique de l'au-truiche' (١٥) : السياسة التي تنتمي في الوقت نفسه إلى النعامة (autruche) وإلى الآخرين (autrui) وإلى النمسا (Autriche) البلد الذي ولد فيه التحليل النفسي ؛ "fau philosophe" (٢٣٣) : فيلسوف (philosophe) زائف (faux) يشق طريقه في (se fau file) ؛ "lettre-l'être-l'autre" (٥٢٣) : تتضمن الرسالة الآخر فيما تتضمنه ؛ dansilé (٨٠٧) : الكثافة التي ترقص ، في الداخل ؛ A casser l'œuf ؛ se fail l'homme, mais assui l'Hommelette' (٨٤٥) : إنسان يأتي من انكسار بيضة ، هكذا يفعل الإنسان الصغير ، الإنسان المؤنث ، الإنسان الزاحف ؛ La loi en effect commanderait-elle: Jouis, que le sujet ne pourrait répondre que par un J'ouïs' (٨٢١) : حين يتم الترتيب للمتعة أو الأورجازم ، لا يستطيع المرء أن يرد إلا بكلمة 'نعم' ؛ "poubellication" (XX ، ٢٩) : إن نشر أي شيء عمل طيب كإلقائه في صندوق القمامة (poubelle) ؛ 'amour' (XX ، ٧٣) :

الحب الروح (*âme-amour*) . وبهذه الوسائل قد تنقلب اللغة على نفسها . ومثلما يبدع جويس كلمة 'tautologically' فى *Finnegans Wake* وهكذا يصبح كلمة 'حشويا' 'tautologically' ما تصفه ، يفرس لكان بكتابة كلمة 'la langue' على النحو التالى 'lalangue' (اللفزيون ، ٢١ ، ٧٢ : XX ، ١٢٦) كثيرا من حقائق اللغة فى الاسم الذى تحمله : إنها تكرارية ؛ وتتعلق باللسان (*langue*) - وحين ننطقها تضرب ألسنتنا أحناكنا) ؛ وتميل إلى الموسيقى (تمثل *la* نغمة فى القرار صول - فا) ؛ ولها القدرة على الصدم أو إثارة الدهشة ('Oh là là!') (لاحظ أن الكلمة *λαλαγεω* اليونانية تعنى 'يثرثر ، يلغو') . وحيثما تتصادم الكلمات وتنصهر بهذه الطريقة يسود جوٌّ من اللعب . ولكن قد يأتى أحيانا من الخلفية صوت مذهبى واضح : إذا كان الدال يلعب والمدلول ينزلق تحته ، فإن اللاشعورى يتكلم باللسان الفطرى .

يتكلم لكان بإطراء عن شخصية Humpty - Dumpty بوصفها 'سيدة الدال' (٢٩٣) ، (٥٨) وتبرهن حين تتناول الكلمات المنحوتة على أنها الوريث الكفو لبيضة كارول [Humpty - Dumpty] شخصية من شخصيات كارول تشبه البيضة - المترجم [التى تتحدث بعوانية . ولكنه يتكلم أيضا بإطراء عن شهرته الخاصة باعتباره 'جنجورا'] لويس جنجورا : شاعر أسباني (١٥٦١ - ١٦٢٧) يتميز شعره بالغموض والأسلوب المنمق - المترجم [التحليل النفسى (٤٦٧) ، والصورة الثانية عن نفسه - باعتباره مبتكر الأسلوب البويطيقى المعقد - موحية تماما كالصورة الأولى . لقد قدم لكان تركيبات لغوية فرنسية طاردة وجديدة ، وقدم ، بالمثل ، سيمنطيقا جديدة . إنه يستمتع ، مثلا ، بالتباس حروف الجر ويلعب بقسوة على المعانى المختلفة للحرفين *à* و *de* . وقد رأينا من قبل معجبا باستخدام *en possession de* بمعنى 'مملوك' و'مالك' فى الوقت ذاته . (٥٩) ويوجد ازواج مماثل فى المعنى فى الجملة التالية : 'لأن الدال وحدة فى التفرد الطبيعى ، فهو لا يغيب إلا بالرمز الطبيعى' (٢٤) . (٦٠) الدال رمز الغياب ويصير رمزا بالغياب . والوميض السريع للعلاقات البديلة يضرب

رؤية أى قارئ يبحث عن معنى أساسى وحيد فى فقرة تزخر بحروف الجر كالفقرة التالية :

La liberté de l'homme s'inscrit toute dans le triangle constituant de la renonciation qu'il impose au désir de l'autre par la menace de la mort pour la jouissance des fruits de son servage-du sacrifice consenti de sa vie pour les raisons qui donnent à la vie humaine sa mesure-et du vaincu frustrant de sa victoire le maître qu'il abandonne à son inhumaine solitude.⁽⁶¹⁾ (320)

[يتم نقش حرية الإنسان بالكامل فى المثلث الذى يكون نكران الذات الذى يفرضه [الإنسان] على رغبة الآخر بالتهديد بموت الاستمتاع بفاكهة العبودية - وقبول التضحية بحياته للأسباب التى تضى على الحياة الإنسانية قيمتها - والنكران الانتحارى لقهر الرفيق ، بحرمان انتصاره من السيد الذى يتخلى عن عزله الإنسانية. ^(٦١)] (٣٢٠)

يمثل كل حرف من حروف الجر عقدة فى السلسلة الدالة ؛ إنها لحظات التحول من علاقة محتملة إلى أخرى - لحظات يصبح فيها التكثيف والإزاحة حدثين نصيين ملموسين . ويتضمن أى تعليق كامل ^(٦٢) على السمات التركيبية أو غير التركيبية ، الميزة لأسلوب لاكان ، تعليقا على حرف *qui* المبهم ، اضطراب الترتيب التقليدى للكلمات ، المزج بين الفهم الحرفى والفهم الاستعارى ، الإسهاب ، الحذف ، المفاهيم التى يلمح إليها بدلا من التصريح بها ، شخصنة الأفكار التجريدية، تجريد الأشخاص، ترادف الكلمات المختلفة اختلافا تاما ، واكتساب المرادفات معانى مختلفة اختلافا تاما.. ويحافظ كل ذلك على المدلول كوجود يرفرف شاحبا خلف الدال الفتى .

ومن الواضح أن كاتبنا يستخدم هذه الأدوات بهذا المعدل ويمثل هذا الاقتران الحميم لا يعدو فقط باتجاه خطر كتابة تفتقر إلى المعنى ولكنه يتخيل أيضا أن اللامعنى هدف أدبى إيجابى . يرى لاكان أن السخرية والتضاد متأصلان فى اللغة ، وأن علم النفس ، طالما يدرس الخطاب ، هو 'مجال ما لا معنى له' (١٦٧) . ^(٦٣) وحين

تشخصن الحقيقة اللاكانية - حقيقة اللاشعورى - ويتاح لها أن تتحدث بصوتها الخاص ، كما فى محاضرة 'الشيء الفرويدى' La Chose Freudienne ، نصل إلى هذه النقطة:

أتجول فيما تعتبره أقل الحقائق جوهريّة : فى الحلم ، فى طريق أكثر التصورات فتنة ، وراء النكتة الأكثر غرابة ، فى الصدفة ، ليس فى قانونها ولكن فى مصادفتها ، ولن أفعل أبداً أى شيء لأغير وجه العالم أكثر مما أفعل حين أمنحه بروقيل لأنف كليوباترا .^(٦٤)

ومن المؤكد أن لاكان تأثر بالسريالية فى أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات : كان له أصدقاء بين السرياليين ؛ وساهم ببعض المقالات عن البارانونيا فى مجلة *Minotaur* ، وتأثر بتجارب السرياليين فى الكتابة الآلية وتأكد من كل من كرفل Crevel وإيلوار Eluard وجوى بوسكيه Joë Bousquet من صحة رأيه عن القدرة الشعرية الكبيرة فى كتابات "أيميه Aimée" ، المريض الذى شكل تاريخه المرضى أساس بحثه عن البارانونيا وهو البحث الذى تقدم به لنيل درجة الدكتوراه (١٦٨) . وفى كتابات إشارات وتلميحات لا تحصى إلى الحركة ولا شك أن الوافد الجديد إلى لاكان سوف يسمع الكثير من الملاحظات المؤلفات يتردد صداها فى أعماله إذا كانت له خبرة بالكتابة السريالية ؛ وسيكون هذا القارئ على استعداد لفهم كيف يمكن التفكير فى هذا الكلام الخالى من المعنى بوصفه ثراءً للمعنى وليس غياباً له ومنحه دوراً خاصاً فى استكشاف حقائق اللاشعورى والإفصاح عنها .

ولكن لاكان تعلم فى شبابه كثيراً من الدروس غير تلك التى تعلمها من السرياليين ، وسعى فى السنوات التالية وراء اللاشعورى بإغواءات وحيل أبرع من إغواءاتهم وحيلهم . ويبدو الآن ذلك 'الكلام الخالى من المعنى' فى نص لاكان وكأته مناخ نكئ من المعانى يعد ولا يفي ، ويبدو الآن وكأته مقتحمٌ وحشٍ لعالم المناقشات العقلانية أو الإقناع الخطابى : تنتمى مسألة 'أنف كليوباترا' فى نهاية الفقرة التى قتبستها منذ قليل انتماء واضحاً إلى النوع الثانى . والكلام الخالى من المعنى فى عالتين وسيلة للإثارة الفكرية بدلا من عرض البنية النفسية عرضاً استاتيكيًا أو عن

طريق المدهش السريالى . إن خطابه الخاص يذكرنا بأن مسئوليته تتمثل فى أن يقول شيئا آخر دائما' (٨٣٧) .^(٦٥) ويرى لكان أن من يتحدث ويرضى عن حديثه ليس مجرد إنسان مضلل : إنه إنسان مخطئ . وأية عبارة لا تثير تغيرا وغرابة فى ذاتها عبارة خاطئة . والحقيقة التى تسعى إلى انتزاع نفسها من عملية التناقض فى اللغة ليست إلا زيفا .

يالها من حيرة حين نقرأ للمرة الأولى أعمال هذا الموالى لفرويد الذى يعلن ولاءه صراحة ونجدها لا تشبه أعمال الأستاذ فى أية خاصية أسلوبية ، أو فى طريقة التقديم ، أو فى التقاليد المنهجية . إن فرويد ، أينما يُذكر ، وحتى حين يذكره الذين يرفضون أفكاره أو يودون وصفها وصفا قاسيا ، صبورٌ وصافى الذهن فيما يقدمه ، وقادرٌ على إضفاء القيمة المناسبة على آراء غير آرائه فى صياغة مناقشاته ، إنه دقيق فى تحديد مجالات التفكير التى لا تستطيع نظريته أن تساهم فيها الآن أو فى أى وقت آخر ، لكن لكان غضوب ، ومتعجرف ، ويحتقر الآراء المضادة ، ويفرط فى الحماس أحيانا ويجزم فى أسلوبه النثرى ويقتنع اقتناعا تاما بأن نظريته لا حدود لها فى أى مجال من المجالات .^(٦٦) إن لكان يفعل ما يفعله بطريقة تختلف اختلافا كبيرا عن طريقة فرويد لدرجة أنه يمكن بسهولة اعتبار مشروعه ، فى المواجهة الأولى ، عملا تخريبيا يبحث عن الشهرة على حساب الأسس الأصلية للتحليل النفسى . إن اختلافه عن فرويد ، خاصة فى الهزل الرفيع الذى يصبغ كثيرا من كتاباته ، يُنظر إليه بطربٍ فى الكثير من الاستجابات العدائية التى يثيرها تفكيره . إلا أن هذه الاستجابات كتبها متفرجون لهم دوافع أخلاقية وقد حاولوا قراءة ما يكتبه لكان وفشلوا ، أو أنهم ببساطة فشلوا فى قراءة أعماله . ولكن ليس كل منتقديه من هذا النوع ، فقد اتهمه ، مثلا ، بالغموض المتعمد مؤلفون نابغون لهم مكانتهم ولا يمكن تجاهلهم .

يكتب سيبستيانو تيمبانارو Sebastiano Timpanaro مثلا فى كتابه الزلة الفرويدية *The Freudian Slip* (١٩٧٤) وهو كتاب يقدم نقدا رائعا لكتاب فرويد سيكوباثولوجيا الحياة اليومية ، منطلقا من آراء تمزج بين الماركسية والنقد النصى :
يجب الاعتراف بصورة لا مفر منها بأن فى كتابات لكان شعوزة واستعراضية تغطى على أية أفكار قابلة للفهم أو حتى للمناقشة : يبدو لى أنه لا يوجد شيء

مهم وراء الستار الدخاني ؛ ومن الصعب التفكير في رائدٍ ، سواء أكان بنيويا أم لم يكن ، رائدٍ في مجال الالتقاء بين التحليل النفسي واللسانيات ، برهن في العديد من المواقف على أن معرفته بالأخيرة معرفة خاطئة ومشوشة .^(٦٧)

تنمُّ ملاحظات تيمبانارو عن معرفة محدودة بلاكان وعن حكم مبتسر عليه . ولكن حقيقة أن هذه الملاحظات يمكن أن تصدر عن شخص يعرف أكثر ويحكم بشكل أفضل على قضايا أخرى سيجعلنا نتساءل بوضوح عما إذا كانت تمثل السطح الهجومي لحالة جوهرية من حالات الهجوم ضد لاكان . ومن الممكن ، رغم كل شيء ، أن النقد من أمثال تيمبانارو يودون ، وقد كشفوا عن نواياهم تماما ، ألا يتركوا الهجوم في أحكامهم منقوصا .

أذكر الآن بعضا من أبسط العوامل التي قد يركز عليها نقدٌ موجه إلى لاكان ومن أقلها تخصصا . اتَّخذ لاكان في أعقاب فرويد احتياطات صارمةً للحيلولة بين أعماله والابتذال والسهولة ، وغالبا ما يبدو هذا الكفاح لإعاقة نقل أفكاره نقلا سطحيا وكأنه مجهود متعمدٌ لتأني بصورة غير مفهومة .^(٦٨) ويبدو وكأنه يقول مثلما لا يمكن أن تصل إلى كهف اللاشعوري إلا بأن تكون داخله بالفعل ، كذلك لا يمكن أن تفهم أعماله تدريجيا إلا بأن تكون قد فهمتها من قبل [التأكيد للمترجم] . يقدم لنا لاكان مفهوما جديدا لكل من العلم والحقيقة ، وفي علم الكلام بين النوات intersubjective الذي ينادى بأن على التحليل النفسي أن يلتزم به ، ويطالبنا بالتخلي عن الكثير من الإجراءات التي تبرهن على صحة العلم أو زيفه وهي إجراءات تقوم عليها تقليديا مصداقية التساؤل العلمي . إن حقيقة اللاشعوري هي الحقيقة الوحيدة الجديرة بهذا الاسم . إن اللاشعوري الذي يرغب ، واللغة التي هي بنيته ، جمعياً ، ومكونان من طبقات وملتفان ، ولا يقبلان التصنيف أو التوقف ؛ والمناقشات التي تعالج النهاية مناقشات زائفة . وفي هذا كله تكمن بدقة المفارقة في أن اللغة كلها ليست سوى إزاحة كنائية للرغبة . وليس هناك ، كما أكد لاكان كثيرا ، ميتالغة ، أو آخر بالنسبة للآخر ، أو حقيقة عن الحقيقة (٨١٣) . لماذا إذن يتم تفضيل لغة ذات تكافؤات متعددة بسخاء على لغات تعبر عن شيء واحد في كل مرة، أي على لغة المنطق ، أو تحليل

المفاهيم ، أو الوصف الإمبيريقى ، أو نظرية التحليل النفسى التقليدية ؟ هل يمكن ببساطة أن يرجع استخدام هذه اللغة ، التى تمنح أهدافا أكثر للرغبة التى تتضح فى الحركة داخلها ، إلى الاعتقاد بأنها تحافظ على اتصال أقرب وأقوى مع منبت الرغبة ؟ ولكن ذلك المنبت يوجد فى كل المواضع ولا مفر منه . وقد رأينا لكان ذاته يشير إلى نسخة من المفارقة ذاتها فى شرحه لعبارة فرويد 'Wo Es war, soll Ich werden' :
بأى حق ، وبأية غاية أخلاقية لأى رأى ، يمكن للمرء أن يدفع إنسانا بالضرورة وبلا كل إلى أن يصبح ما هو عليه ؟ لماذا نقحم فى الحركة آلية دقيقة للإقناع حين يكون من المؤكد أنه لا يوجد من يقتنع ؟ يمكن أن نشعر ونحن نقرأ لكان بميول شخصية تتخلل مناقشاته ، ميول مهمة لم تُناقش وهى فى هذه الحالة ميول قوية تماثل الميل الذى جعل إنجلز فى *Anti - Dühring* يرى أن الحرية الحقيقية تكمن فى التعرف على الضرورة .

يشير أسلوب لكان التوضيحي مجموعة من الأسئلة المرتبطة به . وتنكر نظريته أى فارق بين الكتابة الوصفية والكتابة الإرشادية ، أو بين التحليل العملى للحالات واستنباط آراء نظرية مناسبة . ويعتمد اعتمادا كبيرا على الإقناع ببعض القواعد العامة المتكررة مدخرا النقطة الحاسمة من مبادئه . وتستهل هذه الصيغ الماثورة ويتم تكرارها وتعديلها بدون أية برهان يدعمها . وقد تصاغ كأنها جيوب فجائية من الوضوح النسبى داخل التشوش المريك ، التشوش الناتج عن اللعب بالكلمات وعن الصور الشعرية ؛ وقد تظهر مع الهجمات العنيفة ضد المتهمين بتزييف الفكر التحليلى . (يرى لكان أن كل القضايا قضايا مبدأ ، وأن كل التعارضات الموضعية تكشف عن قوى الظلام والنور فى صراعهما الجبار .) ويأتى ، بالطبع ، التدعيم البرهانى لهذه الجمل من مكان آخر ، والقارئ الذى يتمتع بالقدرة على التفكير فى عدة اتجاهات فى وقت واحد سيوائم بين هذه المواد بصورة أفضل من غيره . وقد ترضيه كل نبوءات الكاتب إرضاء تاما حين يتم تقديم أفكاره إلينا بهذا الشكل . ويمكن محاكاة العملية بصورة ساخرة على النحو التالى : 'إذا كان ما أقوله عن اللغة واللاشعورى وإزاحة الرغبة والآخر ، صحيحا ، فعلى المرء أن يتوقع حشد نوع معين

من الكتابة ؛ كتابتي موجودة وهى من النوع المتوقَّع ؛ ومن ثم يكون ما اقله صحيحاً أو بأسلوب آخر : الحذف هو الطريقة التى تميز الوظيفة العقلية للاشعورى؛ ومن ثم فأنا أتَّبِعُ قواعد الاشعورى وأقول الحقيقة حين أحذف الأجزاء الأساسية من الدليل وأنا أعبر عن حالتى . إن الاستدارة واستجداء الأسئلة لم يظهرأ أبداً بمثل هذا العُرى فى فكر لاكان ، لكن المخاطر التى يثيرها فكره ظهرت بجلاء . إنه يختبر فكره باستمرار اختبارات من ابتكاره ؛ ويجتاز فكره هذه الاختبارات دائماً . ومع أنه يستدعى إلى الذهن الكثير من أنساق المفاهيم المهمة وهو يعمل-أنساق افلاطون وهيجل وهايدجر على سبيل المثال - إلا أن هذه الأنساق لا تقدم أى نوع من الاختبار الخارجى لنسقه الخاص . ولكنها ، بالعكس ، تمدُّ ذلك النسق بمزيد من الارتياح الجدلى وبمزيد من الآخريّة - مما يعنى بالطبع أنها تمده بمزيد من الزخم والدعم . وحيث أن التناقض والسخرية متأصلان فى اللغة ومن ثم تصبح اللغة كلها ناقدة لنفسها بمعنى ما ، فإن الاختبارات الخارجية لا ضرورة لها . وعلى أية حال ، يمثل الفشل فى أحد الاختبارات اجتيازاً له أيضاً .

إن فنتازيا القدرة الكلية تُفقد تأثير المساهمات الأساسية التى قدمها لاكان فى التحليل النفسى ، مع أنها قد تجعل من الصعب على الكثير من القراء أن يعزلوها فى البداية . إن حقيقة أن أعماله المنشورة تكتسى بمظهر صريح من التفاخر النرجسى ساعدتها على اكتساب هيبة هائلة فى الثقافة الفرنسية المعاصرة . إنك حين تشتري كتابات لاكان تشتري حدثاً وشارة . وحيث أن شعارات كتابات تمثل جزءاً من لغو العاصمة ، فلسّت فى حاجة إلى قراءة أية كلمة منه لتنتحل سحره . ومما لا شك فيه أن علماء اجتماع المعرفة فى المستقبل سيدرسون الآليات التى جاءت بها 'لاكانية Lacanism' واهية ، تشبه 'fofreudism' التى يشوهها لاكان تشهوها شديداً (٥٢٧) ، لتبدو فى الحياة الفكرية لمجتمع من المجتمعات أكبر من الأفكار والنصوص الأصلية . (٦٩)

إلا أنه يتضح فى غضون ذلك أن أفكار لاكان ، حين توضع وتقيم فى سياقها الحقيقى ، تكون قوية بما يكفى للإبقاء على التأليه الزائف الذى رفعها إليه رأى مطابق للموضوعة . لقد وُضِعَتْ لتعمل وتُختَبَر بصرامة فى السياق التحليلى ، وهو سياق عملى

مشترك . وقد وسع بعض أتباع لاكان الذين يميلون إلى الاستقلال من أمثال جين لبلانش Jean Laplanche ويونتالي J.-B. Pontalis وسيرج لكير Serge Leclair ومود مانوني Maud Mannoni وأوكتاف مانوني Octave Mannoni مفاهيمه وعدلوها بدون أية محاولة لتقليد أسلوبه الأدبي ومن أعمالهم يتضح أن لاكان أنشأ تقليدا مترابطا ومستمر في البحث التحليلي .

لقد جعل لاكان من فرويد شخصا مفهوما للمرة الأولى في فرنسا . وكان لالتفاتة إلى حقائق اللغة كما تبدو في فكر فرويد وإلى الطريقة التي يمكن بها استخدام اللسانيات البنيوية لإعادة تنظيم تعليقات التحليل النفسي على اللاشعوري ، كان لهذا الالتفات أصداء عديدة على المستوى التطبيقي والمستوى النظري داخل مراكز الحركة في فرنسا .^(٧٠) وأذكر هنا اثنين من أكثرها تأثيرا . أولا ، تم استدعاء التحليل النفسي لإدراك مسئولياته الفكرية :

إنه لن يدعم الأسس العلمية لنظريته أو تقنيته إلا بصياغة الأبعاد الأساسية لخبرته في أسلوب مناسب ، خبرته التي تمثل مع النظرية التاريخية عن الرمز المنطق الموضوعي وزمنية الذات .^(٧١)

وهذا النوع من الطموح ينأى بلاكان عن أولئك الأطباء النفسيين الراديكاليين المشهورين من أمثال لانج R.D. Laing وديفيد كوبر David Cooper وتوماس زاس Thomas Szas. إن الأفكار في رأي أولئك الكتاب لها مبرر محدد : إنها تستخدم أساسا كوسيلة لكشف المقدمات الخاطئة التي تتأسس عليها المفاهيم القمعية حول العقل والجنون ، ولا تساهم ، إذا كان لها أن تساهم ، إلا مساهمة واهية في التعليقات الوصفية أو التحليلية على العملية النفسية . ومن الناحية الأخرى ، لا يمثل كشف المقدمات الخاطئة ، في رأي لاكان ، سوى جزء من عملية مستمرة لبناء نموذج نفسي تلعب فيه الأفكار ، التي تتجمع من مختلف المصادر وتتحد بصورة غير مستقرة ، دورا حيويا . ولا تزال محاولات صياغة هذه المناطق الخطرة من البحث من قبيل 'المنطق الموضوعي' و 'زمنية الذات' في المراحل الأولى . ويتمثل دور لاكان ، معتمدا بصورة أساسية على اللسانيات والمنطق الشكلي والحساب أيضا ، في اقتراح

طرق قد تصبح بها الصرامة الفكرية ممكنة في فروع علم النفس حيث مازال الإبهام والغموض سائدين حتى الآن .

ثانيا ، في محاولة لجذب الأنظار إلى الأهمية المركزية للتأمل اللساني في الذات الإنسانية ، أعاد لاكان صياغة أهداف التحليل النفسي بوصفه أسلوبا للعلاج وبوصفه خطابا أخلاقيا: 'لا يمكن أن يكون للتحليل غاية إلا بالحلول في كلام حقيقي والتحقق بواسطة ذات تاريخية في علاقتها بالمستقبل' (٣٠٢) .^(٧٢) و'الكلام الحقيقي' الذي يسعى التحليل النفسي إلى تعزيزه هو الكلام الذي تكون فيه الذات على اتصال تام باللغة البدائية ، لغة الرغبة التي نستمع إليها في تعليق الذات على أحلامها وأعراضها . وهذا الكلام مستحيل إلا حين تكون الذات قادرة على الاعتراف بالنقص وعدم الاكتمال في داخلها وهما حقيقتان واضحتان . إن النظام الرمزي يتأسس على هذه الحقائق ، والدخول في هذا النظام يعنى القبول بأن قَدْرَ المرء كذاتٍ إزاحة غير محدّدة وموت .^(٧٣)

والبديل الخيالي مغوٍ ، ويبدو أنه يَعدُّ بسلسلة كاملة من الإنجازات : الهوية ، التكامل ، التناغم ، الهدوء ، النضج ، الفردية ، التبادلية.. ويعالج لاكان الخيالي أحيانا ، مع ما يرتبط به من أهداف تبدو جديرة بالتقدير ، باستهجان عابر : 'ابحث عن هذه الأشياء إذا كانت لديك الرغبة في ذلك ، وإذا كنت على استعداد للتسليم بالتافه والكاذب ؛ لكن الحقيقة ، بالطبع ، في مكان آخر' . ولكنه ، عموما ، يتناول العلاقة بين الرمزي والخيالي بمستوى أسمى من الأهمية والتعقيد وقد أعاد تعليقه على الجدل المستمر بينهما والمتأصل في الحياة الإنسانية ، أعاد إلى التحليل النفسي كثيرا من الأصداء الأخلاقية الكئيبة التي نجدها في كتابي فرويد وراء مبدأ اللذة وقلق الحضارة *Civilization and its discontents* ، وفي مقال من مقالاته الأخيرة عن 'تحليل المحنود واللامتناهى' (XXIII, 211-53) . وحتى هنا لا تتشابه نغمة لاكان مع نغمة فرويد تشابها تاما ، ولكنه رفض اللاستسلام إلى راحة التفاؤل أو التشاؤم وثبت في وجه المشاكل العضال ، وكان الرفض والثبات على المستوى نفسه من السمو .

وقد أثر لاكان تأثيرا كبيرا خارج التحليل النفسى . ويمكن أحد الأسباب الأساسية وراء هذا التأثير فى ان كتاباته تسعى بوعى إلى نقد الخطاب والأيدولوجيا . أنه يمد المشتغلين فى المجالات الأخرى ببورترية حذر للتفكير أثناء حدوثه ، ولعناصر فنتازيا اليوتوبيا والطفولة التى قد تجد طريقها حتى فى أبسط عمليات العقل وأنقاها . إن شعار 'يا بناء المفاهيم الخالدة ، احذروا' يمثل رسالة كتابات للذين يسمعون . لقد دفع لاكان التحليل النفسى إلى إدراك النزعات البلاغية بصورة لم يسبق لها مثيل مما جعله يكتسب بالنسبة لبعض المنظرين من نوى القناعات الأخرى انعكاسية ذاتية رائعة . (٧٤)

كانت ثورة فرويد ، فى رأى لاكان ، 'غير ملموسة ولكنها كانت ثورة راديكالية' (٥٢٧) . (٧٥) وكانت ثورته من النوع نفسه . إنه يضع أمامنا ، وهو يكشف قوى الكبت التى تعمل فى أنساق التحليل النفسى ومؤسساته ويسمح للمكبوت بالعودة فى كتاباته ، رأيا أصيلا واستثنائيا عما قد يكون عليه التفكير . إنه قارئ لفرويد ، لكن إخلاصه لفرويد من نوع مختلف عن إخلاص أفلوطين لأفلاطون أو ابن ميمون لأرسطو . يقدم له فرويد ضمانا بأن التفكير كله 'تفكير آخر' : لا يوجد ثبات ، أو موضع للوقوف ، أو نسق أسمى . إن اللاشعورى الناطق يمثل نموذجا للحياة الفكرية . يكتب لاكان أعمالا تتم إزاحتها وتفكيكها أثناء إنتاجها بدل أن يبدع أثرا خالدا ويتركه للزمن أو التاريخ أو الآراء . والتفكير الذى يوضحه لنا تفكير يسكن الزمن ، ويبدو بوصفه عملية ، ويجد حقيقته فى رفض الاكتمال .

هوامش الفصل الثانى

- ١ - للاطلاع على ترجمة إنجليزية دقيقة للترجمة العبرية لرسالة ابن ميمون (إلى صموئيل بن تيبون) وهى مكتوبة بالعربية فى الأصل ، راجع مقدمة شلومو بنس للترجمة التى قام بها لكتاب دليل المحتر *The Guide of the Preplexed* .
- ٢ - وردت العبارة ب طالفرنسية فى المتن ويمثل الهامش ترجمة إنجليزية للعبارة ، وقد أثرت تدوين الترجمة العربية فى المتن بدون تدوين الأصل الفرنسى - إلا فى حالات الضرورة ، كأن يكون التعليق ، مثلا ، على السمات اللغوية للعبارة - وسأكتفى فيما يلى من الهوامش المماثلة بعبارة 'بالفرنسية فى المتن' [المترجم]
- ٣ - بوصفه اسما substantive ، يدل [ما قبل الشعورى] على نسق للجهاز النفسى يتميز تماما عن نسق اللاشعورى ، وبوصفه صفة adjective ، يحدد عمليات نسق ما قبل الشعورى ويحدد محتوياته . وحيث أنها لا توجد دائما فى مجال الشعور ، تكون لاشعورية بالمعنى 'الوصفى' للمصطلح ، ولكنها تختلف عن محتويات نسق اللاشعورى من حيث أنها لاتزال تخضع لمبدأ فى متناول الشعور (مثلا ، المعرفة والذكريات التى ليست شعورية الآن) (لبلانش و بونتالى ، لغة التحليل النفسى ، ٣٢٥) . وفى كثير من الأحيان يعتبر ما قبل الشعورى والشعورى نسقا واحدا متصلا ومتميزا تميزا تاما عن نسق اللاشعورى (راجع كتاب لبلانش و بونتالى وهو مرجع نفيس ظهر للمرة الأولى فى عام ١٩٦٧ بعنوان معجم التحليل النفسى *Vocabulaire de la psychanalyse* ؛ والتعريفات التى نقتبسها هنا وفى الهوامش التالية نقدمها فى صورة موجزة .)
- ٤ - يشبه أفلاطون فى الكتاب السابع من الجمهورية الإنسان المخدوع بعالم الظواهر بسجين فى كهف تحت الأرض . ويرى أن محاولة السجين للهروب من الكهف تناظر بحث الإنسان عن التنوير والحكمة .
- ٥ - بالفرنسية فى المتن .
- ٦ - الإزاحة displacement: 'حقيقة أن تأكيد الفكرة أو اهتمامها أو كثافتها عرضة للانفصال عنها والانتقال إلى أفكار أخرى ، كانت قليلة الكثافة أصلا ولكنها تتصل بالفكرة الأولى بسلسلة من التداعيات' (لبلانش و بونتالى ، ١٢١) .
- ٧ - عن أكتيون لكان Lacan's Actaeon ، راجع ص.ص. ١٦٧ - ١٧٣ ، ١٧٨ [من الأصل الإنجليزى ، والفصل بعنوان لكان والأدب وهو ضمن الفصول المترجمة فى هذا الكتاب] .

- ٨ - بالفرنسية في المتن .
- ٩ - للاطلاع على بعض التعليقات الموجزة على هذه المفاهيم ، راجع لبلانش و بونتالي ، ١٦٩ - ١٧٠ ، ٤٣ - ٤٥ .
- ١٠ - يصف جاك ألن ميلر Jacques-Alain Miller في *Entretien sur la Seminaire* ، مسئوليته كمحرر في إعداد نسخ السيمينار للنشر ويعلق ببراعة على بعض الأمور الأخرى : المعانى التى ربما تؤدي إلى اعتباره 'مؤلفا مشاركا' co-author في المجلدات المتتابة ؛ العلاقة بين الغموض والوضوح في كتابات لاكان وفي كلامه ؛ العلاقة بين كتابات و السيمينار كائنات للتعبير عن نظرية لاكان التى تتحول تحولا ذاتيا باستمرار ؛ اللعب بين الطبيعة الارتجالية لنص لاكان 'الأصلى' المنطوق والنظرة المنطقية لعقل ميلر كمحرر ؛ وللاطلاع على محتويات كل مجلد من مجلدات السيمينار (سواء أكان منشورا أم لا) والتاريخ الكامل لنشر أعمال لاكان حتى الآن ، راجع : Joel Dor's *Bibliographie des travaux de Jacques Lacan* .
- ١١ - بالفرنسية في المتن .
- ١٢ - للتمييز بين هذه النماذج الثلاثة ، راجع لبلانش و بونتالي ، ٤٤٩ - ٤٥٣ ؛ ١٢٦ ؛ ١٢٧ - ١٣٠ .
- ١٣ - التكثيف condensation : إحدى الوسائل الأساسية الفعالة في العمليات اللاشعورية : تمثل الفكرة المفردة عددا من السلاسل المترابطة التى توضع فيها نقطة التقاطع (لبلانش و بونتالي ، ٨٢) .
- ١٤ - للاطلاع على تعليق فرويد على أبل Abel بالتفصيل ، راجع إميل بنفنست Emile Benvensite في قضايا اللسانيات العامة ، [I] ، *Problemes de linguistique generale* ، 75-87 . وقد برهن Giulio Lepschy بطريقة مقنعة في "Freud, Abel et gli" "opposti" ، على أن 'سؤال أبل' معقد بصورة تفوق ما قد توحى به تلك الكتابات التى جاءت فى أعقاب بنفنست ، وقد جذب اعتناق لاكان وريكور وآخرين لنقد بنفنست الانظار بعيدا عن حقيقة أن أبل لم يكن أبدا صاحب التأملات الوحيد فى تاريخ فقه اللغة حول 'المعاني المتناقضة' لبعض الكلمات . وبرهان Lepschy الذى نتحدث عنه ملخص بالإنجليزية فى كتابه 'Linguistic Historiography' .
- ١٥ - بالفرنسية في المتن .
- ١٦ - راجع Roman Jakobson and Merris Halle, *Fundamentals of Language*, 90-6

١٧ - يبدو لي أن هذه الجملة والجملتين التاليتين تسمى التعبير عن 'التحديد' المقصود في السؤال . ومع أن ما يوجد من الأوصاف أو النماذج التركيبية الحقيقية قليل في تعليقات لاكان الميتاسيكولوجية على اللاشعوري ، إلا أن بعض كتاباته الأخرى وخاصة شروحة لمواد الحالات-تقترب مما يدعوه جون فورستر 'البنية الافتراضية للعصاب' . وللإطلاع على تحليل دقيق لهذه البنيات راجع جون فورستر في كتابه الرائع اللغة وأصول التحليل النفسي - *Lan-guage and the Origins of Psychoanalysis* (وخاصة ص ١٣١ - ١٦٥) .

١٨ - تمت ترجمة البحثين إلى الإنجليزية ، الأول بعنوان 'The function and field of speech and language in psychoanalysis' والثاني بعنوان 'The agency of the letter in the unconscious or reason since Freud' ، راجع المختار من كتابات *Ecrits. A Selection*

١٩ - بالفرنسية في المتن . عن محاضرات في اللسانيات العامة *Cours de linguistique generale* ، ص . ١٥٧ ،

٢٠ - الكناية metonymy : 'صورة بلاغية يحل فيها مكان الشيء المقصود صفة من صفاته أو شيء يرتبط به'. المجاز المرسل synecdoche : 'صورة بلاغية يستخدم فيها مصطلح أشمل للتعبير عن مصطلح أقل شمولاً أو العكس ، من قبيل استخدام الكل للتعبير عن الجزء أو الجزء للتعبير عن الكل... إلخ' . راجع Shorter OED

٢١ - راجع Fundamentals of Language, 94-5

٢٢ - فرط التحديد [أو التحديد بعوامل عديدة] overdetermination : "حقيقة أن صياغات اللاشعوري (الأعراض ، الأحلام... إلخ) قد تعزى إلى عدد كبير من العوامل المحددة" . (لبلانش و بونتالي ، ٢٩٢) .

٢٣ - بالفرنسية في المتن .

٢٤ - راجع :

" Of Structure as an Inmixing of an Otherness Prerequisite to Any Subject Whatever", The Structuralist Controversy(ed. Macksey and Donato), 188.

وهو بحث كتب في مزيج من الإنجليزية والفرنسية ونشر بالإنجليزية في صياغة جديدة .

٢٥ - بالفرنسية فى المتن . وللإطلاع على نقد دقيق عن 'الإفراط اللغوى' فى البنيوية ودور لاكان فى تعزيز 'جنون عظمة megalomania الدال' انظر بيرى اندروسون فى *In the Tracks of Historical Materialism* ، [فى دروب المادية التاريخية] ٤٠ - ٥٥ وأكثر المحاولات جدية فى التحليل النفسى لكتابة تعليق فلسفى غير مبالغ فيه توجد فى تعليق بول ريكور بعنوان *De l'interpretation* [عن التأويل]

٢٦ - عن مفهوم حضور الكلمة *Wortvorstellung* ومفهوم حضور الأشياء *Sachvorstellung* (أو *Dingvorstellung*) راجع ملاحظة المحرر فى XIV ، ٢٠١ ، وراجع لبلانش و بونتالى، ٤٤٧ - ٤٤٩ . ومازال الشرح الأساسى لهذه المنطقة المهمة المليئة بالتعقيد والافتقار إلى اليقين الاصطلاحي فى ميتاسيكولوجيا فرويد هو شرح جين لبلانش و سيرج لكير فى 'L'Inconscient. Un etude psychanalytique' (وقد ترجمه باتريك كوليمان إلى الإنجليزية فى French Freud ، ١١٨ - ١٧٥) .

٢٧ - اقتبسها أنتونى فيرجوت فى : 193, *Interpreting Lacan* (ed. Smith and Kerrigan) .

٢٨ - بالفرنسية فى المتن . وعن الميتافيزيقا المتمركزة حول اللغة والديكارتية 'المعكوسة' فى العبارة الأخيرة من العبارات الثلاث ، راجع 1-460, *System and Structure*, Antony Wilden .

٢٩ - بالفرنسية فى المتن .

٣٠ - بالفرنسية فى المتن .

٣١ - بالفرنسية فى المتن .

٣٢ - بالفرنسية فى المتن .

٣٣ - بالفرنسية فى المتن . وقد تمت إعادة طبع مقال لاكان عن الأسرة وهو مقال موسوعى يعارض النظرية البيولوجية عداء عنيفا (١٩٣٨) ، ويحتوى على أكثر تعليقاته اكتمالا عن القوة المحددة التى تمارسها الأسرة على الفرد ، بالإضافة إلى تخطيط الكثير من المواقف النظرية التى لم تنظر إلا فى أواخر مسيرته ، وهو بعنوان : *Les complexes familiaux dans la formation de l'individu*, (1984) .

٣٤ - الوسيطان الرئيسيان بين لاكان وهيغل (مثلا هو الحال بالنسبة لعدد كبير من الأعضاء البارزين من جيله فى فرنسا) هما الكسندر كوجيف و جين هيوبليت ، المترجم الفرنسى لكتاب

هيجل *Phanomenologie des Geistes* . ويقدم الفصل الذى كتبه هيجل عن السيد والعبد كما ترجمه وشرحه كوجيف فى *Introduction a la lecture de Hegel* (١١ - ٣٤) ، خلفية أساسية لنغمة لاكان وأسلوبه الفلسفى فى الكثير من الشروح التى يقدمها عن 'الآخر' (وهذه الفقرة تقع فى ص ١١١ - ١١٩ من الترجمة الإنجليزية التى قام بها A.V. Miller لكتاب الفينومينولوجيا .) وبعد عام ١٩٤٣ ، شجع كتاب سارتر ، الوجود والعدم ، من جديد النزعة الهيجلية فى فكر لاكان عن 'الآخر' وعن 'السيد والعبد' وبعض المفاهيم المرتبطة بهما (للاطلاع على عدد هائل من التوازيات الأخاذة ، راجع الوجود والعدم ، ٢٨٨ - ٣٦٤) . ويعترف لاكان بأنه مدين لهيجل عن طريق كوجيف و هيبوليت فى 'Propos sur la causalite' (١٧٢) . ولزيد من الإشارات عن لاكان وهيجل ، راجع ١٤٦ - ١٤٩ ، ١٥٥ - ١٥٧] من الأصل الإنجليزى - وهذه الصفحات ضمن الفصل المترجم هنا بعنوان 'لاكان والأدب' .

٣٥ - بالفرنسية فى المتن .

٣٦ - بالفرنسية فى المتن .

٣٧ - بالفرنسية فى المتن .

٣٨ - بالفرنسية فى المتن .

٣٩ - بالفرنسية فى المتن .

٤٠ - بالفرنسية فى المتن .

٤١ - بالفرنسية فى المتن . وقد كتب فرويد نفسه كثيرا من العبارات الحادة فى هذا الموضوع . وقال فى عام ١٩١٧ ، إن مكتشفى التحليل النفسى ، المكتشفين الأساسيين 'يضيفون إلى عبارة إن الأنا ليست سيدة فى بيتها الخاص' (XVII ، ١٤٣) .

٤٢ - بالفرنسية فى المتن . وتظهر هذه العبارة بصورة متنوعة فى كتابات والمقال الذى اقتبست عنه هذه العبارة ليس ضمن الترجمة الإنجليزية المتداولة ، ولكن توجد نسخة تختلف عنه بعض الاختلاف فى ص ١٧٢ من المختار من كتابات .

٤٣ - بالفرنسية فى المتن .

٤٤ - بالفرنسية فى المتن .

٤٥ - بالفرنسية فى المتن . ويعلق لاكان على الموضوع أ كنقطة اتصال بين الجسد وثياب اللغة skirts of language ، ولكنه لم يردد أبدا الوصف الشهير الذى وصف به بوسيه جسد الإنسان بعد الموت : il devient un je ne sais quoi qui n'a plus de ' (Oraisons funebres, 173-4) nom dans aucune langue . وللاطّيع على الإشارات إلى الموضوع أ فى كتابات راجع جاك ألن ميلر فى 'Index raisonne de co-' Remarque sur le' (٩٠٠) . ويقدم تعليق لاكان على ذلك المفهوم - فى 'Remarque sur le' rapport de Daniellagache (٦٨٢) - نقطة انطلاق مهمة لمزيد من الفحص ، وهذا ما تفعله إشارات من هذا القبيل فى المناقشة ومنها تلك التى توجد فى أربعة مفاهيم أساسية فى التحليل النفسى Les quatre concepts fondamentaux de la psychanalyse (XI, 95-6) (Four Fundamental cocepts, 103-4)

٤٦ - توجد أكثر المحاولات طموحا فى النظر إلى أعمال لاكان بهذه الطريقة فى لاكان والفلسفة Lacan et la philosophie من تأليف ألين جورنفيه Alain Juranville ، وهو دليل أساسى عن الخلفية الفلسفية لكتابات لاكان وما تحتويه . وعن 'الأخر' راجع خاصة ١٢٨ - ١٤ .

٤٧ - بالفرنسية فى المتن .

٤٨ - بالفرنسية فى المتن .

٤٩ - سوف أعود إلى موضوع لاكان والبلاغة فى ص.ص. ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ - ١٥٩ - ١٦٢ [من الأصل الإنجليزى - والفصل بعنوان 'لاكان والأدب' ، وقد سبقت الإشارة إليه - المترجم] .

٥٠ - بالفرنسية فى المتن .

٥١ - بالفرنسية فى المتن .

٥٢ - بالفرنسية فى المتن . تمت ترجمة العبارة الأولى والثالثة والخامسة مرات ومرات وتوجد فى المختار من كتابات ص.ص. ١٧١ ، ١٢٩ ، ٣١٤ ، وترجمت الرابعة فى أربعة مفاهيم أساسية ص. ٤٤ . ويمكن ترجمة الثانية على النحو التالى : 'هناك حيث كانت ، وهناك على أن أصل كذات 'There where it was, there as subject must I arrive'

٥٣ - يلفت ليونيل تريلنج Lionel Trilling الأنظار فى 'Freud : Within and Beyond Culture' وهو مقال يشيد بالتأكيد المحافظ فى نقد فرويد للثقافة - إلى النعمة الختامية فى

محاضرة فرويد كنقطة محتملة لخلق التباس أخلاقي : 'إن الهدف من الجهد الذى يبذله هو خدمة الثقافة - إنه يتحدث عن عمل التحليل النفسى بوصفه 'تفريغ المدخل السابق لبحر الشمال' ، وحفر خندق ، وحيث كانت الهوية يجب أن تكون الأنا . إلا أن موقفه المناوئ للثقافة بالغ القوة ، ونغمته شديدة فى الوقت نفسه' (Beyond Culture, 101) .

٥٤ - بالفرنسية فى المتن .

٥٥ - بدأ دريدا مناظرة رائعة (حين وجه هذا الاتهام إلى لاكان) فى 'Le facteur de la verite' ، (La Carte Postale, 441-524) ، وراجع بشكل خاص بريارا جونسون فى 'The Frame of Reference: Poe, Lacan and Derrida' (The Critical Difference, 110-146) ومريان هوبسن فى 'Deconstruction, Empiricism and Postal Ser- vice' (خاصة ص ٣٠٣ - ٣٠٧) .

٥٦ - للاطلاع على المزيد من المناقشات التفصيلية للأدب كنموذج للاشعورى ، راجع ص.ص. ١٣٦ - ١٤٣ ، ١٥٨ - ١٥٩ [من الأصل الإنجليزى - 'لاكان والأدب' وهو الفصل الرابع من هذه الترجمة] .

٥٧ - بالفرنسية فى المتن . سوف أعود إلى هذه الفقرة فيما بعد ، ص. ١٥٨ [من الأصل الإنجليزى - 'لاكان والأدب'] .

٥٨ - بالفرنسية فى المتن .

٥٩ - انظر ص. ١٢٤ [من الأصل الإنجليزى - وتقع هذه الصفحة ضمن الفصل الحالى] .

٦٠ - بالفرنسية فى المتن .

٦١ - بالفرنسية فى المتن .

٦٢ - يوجد تعليق تمهيدى موجز ومفيد فى Geoges Mounin's *Introduction a la semiologie* ، ١٨١ - ١٨٨ .

٦٣ - بالفرنسية فى المتن .

٦٤ - بالفرنسية فى المتن .

٦٥ - بالفرنسية فى المتن . انظر أيضا ص. ١٥٠ والهامش ٢٧ ص. ٢٠٧ - ٢٠٨ ['لاكان والأدب'] .

٦٦ - يصف باتريك ماهونى Patrick Mahony الاختلافات الأساسية بين أسلوب فرويد وأسلوب لاكان فى *Freud as a Writer* ، ٧٤ - ٧٧ .

٦٧ - راجع *The Freudian Slip* ، ص. ٥٨ .

٦٨ - وجد لاكان ، خاصة في الولايات المتحدة ، عددا من القراء والشرح المخلصين الذين نجحوا في الحفاظ على معنى ملموس لهذه 'اللاقابلية للقراءة' حتى وهم يشرحون تفاصيل نصوصه . ومن هذه الأعمال المهمة والمميزة :

Anthony Wilden, *The Language of the Self* and Teffrey Mehlman, *A Structural Study of Autobiography* :

[وتأتي الصفحات من ٢٢٩ إلى ٢٣٨ بمثابة دليل للقارئ إلى عمل لاكان 'Radiophonie', Scilicet, 2/3, 55-99] :

بالإضافة إلى :

John P. Muller and William J. Richardson, *Lacan and Language* and Jane Gallop, *Reading Lacan* :

وقد ظهر العملان الأخيران بعد ترجمة ألن شريدان Alan Sheridan للمختار من كتابات ، ويقدمان تعليقات مهمة على هذا العمل .

٦٩ - بدأت شيرى توركل Sherry Turkle بداية نشطة في كتابها *Psychoanalytic Politics* (١٩٧٨) . ومن التعليقات الرائعة عن تأثير لاكان على الثقافة الفرنسية يبرز تعليق Catherine Clement's *Vies et legendes de Jacques Lacan* و تعليق Bernard Sichere's *Le moment Lacanien* ، والعملان نتيجة لوعيهما على المستوى النظرى بصورة لاكان كاستاذ في الفكر له فتنته ولوعيهما بصورة التحول الفرنسى الحديث فى نظرية التحليل النفسى إلى الأهواء الشعبية .

٧٠ - إن معظم التعليقات المنشورة عن الأصداء المؤسسية institutional لم يكتبها أعضاء فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ولكن ، لسوء الحظ ، كتبها دارسون غير متخصصين وبعض كُتاب المذكرات . والاستثناء المهم هو العمل الذى كتبه مصطفى صفوان بعنوان *Jacques Lacan et la question de la formation des analystes* ، ويصور بوضوح الخلفية النظرية لعدد من تجديدات لاكان الأساسية فى تقنية التحليل النفسى . ولست أهلا لوصف إنحاز لاكان أو تقييمه كإكلينيكي وأدرك أن أية مقدمة عن لاكان لا يمكن أن تكتمل بدون أن تضع هذه المنطقة من نشاطه المهني فى الاعتبار . وتبدأ الأعمال التى تسعى إلى استكشاف مواد الحالات من منظور لاكانى بعمل ستوارت شينيدرمان Stuart

Rosine Lefort's وعمل روزين لفورت Schneiderman's *Returning to Freud*
Naissance de l'Autre

٧١ - بالفرنسية فى المتن .

٧٢ - بالفرنسية فى المتن .

٧٣ - يرى ستوارت شينيدرمان فى *Jacques Lacan. The Death of an Intellectual* (Hero) (وخاصة الورقة ٥٢) أن لاكان كان رائعا . فى تقاليد التحليل النفسى التى كانت تهتم اهتماما بارزا بالجنس والعلاقات الجنسية ، نتيجة استعداده لمواجهة الموت وترميزه - فى كل من كتاباته النظرية وممارساته الإكلينيكية .

٧٤ - لايبنى هذا بالطبع أن بلاغة الحديث البلاغى عند لاكان ليست هى ذاتها فى حاجة ماسة إلى التحليل . إن بلاغة هذا الحديث تغير مجال التحليل النفسى بطرق جديدة مثيرة للخلاف . وربما نأمل فى أن يكتسب التحليل النفسى اللاكانى بعدا 'ميتا تاريخيا' كما حدث مع هايد وايت ، الذى حلل فى عمله الرائع بعنوان *Metahistory* ما يطلق عليه القدرة 'قبل المجازية' للأساليب البلاغية فى تأريخ القرن التاسع عشر .

٧٥ - بالفرنسية فى المتن .

الفصل الثالث

المحلل النفسي والكلمات

جون فورستر

العنوان الأصلي :

WHAT THE PSYCHOANALYST DOES WITH WORDS: AUSTIN, LACAN AND SPEECH ACTS OF PSYCHOANALYSIS

[ماذا يفعل المحلل النفسي بالكلمات : أوستن ولاكان وأفعال الكلام في التحليل النفسي] .

وهو الفصل السابع من :

John Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press, 1990 : pp. 141– 76 : 340 – 53

المتن من ص ١٤١ إلى ص ١٦٧ ، والهوامش من ص ٢٤٠ إلى ص ٢٥٢

سأبين أنه لا يوجد كلام بلا رد ، بافتراض
أن له مستمعا ، حتى لو لم يقابل إلا
بالصمت : وهذا هو لب وظيفته في التحليل
جاك لاكان^(١)

لماذا تأثير اللغة أكبر ما يكون حين تقول
شيئا من خلال قول شيء آخر؟
جاك لاكان^(٢)

إشارة استهلالية

إن المناقشة في هذا الفصل الطويل يمكن أن تكون واضحة وضوحا تاما .
وسوف أبدأ بالإشارة إلى براعة المحلل في التعامل مع رسائل ذات تركيبة خاصة .
مما يغرينا بالكشف عن بعض السمات الأساسية للتفسير التحليلي بأسلوب التحليل
النحوي . إلا أنه يتضح أن هذه المسألة أقل فائدة من التركيز على أفكار أوست
ولاكان عن طبيعة الأفعال الكلامية . وهي أفكار متقاربة تقاربا مدهشا : التعبيرات
الفعالة والكلام المؤسس . ولا تقتصر فائدتها على فهم الفعل المتوقع من الكلام عموما
، وتحول المريض الناشئ عن ذلك الفعل ، ولكنها تعطي أيضا فكرة أكثر إقناعا عن
تفسير الإحالة ، وهكذا يبطل *unod* المحلل التأثيرات اللاشعورية لأفعال الكلام الذي
يستخدمه المريض أو يُحيد تلك التأثيرات، رغم أنه ، بينما يفتح الطريق أمام الكلام
المكتمل : الكلام الذي يحول transform المتكلم في عملية القول ، العملية الأصلية .

إننا نألف تماماً رأي فيتجنشتاين الذي يقول إن الفلسفة تنشأ عن إساءة استخدام اللغة؛ وتنشأ المشاكل الفلسفية حين تكون اللغة في عطلا . (٣) إننا نحرر الفلسفة من نفسها باستبدال السؤال الفلسفي في سياق استخدام لغة تحل المشكلة ، وتخفيها ، بمجرد ترسيخ ذلك الاستخدام من جديد-الاستخدام الذي يحدد فيتجنشتاين موضعه في لعبة اللغة . ولهذا النشاط ما يماثله في التحليل النفسي بوضوح وليس ذلك بجديد : إن علاج الفيلسوف للسؤال يشبه علاج العلة. (٤)

ونألف أيضاً بصورة تفوق المعتاد فكرة أن المحلل اختصاصي في المسائل اللغوية، على المستويين النظري والعملي . وقد أمضي إلى أبعد من ذلك وأزعم أن أسئلة فيتجنشتاين الفلسفية عن اللغة جزء يومي ، إن لم يكن جزءاً ممجداً ، من ممارسات المحلل أو ، على الأقل ، من ممارسات فرويد . ولنأخذ مثالا من تحليل رتمان Ratman . منذ سن صغيرة للغاية سيطر عليه هُذاء [delusion : فكرة ضلالية لا تتناسب مع ثقافة الشخص أو معتقده ويؤمن بها إيماناً لا يتزحزح رغم كل الدلائل التي تنفي صحتها-المترجم] فحواه أن والديه كانا على علم بأفكاره .

.. في ذلك الوقت [وأنا في السادسة] اعتدتُ أن تراودني فكرة مَرَضِيَّة ، فكرة أن والديَّ كانا على علم بأفكاري ؛ وفسرت ذلك لنفسني بأن افترضت أنني تفوّهتُ بتلك الأفكار بصوت مسموع ، وبدون أن أسمع نفسي وأنا أُنْفِوه بها. (٥)

وقد بدأ الجلسة السادسة من التحليل بتذكير فرويد بأنه عانى من هذا الاعتقاد المستمر في أن والديه كانا على علم بأفكاره ، ثم حكى قصة حدثت له حين كان في الثانية عشرة أحب فتاة صغيرة ، لم تظهر له من الودِّ القدر الذي كان يصبو إليه .

ثم راودته فكرة أنها قد تتعاطف معه إذا وقع في محنة ؛ وكمثال لهذه المحنة سيطرتُ فكرة موت أبيه على عقله ، وبقوة رفض الفكرة في الحال ، وهو حتى الآن لا يقبل احتمال أن فكرة نشأت على هذا النحو يمكن أن تكون 'أمنية' ؛ وهي

بوضوح ليست سوى 'تسلسل للأفكار' .

- سألته معترضاً ، إن لم تكن أمنية ، لماذا ينكرها .

- رد بأن السبب يرجع فقط إلى محتوى الفكرة ، فكرة أن والده ربما مات .

- لاحظت أنه كان يتعامل مع العبارة كما لو كانت تتضمن الطعن في الذات الملكية *lèse-majesté* : بالطبع ، كان من المعروف تماماً أنه يتساوى في العقاب من يقول 'الإمبراطور أحمق' مع من يُقنّع الكلمات المحرمة بالقول 'إذا قال أي شخص ، إلخ ... فإنه سيضطرنني إلى وضع ذلك في الحسبان' ، وأضفت أنه كان من الممكن أن أغرس بسهولة الفكرة التي كان ينكرها إنكاراً شديداً في سياق يستبعد أي احتمال للإنكار : مثلاً ، 'إذا مات أبي ، فسوف أقتل نفسي على قبره' .

- ارتعد ، لكنه لم يتخل عن اعتراضه ، ومن ثم توقفت فجأة عن المناقشة...^(٦)

تشتمل الفقرة السابقة على عدد من النقاط المهمة . مثلاً ، أود أن أشير ببساطة إلى أن فرويد يحاول إقناع مريضه بأن 'فكرته' كانت أمنية بالضرورة ، لأنه تفاعل معها كما لو كانت أمنية . وكانت وسيلة الإقناع توضيح أن عبارة 'أبي ميت' لا تشبه في وقعها عبارة 'أتمنى أن يكون أبي ميتاً' . إن فرويد الذي نصادفه هنا كان في بيته بكل معنى الكلمة يطوّر الاستخدامات المختلفة لعبارة 'إني أعتذر' 'I apologise' كما نجدها في اللغة اليومية لأوستن فيلسوف أكسفورد ، أو كان يتأمل في الاستجابات المتنوعة المتاحة لعبارة 'كيف حالك' 'How're you doing' التي فحصها حديثاً هارفي ساكس Harvey Sacks وهو أحد أتباع ما بعد الإثنوميثودولوجيا post-ethnomethodology^(٧) .

إلا أن من الواضح أن هدف فرويد لم يكن يقتصر على الكشف عن الاضطرابات النحوية والفلسفية عند مريضه لمجرد الكشف عنها ،^(٨) كما لو كان المكافئ الفييني عند نقطة التحول في القرن العشرين لكاتب العمود الإنجليزي في صحيفة من صحف الأحد .^(٩) إنه يحاول اكتشاف السبب وراء إنكار عبارة 'إذا مات أبي...' بمثل هذه

القوة ، وطبيعة ارتباطها بخوف المريض المستمر من فكرة أن والديه كانا على علم بأفكاره . إن اكتشاف أن رتمان كان يعالج الفكرة كما لو كانت أمنية ليس إلا المرحلة الأولى في اكتشاف طبيعة الكارثة التي يفكر فيها رتمان إذا كان يتمنى ذلك .

تأكد فرويد أن رتمان أدخل ، بأسلوب استحواذي حقيقي ، جملة شرطية : 'ستكون عطوفة معي إذا مات أبي' ، ثم أنكر الجملة برمتها ، وتركزت استجابات فرويد كلها على الجمل التي نطق بها رتمان واحتوت بنياتها المتنوعة على عبارة 'مات أبي' . تدخل فرويد لاستثارة مقدمة الأمنية ، وتوضيح علاقتها بالشخص الأول وربما حتى افتراضه لها : 'أتمنى أن يكون أبي ميتا حتى تكون عطوفة معي' . وكان يريد أن يعرف أين يختبئ الشخص الأول في هذه الجملة ، وعلاقته بالشخصين الثاني والثالث . كانت الفكرة الأصلية قبل الشعورية preconscious : 'أتمنى أن تكون عطوفة معي' . وكان الإنكار الشديد مفتاح اللغز الذي دلّ فرويد على اتجاه العنصر الذي يبدو أنه أدى إلى ذلك الإنكار : /أبي مات/ . وحتى يكشف بنية المقاومة ، 'حتى يجعل الصراع يتوغل في مجال النشاط العقلي الشعوري' ،^(١٠) حدد نوعا آخر من بنية الجمل الواضحة أمام الناطق الذي أعاقه الإنكار :

١- إذا/مات أبي/ ، ستكون عطوفة معي .

٢- إذا قال أى شخص/إن أبى ميت/ ، فسوف أضطر إلى أن أتبارى معه .

٣- إذا/مات أبى/ ، فسوف أنتحر .

حدد فرويد ، بإيضاح قواعد الاستطراد التي تحكم بنية الطعن في الذات الملكية ، كيف يمكن لمن يعاني من الأفكار الاستحواذية أن يمتص أولا 'ضمير المخاطب' 'you' لأننا العليا العقابية في صيغة محايدة 'إذا قال أى شخص...' ، 'إذا...' ، ومن ثم في نفسه 'his self' ، بحيث يمكن أن تغطي الإشارات إلى 'ضمير المتكلم' 'I' و 'ياء المتكلم' 'me' الوظائف التي يؤديها عادة «ضمير المخاطب» 'you' «العقابي الذي يخاطبه الضمير conscience» .^(١١) إن معالجة فرويد لمختلف التكوينات المحتملة التي يمكن أن تنشأ عن هذا الإنكار توضح أنه كان يبحث عن سبيل إلى عالم المريض الذى يعاني من الأفكار الاستحواذية وهو عالم مغلق مليء بالأشباح ،^(١٢) بمحاولة

مساعدته على النطق بعبارة تُفصِح بصورة أوضح عن وظائف « ضمير المتكلم » و « ضمير المخاطب » والصيغ المحايدة ؛ والجملة التي تأملها فرويد كانت « أتمنى لو كان أبى ميتا » .

يعتقد رتمان أنه يتكلم ولا يسمع نفسه . وقد نقول إن علاقة رتمان بالآخر الذي يسمع علاقة مضطربة . وبالفعل ، في سن السادسة ، كان 'ضمير المتكلم' بالنسبة لرتمان مغتربا في عملية الكلام على نحو يعوق احتمالية أن يقول للآخر شيئا جوهريا - ألا يعرف [الآخر] أفكاره بالفعل ؟ ^(١٤) ويمكن ، بدايةً ، أن يأتي الوصف الفج لحالته على النحو التالي : بمجرد غياب الآخر 'الحقيقي' ، يُنصب المتكلم مكانه آخر خياليا ، آخر ، على عكس الآخر الحقيقي ، تنفذ إليه كلمات المريض ، ولكنه يمثل أيضا الأب الخيالي الذي سمع كل شيء : أنا عليا عامة ومؤثرة . وبهذه الطريقة قدم فوكو ، ربما مقتفيا خطى لكان ، ^(١٥) تأويلا لهذا التحليل في كتابه العلة العقلية وعلم النفس *Mental illness and psychology* ، وهو كتاب لم يقرأ إلا على نطاق ضيق : تنشأ العلة العقلية نتيجة للنكوص من الديالوج الواقعي إلى الحوار الخيالي .

ولا يمكن لنا أن نقيم واقعية الديالوج التحليلي إلا في ظل مفهوم الإحالة . يبدو الأمر ، في الإحالة ، وكأن شخصا ثانيا " ضمير المخاطب " ، يدخل بالفعل خطاب الجلسة ، خطابها المعلن . ثم يتخذ تحليل ضمائر المتكلم 'I's' وضمائر المفرد الغائب 'he's' التي يستخدمها المريض بعدا إضافيا . وهذا حقيقي ومهم . ولكن قبل أن نشرع في مناقشة الإحالة ، يتضح أن تحليل ذلك 'الضمير' سيبدو وكأنه تحليل آخر لأدوات المحلل . ويذهب هذا الرأي إلى أن المحلل شخص يملأ الفراغ الذي تتركه الرقابة بحيث ينسج رواية مترابطة ، ويذهب إلى أنه شخص يوضح ما يكمن في المفاتيح الضمنية التي يتركها المريض ، بالإضافة إلى أنه يذهب إلى أنه شخص يركز انتباهه على الضمائر ، ضمائر المتكلم 'I's' وضمائر المخاطب 'thou's' التي يستخدمها المريض . ^(١٦) وسأستنتج في النهاية أن هذا الرأي غير واف ؛ وأمل الآن أن أتتبع هذه الفكرة إلى ما هو أبعد من ذلك .

إن عملية الكلام في التحليل ، وكما تشير الفقرة المقتبسة في تصدير هذا الفصل ،

تقتضى ردًا ضمنيًا ، طالما كان المحلل يؤدي دور المستمع ، ومن الوظائف الرئيسية للمحلل توضيح الشخص الذي نتوقع منه الرد . وعلى المحلل ألا يقصر انتباهه على ذات العبارة (أو على موضوعها) - 'ضمير المتكلم' في 'أخاف أن يحدث شيء مروع لوالدي وخطيبتني' ؛ وعليه أن ينتبه إلى 'ضمير المتكلم' الذي ينطق الجملة، إلى ذات المنطوق . (١٧) ويمكن لنا أن نقول إن وظيفة المحلل لا تنحصر في الإصغاء (كما لو كان 'يستمع' السمع) ، ولكنها تنحصر في الاستماع - حيث أن عملية الاستماع (على العكس من الإصغاء) تورط المستمع فيما ينطقه المتكلم . إن المحلل يقف في مرمى نيران المتكلم ، إذا جاز التعبير ، ويفترض أنه 'ضمير المتكلم' الذي يتضمن في كل مرة أن ذات المنطوق تندفع إلى الأمام سواء كمتكلمة أو كمتكلمة متوارية خلف ضمائر المتكلم (أو ضمائر المخاطب) في العبارة .

لكن المحلل يُخاطب أيضا كآخر على مستوى العبارة - تُقال له أشياء ، يوصف بأنه دجّالٌ ومحتالٌ وطاغيةٌ وبأنه مزعجٌ ، إلى نهاية كل الصور التي تحتوى عليها جعبة مخيلة المريض . وستكون إحدى السمات الأساسية لتدخل المحلل هي توضيح الشخصية الحقيقية 'لضمير المخاطب' الذي يتوجه إليه المريض ، وبواسطة الإسقاط الهندسي ، إذا جاز التعبير ، أو حتى التقمص الإسقاطي ، وتوضيح شخصية 'ضمير المتكلم' الملازم له والموجود أمامه - ملاحظا كيف يعثر الدجّالُ دائما على مغفله الساذج ، والسادى على ماسوشيه ، والطاغية على عبده .

وقد لا يعزى هذا إلا إلى التقنية التحليلية المألوفة للكشف عن تقمص الأنا . (١٨) إلا أن الانتباه إلى استخدام المرضى للضمائر قد تكون له مميزات الخاصة . ويمكن لنا أن نقول إن انهماك فرويد في التحليل الدقيق للأكروبات اللغوية المتضمنة في الطعن في الذات الملكية لم يأت صدفة - إن قواعد الرقابة في هذه الطريقة الملكية في الكبت تنطبق بصورة أوضح على أية صورة من صور الكلام المباشر . ويمكننا أن نحدد بزوغ الرواية السيكلوجية ، ذلك الجنس الأدبي الذي يحتفل بالذات الفردية ويستنطقها ، بوضعها على محور تلك الأشكال : رواية الرسائل ، القواعد التي تحكم تمثيل الديالوج ، إلى آخره . كان فرويد بتقديم مقولة الطعن في الذات الملكية ، يستثير

علاقة معينة بين الذات الناطقة ، يطلب الملكُ المستبدُّ أن يخضع كل رعيته لرغبته . إذا سمح لواحد من الرعية أن يستشهد بآخر قال 'الإمبراطور أحمق' ، فسيتم خلق منزلة مميزة للذات ، وربما يكون لذلك أصداء على مستوى المطلق ؛ وستخلق احتمالية وجود جموع أخرى تقف بجانب ميدان العاهل ، حيث سيجبر ، بقاعدة تمييز ذات عن أخرى ، على الاعتراف باحتمالية أن يتحدثا [هو والذات الأخرى] معا . وهذه المنزلة - وأنا هنا أستخدم عن قصد المصطلح الذي استخدمه فرويد في سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا *Group psychology and the analysis of the ego* - هي الأنا العليا ، العامل الذي يتيح احتمالية وجود الكلام غير المباشر: الضمير ، الذي يجعلنا نتوجه إلى الشخص الثاني الحميم ، ومن ثم تنشأ الوظيفة السردية المحايدة . (١٩) ويتعبير آخر ، يعزى تحريم الكلام غير المباشر إلى محاولة تحريم بعض العلاقات الخيالية بين الذات ، مما يتطلب توجيه الكلام كله إلى الملك . ومن الضروري وجود بنية مماثلة لتوضيح بعض المفاهيم عن علاقة المرء بالرب : وبدون قانون التجديف ، لن يعرف الرب ما إذا كان الكلام موجها إليه أم لا .

ومع ذلك ، يتبنى المحلل النفسي صورة المرأة لتوضيح وضع الملك المستبد ، أي أن القاعدة الأساسية ترى فيه شخصا يمكن لنا أن نوجه إليه كل أشكال الكلام ، أي أن المحلل ، بدايةً ، لا يعرف فرقاً بين الكلام المباشر والكلام غير المباشر ؛ إذا قال امرؤ : " ثم قالت : "إن مفتاح شخصيتك يكمن في حقيقة أنك تجيد الرقص" ، فقد يتجاهل المحلل علامات التنصيص تجاهلاً تاماً ، ويفهم العبارة باعتبارها صادرة عن 'الذات' نفسها وهذا هو حالها حقاً في تلك اللحظة نفسها . إن المحلل يسمع كل شيء كما لو كان موجهاً إليه مباشرة ، مثلما يفعل الملك تماماً . إن هذا التعرف على القياس التحليلي التقريبي أو على شفرته يجعلنا نفهم بصورة أوضح قوانين اللاشعوري كما صاغها فرويد : في اللاشعوري لا توجد افتراضات (٢٠) أو أزمنة نحوية tenses (٢١) ، لا يوجد إنكار (٢٢) أو استشهاد ، توضع " إذ " و " لكن " و " كما لو " في الخطاب اليومي على محور مختلف عن محور بناء الجملة ، كما بين فرويد ذلك بأسلوب يقيني ، في عبارة توضح أنه لم يكن بمنأى عن الفلسفة كما كان

يزعم أحياناً وأنه كان يدرك حقاً تعقُّد الموضوع الذي كان يؤسسه تعليقه على اللاشعوري "حتى فينومينولوجيا الأفكار الاستحواذية لم تكن قد لفتت الأنظار بالقدر الكافي" (٢٢) إن المحلل ، من ناحية ، يتجاهل الإنكار ويعالج علامات التنصيب اللامرئية في أسلوب الكلام غير المباشر كما لو كان الكلام مسموعاً ؛ ولكن المحلل قد يحاول ، من الناحية الأخرى وكما رأينا ، أن يعيد بجدية علامات التنصيب أو الافتراضات التي سقطت في عملية الحلم إلى كلام المريض . إن المحلل يتجاهل تركيب الجمل حتى يسمع اللاشعوري ، ويعيد بناءه حتى يفهمه . إن تدخلات المحلل لها هذان الجانبان دائماً : إنه ، من ناحية ، حر في تشويش الصورة الفنتازية للـ اللغة الذي يُعاقب بصورة عشوائية بصرف النظر عما يقال ، وبصرف النظر عن أسلوب صياغته . وهذا المحور الفنتازي هو العلاقة الخيالية لضمير المتكلم مع الأب . ومن الناحية الأخرى ، يسعى كل تدخل إلى إتاحة احتمالية لوجود اكتشاف نفهم من خلاله ما يقال " لضمير المتكلم " - سواء أكان من لاشعوره أم كان من فم المحلل - من موضع الآخر ، من مصادر اللغة .

II

في كتاب اللغة وأصول التحليل النفسي *Language and the origins of psychoanalysis*، ابتكرتُ تعبير الأسلوب 'الافتراضي' أو 'النحوي' للتحليل، لأصف الانشغال بالنحو، والتحويلات الأساسية للافتراضات التي توجد في بحث فرويد عن حالة شريبر Schreber وفي نصوصه الأخرى. يبين فرويد في حالة شريبر أن الافتراض الأساسي للذهان الذي يعاني منه يكمن في التحول المشوه الذي طرأ على جملة: "أنا أحبه".^(٢٤) ومن الواضح أنها طريقة نصية، إننا نرى غالباً أن فرويد يستخدم استعارات مستمدة من الكتب حين يتكلم عن نص العُصاب. ومن أبرز هذه الأمثلة، في الحقيقة، حين شبه الإحالة في التاريخ المرضي لحالة دورا، بطبعة جديدة لنص قديم. (٢٥)

يمكن النظر إلى تلك العملية التي ناقشتها كثيراً، حيث تتم رؤية عمل المحلل باعتباره شكلاً من أشكال تحليل الضمائر النحوية يقترن بتحليل تركيب الجمل، أو باعتباره تأرجحاً بين اختزال تركيب الجملة والتوسع في تركيب الجملة، يمكن النظر إليها باعتبارها امتداداً لهذه الطريقة، وتعميقاً للتحليل الذي قدمته. إلا أن ثمة شيئاً مضللاً في هذه النماذج التحليلية. ويوجد، بالمثل، شيءٌ مضللٌ في بعض طرق قراءة أعمال لاكان وتفسيرها. اشتهر جاك لاكان بالتأكيد على أهمية اللغة بالنسبة للتحليل النفسي. ومن عباراته المشهورة نتوقف عند: "يبنى اللاشعوري كلفة" أو "اللاشعوري خطاب الآخر". وإذا توغلنا أبعد من ذلك في النظرية البلاكانية، فسوف تواجهنا تعقيدات نظرية الدال. وقد صرنا بفضل بعض النصوص التفسيرية على اطلاع، إلى حد ما، على قراءته اللسانية لبعض المفاهيم التحليلية الأخرى، كمقولة إن الكبت استعارة والرغبة كناية.^(٢٦) وبرهن لاكان أحياناً على أنه كان يعود إلى فرويد، مزوداً إياه بنسخة منهجية واضحة من اللسانيات-اللسانيات البنيوية عند سوسير وياكوبسون-ليرد إلى فرويد ما كان فرويدياً حقاً. وبعد ذلك يأتي الدال وعلاقته

بالمدلول ونظرية المعنى الرمزي والواقعي . وقد حظيت هذه الجوانب من نظرية لاكان ببعض الاهتمام واكتسبت بعضاً من سوء السمعة نتيجة الصعوبة الفائقة في كتابات لاكان وفي نظريته . (٢٧) وأعطت أيضاً انطباعات - انطباعات نتيجة السمعة الأوسع التي اكتسبها لاكان في البلاد الناطقة بالإنجليزية في الدوائر غير التحليلية أكثر مما في الدوائر التحليلية أو العلاجية - بأن لاكان منظرٌ بالأساس وأن لكتاباته في معظمها نتائج غير مباشرة بالنسبة للممارسات الفعلية للتحليل النفسي . ونسعى في هذا الفصل إلى توضيح العكس - لم يكن اهتمام لاكان الرئيسي بنظرية التحليل النفسي كنسق معقد ، سواء أكان نسقاً للأنثى أم كان نسقاً للذكر ، ولكنه كان يركز بالأحرى على كيف يصبح المرء محللاً .

ومن ثم ، قد أسأل : لماذا تنأى كتابات لاكان إلى هذا الحد عن معظم الكتابات التحليلية ، حيث يتم تقسيم المرضى بين الأنا egos والهو ids ، أو بين اللاشعوري unconsciouses والشعوري consciouses في النظرية التحليلية الكلاسيكية (أو إلى مختلف أنفس selves تلك الأخيرة) ، أو هل موضوعات تاريخ الحالات الإكلينيكية تمثل حكايات عن الحياة والعلاج ؟

وتكمن الإجابة في إدراك لاكان أن الكلام هو مادة عمل المحلل وأن وظيفة المحلل أن يسمع ويتدخل . على المرء ، وهو يعلم المحللين ، أن يتعلم ، مثلما فعل لاكان منذ أواخر الأربعينيات في سيميناره الأسبوعي ، أن يتعلم كيف يسمع وكيف يتدخل : كيف يتفوه بالكلام المناسب في اللحظة المناسبة . وسوف تحاول مختلف نماذج المواجهة التحليلية تقديم فكرة عن كيفية تحقيق هذا الهدف . ومن الواضح أن معرفة ما يعتقد المحلل أنه مرجع التدخل ومعرفة لمن يُوجّه التدخل من العوامل الحاسمة في اكتشاف المحلل للطريقة المناسبة للتدخل .

إن كلام الجلسة التحليلية هو ما تتجاهله قراعتي المنهجية لفرويد وما تتجاهله قراءات لاكان المفرطة في نظريتها . لقد اهتم لاكان ، وهو في ذلك لا يشبه المخلصين من أتباع سويسير ، اهتم بالكلام (parole) واللغة (langue) على حد سواء . (٢٨) وسوف أبرهن الآن على أن مفهوم لاكان للكلام كما يوجد في 'تقرير روما' وهو بحث واعد - عنوانه : 'وظيفة الكلام واللغة [langage]' ومجالهما في التحليل النفسي - وفي مواضع كثيرة من سيميناره يرتبط هذا المفهوم ارتباطاً قوياً بفكر هايدجر ، وهي

حقيقة ذكرها آخرون ، ^(٢٩) بالإضافة إلى أنه ذو صلة قوية بمفهوم أفعال الكلام كما صاغه أوستن في الوقت نفسه تقريبا .^(٣٠)

في "تقرير روما " فهم لاكان نقطة البداية المطلوبة في فكر المحلل في كلام الجلسة على النحو التالي :

حتى إذا لم يوصل الخطاب شيئا فإنه يمثل وجود التواصل ؛ وحتى لو أنكر الدليل ، فهو يؤكد أن الكلام يمثل الحقيقة ؛ وحتى لو كان بهدف الخداع ، فالخطاب يتأمل الصدق في العبارة .^(٣١)

ثم نظم لاكان مناقشته لوظيفة الكلام في التحليل حول ما أطلق عليه المفارقات الثلاث في علاقة الكلام باللغة .^(٣٢) وأولى هذه المفارقات حين 'قام' كلام الشخص 'بمحاولة للإعلان عن نفسه' -ذهان ما يطلق عليه لاكان تشيؤ objectification الذات في لغة بدون جدل .^(٣٣)

والمفارقة الثانية في العلاقة بين الكلام واللغة تتمثل في دراسة العُصَاب ، الحقل المتميز للممارسات التحليلية ، حيث يتم انتزاع الكلام من الخطاب العياني الذي ينظم شعور الذات ، ويجد دعامته في الوظائف الطبيعية للذات أو في الصور الذهنية . إلا أن لاكان يؤكد أن هذا الكلام ، على العكس مما يحدث في الذهان ، 'يوظف توظيفاً كاملاً ، لأنه يتضمن خطاب الآخر وغموض شفرته' . ثالثاً ، قد تفقد الذات معناها في تشيؤ objectifications الخطاب . وهنا تكمن أعماق أشكال اغتراب الذات في حضارتنا العلمية .

إن مفهوم اضطراب الآخر هو السمة المشتركة للخصائص الثلاث التي تميز الاضطراب في علاقة الكلام باللغة ، ومفهوم لاكان عن اللاشعوري هو بالضبط : اللاشعوري خطاب الآخر .^(٣٤) ولكن لهذا المفهوم هنا معنى قريباً ملموساً - ثمة خطأ يحدث حين نخاطب الآخر . وهذه الاعتبارات - الوظيفة التواصلية للكلام ، بعض مفاهيم اللغة المقيدة بشدة ، وكون الخطاب غير مناسب ويخطئ الهدف - وهي اعتبارات نظرية أفعال الكلام أيضاً ، كما تُستهلُّ بسؤال أوستن كيف تصنع أشياء بالكلمات .

إن أعمال أوستن تمثل بداية لنقد تجسيد reification الخطاب الموجود في الكثير من نظريات اللغة المتأثرة بالوضعية المنطقية والأعمال الأولى لفيتجنشتاين ، التي يرى فيها أن اللغة وصفية ، في المقام الأول ، أو تجسيدية constative . وبهذا المعنى تشير مناقشته إلى ثالث اضطرابات اللغة والكلام عند لاكان : اغتراب الذات في العلم . يسعى أوستن إلى وضع حد للنزاعات المسيطرة على الادعاءات الوضعية التي تقصر تقسيم العبارات إلى عبارات صائبة وأخرى خاطئة . وبدلاً من إدراك الكلام باعتباره عبارات نختبر صوابها أو خطأها ، بين أوستن أن معظم الكلام ليس له علاقة بالصواب أو الخطأ .^(٢٥) وكانت لمناقشاته أحياناً وظيفة حاسمة : كالوظيفة العلاجية التي يعزوها فيتجنشتاين للفلسفة ، وظيفة تسعى إلى شفائنا من بعض العادات اللغوية الرديئة . وتحقق ذلك بفطنة مميزة .

اعتاد الفلاسفة ، بالطبع ، أن يتحدثوا كما لو كنا ، أنت أو أنا أو أي شخص ، نستطيع إعلان أي شيء عن أي شيء وسوف يكون ذلك في موضعه الدقيق ، إلا أن ثمة سؤالاً بسيطاً : هل هو صواب أم خطأ ؟ وبجانب السؤال البسيط ، هل هو صواب أم خطأ ، توجد بالتأكيد أسئلة من قبيل : هل هو في موضعه المناسب ؟ هل تستطيع أن تعبر عن أي شيء ؟ افترض مثلاً أنك تقول لي "أشعر ببعض الفتور هذا الصباح" . حسن ، سوف أقول لك 'لست فاتراً' ؛ وسوف ترد "أى هراء تقصد ، ألسنتُ فاتراً ؟" وسوف أقول "أوه لا شيء - لم أقل إلا أنك لست فاتراً ، هل هذا صواب أم خطأ ؟" وسوف ترد 'انتظر لحظة سواء أكان ذلك صواباً أم خطأ ، فإن السؤال هو ماذا كنت تقصد بالتعبير عن مشاعر شخص آخر ؟ قلتُ لك أشعر ببعض الفتور . ولست في وضع يجعلك تقول أو تعلن أنني لست كذلك' . وهذا يعني أنك لا تستطيع التعبير عن مشاعر الآخرين (إلا أنك تستطيع أن تخمن شيئاً بشأن مشاعرهم إذا كنت ترغب في ذلك) ...^(٢٦)

لكن أوستن طوّر أيضاً نظرية أصيلة عن الكيفية التي يعمل بها الكلام . وبدلاً من العبارات التي تنقسم إلى صواب وخطأ ، برهن على أن معظم ما نتفوه به فعل ، إنه ينجز - ومن ثم أطلق على ما نتفوه به 'المنجزات performatives' . واختار أمثلة

لتوضيح كيف تكون أفعال الكلام تعليمية : إن عبارة «أقبل I do» تمثل عملية الزواج حين تنطق في حفل الزواج ؛ وتمثل كلمة ' Done!' "خلاصة لقبول الرهان ؛ وعبرة ، أسمى هذه السفينة مستر ستالين ' - هي عملية تسمية للسفينة وليست وصفا لها . والوعد هو الفعل الأكثر نموذجية وبروزا-ليس الوعد تعبيراً عن العالم ، إن التفوه بالوعد هو بكل وضوح عملية الوعد نفسها . (٢٨)

وهكذا لا يمكن ترجمة مثل هذا الكلام أو نسْخُه في شكل يجعله يبدو وكأنه وصف - لا توجد كلمات أخرى تؤدي الدور الذي تقوم به في مثل هذه الظروف . ولا يستطيع المرء أن يقول : 'أعلن أنني أقبل' ، أو 'أعتقد أنني على صواب في تسمية هذه السفينة مستر ستالين' . إن هذا الكلام ما عاد يشبه فعل الكلام الذي كان يسعى إلى نسْخه ؛ إنه لا يعادل عملية الزواج أو التسمية-إنه الآن شاهد على فعل الكلام الذي يخطئ الهدف .

ويمكن القول عموماً ، إن التوأم الذي كان ينتقده أوستن في هذه النظرية هو ، أولاً ، الفكرة الوضعية عن اللغة بوصفها متوقفة على تقريب هزيل للعبارات العلمية ، وثانياً ، مفهوم أن الكلام تمثيل للحالات النفسية الداخلية . وقد ساهم لاكان في هذا النقد المزيج : وقد دمجهما معا ، في الحقيقة ، في نقده لمفهوم الحالات النفسية الداخلية ، المفهوم الذي ظهر في سيكولوجيا الأنا العلمية في أمريكا بعد الحرب ، الذي جسد الحركة الجدلية التي فجرها الديالوج التحليلي . وهكذا حين ينتقد أوستن الرأي القائل بأن عبارة «أقبل I do» حين تقال في حفل الزواج تمثل تقريراً عن الحالة الداخلية للذهن وهذا التقرير إما أن يكون صائبا أو خاطئاً ، يعرف أن هذا الرأي تتبناه ، ضمناً ، الوضعية الأخلاقية ، وهو رأي لا يمكن أن يقبل أن تكون اللغة كفيلاً الخاص . ويوضح أوستن ببراعته المعتادة كيف أن مثل هذا الرأي الروحاني اللاأخلاقي قد يتيح لشخص يتزوج أن يتخلص من عبء المضارة بأن يقول : "إن حالتي الروحية الداخلية لم تكن تمثل التأكيد الصادق الذي ربما يكون تفوهي بالكلمات جعلك تؤمن به "وقد بين أوستن منسجماً في ذلك مع الفكر القانوني ، كما هو الحال غالباً ، بين الأسباب الكامنة وراء عدم كفاية هذا الدفاع . إن كلمتنا في

حفل الزواج ، وفي كل أفعال الكلام في الحقيقة ، هي الرباط الذي يربطنا .^(٣٩) وهكذا ، تتفوق كلمتنا على كل التأملات حول الحالات الباطنية .

إن فلسفة أوستن القانونية عموما ، حيث تكون كلمتنا هي رباطنا وحيث تتطلب الحياة الاجتماعية نوعا من التوقع بأن ما نقوله إذا لم يكن يمثل الحقيقة كلها فإنه سيكون على الأقل شبيها بها ، تتناغم هذه الفلسفة مع سلوكية فيتجنشتاين (إن معنى الكلمة هو استخدامها) ، وهكذا تقترب من مفهوم التعاقد بين الأشخاص ، ومن الرأى شبه الديني عن تفوق الكلمة ويكرر لاكان هذه الموضوعات وينقحها في مفهومه للخطاب التحليلي . يتحدث لاكان عن القانون الرمزي الذي تجسده اللغة ، وعن الدور الحقيقي للشهادة ، وعن الوظيفة الاجتماعية لكلمة السر . ولا توجد وظيفة من هذه الوظائف ضمن التعليقات البنيوية على اللغة وهي تعليقات تزعم أنها تحلل قوانين اللغة *langue* (على نحو يكفي غالبا لتبدو كما لو كانت لغة *langage*) : يشترك كل من أوستن ولاكان في إدراك أن التفوه الفردي باللغة ، أي الكلام *parole* ، ليس مجرد شواهد ، كما جعل سوسير البعض يعتقد في ذلك ، لكن الكلام يمثل القلب من دراسة اللغة . ويتضح أيضا أن لاكان وأوستن لم يختارا السير في المسار الذي اتبعه علماء اللغة الاجتماعيون بعد تشومسكي ،^(٤٠) أو الإثنوميثودولوجيين ، [الإثنوميثودولوجيا *ethnomethodology* : فرع من علم الاجتماع يسعى لفهم الحس العام لبنية المجتمع وتنظيمه- المترجم]: ورفض كل من أوستن ولاكان اعتبار التعليق الوظيفي على 'التواصل' مفهوما أساسيا يشبه المفهوم الكانتي بالنسبة لتحليل المنطوق .^(٤١) إن لاكان ، المحلل النفسي ، لا يمكن أن يفترض في لحظة أن اللغة تنجح في التواصل ، مثلما قد يفترض ذلك أي تعليق وظيفي :^(٤٢) إن الوجود الحقيقي للتحليل النفسي دليل دائم على فشل التواصل . إن تحليل أوستن ، ذلك التحليل البارع لا يدعنا ننسى أبدا أن أفعال الكلام تُخطئ الهدف ، وهي أفعال باطلة ومزعومة وجوفاء وزائفة وفارغة وأن إساءة الفهم قاعدة بقدر ما هي استثناء ، والهدف في معظم الأحيان يتمثل في فحص قاعدة الفهم وتبسيطها . حين يتوغل شخص في طقوس احتفال الزواج ويكون قد تزوج من قبل ، نقول ، طبقا لمفاهيم أوستن ، إن الاحتفال فارغ أو

إنه بدون فعالية .

وهذا لا يعني بالطبع أن نقول إننا لن نفعل شيئا : سيتم فعل أشياء جملة- سنرتكب فعل المضارة بشغف أكبر- لكننا لن نرتكب الفعل المزعوم ، أى الزواج . لأنك برغم الاسم لا تتزوج مرتين حين تكون متزوجا من امرأتين في وقت واحد [من الواضح أن المسألة تتعلق بسياق اجتماعي وثقافي محدد- المترجم] . (باختصار ، إن جبر الزواج جبر بولي BOOLEAN [نظام جبري طوره عالم الرياضيات الإنجليزي جورج بول في القرن التاسع عشر وينسب إليه- المترجم] .)^(٤٣)

ويتضح أن هذه التصويبات الخاطئة ، والاستخدامات الخاطئة ، والإنجازات الخاطئة ، والتنفيذ الخاطئ أبناء غمومة من الدرجة الأولى لمجموعة أخرى من الظواهر اللسانية عزلها فرويد وأعاد تعميدها : الأخطاء ، أخطاء التسمية ، نسيان المواضع ، أخطاء الطباعة ، أخطاء القراءة- أو ما يعرف بالزلات الفرويدية .

إن تركيز أوستن على المنجز غير الناجح ، وهو نتيجة طبيعية لرأيه بأن هذه المنطوقات أفعال acts ، وهي من ثم ، شأنها في ذلك شأن كل الأفعال التقليدية ، معرضة للفشل ، هذا التركيز يمنعه من تبني مفهوم خادع عن الكلام يرى أنه ينجح دائما . ومثل كل ما يذيب الفوارق ، يبطل هذا التفسير الوظيفي دوره ، حيث أن مفهوم النجاح الحقيقي يتحطم إذا لم يكن هناك فشل .^(٤٤) ولكن ثمة مفهوما آخر عن اللغة وهو مفهوم شائع للغاية يتعرض حين تسلب قوته ألا وهو أن المتكلم والمستمع في موضعين متماثلين . إذا كان التحدث يعمل ، بدلا من أن يكون التفوه نطقا لعبارة عن العالم تغرس في عقل الآخر أو تنقل إليه بعد ذلك ، فإن طرفا واحدا يستطيع أن ينجز هذا الدور- بصرف النظر عن الشق الذي يكون على الآخر أن يلعبه، ولن يكون [هو أو هي] أداة . إن بعض أفعال الكلام تُحدِّدُ ، في الواقع ، من الحرية المفترضة للمستمع في عملية النطق بها : يحدد أوستن مفهوما لأفعال الكلام التعبيرية سمته البارزة هي قدرته على تحويل الآخر أثناء عملية النطق .^(٤٥) إن نقد أوستن ، ذلك النقد المزدوج للعلم والميثولوجيا المرتبطين بالحالة العقلية الداخلية ، يستفيد مرة أخرى من هذا

الاستنتاج . إن قابلية أي موضوع معرفي محدد ، قابليته للإحلال المتبادل على نحو كامل تمثل أحد الأسس الإستمولوجية للمعاهد وللمناهج العلمية ؛ ويمثل الاحتياج المثالي الدقيق للتجارب القابلة للتكرار ، ومفهوم الوسط الديموقراطي للعلماء ، جزءا من الأداة التي تحقق هذا الشرط الإستمولوجي . ويكشف تعليق أوستن عن أفعال الكلام مدى غرابة مثل هذا المفهوم عن الإنسان في الاستخدام اليومي للكلام . وتحتاج تأويلات الوضع التحليلي المرتبطة بهذا المثال العلمي عن التماثل ، تحتاج إلى مثال يصور تلك الحالات الذهنية الداخلية التي يتم تقليدها ، بطريقة شاحبة أو بغيرها من الطرق ، في عقل من يسمع المنطوق . وهو ، بالضبط ، مثال التحليل النفسي كتواصل بين أنا ego وأنا ego ، أو بين اللاشعوري واللاشعوري وهو المثال الذي هاجمه لاكان .^(٤٦) وقد ركزت مقاربة لاكان لهذه المسألة على مستويات معينة من فعل الكلام حيث تسلك الضمائر النحوية سلوكا غامضا بعض الشيء .^(٤٧)

إن سلوك الضمائر ، ذلك السلوك الخاص الذي أكد عليه لاكان كان شيئا ما دعاه " الكلام المؤسس - founding speech " وهو كطراز بدائي شكل من أشكال تسمية الآخر وهو أيضا تحول للذات .^(٤٨) إن الكلام المؤسس يحول كلا من الطرفين في عملية القول .

إن الشكل الذي تفصح به اللغة عن نفسها يحدد الذاتية...إنه ينتسب إلى خطاب الآخر . وحيث أنه على هذا النحو فإنه يتوارى في الوظيفة الأعلى للكلام ، وبقدر ما يورط الكلام مؤلفه في محاصرة الشخص الذي يتم توجيه الكلام إليه بواقع جديد ، وعلى سبيل المثال ، حين تسم الذات نفسها بشاراة الزوجية بعبارة "أنت زوجتي" . وهذا الشكل هو بالأحرى الشكل الجوهرى الذي ينبثق عنه الكلام الإنسانى كله وليس الشكل الذي يصل إليه .^(٤٩)

ويلقى التعليق التالي الضوء على تلك الفقرة من "تقرير روما" للاكان ، وهو التعليق الذي كتبه مولر Muller وريتشاردسون Richardson :

ما الشكل *la forme* ، الشكل الجوهرى *la forme essentielle* الذي يمثل القضية التي نحن بصدددها ؟ يبدو أنه سيكون ، طبقا لأمثلة لاكان ، ضمير الشخص الثانى المفرد [أنت ، أنت] حيث يتطلب ذلك فتح مجال يتضمن الآخر

بأسلوب جذري بحيث تعني مخاطبة الآخر (ليس فقط بالتصريحات الجلية)
حصاره بواقع جديد ، بدور جديد ، دور المستجيب على الأقل . (٥٠)

يتم تحويل الآخر ؛ لكن الوجه الحاسم للكلام المؤسس في رأي لاكان هو أن الذات ،
أيضا ، يتم تحويلها ، وتستدعي مثل هذه القضايا بالضرورة قضية أخرى ، تتعلق
"بضمير المتكلم" : "أنا زوجك" . وهذه المنطوقات بكل تأكيد أفعال تتم بواسطة الكلام
بالمعنى الذي يقصده أوستن ، حتى لو لم تشتمل على أفعال نحوية منجزة ؛ وهي في
الواقع تتجاوز تلك الأفعال acts التي درسها على نحو أدق ، تتجاوزها في تضمينها
بالضرورة لكل من الذات والآخر في الفعل act . (٥١)

وبالطبع ، لن يعتقد شخص سليم العقل أن السؤال عما إذا كنت أقول الحقيقة
حين أقول: 'أحبك' يقتضي مني تأكيدا من نوع التأكيدات التي أقدمها حين يوجه إلي
سؤال عن قولي "ستبقى هذه الصخور خضراء حتى عام ٢٠٠٠" ، إن إدراك هذا
يؤكد وصف لاكان للتناقض بين الكلام واللغة :

حين تصبح اللغة أكثر وظيفية ، تصبح غير ملائمة للكلام ، وحين تصبح أكثر
خصوصية بالنسبة لنا ، تفقد وظيفتها كلغة . (٥٢)

يشير التحليل النفسي إلى تحول الذات . ويشير أحيانا إلى 'الكلام التام' - ينظر
الكلام المؤسس في نصوص لاكان :

إن الكلام التام full speech هو الكلام الذي يشير إلى الحقيقة ويشكلها
بالصورة التي يرسخها الآخر في عقل شخص ما . الكلام التام هو الكلام المنجز
(qui fait acte) . ثم تصير الذات ذاتا أخرى غير التي كانت من قبل . ولذا لا
يمكن تجاهل هذا البعد في الخبرة التحليلية . (٥٣)

يشير التحليل إلى تحول من هذا القبيل ، إلا أنه يقع فريسة للصورة الجانبية كنوع
من المباريات ، كشكل من أشكال اللعب ، كتجربة ، أو كتقليد وهمي للواقع . (٥٤) إلا أن
وسائله ، بصورة تنطوي على مفارقة ، هي وسائل غير الموثوق به وغير المسئول :

إذا كان المنهج التحليلي يشير إلى تحقيق الكلام التام فإنه يبدأ على مسار يقود

إلى اتجاه مضاد تماما ، طالما كان يرشد الشخص إلى تخطيط كلام يخلو بقدر الإمكان من أي احتمال للمسئولية ويحرره حتى من أي توقع لأن يكون موضع ثقة . إنه يدعو إلى قول كل ما يرد إلى ذهنه . وهو بهذه الوسيلة الأصلية يُيسّر ، وهو أقل ما يمكن أن يقال ، العودة إلى المسار الذي يكون ، في الكلام ، تحت مستوى الإدراك ويخص الطرف الثالث ، الموضوع.^(٥٥)

يمكن توجيه الكلام إلى طرف ثالث ، إلى الموضوع ، أو يمكن له توضيح البعد الذي يحقق فيه المتكلم والمستمع الإدراك المتبادل الذي يمثل شرطا مسبقا للكلام نفسه ، أو يكونان مازالا في عملية تحقيق هذا الإدراك ، أو يفشلان في تحقيقه . إن عملية التسمية نموذج للشرط الضمني الذي يتحقق في عملية الكلام ذاتها . حين أقول «أسمي هذه السفينة سفينة التحليل النفسي الرائعة» فإن ذلك يتضمن أن هذا هو الاسم الذي تطلقه عليها أنت أيضا-إذا لم تدعها أنت به ، فإنني لا أكون قد سميتها . ولكن ليس عليّ أن آخذ الإذن منك حين أطلق عليها ذلك الاسم ؛ ما أقوم به هو أن أتوقع موافقتك.^(٥٦)

وبصورة عامة ، يمكن أن نقول إن المحور الذي تدور حوله وظيفتا الكلام اللتان نحن بصددتهما هو «ضمير المخاطب you» : كمخاطب ، كمرأة لضمير المتكلم ، كنقطة للتوقف المنتظم باتجاه الطرف الثالث ، الشخص الثالث ، موضوع الكلام-ما يتكلم عنه المرء.^(٥٧) إنها حركة الكلام ، حركته المزدوجة التي يركز عليها لاكان هنا : تقدم الوظيفة الرمزية نفسها كحركة مزدوجة داخل الذات : يصنع الإنسان موضوعا للفعل الذي يقوم به ، وهو لا يفعل ذلك إلا ليعيد لهذا الفعل ، في الوقت المناسب ، موضعه كفعل مؤسس.^(٥٨)

إن ابتكار الموضوع ، أو الانتباه المناسب له ، يشغل الذات المتكلمة ، في معظم الأحيان ، لدرجة إقصاء الفعل المؤسس ، وهو الفعل الذي يتم خلاله تحول كل من المتكلم والمستمع .

وقد يظن المرء ، من الأمثلة التي اختارها لاكان ، أننا في الكلام المؤسس نتعامل مع المصطلحات الثنائية كما حددها القاموس : السيد/التابع ، الزوج/الزوجة . ولكن

لاكان يقدم مثالا آخر في السيمينار الثالث يشير إلى أن تلك التأثيرات ، مع أن تلك الأمثلة تقدم أبرز الشواهد على تحوُّل الذات بسلطة الآخر ، لا تقتصر على تلك الثنائيات ، وأن للتفوه بجملة مؤسسة من هذا القبيل تأثيرات بالغة الدقة . ويقترح الجملتين التاليتين :

١- "أنت الذي تتبعني Tu es celui qui me suivras"

٢- "أنت الذي يتبعني Tu es celui qui me suivra"

تعتمد الجملة الأولى على بناء لا يتوفر في الإنجليزية (وهو باروكي ونادر في الفرنسية) : لا يتفق الفعل مع اسم الإشارة للشخص الثالث المجهول في العبارة ، ولكنه يتفق مع ضمير المفرد للشخص الثاني في العبارة الأساسية main clause . وحتى يصف لكان الجملة الثانية ، فإنه يستخدم المصطلح الذي استخدمه أوستن : مصطلح تجسدي constative . تتحدث الجملة الثانية عن وضع مستقبلي لأمر من الأمور ، وتبدو وكأنها تصف هذا الوضع . 'أنت' من سوف يتبعني . ويكاد الأمر يبدو وكأن الشخص الأول كان يعطي وعدا بالنيابة عن الثاني ، وهكذا يتوقع قيام الشخص الثاني بهذا الأمر . إن التحدث عن وضع الأمور قناع لاغتصاب فعل الآخر مما يجعل فحوى التعبير يتحول بسهولة إلى اضطهاد : ذاك الشخص يتبعني . وتعني حقيقة أن الفعل يعود إلى الشخص الثالث ، تعني أن المسافة بين 'ضمير المخاطب Tu' الموجود والشخص (الثالث) التابع [للفعل] محذوفة ؛ ويتطلب هذا الحذف وجود 'ضمير المتكلم' المتضمن في الجملة ليتبنى وضعاً مناظراً .

تدلُّ الجملة الأولى ، التي تحتوي على 'تتبع' ، الفعل الذي يعود إلى الشخص الثاني على إيمان المتكلم بأن «المخاطب Tu» سوف يتبعه ، بينما تنم الجملة الثانية عن يقين المتكلم بدلا من الثقة . وقد نقول إن 'ضمير المتكلم' متورط في دعوى خاصة ضد الآخر ، 'أنت' ، أو في احتياج إليه . ويبدو هذا بصورة أكثر وضوحا في المثال الآخر الذي يقدمه لكان : «أنتِ المرأة التي لن تهجرني Tu es la femme qui ne m'abandonnera(s) pas» . وفي حين يعود الفعل ، «تهجر abandonnera(s)» ، إلى الشخص الثالث ، فإن التأكيد في " أنتِ المرأة التي لن تهجرني " يكاد يكون نوعا من

التهديد . ومع الفعل الذي يعود إلى الشخص الثاني ، يتم إعلان رغبة المتكلم ، رغبته في ألا يُهَجَّر ، إنه بدقة يعزو للآخر قدرا أكبر من الحرية .

يدعو لكان هذه الوظيفة اللغوية «توسل invocation» بكل ما يحمله المصطلح من دلالات دينية . ويضيف :

إن التوسل ليس صيغة خاملة . إنه الطريقة التي آتي بها إلى الوجود [je fais passer] في إيمان الآخر الذي هو إيماني .^(٥٩)

إنه ، بمصطلحات أوستن ، إيمان تعبيرى a perlocutionary faith . ولكن لاكان يلمح إلى بُعد العرف ، بعد التعاقد ، إلى ميثاق اللغة . لاشيء وراء الكلام الذي يؤسسه ؛ إلا أنه يبدو وكأنه يتأسس على ميثاق . وتجلب كل ممارسة للكلام معها احتمالية تحطيم الميثاق ، واحتمالية أن الآخر ينوي خداعي ، حتى وهو يقول الحقيقة . إن كلام أوستن واضح تماما فيما يتعلق بالأساس التعاقدى لأفعال الكلام ؛ ويتضمنه كلام سيرل Searle حين يشير إلى نظريات تقريرية للتواصل وإلى ضرورة مفهوم القاعدة لتحليل الأفعال الكلامية .^(٦٠) وفيما يتعلق بذلك يمثل الوعد مثالا نموذجيا بالنسبة لسيرل وأوستن ولاكان :

إن اللاشعوري خطابُ الآخر Other ، الذي تَسْتَقْبِلُ فيه الذات ، في شكل مقلوب يلئم الوعد ، رسالتها الخاصة المفقودة .^(٦١)

لماذا في شكل مقلوب ؟ إذا اعتبرنا الوعد تنظيما اجتماعيا للحاضر ، تنظيما لتأكيد يتعلق بالمستقبل ،^(٦٢) فإن ما يبرز هو قلب لعلاقات المستقبل والحاضر . لناخذ وعدا معروفا وأساسيا بكل ما تحمله الكلمة : " أعد بأن أدفع لحامله عند الطلب ما قيمته..." وإذا وُجِدَ أيُّ شخص في أي وقت في وضع يكون مضطرا فيه إلى هذا الطلب ، فإننا نعرف ، وكما يقال ، إن هذا الوعد لن يساوي قيمة الورقة التي كتب عليها . إن هذا الوعد المتعلق بالمستقبل فعل كلامي محض ، ولا يكفل علاقة التبادل المحض سوى واقع (مالي) ، بقدر انحراف الطلب إلى موضع آخر (عموما ، أو تعلقه بتنفيذ ما قدمه الوعد) ، في دائرة لا تنتهي تستمر بالوعد ويستمر بها . ووعد من هذا

القبيل ، وعلينا أن نصدقه حتى يعتبر نموذجا للوعود ، وهو الأكثر نموذجية بين كل الأفعال الكلامية ، يحدد كيف تكون عملية الكلام كفيhle الخاص ، ولا يمكن إلا لمخيلة البخيل ، جذر الواقعية الميتافيزيقية والواقعية الاجتماعية ، أن تتخيل أن قدرة البنك على أن 'يفي' بمثل هذا الوعد ستضعف إذا أصبح كل الذهب الذي في قبائه مُشبعاً . والثقة هنا نفسية في الواقع ، نتيجة اليقين بأن ذلك الوعد لن يتم التخلي عنه أبداً .^(٦٤)

وقد عبر لاكان عن ذلك بأسلوب آخر ، وربما يكون أبسط :

إنك تعرف تلك الرسائل messages التي ترسلها الذات في شكل يبنيها ويضبطها نحوياً ، بمجرد أن تصل من الآخر ، في صورة مقلوبة . حين تقول ذات لأخرى أنت سيدي أو أنت زوجتي ، فإن ذلك يعني العكس تماماً . إنها تمرُّ عن طريق الآخر Other وعن طريق الأنا ego ، ثم تؤثر في الذات ، التي تُتَّوَجَّ فجأة في وضع الزوجة أو التابع وهو وضع خطر ومثير للمشاكل .^(٦٥)

إن الثقة ، الميثاق ، العقد الاجتماعي ، مؤسسة الزواج ، "الحقائق المؤسسية"^(٦٦) - تجعل لاكان يستدعي إيماني باعتباري متكلماً ، في علاقتي بهذا الآخر وهو ليس "سوى الكفيل لحسن النية التي تستدعي بالضرورة ، حتى بواسطة المخادع ، بمجرد أن يصبح ميثاق الكلام ، وليس مسارات paths [passes] الصراع أو الرغبة ، هو موضوع المناقشة"^(٦٧) . ومن المؤكد أيضاً أنه لا يتطابق مع نقد سارتر للتحليل النفسي ، وقد اطلع عليه لاكان اطلاعاً كافياً إلى أبعد الحدود ، وهو نقد موجه إلى عدم كفاية التفسير الذي قدمه التحليل النفسي لسوء النية-باعتباره مشروطاً باعتراف الجميع بقراءته الميكانيكية للتحليل النفسي .^(٦٨) وهنا ، مرة أخرى ، تتضمن ممارسة التحليل النفسي قلباً غريباً بالصورة التي وضحتها من قبل ، نطلب من الذات في التحليل أن تتخلى عن أي عزم على الإخلاص ، وأن تتخلى عن كل كفاح من أجل الثقة .

في التحليل يبعد المرء عن ذهنه أي وسيلة للأمان في علاقة التحدث ، يتحاشى المرء الكياسة والاحترام والإحساس بالواجب تجاه الآخر . التداعي الحر free association ، وياه من مصطلح شديد الفقر فيما يتعلق بتوضيح ما يتم تضمينه-إننا نحاول استبعاد وسائل الأمان في المحادثة مع الآخر . وبعد ذلك ،

تتحرك الذات في هذا العالم اللغوي الذي نورطها فيه .^(٦٩)

إن القاعدة الأساسية تحضُّ على التصرف بدون مسئولية ، مع أنها لا تتطلب ذلك . إلا أنها في هذا " الكلام الحر " ، المتحرر من وسائله الآمنة ، تستبعد ، ربما بطريقة يمكن تأكيدها ، فقدان الذات لروابطها . وهكذا تتضح روابط الذات ، نقط تماسكها points de capitons : في الكلام الموثوق به الذي تقدمه للمحلل ويحتاج إليه . وإذا بدا أن الذي يعاني من الأفكار الاستحواذية يعتقد أن اللغة اكتُشفتُ لتحول بينه وبين معرفة أي شيء ، حتى رغبته ، فإن الهستيري يجد في الكلام وسيلة فريدة لاختبار سذاجة الآخر ، وقاحته في الواقع ، واختبار تحديد ما إذا كان يمكنه أن يعثر على شخص يعطيه إجابة تختبر وجود حسن النية .^(٧٠)

ما المصطلح الأكثر ملاءمة للاستخدام في هذه النقطة المفصليَّة ؟ يؤيد سيرل بقوة مصطلح 'الالتزام' 'commitment' ؛^(٧١) ويستخدم لكان ، غالبا ، الفعل 'يجند' engager . إننا هنا نتعامل مع منطقة تتضمن روابط وارتباطات اجتماعية ، مع الأسمت الحقيقي للاجتماعي والمؤسسي-مع الرمزي . ويوضح لكان ذلك ببراعة فائقة فيما يتعلق بمريضة من مرضى بلنت لم تستطع الاستمرار في التحليل لأنها كانت تدرك ، وهي صائبة في ذلك ، أن الحديث المسئول سيكون مؤلما . وذات يوم ، ثرثرت أثناء التحليل أكثر من المعتاد ، واكتشف المحلل ما كانت تتلمص منه : التسليم بأن معها في حقيبتها رسالة ، مرجعا شخصا يقول إنها شخصية جديرة بالثقة . وهو ما لا تستطيع أن تجاهر به . ويستمر التحليل من تلك اللحظة . ويكتب لكان معلقا على ذلك :

وهكذا حتى لا تتورط ، وهي في عالم الراشدين ، حيث يمكن أن نقول إن المرء يجبر دائما على الكدح ، ثرثر بحيث لا تقول شيئا وبحيث تملأ الجلسات بكلام فارغ . ويمكن أن نتوقف لحظة للتفكير في حقيقة أن الطفل أيضا لديه ما يقوله . إن كلامه ليس فارغا . إنه ملئ بالمعنى مثل كلام كل الراشدين . إنه ملئ بالمعنى الذي يدهش الراشدين في الكثير من الأحيان-انظر ، ياله من طفل رائع ، ذلك الصغير الطو ! ألم تسمع ما قال في ذلك اليوم ؟ ... وربما يكون الكلام المدهش

الذي يتفوه به الطفل كلاما متعاليا transcendental، وحي من السماء ، جواب الإله الصفيير ، ومن الواضح أنه لا يورطه في أي شيء... في موقف الإحالة... القضية هي قيمة الكلام ، ولم تعد تقاس بقدر ما يخلق من التباس أساسي ، ولكن بقدر ما يؤدي وظيفة الرمزي ، وظيفة الميثاق الذي يربط الذات معا في فعل واحد . (٧٢)

وتتشعب هذه الشبكة من 'الكلام' في نص لا كان ، حتى نتمكن من رؤية تاريخ الذات ، تاريخها الكامل كسلالة من الاقتراعات والمواثيق ، حيث تدخل الذات ، إلى حد بعيد وبدون أن تعرف كيف حدث ذلك :

ليس على كل ذات أن تدرك العالم ، وكأنه يحدث برمته على المستوى الفكري ، ما عليها هو أن تعثر على طريقها فيه . وإذا كان التحليل النفسي يعني شيئا ، فهو يعني أنها تنهمك في شيء له علاقة باللغة لكنه لا يشبهها ، وعليها أن تعثر على طريقها فيه - إنه الخطاب العام . وغالبا ما أكدت أن الذات قبل ميلادها ، يُنظر إليها ليس باعتبارها رسالة ، ولكن باعتبارها أصغر جزء في الخطاب العياني . إنها برمتها تكمن في هذا الخطاب ، وإن شئت ، فهي رسالة . (٧٣)

ولا يستطيع المحلل أن يبقى على مثل هذا الوضع الأولمبي في الصراع المباشر في الجلسة . لفظ الخطاب العام - وانغماس الذات فيه ، بمعنى أن تكون فيه حاملة لرسائل أسلافها ، نتيجة لكل فسوق آبائنا وأجدادنا ، وغير ذلك من الحكايات المخزية التي منحت التحليل النفسي إثارته (٧٤) - إن هذا كله يشبه تكسر أمواج البحر الذي نسمعه ونحن نواصل السير بطول الطرق الساحلية التي تشكل خطاب الذات التحليلية المتحدثة وحياتها اليومية . وسوف يضطر المحلل إلى التقاط صدى حياة أفسدها رباط الزواج المحطم في اللامبالاة التي تصل إليها الذات متأخرة حين تسنح لها الفرصة . وقد عرف فرويد ، بالطبع ، كيف يسمع هذا اللفظ . وحتى في دراسات عن الهستيريا ، يمكن أن نقرأ ، بين السطور بصورة لا يمكن إنكارها ، وبدون جهد كبير ، كيف أن مس لوسي Miss Lucy R. المريية الي وقعت في حب مستخدمها الأرملة ، تشكّل عصابها نتيجة الوضع شديد الوطأة الذي وضعها فيه حفاظا على وعدها أو تحطيما

له ، ويمكن أن نسمع وراء ذلك لغط التقمص الشاق مع أمها :

«هل كان هناك شيء خاص ، بعيداً عن ولع الأطفال بك ، وراء ارتباطك بهم ؟»

«نعم . كانت أمهم قريبة لأمي من بعيد ، وقد وعدتها وهي على سرير الموت أنني سوف أكرّس نفسي للأطفال بكل ما أملك من قوة ، ولن أتركهم وسأكون في مكان أمهم . وقد حطمتُ بهذا الإعلان ذلك الوعد .» (٧٥)

إن مقولة لاكان عن 'الكلام المؤسس' تمضي خطوة أبعد من وصف أوستن لأفعال الكلام عموماً ، ولكنها خطوة في الاتجاه نفسه : إن الكلام المؤسس توسلٌ يتم فيه تعديل ضمير المتكلم وضمير المخاطب في الوقت ذاته . ويمكن أن ندرك المدى الذي تبعده هذه الخطوة عن أوستن بتأمل أحد أمثلة أوستن : حفل الزواج . إنه يقول كل شيء عن الزواج ، وعن احتمالية المضارة والظروف الاحتفالية التي تكفل إتمام الزواج وكل هذا منيرٌ ومُلِهٌ وعميقٌ . لكنه يستوعب سمة من أبرز سمات الزواج في مقولة عن العُرف لم تختبر : إنك حقاً تحتاج إلى شخصين يقول كل منهما «أقبلُ I do» ليتم الزواج ، أو كما يقال ، لينعقد الزواج .

ومهما يكن ، فإننا ندرك هذه الفكرة عن العرف وكأن كل ما تحتاج إليه لتتم هو أن تقف كل ذات بمفردها في الوضع نفسه وجهاً لوجه مع القاعدة التي تحكمها ثم تتبع هذه القاعدة، وتمحو الاعتماد المتبادل على نحو خاص ، حيث لا يتبع الطرفان القاعدة نفسها بصورة دقيقة . ومع ذلك ، يتزوج كل منهما الآخر ، ويرتبطان في مؤسسة الزواج . تخيل أن أحد الشخصين يقول «أقبل I do» بينما الطرف الآخر يفر من المذبح في اللحظة الأخيرة . ما الوضع الذي تحتله 'أقبل I do' الأولى حين تستعاد ؟ ومن الواضح أنها تستقبل الاعتراف كعهد مقدس من 'أقبل' الأخرى وليس من الحالة الداخلية ، حالة الإخلاص أو العزم . إن "أقبل" الأولى تتضمن ، بتعبير آخر ، شيئاً من قبيل بشرط أن تقبل أنت الآخر . وبالطبع لا يمكن لأحد أن يقول ذلك - لأن هذا القول يغير من طبيعة الفعل الكلامي . تخيل أن الطرف الأول قال "أقبل بشرط أن تقبل" سوف تدبُ الريبة بين الطرفين ، ويتم إيذاء بعض المشاعر العميقة . (٧٦)

إن الشاهد الخيالي يبين مدى قرب مثال أوستن ، المثال الأثير عن الزواج و

الرَّهَان والتسمية ، من النقطة الأثرية عند لاكان : أعني الرابطة الحميمة المتبادلة بين "ضمير المتكلم" و"ضمير المخاطب" في الكلام المؤسس .

III

إن الخطوة التالية التي أود أن أخطوها خطوة بسيطة ، لكنها أخطر خطوة ، إنها ستعود بنا إلى فرويد .^(٧٧) ويتمثل في أن هذا الاستخدام البارز للضمائر ، تحول المتكلم والمستمع ، في الوضع التحليلي يُدعى "إحالة" [أو طرحاً أو تحويلاً] transference . والشيء الحاسم هو أن المحلل يتفاعل مع هذا الانبثاق للكلام المؤسس ، ومع هذه الضمائر المحوَّلة ، على حد سواء بطريقة لافتة للنظر . والتحول ، في رأي لاكان ، يتم مباشرة من الكلام المؤسس إلى الإحالة . وكان يلمح إلى أن المحللين النفسيين كانوا (ومن المحتمل تماماً أن يكونوا) وحدهم ذوي حساسية مفرطة لبُعد الكلام المؤسس ، الذي تتحول فيه علاقة المتكلم والمستمع ، لأن ذلك هو ما تمثله الإحالة .

إن الإحالة الفعالة التي نضعها في اعتبارنا هي بكل بساطة ، في جوهرها ، فعل الكلام . وفي كل مرة يتحدث فيها إنسان إلى إنسان بصورة مكتملة تدعو للثقة ، توجد ، بالمعنى الحقيقي، إحالة ، إحالة رمزية-شيء ما يتم ويبدل طبيعة الاثنين الحاضرين .^(٧٨)

وأحد التعريفات المناسبة للإحالة ، رغم بساطته ، هو : الإحالة هي أية إشارة من المحلل إلى شخص المحلل ، أو إلى الموقف الحالي الذي يدور فيه الديالوج .^(٧٩) ولنأخذ مثالا بسيطا : ^(٨٠) حين ذكر فرويد في كتاباته ، للمرة الأولى ، شيئاً يسميه الإحالة .

في مريضة من مرضاي يكمن أصل أحد الأعراض الهستيرية الخاصة في أمنية كانت تتمناها منذ سنوات طويلة واستقرت في اللاشعوري ، كانت تتمنى أن يبادر الرجل الذي كانت تحدثه في ذلك الوقت بتقبيلها في جراحة . وذات مرة ، في نهاية إحدى الجلسات ، وردت إلى ذهنها فكرة مماثلة تتعلق بي . وأصيبتُ

بالهلع نتيجة لهذه الفكرة ، وقضت الليلة مؤرقة ، وفي الجلسة التالية، كانت غير متعاونة على الإطلاق مع أنها لم ترفض العلاج . وبعد أن اكتشفت العقبة وأزلتها ، تقدم العمل معها بصورة ملحوظة ؛ يالها من أمنية أصابت المريضة بالرعب إلى هذا الحد ، أمنية ظهرت وكأنها تالية لحالتها المرضية وهي الأمنية التي تطلبها السياق المنطقي المباشر .^(٨١)

يوجد ، دائما ، شيء موحش إلى حد ما في هذه الفقرة . يتجاهل فرويد ، في صمت ، الوسيلة الدقيقة التي أزال بها العقبة ، ويأخذنا بعد ذلك إلى فخامة الخطابة 'يالها' مع أن عليّ أن أقول إنها إضافة إلى الترجمة الإنجليزية ، إضافة لا مبرر لها مع أنها لا تشذ عن النغمة الأصلية : ربما أضافها ستراشي Strachey ليؤكد شعور فرويد بالراحة بمجرد التغلب على تلك العقبة . ماذا كانت العقبة ؟

كانت المريضة تفكر : 'لماذا لا يبادر ويقبّلني ؟' ثمة شيء فريد في هذا النوع من التفكير : هل تتحقق الأمنية بأن يبادر شخص آخر بتحقيقها ، ويكون بريئا من المسؤولية ؟ ويتعبّر آخر ، ألم يكن شقّ المنجز إلى المنتصف ، بحيث يبدو الآخر كآلة أوتوماتيكية عنيدة ، يعمل بمفهوم أوستن، ويعمل في الواقع منطلقا من أمنيات الآخر ؟ لأترك هذا السؤال جانبا : إن المفارقة متأصلة في المنطق الحقيقي للإغواء ، إنه اغتصاب (راجع الفصل الرابع [من الأصل الإنجليزي وهو بعنوان 'الاغتصاب والإغواء والتحليل النفسي' - المترجم]). إنه كالزواج تماما-إن لم يكن أكثر-لا يمكن أن تفعله وحدك .

ولكن لنعد مرة أخرى إلى العقبة وأمنية المريضة في قبلة . لاحظ أن ما يجعله فرويد يتذبذب في الأمنية هو "ضمير المفرد الغائب he"، مستعيرا دافعه من الحقيقة اللغوية التي ترى أن عملية التحدث هي التي تعطي هذا المحوّل shifter مرجعيته . وهكذا ، تتمنى أن يعطيها 'هو' قبلة. وهذه الأمنية هي السر وراء عذابها في ليلتها المؤرقة . كيف تغلب فرويد على هذه العقبة ؟ من الواضح أنه قادها ، بصورة غير محددة ، إلى التصريح بأنها تمت أن يقبلها ؛ وربما جعلها تنطق جملة من قبيل : "أريد منك أن تقبلني ." والأرجح أن فرويد ، ولأنه فرويد ، أعطاهم محاضرة من

محاضراته البسيطة في السيكولوجيا (مثلما فعل مع رتمان ، في الجلسات التي ناقشناها في بداية هذا الفصل) ؛ لكن جوهر تلك المحاضرة لابد أن يكون شيئاً على النحو التالي : لستُ 'أنا' من تتمنين تقبيله-ثمة خطأ في الضمير الذي تستخدمينه هنا . وينشأ الخطأ عن شيء لا تدركينه ، عن شيء لاشعوري-إن 'ضمير المتكلم' في جملتك لا يريد الاعتراف .(٨٢)

حدث شيء معقد ، وقع "خطأ" (لأنه ، رغم كل شيء ، من سيقول له إنه يشير حقاً؟) مع الضميرين ، 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب'-أي مع ما يعزى إليه تأويل الإحالة . إن وراء ما يبدو أنه 'ضمير المخاطب' المحدد يوجد 'ضمير الغائب' غير المحدد ، ويحدده الخطاب باعتبار أنه 'ضمير المخاطب' ويوضحه المحلل بأنه 'ليس أنا' ثم يسمح لمشهد الذاكرة بالانبثاق : إن 'ضمير الغائب' يصبح ذلك الرجل الآخر ، باسمه ، باسمه الحقيقي ، وبوصفه ، ويعبر فرويد عن هذا كله بوضوح وبراعة ، حين يلخص طبيعة العقبة على النحو التالي :

إنها تكمن في حثّ المريضة على التفوه ببعض المعلومات حين يبدو الأمر وكأن العلاقات الشخصية كانت موضع الاهتمام وحين كان الشخص الثالث يأخذ صورة الطبيب .(٨٣)

هنا يبدأ الشخص الثالث حياته التحليلية باعتباره شخصاً ثالثاً على المستوى التحوي . وعملية تصنيف ضمائر المتكلم 'I's' وضمائر المخاطب 'you's' وضمائر المفرد الغائب 'he's' هي عملية تحليل نحوي . إلا أنها أيضاً عملية تصنيف لأفعال الكلام التي على علاقة بالموضوع . ولا يكتفي فرويد بتفكيك الضمائر التي تمت إزاحتها وإحالتها ؛ إنه يجدد بُعد 'الأمنية' في الصورة المضطربة في ذهن المريضة عن الرجل الذي يقبلها . وعملية التجديد تلك هي التي تشير إلى أن التفسير يتضمن بُعد القوة مرتبطاً بأفعال الكلام .(٤٨) بينما كان فرويد يتأمل "فينومينولوجيا التفكير الاستحواذي" وهو تأمل ضروري لفهم مرضى الوسواس القهري وعلاجهم ، كتب:

...سيكون من الصواب أن نتكلم عن "تفكير المريض بالوسواس القهري" [بدلاً من الكلام عن أفكار الوسواس القهري]، وأن نوضح أن البنيات الاستحواذية

يمكن أن تتماثل مع كل أنواع الأفعال النفسية . ويمكن أن تُصنّف باعتبارها أمنياتٍ أو إغراءً أو اندفاعاً أو انعكاسات أو شكوكاً أو أوامر أو نواهي . ويسعى المرضى عموماً إلى تقليل الفوارق وإلى اعتبار ما يتبقى من هذه الأفعال النفسية بعد تجريدها من المؤشر العاطفي affective index 'أفكار الوسواس القهري'. وقدم مريضنا الحالي مثالا لهذا النوع من السلوك في إحدى الجلسات الأولى ، حين حاول تقليص الأمنية إلى مجرد شكل من أشكال 'تسلسل التفكير' .^(٨٥)

ويمكن لنا أن نقول إن هذه الصياغة تتيح لنا أن نتعرف على البعد العاطفي ، وعلى بعد الطاقة ، أو ما يدعوه فرويد في هذه الفقرة *Affektindex* [المؤشر العاطفي] ،^(٨٦) في العلاقات بين الطرفين . ويرجع ذلك إلى أن مقولة الكلام تغطي المجال نفسه الذي تغطيه مقولة العاطفة : مجال التمني والخوف والوعد والشعور باللذة والارتياح ، إلى آخره .^(٨٧)

وأودُّ الآن أن أنتقل إلى فقرة أخرى من تعليق فرويد على جلساته مع رتمان Ratman ، لأجمع كل هذه الموضوعات معا . والفقرة مقتبسة من الجلسة الثانية مع المريض . كان يحاول وصف الخبرة التي جعلته يبحث عن مساعدة فرويد . أثناء المناورات العسكرية ، التقى بكابتن كان مغرماً بالوحشية غراماً شديداً ، وحكى له قصةً عن شكل مروعٍ للغاية من أشكال التعذيب المعتاد في الشرق :

هنا توقف المريض فجأة ، وغادر الأريكة . والتمس مني أن أعفيه من سرد التفاصيل . وطمأنته بأن أعلنت له أنني لا أستسيغ الوحشية ، ومن المؤكد أنني لا أرغب في تعذيبه ، ومن الطبيعي أنني لا أستطيع أن أعرضه لشيء يفوق قدرتي . وربما كان يبدو ، بالضبط ، وكأنه يطلب مني القمر . وكان التغلب على المقاومة هو قانون العلاج ، ولا يمكن الاستغناء عنه تحت أي اعتبار... واصلت القول إنني سأفعل كل ما أستطيع ، رغم كل شيء ، لأخمن المعنى الكامل لأية تلميحات قدمها لي . هل كان يفكر في الخازوق؟ - "لا ، ليس الأمر كذلك..."^(٨٨)

وبعد أن حكى المريض قصته ، بما اعتبره فرويد نوعاً من الشعور 'بالهلع من لذته الخاصة التي كان هو نفسه لا يدركها' ، واستمر في وصف حكاية مشوشة ومعقدة

عن دَيْن كان عليه أن يسدده، وكان قد طمرها في شبكة من التحريم والقهر وأنهى الحكاية في حالة تشوش تثير الهلع . وبعد أن حكى تلك القصة المشوشة ، تفاقم التشوش في ذهنه . ويكتب فرويد معلقا على ذلك :

سأضيف فقط أن المريض في نهاية الجلسة الثانية تصرف وكأنه دائخ ومرتبك، وكرر مخاطبتي بكلمة 'كابتن' ، ربما لأنني أخبرته في بداية الجلسة إنني لست مغرما بالوحشية مثل الكابتن N، ولا أنوي تعذيبه بدون داع.^(٨٩)

ومن ثم نجد في هذه الجلسة الثانية مثالا واضحا وضوحا تاما عن الإحالة ، وقريبا تماما من صيغة 'الضمير' pronoun التي تناولتها في الجزء الأول من هذا الفصل : إن رتمان في نهاية الجلسة يخاطب فرويد بكلمة كابتن (أي أنه قال ما يعادل قوله أنت الكابتن) ، وهكذا يشير إلى تشوش نسقي systematic بين الشخص الثالث والمحلل (الشخص الثاني) . لكن النقطة الحقيقية في المحادثة ، النقطة التي أود التقاطها، تقع في بداية الفقرة الأولى الطويلة التي اقتبستها : 'التمس مني أن أعفيه من سرد التفاصيل' . التمس المريض . إن هذا الفعل 'يلتمس' ، بكل دقة ، أحد الأفعال المنجزة عند أوستن . وتلك اللحظة هي أيضا اللحظة الأولى في العلاج التي خاطب فيها المريض فرويد خطابا مباشرا-أي مستخدما ضمير الشخص الثاني . ربما جاءت كلماته على النحو التالي: 'من فضلك اعفني من تقديم كل التفاصيل-إنها عبارة تمثل شيئا بين الرجاء والأمر . وربما قال 'سيكون عليك أن تعفيني من أن أقدم لك التفاصيل' . والعبارة الألمانية التي يستخدمها فرويد هي "er bitter mich, ihm die Schilderung der Details zu erlassen," وإذا كنت مصيبا في افتراض أن معالجة الإحالة تكمن بكل دقة في الاستجابة التحليلية التي تميز المخاطبة بضمير الشخص الثاني ، والأهم في الاستجابة المميزة للمنجز الذي يتم فيه تضمين هذا الشخص الثاني ، يكون من الممكن وصف النتيجة بأنها تأويل للإحالة : يوضح فرويد أنه لا يستسيغ الوحشية ، ولا يرغب في تعذيبه ، لكنه عاجز أمام قانون العلاج . ويُعزى ذلك إلى انقسام في 'ضمير المخاطب' الذي خاطبه رتمان: من ناحية ، يوجد التعاطف ، ويتعلق بفرويد ، ويوجد في الناحية الأخرى خادم العقد

التحليلي وهو خادم عنيد وصلب ومجهول الاسم . والعقد هو ما اتفق عليه رتمان نفسه-إن "العهد" منجزٌ قوي ، مثل "الوعد" . (٩٠)

دعني أوضح نقطة من النقاط التي ذكرتها هنا . إن هذا التعليق على تعذيب الفأر the rat من أشهر الفقرات ومن أكثرها إثارة للجدل في تاريخ حالات فرويد . إن تعذيب الفأر أعطى المريض لقبه التحليلي [the Ratman] ، وليس هناك أدنى شك في أنه منح القوة الخالصة لمخيلة المريض ، إن كانت إعادة انتشارها في المشهد المناخي في عام ١٩٨٤ مسألة يُعتدُّ بها . ولكن المحللين رأوا أن ما قام به فرويد كان محيراً إلى حد ما ، إن لم يكن مضللاً على نحو صريح ، أو حتى جامحاً . إنهم يتساءلون كيف يتدخل فرويد في لحظة حاسمة من لحظات التحليل ؛ كيف يمكن لفرويد أن يسير فرحاً إلى هذا الحد في مشهد خيالي سبق إعداده ، سيكون طرفاً فعالاً يشارك في السيناريو السادي الماسوشي sado-masochistic الذي أعده المريض ، وسيكون فرويد معذباً في هذا السيناريو بإرغام المريض على سرد القصة ، وسيصبح المريض معذباً هو الآخر بأن يبتلي فرويد بما سبق أن ابتلاه به الكابتن ذو الميل الوحشية ؟ لكنني أرى أن فرويد كان يعرف ما يقوم به معرفة كاملة ؛ لم يستجب لإغواء خيالي ، لإغواء جنسي سردي ، ولكنه كان يستجيب لبوح اللاشعوري ، لما يدعوه لاكان 'تشريع enactment واقع اللاشعوري' : الإحالة . استجاب فرويد للفعل المنجز وضمير الشخص الثاني المصاحب له . وكان يعرف أن على المحلل أن يعمل على ذاك النحو ، وعليه ، على نحو خاص أن يحافظ على استمرار التحليل بهذا الأسلوب : بحثٌ عُصَابُ الإحالة ، بحثٌ إعادة تنظيم الخطاب العام حول شخصية المحلل . ولم يعرف ، بالطبع ، ما يتوقف عليه هذا الخطاب . لكنه ، في الواقع ، بين المريض ببراعة مدى جهله بالمضمون الدقيق لهذا الخطاب : 'هل كان يفكر في الخازوق؟' -لا ، ليس الأمر كذلك ... تم ربط المجرم بإحكام... في شرح المجرم ، وقد ساعدته حتى النهاية . (٩١) حسن ، ربما كان فرويد جاهلاً ، لكنه يعرف بالتأكيد الكلمة التي تطلق على الفتحة التي على الفئران أن تحفر الطريق إليها .

كان فرويد يعرف حين يقول إنه لا يستسيغ الوحشية ، وإنه كان عاجزاً عن

إبطال العهد الذي قدمه الرتمان the Ratman، كان يعرف أنه سيلعب لعبة مدمرة مع 'ضمير المخاطب' المشار إليه في خطاب المريض . بدأ الرتمان الجلسة بالتوسل لفرويد ، وكأن المحلل شخص خارج الجلسة يستطيع إيقافها ، وكأنه شخص يتمتع بالقدرة على هزيمة الزمن وارتباطات الكلام : وقد أنهى الجلسة بمخاطبته بالكابتن الوحشي (٩٢).

وسوف أوضح هنا أحد المفاهيم الخاطئة المحتملة توضيحاً كاملاً . يمكن للمرء أن يرى (كما كان فرويد يميل إلى ذلك) أن الرتمان كان يرى أن المحلل يتقمص شخصية الكابتن لأن فرويد استخدم كلمتي 'وحشية' و 'تعذيب' . إن مجرد استدعاء هذين الدالين ، في هذه الحالة ، يشجع على الاعتقاد في فكرة التقمص ، حتى لو صدر فرويد كل كلمة بأداة نفي : لا استسيغ الوحشية ، لا أرغب في تعذيبك . وهذا التفسير الفرويدي البديل يتم ببساطة : إن اللاشعوري لا يعرف شيئاً عن الإنكار ومن ثم يسمع الرتمان فرويد يقول : أنا وحشي ، أود أن أعذبك ، مثل الكابتن الوحشي تماماً ، ومن هنا تأتي فكرة التقمص .

يبدو هذا التعليق معقولاً ؛ وإحدى نتائج المهمة هي رؤية تدخل فرويد باعتباره خطأً ، وباعتباره تدخلاً مبالغاً فيه (٩٣) إلا أن هذا الاستنتاج مضلل حيث أنه يتجاهل حقيقة أن ما قاله فرويد كان إلى حد بعيد استجابة مباشرة للحظة الإحالة الأصلية في الديالوج التحليلي-اللحظة التي توسل فيها المريض لفرويد . ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط : إنه يفشل أيضاً في فهم أن الاستجابة المفرطة التي قدمها فرويد للمريض كان لها ما يبررها . 'لا أستطيع أن أفعل أي شيء' ، إنني عاجز ، لست كما تظن ، ولكنني سأفعل كل ما أستطيع لأساعدك ، بافتراض أن بعض الوسائل الهزيلة تحت تصرفي-إن هذا 'الدور' (٩٤) الذي يلعبه فرويد يشير إلى أن فرويد رأى فرصته الملائمة وقام بالحركة المناسبة . وقد أتت الفرصة حين خاطبه المريض على نحو مباشر ، مستخدماً ضمير الشخص الثاني . وكانت النتيجة هي قول الرتمان أُلزمتني أمس بقول كل شيء-الآن أطلب منك أن تحلني من هذا العهد الذي قطعت على نفسي بأن أقول لك كل شيء'. وهكذا ، كان رد فرويد يعني : 'إن قدرة الآخر على سماع كل

شيء ، وهي شرط العلاج التحليلي ، لا يمكن إنكارها بأن أحلك من هذا العهد . إنني عاجز أمام هذه الوظيفة للأذن العامة التي ابتكرناها مع التزامك . فكر كيفما شئت في هذه الأذن العامة ، لكنني أؤكد لك أنني لا استسيغ الوحشية ؛ وقد وصلت الأمور إلى درجة أنني لم أعد أسمع صراخك - عليك أن تقول ما شئت لهذا الآخر - ومن الواضح تماما أن هذا الآخر other هو ما يدعوه لكان الآخر . Other واستجاب الرتمان بطريقته الخاصة ، بمخاطبة هذا الآخر الذي يبدأ بحرف كبير باعتباره الكابتن .

ويمكن أن أوجز الأمر على النحو التالي : اقتفيتُ سلسلة من أفعال الكلام ، التي تنتقل بينها العملية التحليلية : الأول ، العهد ؛ الثاني ، التوسل ؛ الثالث ، التنصل . وكل منها يعدل في العلاقة بين 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' في الكلام المباشر-في المنطوق الذي يظهر فيه 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' . ومن الخطأ ، وهو خطأ يقع فيه غالبا أحد كُتّاب التحليل النفسي ، ويتمثل في النظر إلى الإحالة ، أو فنتازيا الإحالة ، باعتبارها تقريراً عن العالم الداخلي للمريض موضوعاً أمام ملاحظ محايد .^(٩٥) وهذا هو المفهوم التجسدي للغة ، ويرى كل من لكان وأوستن أنه قاصر على لعبة اللغة التي ابتكرها العلم الحديث (إن وجدت حقاً ، وهو أمر يدعو للارتياح بدرجة كبيرة) . إن المحادثة التحليلية لها قوانين أخرى ، قواعد أخرى .^(٩٦)

وأمل أن أكون قد وضحت أن المعالجة السهلة لأفعال الكلام المحرّف ، والكلام المؤسس الذي يقضي عطلته ، هي ما يفعله المحلل النفسي في التعامل مع الإحالة . وقد رأينا في البداية كيف ناقش فرويد بطلاقة طريقته بشأن مختلف الوظائف الكلامية المتعلقة بالأمنية والتفكير . ورأينا في مثال آخر من تاريخ الرتمان إدراكه الكامل للتضمنين الخطير لاستجابته المتصلة من مناشدة الرتمان له بتقديم العون . ثم وقعت بعد ذلك ، في تحليل الرتمان ، حادثة أخرى على علاقة بالعهد الاستهلاكي ، بالمنجز الاستهلاكي الذي قدمه الرتمان لفرويد ؛ وفي الواقع ، يمكن أن تكون هذه الحادثة التي يمكن فيها ، أخيراً ، حل عقدة knot عصاب المريض ، عقدة قصته ، كما يوضح لكان في "Le mythe individuel du névrosé"^(٩٧) وكانت هذه الحادثة

فنتازيا الإحالة حيث كان فرويد عطوفا ولم يكن المريض مستمرا معه إلا لأنه كان يريد أن يتزوج من ابنته . وقد تم تدوين التاريخ الكامل لأسرة المريض ، قصة عائلته ، في هذه الفنتازيا . وجاء الحل لفهم هذا التاريخ ، هذه القصة ، أثناء تأويل حلم ، رأى فيه بنت فرويد وفي وجهها قطعتان من الروث بدلا من العينين . ما معنى هذا الحلم ؟ لم يكن يرغب في الزواج من بنت فرويد من أجل عينيها الجميلتين *beaux yeux* ، أو من أجل الحب ، ولكن من أجل المال .^(٩٨) المال ؟ حسن، هذا هو الجانب الآخر من العقد التحليلي . لقد اغتنى فرويد بكل تلك الفلورينات florins [عملة مستخدمة في فلورنسا وهولندا وإنجلترا- المترجم] ، تلك الفئران ، التي كان المريض يقدمها له : حين سمع المريض مقدار ما يتقاضاه فرويد من أتعاب في الجلسة ، قال لنفسه : 'كل هذه الفلورينات ، كل هذه الفئران' .^(٩٩) وهكذا يكرر الحلم ، في شكل عرضي sympto-matic مكثف ، أمنية المريض بالتحرك من الالتزام باتباع قواعد العلاج : إذا تزوج من بنت فرويد ، يبطل العهد الذي قطعه على نفسه في لقائه الأول بفرويد ، باسترداد كل تلك الأموال التي دفعها ، كما لو كان يلغي كلماته الخاصة . وبالنسبة للرتمان ، تود حقيقته ، كلامه المؤسس ، أن تقول لفرويد: 'أنت الرجل الذي يقدم أحب شيء إلى نفسه ، ابنته ، لتتخذ نفسك مني وأنا أعذبك بفئرانني' . ويود أن 'يسمع' هذه الرسالة المقلوبة ، هذا 'التفسير' في خطاب الآخر ، الذي ربما كان فرويد يقول له ، إن لم يكن قاله بالفعل : 'أنت الرجل الذي يقدم أحب شيء إلى نفسه ، خطيبته (وبالتالي الإمكانية الحقيقة لأن تكون له بنات^(١٠٠)) ، لمجرد أن تسترد الأموال التي دفعتها لي' . ومن ثم يكون هناك ما يغرينا بأن نسأل : هل علينا أن نرسي كل أفعال الكلام ، الأفعال الأخرى المحرقة التي يبدأ بها العلاج عملية الدفع ، وقطع العهد ، والموافقة ؟^(١٠١) هل 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' في العقد التحليلي عنصران أساسيان ، هل هما الضميران المؤسسان للتحليل النفسي ؟

قلت في مكان ما أن على المحلل أن يدفع ليحافظ على وظيفته . يدفع بكلماته-تفسيراته . يدفع بشخصيته ، بمعنى أنه في الإحالة يكون متخلصا منها تماما . والتطور الكامل للتحليل المعاصر يمثل نوعا من إساءة الفهم لهذه النقطة ،

ولكن مهما يظن المرء ومهما يكن اللجوء إلى الإحالة المضادة مثيرا للذعر (١٠٢) ،
فإن عليه ،في الحقيقة، أن يسلك هذا المسار . وهو ليس الوحيد مع شخص في
موضعه اقتترف بحقه خطأ معيناً . (١٠٣)

هوامش الفصل الثالث

- ١- راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٤٠/٢٤٧ .
- ٢- راجع ، السيمينار الثالث ٢٥٥ .
- ٣- راجع ، فيتجنشتاين ، 38 *Philosophical investigations* .
- ٤- المصدر السابق ، ٢٥٥ .
- ٥- راجع ، Ratman SE x 162 .
- ٦- راجع ، Ratman SE x 187-9 .
- ٧- راجع هارفي ساكس
- ٨- لم يظن أن الحل الصحيح لهذا التشويش 'اللساني' يمثل في حد ذاته تقدما بالنسبة لعملية العلاج . إنه يلاحظ أن مريضه استجاب لإيضاحاته وتفسيراته بالتسليم بأن كل ذلك يبدو مقبولا تماما ، لكنه كان على الأقل لا يثق فيه بصورة طبيعية ' (SE x 181) .
- ٩- قارن ، Janik and Toulmin, *Wittgenstein's Vienna* ، الذي يؤكد على أهمية Mauthner ، الفيلسوف وكاتب المقال بالنسبة لنظريات فيتجنشتاين عن اللغة . وليس لنا أن ننسى أن الاهتمامات التي دفعت فرويد إلى كتابة سيكوباثولوجيا الحياة اليومية قد تناقش حقا في جريدة يومية-راجع ، Meringer, "Wie man sich versprechen kann" . وبالإضافة إلى ذلك كانت نصيحة لاكان التي قدمها للمحلل الشاب : 'حل الكلمات المتقاطعة' (كتابات، ٥٦/٢٦٦) .
- ١٠- راجع ، Ratman SE x 181 n I .
- ١١- وحتى نرى ذلك ، لاحظ أن جملة فرويد الثانية تتيح لنا إحلال أي شخص مكان 'ضمير المتكلم' ، ومن ثم تصبح العبارة "إذا أنا I قلتُ / إن أبي مات / فإن أنا I سيضطرنني me إلى التباري معه" - وهنا تنبثق بوضوح وظيفة 'ياء المتكلم me' ، الوظيفة العقابية (والمقسمة) .
- ١٢- ثمة عدد من الأوصاف الرائعة لهذا العالم ؛ ومن أكثرها أهمية سلسلة أبحاث Leclair منذ الخمسينيات ، وأعيدت طباعتها في *Demasquer le Reel* ؛ وترجم منها فصلان ، Je-

rome, or in the life of the obsessional and Philo, or the obsessional and his desire in Schneiderman, *Returning to Freud, Clinical psychoanalysis in the school of Lacan*

١٢ - لم ينجح الرتمان في إقناع فرويد بهذه النقطة ؛ إلا أن ما تذكره بعد ذلك يبلغ ذروة الدهشة لأن أفكاره الخاصة تضمنت مقارنة موت أبيه بموت شخص آخر واكتشف أن اهتمامه بموت أبيه كان أقل مما كان يظن.

١٤ - يناقش لاكان بإسهاب أهمية هذه العبارة "(لا) يعرف أفكار المرء" في السيمينار السادس ٢٦٩-٢٧٠ ، ويوضح أنه يتم اكتشاف أن الآخر (الأبوين) لا يعرف أفكارى حين يُقَحَّم في كينونتي ما لا يقال-حين يصبح المرء ذاتا تملك بُعد اللاشعور . إن هذه العبارة ، 'يعرف أبواي أفكارى' ، تمثل تأسيسًا للكلام-يتم العثور على كل الأفكار في الآخر (خطاب الآخر) . ويكتب لاكان : 'ثم يدرك الطفل أن الراشد لا يعرف أفكاره-وهنا يكمن مسار الكبت' والكذب إحدى الوسائل الحاسمة للانتقال من 'يعرف أبواي أفكارى' إلى 'لا يعرف الآخر فيما أفكر' ؛ كما يكتب لاكان : 'إن الخطاب يتأمل الإخلاص في الدليل حتى لو كان الخداع قدره' (كتابات ٣٥١-٤٣/٢ ؛ الترجمة [إلى الإنجليزية] بتصرف) . راجع كتابي :

Lying on couch. Truth, lies and the epistemology of psychoanalysis

١٥- ثمة احتمال كبير أن تكون عبارة فوكو عن الإجراءات والنظريات التحليلية قد كتبت تحت تأثير لاكان ؛ قال فوكو في مقابلة جرت مباشرة بعد موت لاكان ، قال إن كتابات لاكان في الخمسينيات ساعدتني على التحرر من 'المفهوم التقليدي تماما عن الذات' ، المفهوم الذي اعتمدت عليه الفلسفة والعلوم الإنسانية ، وذلك بتوضيح أن 'استخدام' ضمير المتكلم" ، ذلك الاستخدام الذي يبدو بسيطاً 'يقنع حقيقة أن الذات ، في الواقع ، شيء معقد وهش ، من الصعب أن نتكلم عنه وبدونها من المستحيل أن نتكلم' " (Lacan, il liberatore della psicanalisi", p.1)

١٦- وتتضمن هذه الفكرة الشخصيات المختلفة التي تعود عليها الأفعال أو الضمائر ، من قبيل 'my' ، 'my father' ، كما في الفقرة التي وردت عن الرتمان .

١٧ - راجع ، تودوروف في 'Freud sur l'enonciation'

١٨ - قارن ذلك بما ورد في 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٩/٢٠٢ : 'حتى نعرف كيف نرد على الذات في التحليل ، علينا في هذا الإجراء أن نتعرف أولاً على كل ما تشغله أناها ، الأنا التي عرفها فرويد بأنها أنا مكونة من نواة فعلية verbal nucleus؛ وبتعبير آخر ، لنعرف عبر من ولن تطرح الذات سؤالها . ' وهذه الفقرة تمثل توضيحاً للتقنية ، ذلك النصير الوفي لكل المدارس التحليلية ، لتحليل التقمص ، وتذكرنا في الوقت ذاته بأن ما يكون التقمص هو استبدال 'ضمير المخاطب' ب'ضمير المتكلم' وتؤكد هذه الفقرة أيضاً أنه بمجرد أن نعرف المخاطب (الموضوع الذي يخص الآخر) وبواسطة من (الآخر ، 'ضمير المخاطب')-الإجراء الذي ركزت عليه بمناقشة الضمائر-يكون المسار واضحاً فيما يتعلق بأهم الوجوه : تحديد السؤال-أو ما أدعوه الفعل الكلامي-الذي يجسده العَرَض .

١٩-يصف لاكان خطاب الأنا العليا باعتبار أنه من الممكن إيجازه أساساً بالجملة التالية أنت ذلك 'You are that' ، راجع السيمينار الثالث ٢١٢ ، ٢٢٢ .

٢٠- قارن بما ورد في تفسير الأحلام ، SE v 534-5 (1900 a) إذا كان أوتو Otto مسئولاً عن مرض إرما Irma! "فإن الحلم يكتب صيغة التمني ويستبدل بها صيغة المضارع المباشر : 'نعم ، إن أوتو مسئول عن مرض إرما'...إن المضارع هو الزمن الذي تقدم فيه الأمانى وفيه يتم إشباعها . ' ، راجع أيضاً ، SE v 647 (1900 a) 'On dreams' ، للاطلاع على مبدأ أكثر روعة عن المبدأ العام .

٢١- بين اللسانيون أنفسهم أن الأزمنة في اللغات الأوربية تعتمد اعتماداً كبيراً على ذات الناطق وليس على عدد من العلاقات الموضوعية بالتتابع الخارجي أو الموضوعي : يشير الاختلاف في استخدام الزمن بين اللغات المختلفة إلى ذلك الأمر (مثلاً ، يستخدم زمن المستقبل في اللغة الفرنسية أقل بكثير مما يستخدم في الحالات المناظرة في اللغة الإنجليزية : يستخدم زمن المضارع البسيط حين يتطلب الأمر استخدام المستقبل في الإنجليزية) .

٢٢-إنه ادعاء مشهور ، يتم التعبير عن المرء في 'اللاشعوري' ويتم مناقشته في 'النفي' . إن عملية النفي ترتبط بذات الناطق ومن النادر أن تكون مناظرة لعملية منطقية عن "not p" ، ويناقش لاكان هذا الموضوع ببعض الإسهاب فيما يتعلق بأداة خاصة في الفرنسية ne، التي تبدو

زائدة على المستوى الدلالي ، بالإضافة إلى أن بعض استخداماتها لا يمكن تفسيرها على المستوى الدلالي : 'J'ai peur qu'il ne vinne'. وفي الإنجليزية يمكن أن نفهم بعض خواص النفي إذا تأملنا النفي المزدوج [نفي النفي] ، الذي يبدو أن النتيجة الأساسية له ترجع إلى التأكيد البسيط ، ولكن وظيفته الاستطرادية ليست كذلك على الإطلاق . قارن بين 'إنه ليس غير نكي' و'إنه نكي' . إن الاختلاف بين هاتين العبارتين يشير إلى وضع مختلف لضمير المتكلم في هذا المنطوق ، حيث جملة نفي النفي تزيد من تركيز الاهتمام ، اهتمام الشخص ، على ضمير المتكلم ، بدلا من التركيز على "ضمير الغائب" ، الذي يمثل ذات العبارة .

٢٣ - راجع ، Ratman SE x 222 ، وانظر أيضا ما يلي بعد ذلك للاطلاع على مناقشة أخرى لهذه الفقرة .

٢٤ - راجع ، فورستر pp.141-65 Language and the origins of psychoanalysis,

٢٥ - راجع ، Dora SE VII 116 ؛ وراجع فورستر ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

٢٦ - انظر ، Wilden, *The Language of the self*; Ragland-Sullivan, Jacques La-
can and the philosophy of psychoanalysis; and Benvenuto and Kennedy,
The works of Jacques Lacan : Lacouse-Labarthe and
Nancy, *Le Titre de la lettre* (Une lecture de Lacan) وهو حاسم تماما بالنسبة
لهذا الوجه من أعمال لاكان ، ولكنه على أية حال عمل تمهيدي .

٢٧ - للاطلاع على نموذج لنقد الدال/المدلول في التحليل النفسي ، انظر Wollheim, *The cabinet of Dr. Lacan'*

٢٨ - في الواقع ، من الصعب أن تكون كلمة *la langue* قد لعبت دورا في معجمه في الخمسينيات؛ وكان قد عنون تقرير روما ب"وظيفة الكلام واللغة *langage* [وليس *langue*] ومجالهما في التحليل النفسي" ؛ وكان تأكيده على *langage* يمثل تأكيدا على الوحدوي *com-binatory* على الأساس شبه الرياضي الذي قدمه ليفي شتراوس للعلوم الإنسانية (الأساس الذي قلل من شأنه فيما بعد في تنقيح بعض فقرات كتابات في عام ١٩٦٦ ، مثلا ، الفقرات الأربع في كتابات ص ٢٨٥) ، عن رياضيات الشفرة . وهكذا يكون التعارض بين اللغة *langage* والكلام ، تعارضا له دلالات تختلف تماما عن التعارض بين اللغة *langue* والكلام .

٢٩- انظر ، Benvenuto and Kennedy, *The Works of Jacques Lacan*, p. 85

٣٠- هناك عملان آخران يلفتان الأنظار إلى أهمية الأفعال الكلامية بالنسبة للتحليل النفسي
Felman's virtuoso *Le Scandale du corps parlant* and Bellemin-Noel:
Psychanalyse et pragmatique' وهناك نقاط التقاء عديدة بين تعليق فيلمان وتعليقي :
استيعاب مزاج أوستن والتعرف على أهمية مفاهيمه؛ ونقطة البداية الأساسية تتمثل في رؤية
الأفعال الكلامية والتحليل النفسي باعتبارهما زقاقين ليسا هما الهدف في مناظرات عن
اللسانيات وفلسفة اللغة ؛ورؤية التقارب بين نظريات لاكان ونظريات أوستن؛ والشعور بأن
أعمال أوستن أسوء استخدامها غالبا ، وأن معرفة قرابته بالتحليل النفسي توضح الأخير
بالإضافة إلى أنها تجعلنا قادرين على أن نبقي مدركين للقوة المدمرة في أعمال أوستن
(استبعاده لأية خلفية محكمة بالنسبة للفعل كما لو كانت بعض الأفعال الكلامية تكتسب
امتيازًا خاصًا بتكريسها للتعبير عن حقيقتها الخاصة وواقعها الخاص) . إن استخدامي
لنظرية الأفعال الكلامية يختلف عن استخدامها لتلك النظرية في أنني مهتم اهتماما خاصا
بتحديد خواص المحادثة في الجلسة التحليلية وتمييز أسلوب المحلل في المحادثة .

يعتبر Bellemin-Noel أن النظرية اللاكانية في اللغة تمثل النموذج لتحليل لساني شكلي
يحمل مخاطر السقوط في التبادلية التي يهاجمها بعنف ، ويعتبر أن النزعة الفتشية للدال في
النظرية اللاكانية (في تاريخ وعمر محددين) هي بكل دقة النظرية الوضعية الشكلية التي
ستساعد نظرية أفعال الكلام التحليل النفسي على تجنبها ، وبينما أوافق على الهجوم الذي
يشنه في مناقشته ، فسوف يتضح أنني أرى نظرية لاكان عن الكلام واللغة أغنى بكثير من أن
تكون نظرية قاصرة على الدال ؛ وبينما نصادق على مشروع Bellemin-Noel عموما ،
إلا أنني أظن أنه قد أساء فهم موضوع النقد .

٣١- راجع "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" ، كتابات ٢٥١-٢٥٢/٤٣ ؛ الترجمة [إلى
الإنجليزية] بتصرف . وثمة نص شيق من نصوص فرويد يؤكد تماما على بعد التواصل ، حتى
حين يبدو أنه لا يوجد أبدا موضوع للتواصل : "نفترض ، من ثم ، أن شخصا-مريضا خاضعا
للتحليل ن مثلا يحكي لنا أحلامه . وسوف نفترض أنه بهذه الطريقة يجعلنا ضمن شبكة
اتصالاته وقد قطع على نفسه عهدا بالبدء في العلاج التحليلي . وهو بالتأكيد اتصال تم بصورة

غير ملائمة ، حيث أن الأحلام في ذاتها ليست منطوقات اجتماعية ، بمعنى أنها ليست وسيلة لتقديم المعلومات . ونحن لا نفهم ، في الحقيقة ، ما كان الحالم يحاول قوله لنا ، وهو نفسه في ظلمة مماثلة ... إننا نفترض بطريقة عشوائية تماما ، وعلينا أن نسلم بذلك ونتبنى فرضية أنه حتى هذا الحلم غير المفهوم يجب أن يكون فعلا نفسيا صحيحا تماما ، من حيث المعنى والقيمة ، ويمكن أن نستخدمه في التحليل كأى اتصال آخر . ونتيجة تجربتنا هي وحدها التي ستوضح ما إذا كنا على صواب أم لا . إذا نجحنا في تحويل الحلم إلى منطوق ذي قيمة من ذلك النوع ، فسوف نتوقع بوضوح أن نتعلم شيئا جديدا وأن نستقبل اتصالات من نوع لم نكن لنصل إليه إلا على هذا النحو... كيف نفترض تحويل الحلم إلى نوع من الاتصال العادي وكيف نفسر حقيقة أن بعض منطوقات المريض تأخذ شكلا غير مفهوم بالنسبة له ولنا ؟" (محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي ، "المحاضرة رقم XXIX مراجعة لنظرية الأحلام" (1933 [1932]) ، 8-9 ، SE, XXII).

٢٢- انظر كتابات ٢٧٩ - ٦٨/٨٠ - ٧٠٠

٢٣- أرى سببا إضافيا وراء رؤية فرويد أن أسلوب التحول النحوي ملائم لتحليل زهان شريبر : كما يتضح من بداية كتابه ، يتمنى شريبر ألا يُعرَف ؛ ويعبر ببساطة عن الطريقة التي يبدو بها العالم بالنسبة له ، ليتحرر من الاحتجاز القانوني .

٢٤- انظر ، في فقرات عديدة ، "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" كتابات ٦٥٠/٣٦٥ - ٦٠٥ ؛ وانظر أيضا السيمينار الأول ٨٥/١٠٠ .

٢٥- لنعد بذهننا إلى فقرة من تاريخ حالة الرتمان (Ratman SE XII 62 ff.) حيث يقابل فرويد بين "التفكير القهري" و "كل الأفعال النفسية" بمجرد عودة "المؤشر العاطفي" . وهذا التمييز يشبه تمام الشبه التمييز الذي يضعه أوستن بين بعض العبارات التي فحصها ببساطة على أساس ما إن كانت صوابا أم خطأ (وسوف تكون "الأفكار القهرية" التي يعاني منها مرضى فرويد) ، وتلك العبارات التي تعتبر أفعالا أكثر مما تعتبر أوصافا لأحوالنا (وتتضمن قائمة فرويد 'الأمنية ، الإغواء ، الاندفاع ، الانعكاس ، الشكوك ، الأوامر ، والنواهي) . ويعود فرويد في نهاية مناقشته النظرية للأفكار القهرية ، إلى هذا التمييز بين الأفكار والأفعال النفسية: إن عملية التفكير تكون استحواذية أو قهرية ، نتيجة لكبح... في الطرف الحركي للجهاز النفسي، إنها تبدأ

بيذل طاقة ... تدخر بشكل طبيعي من أجل الأفعال فقط ؛ أو بتعبير آخر ، إن التفكير الاستحواذي أو القهري تفكير تمثل وظيفته فعلا نكوصيا . (SE X ٣٤٦) .

٣٦- إن كتاب فيلمن ، *Le scandale du corps parlant* ، يقدم امتدادا رائعا لأهمية فطنة أوستن .

٣٧- راجع أوستن : (1956), in *Philosophical papers*, "Performance utterances", p.249 تستمر الفقرة في توضيح أن كل أنواع الخطاب ، وخاصة تلك التي تعلن أنها "علمية" ، مستهدفة هنا: "ما نحتاج إليه لحالة الشرح ، بالإضافة إلى الوصف والتقدير ، هو أن نبعد بها قليلا عن قاعدتها ، لنذكر أنها أفعال كلامية بصورة لا تقل عن كل الأفعال الكلامية الأخرى التي نذكرها ونتحدث عنها باعتبارها منجزة " (ص.ص. ٢٤٩ - ٢٥٠) . وتعرف فيلمان أيضا أهمية هذه الفقرة (اقتبسها مرتين على الأقل في كتابها-انظر، *Le Scandale du corps parlant*, (p.20) .

٣٨- إن الوعد هو حجر الأساس في التقارب بين فيلمان ودون جوان موليير ونظرية أوستن عن المنجزات : إن دون جوان مكرسة لفحص عملي لمعنى الوعود والطرق التي يمكن بها التملص منها ، وليس الوفاء بها : يمثل الوعد بالزواج خطوة أساسية في جدل الإغواء (يمكن قراءة هذه الإشارات في الفصل الرابع من هذا الكتاب [كتاب فوستر ، بالطبع] . (وتوضح فيلمان أيضا المنطق الزمني للوعد : يرتبط الوعد بزمنية السرعة والعجلة، بما دعاه لكان-في سياق مختلف تماما- « وظيفة العجلة the function of haste » ، وينشأ عنه "تأكيد اليقينية المتوقعة" (*Le Scandale du corps parlant*, p.66) وانظر أيضا الفصل الثامن من هذا الكتاب [كتاب فوستر الذي ترجمنا عنه هذا الفصل] .

٣٩- إن هذا النوع من الأمثلة التي تميز بين أفعال الكلام الأصيلة والزائفة تخلق من المشاكل أكثر مما تحل .

٤٠- يبدأ Bellemin-Noel مقالته عن نظرية الأفعال الكلامية والتحليل النفسي بملاحظة النقص الواضح في الاهتمام بدور التحليل النفسي في التطورات الحديثة في اللسانيات- ويعني بذلك النحو التحويلي عند تشومسكي ونظرية الأفعال الكلامية (*pragmatique*- بالفرنسية) . وتؤكد فيلمان من جانبها على الطريقة التي بها استعادت أعمال أوستن قوتها

وحياها على أيدي الفلاسفة وعلماء اللغة (من أمثال جريس وسيرل وبنفنسنت وكاتز Grice, Searle, Benveniste and Katz).

٤١- تطلب النموذج الشائع للتواصل دائرة مغلقة بين المتحدث والمستمع ، ورسالة تمر خلال الشفرة اللغوية . ويتلاءم هذا النموذج ببسر تام مع التعليق الوظيفي الموجود في اللسانيات الاجتماعية : اللغة توصل دائماً ، كما يقول هذا التعليق ، حتى حين يكون هناك أحققان يقولان : 'كيف حالك' ، طيب ، يا رجل .

٤٢ - كان يدرك ، في الحقيقة ، تطور نظرية المعلومات والاتصال (نوقشت بإسهاب في السيمينار الثاني) وتناول مفهوم الأولي عن الإطناب لتوضيح الفرضية التالية التي بنى عليها مفهومه عن الكلام وعن التحليل النفسي : 'كلما أصبحت وظيفة اللغة أكثر حيادية وهي تقترب من المعلومات ، كلما زاد اتهام اللغة بأنها محملة بالإطناب ... وهذا الأمر دال تماماً بالنسبة لنا ، حيث أن ما يمثل إطناباً فيما يتعلق بالمعلومات هو بكل دقة ما يعمل باعتباره رنيناً في الكلام . حيث أن وظيفة اللغة تتمثل في الاستثارة وليس في توصيل المعلومة . إن ما أبحث عنه في الكلام هو استجابة الآخر ' (وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٦٨/٩٩٢) .

٤٣ - راجع أوستن ، *How to do things with words*, p.17 .

٤٤- في *Le Moment Lacanien*, p 71 ، يدرك Sichere الالتقاء المهم بين مناقشة أوستن ولاكان في استخدامهما لحفل الزواج كنموذج للكلام ، ويهاجم عمل فيلمن المعنون *Le Scan-dale du corps parlant* ، لأنها رأت أن مناقشتيهما متوازيتان .

٤٥- يؤكد Bellemin-Noel في 'Psychanalyse et pragmatique' ص ٤١٤ ، على التضمن المتبادل للمتكلم والمستمع في الأفعال الكلامية . موضحاً أهمية هذا التضمن في فهم المحادثة التحليلية.

٤٦- انظر ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٤/٢٩٦ . وربما نتج خطأ عن التركيز المبالغ فيه على التقمص . إذا كان تحليل الإحالة يتشكل تماماً وفقاً لنموذج تحليل التقمص ، فلن يكون هناك نموذج آخر للكلام التام من المحتمل أن ينقذ عملية 'التعرف' على واقع المحلل . إن الاعتماد المقتصر تماماً على منهج "الضمائر" الموضح أعلاه ربما يشجع على هذا الانشغال غير المجدي بواقع المحلل.

٤٧- في هذه الأبحاث في الخمسينيات ، استخدم لاكان مفهوم 'المحول' ، وأدخله في اللسانيات البنيوية في ذلك الوقت تقريبا ، بينما افترض Bar-Hillel مفهوما مماثلا تمازت في عام ١٩٥٤ في الفلسفة الأنجلوسكسونية تحت اسم ؛ واستخدم هذا المفهوم الأخير بصورة أكبر في الانشغال الإثنوميثودولوجي بوجهة نظر المتحدث ، سواء أكان ملاحظا أم مشاركا أم ملاحظا ومشاركا؛ إن المحولات shifters تمثل أطرافا في الجمل تحتاج إلى تعريف بواسطة علاقتها بالمتحاورين ؛ وإلا فشلت في الدلالة على أي شيء (بصورة تكفي غالبا لاستثارة القلق). وتمثل الضمائر أطرافا مهمة في هذا المفهوم ، وهو ما تمثله أيضا بعض الظروف وبعض حروف الجر التي تحدد الزمان والمكان إلى آخره : غدا ن هنا ن الآن . وكان يعتقد ، بهذه الطريقة ، أنه قد تم الحفاظ على التفسير الضروري لذات تحدد الخطاب في العبارات المنطوقة ، بالطريقة نفسها التي حافظ بها أوستن على وضع الذات بملاحظة أن المنطوقات أفعال أكثر منها عبارات شبه علمية عن العالم . ومع أن لاكان ناقش هذه الوظيفة، وظيفه المحول ، إلا أننا لا نستطيع المبالغة في تأكيد تأثيرها في أعماله : إنها تجعل لاكان يبدو ، بصورة تفوق الحقيقة ، وكأنه واحد من أتباع ياكبسون . وارتبط استخدام لاكان للمحول بمقدمته عن التمييز بين ذات ال *enonce* وذات ال *enonciation* . وسوف نعود إلى هذا التمييز .

٤٨ - ودعاه أيضا 'الكلام المنتخب' في السيمينار الثالث و 'الكلام المنذور' في السيمينار السادس؛ انظر الهامش ٨٥ .

٤٩- راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٥/٢٩٨ .

٥٠ - راجع Muller and Richardson, *Lacan and language: a reader's guide to* *ecrits*, pp.118-19

٥١- شيد أوستن ، في الحقيقة ، مفهوما يتضمن هذه السمة الخاصة : وهو ما دعاه perlocutionary force في منطوق يقيس تأثير الفعل الذي يفتقر إلى القدرة على التعبير ، تأثيره على الآخر ؛ حين أقول ، 'وثقتُ فيه' ، فإن تأثير الثقة يكون ضروريا للمنطوق ، بينما حين أقول ، 'وعدتُ' ، فإن المسألة برمتها تقع على المتكلم . ولكن أوستن لم يدخل في تفاصيل تتعلق بالتأثير الذي يربط بين هذه الشواهد من 'الكلام المؤسس' . إلا أنها أرق المنطوقات وأهمها .

٥٢ - راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٥/٢٩٨ .

٥٢- راجع السيمينار الأول ١٢٥/٧٠١ . ويحدد تأويل نظرية الكلام اللاكانية السبب وراء اختياري مصطلح أوستن المبتكر 'المنجز' performative لأترجم أفكار لاكان في هذا الجزء من النسخة الإنجليزية للسيمينار الأول .

٥٤- وحتى يواجه لاكان هذه النزعة لتفسير التحليل النفسي بوصفه تفسيراً غير مهم وغير حقيقي في الوقت ذاته ، أكد غالباً على ما أعلنه فرويد ('ملاحظات عن حب الإحالة' (1915a) SE XII 168 من أن الحب الذي يحمل اسم حب الإحالة أصيل كأي حب آخر .

٥٥- راجع السيمينار الأول ١٢٦/١٠٨ .

٥٦- انظر السيمينار الأول ٩١٢/٣٤٤ ؛ و السيمينار الثاني ١٩٠-١٦٩/٢-٧٠ . ومن المفيد في هذا السياق أن نضع في الاعتبار مرة أخرى التسمية الذاتية النموذجية التحليلية التي أطلقها أوديسيوس على نفسه « لا أحد no one » وهو ما فعله جرانونف في: *Filiations*, pp.84-109

٥٧- يتكلم لاكان عن وظيفتين مختلفتين لضمير الشخص الثاني ، *tu*: الأولى وظيفة الكلام المؤسس ، والثانية تحديد غير المحدد "لا أحد" (انظر السيمينار الثالث ٣١١) .

٥٨- راجع "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" كتابات ٧٣/٥٨٢ ؛ والترجمة بتصرف. وانظر أيضاً السيمينار الأول ١٢٦/١٠٨ : 'تم دائماً تمييز مستويين جرى فيهما تبادل الكلام الإنساني- مستوى التعرف recognition بقدر ما يربط الكلام بين الذات في الميثاق الذي يحولهم ، ويرفعهم كذوات إنسانية تتواصل-[و] مستوى *communiqué* [وفيه] يتم التأكيد على الموضوع الذي يعتبر خارجياً بالنسبة لعملية الكلام ، ويعبر عنه الكلام .

ثمة مقابلة أكثر وضوحاً بين المستويين في الكلام في السيمينار السادس ٢٧١ : 'إننا نميز بين مستويين . الأول فوري ، وهو مستوى النداء (خبز ! مساعدة !) : للحظة تماثل الذات حاجتها- وهذا هو المستوى الملح للاحتياج *the quesitive level of demand* الذي يراه المرء في البداية معبراً عنه في علاقة الطفل بأمه) . والآخر هو المستوى الانتخابي *the votive level* ، حيث يكون على الذات أن تعثر على نفسها بالكامل ، بصرف النظر عن الشكل اللغوي وهي تتطور في التحويل ، برفض عنصر الاحتياج الذي يميل للتعبير عن نفسه . وهذه الدرجة من الإفصاح هي ما نبحث عنه في التحليل .

٥٩ - راجع السيمينار الثالث ٢٤٣ .

٦٠ - راجع . Searle, *Speech acts: an essay in the philosophy of language*, p.7.

نعني بالعرف-فكرة أن هناك قاعدة غير منطوقة تحكم استخدام الكلمات ؟

٦١ - راجع ، ' La psychanalyse et son enseignement' (1957), E. ٩٣٤.

٦٢ - راجع ، Warnock, *The object of morality*, pp. ٦٩. ff. ، حيث يضع في الاعتبار مفهوم أن الوعد يمثل شكلا من أشكال التنبؤ.

٦٣ - راجع ، Bachelard, *The philosophy of no*, p. ١٨.

٦٤ - وبهذا المعنى لن يكون هناك معنى لوصفنا بنك انجلترا بالوفاء أو بعدم الوفاء ؛ انظر التمييز الذي يقدمه سيرل، *Speech acts*, p.62.

٦٥ - راجع ، السيمينار الثاني ٣٧١-٣٢٣/٤ .

٦٦ - راجع ، سيرل ، *Speech acts*, pp.50-53.

٦٧ - راجع ، " (1957), E. 454 La psychanalyse et son enseignement".

٦٨ - انظر ، *Being and nothing. A phenomenological essay on ontology*, pp.86-96.

والعدد الهائل من المناقشات التي أثرى بها الأدبيات الفلسفية في الثقافة الأنجلو أمريكية ، خاصة المقالات المنشورة في :

Wollheim and Hopkins (eds.), *Philosophical essays on Freud*, and Sebastian Gardner, "Sartre's critique of Freud; irrationality and the philosophy of psychoanalysis"

٦٩ - راجع السيمينار الأول ١٩٧/١٧٤ - ٥٠ .

٧٠ - تحدد إحدى الملاحظات التي لاحظها عن موضوع الكذب عند الهستيريين، وهي ملاحظة تشبه ملاحظات لويس كارول أن هذا هو الرأي الفرويدي الحقيقي عن الهستيري . 'يستدعي كذب الهستيريين إلى الذهن المفارقة القديمة ، مفارقة Cretan [إبيميندس Epimenides] : "إذا أكدت امرأة هستيرية أنها كذبت ، فقد يكون هذا التأكيد ، بكل دقة، مجرد كذبة أخرى ." (Nunberg and Federn, eds., *Minutes of the Vienna Psychoanalytic Socie-*)

.Scientific Meeting on 19 October 1910", P. 32) ty; Vol. III:1910-1911,

٧١ - راجع سيرل ، *Speech acts* ، p.58 : "أنا أعد" و"أنا بهذا أعد" ضمن أقوى القوى اللاتعبيرية التي تحدد حيل الاقتراف التي تقدمها اللغة الإنجليزية .

٧٢ - راجع السيمينار الأول ٤٥٣-٩٢٣/٥ - ٢٠٠

٧٣ - راجع السيمينار الثاني ٣٢٦-٣٨٢/٧ - ٢٠

٧٤ - راجع السيمينار الثاني ١٧٣/٢٢٣ .

٧٥ - راجع دراسات عن الهستيريا ، *Studies on hysteria* (1895d), SE II 15

٧٦ - توجد بعض النقاط المهمة المشتركة بين هذا المثال الخيالي ومقطوعة من الثثرة التحليلية حول تدخل تحليلي لمثال لاكان . كان اشخص الذي نحن بصدده يعاني من صعوبة في قبول الزواج ، وقد قضى عدة جلسات يصارع شكوكه وأفكاره الثانوية . وذات يوم ، تمدد على الأريكة وقال لمحلله : "Donc, je me marie demain" [هكذا ، سأتزوج غدا .] ورد عليه لاكان متسائلا : "Avec qui? من من؟ إن قوة التأثير تعتمد جزئيا على حقيقة أن الفعل يتزوج marier يمكن أن يستخدم كفعل متبوع وكفعل انعكاسي reflexive [الفعل الذي يكون مفعوله هو الفاعل نفسه] . وقد اختار المحلل أن يستخدمه كفعل انعكاسي ، وهكذا يؤكد على التغيير المتوقع في موقفه من الزواج دون أن يقوم بتحديد الطرف الذي كان سيشارك في تغيير هذه الحالة-ويمكن أن نفترض أنه كان يظن أن ذلك كان سيحدث بدون كلام . ويمكن رؤية تدخل لاكان بوصفه تحقيقا مذهبيا ، إن لم يكن مدهشا ، وكأن الذات كانت تحاول التهرب من اقتراف الكلام المؤسس-ركان استغراقه في 'أنا زوجك' جعله ينسى ما يلزمها بالضرورة 'أنت زوجتي' .

٧٧ - قد يقول المرء إننا لم نتركه أبدا ؛ إن هذه الاعتبارات المتعلقة بالضمان يمكن استبعادها تماما بملاحظة أن القاعدة الأساسية للتداعي، والتي تتمثل في 'قل كل ما يخطر على بالك' ، تحمل في ثناياها تأمين ضمني ، أو كفالة للتغافل الأساسي للمحلل عن الاسم: 'لا يهم ما تعتقده بشأنني ، يمكن لك أن تقول لي أي شيء' . أي ، 'إنني لا أحد' (قارن هذا بما قاله أوديسيوس) .

٧٨ - راجع السيمينار الأول ١٢٧/١٠٩ . وقد نقح لاكان هذه الصياغة في السيمينار الحادي عشر ٢٣١/٦٤١: 'إن الإحالة تشريع enactment [mise en act] واقع اللاشعور' . ولا يجب

الخلط بين هذا 'التشريع' *enacting* وبين ' *acting out* ' . ويلاحظ شنيدرمان (Rat Man, pp.15-16) بشكل مفيد : 'مهما تكن طبيعة الطقوس فإن الجلسة النفسية تبقى على الفرصة كإطار يتيح الإخراج المسرحي لما يمكن أن ندعوه للأحداث . إن المحلل يلزم مريضه مثلما يلزم نفسه بالحفاظ على هذا الإطار بقوة ليطمئن إلى أن ما يحدث في الجلسة يبقى في وظيفة عملية الكلام . ' ويحاول هذا الفصل تجنب التضاد الضمني بين الكلام والفعل (ويعتبر شنيدرمان من أوائل من سلموا بأنه غير مقنع) ولكننا ندرك أن 'الأحداث' أو 'الأفعال الكلامية' التي تتم في الجلسة التحليلية تنزع منها خاصية 'الأحداث' أو 'الأفعال' . والطريقة الخاصة لتدخل المحلل هي التي تحقق هذه النهاية .

٧٩ - مع أن هذا التعريف تعريف إجرائي بسيط إلا أنه انتقد كثيرا ، ويقال إنه يقلل من أهمية واقع تفرد المحلل والتفاعل 'الصادق' أو 'الواقعي' معه . وأظن أنه نقد مؤسس على مفاهيم خاطئة ، وأمل أن أوضح ذلك في بقية هذا الفصل .

٨٠ - استخدمت هذا المثال في موضع آخر لغرض يختلف قليلا : انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب [كتاب فورستر] ، الذي يلمح أيضا لبعض المناقشات حول الأفعال الكلامية وهي مناقشات تطورت هنا تطورا أكثر اكتمالا .

٨١ - راجع دراسات عن الهستيريا ، SE II ، 302-3 *Studies on hysteria* (1895d) ،

٨٢ - تأخر فرويد في توضيح هذا الخط الفكري بصورة أكبر باستخدام مصطلحي Ich و Es ، I' و it ، لفهومين من مفاهيمه الرئيسية ('الأنا' ego و'الهو' id) توجد بعض التعقيدات في هذا التطور ؛ ولا أود أن أعطي انطبعا بأئني مع التعليق الساذج إلى حد ما ، التعليق الذي كتبه Bettelheim عن سيكولوجيا فرويد الإنسانية باعتبارها امتدادا لبراعته في اللغة الألمانية ، أو مع التعليقات التي تجعل الإشارة إلى نسقي "Ich" و"Es" das يتطابقان مع استخدامات الضميرين Ich و Es .

٨٣ - راجع دراسات عن الهستيريا ص ٤٠٣ .

٨٤ - إن النقد القاسي الذي وجهه سيرل لهذه النقطة مفيد ومهم : 'ومن ثم ليس لنا أن نفترض ، مهما توجي استعارة "القوة" ، أن الأفعال اللاتعبيرية المختلفة تضع النقط على سلسلة واحدة . وبالأحرى ثمة العديد من السلاسل المختلفة "للغة التعبيرية" ' (Speech acts, p.70) .

لفيلمان ، في *Le scandale du corps parlant*, pp.104 ff. ملاحظات رائعة على أهمية 'القوة'، وأهمية الطريقة التي تهرب بها قراء أوستن (بنفنسنت وآخرون) من قوة نظرية أوستن عن 'القوة اللاتعبيرية' .

٨٥ - راجع ، *Ratman* SE X 221-2

٨٦ - راجع ، *Ratman* Stud VII 83

٨٧ - في مقابل الوصف أو 'constating' مع أنه بمجرد أن نحاول 'تدوين' أو 'ملاحظة' أو 'رؤية' الأفعال اللامنجزّة ، نرى كم هو من غير المحتمل أن نصرّح بإمكانية أن يكون هناك فعل غير منجزّ تماما .

٨٨ - راجع ، *Ratman* SE X 166.

٨٩ - المصدر السابق ص ١٦٩ .

٩٠ - أقتبس هنا من السطر الاستهلاكي للتعليق على الجلسة الأولى :

في اليوم التالي جعلته يقطع عهدا على نفسه بالخضوع لشرط وحيد من شروط العلاج-أعني أن يقول كل ما يخطر على باله... (SE X 951)
والنص الألماني مهم هنا

Nachdem ich ihn am nächsten Tage auf die einzige Bedingung der kur verpflichtet alles zu sagen...(Stud VII 38)

ويمكن ترجمة هذه العبارة على النحو التالي :

في اليوم التالي ، قيدته بالشرط الوحيد للعلاج ، أن يقول كل شيء ...

استخدم Strachey في ترجمته صيغة تعبيرية . إلا أن فرويد لم يكن هو الذي قيد نفسه ، كما في جملة أوستن، 'كلمتنا هي رباطنا' ، مهما يكن العنوان الذي يقع تحته هذا التفوه . ما فعله فرويد كان لربط شخص آخر وليس نفسه-ويعتبر هذا من أغرب الظواهر اللغوية . لكنها ظاهرة تلقي الضوء على أحد الموضوعات التي لم أتناولها : إن 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' تخلقهما الأفعال اللاتعبيرية والتعبيرية ، ويخلقهما الكلام المؤسس ، والعهد الاستهلاكي ، الذي يخلق الوضع التحليلي ويستهل الديالوج التحليلي (بالطريقة التي تستهل

بها حركة P-K4 مباراة في الشطرنج) إن خاصية رابطة فرويد التي يمكن أن يوضحها الرتمان ، مستخدما التماثل مع الشطرنج ، بتخيل مباراة يبدأ فيها اللاعب الأول باللعب للشخص الآخر وكأن فرويد حرك الحركة الأولى للقطع البيضاء ، وحول بعد ذلك الشطرنج واضعا القطع البيضاء أمام الشخص الآخر ، وقال : انظر ، لك ، الأفضلية ، إنك تلعب بالأبيض .

٩١ - راجع ، Ratman SE X ، ١٦٦

٩٢ - ثمة تفسيرات أخرى كثيرة يمكن أن نقدمها لهذا الحدث . أذكر اثنين منها :

١- إن الرتمان يخاطب فرويد بأسلوب يلائم الخلط بينه وبين صديقه (الذي بالتأكيد لا يمثله فرويد ، بمعنى من المعاني) ، وينتهي بمخاطبته كما لو كان أباه . وبالطبع ، هذا هو بكل دقة ما يسعى التفسير إلى تحقيقه : رجّ التقمص ، والسماح له بالظهور ، بدل الاختباء بالتواطؤ الشعوري أو اللاشعوري بين المحلل والمريض وهذا هو السبب في أن فرويد لا يستطيع أن يلعب دور الصديق .

٢- إن الرتمان ، خلال هذه المناورة ، يلعب دور الكابتن ، ويضطر فرويد إلى الخضوع لعذاب الإنصات لقصة عذاب الفأر . وفي هذا الخط الفكري ، تستثير البنية السردية اعتماد المنصت على السامع-إن الرتمان يعذب فرويد بعدم الانتهاء من سرد القصة ، بأن لا يحكي له الخلاصة .

٩٣- انظر ، "Langs, The misalliance dimension in the case of the Rat Man". وانظر أيضا المناقشة المكثفة والممتعة عن 'أخطاء' التفسير عند فرويد في لكان "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" كتابات ٣٠٢-٨٨/٣-٩٠٠

٩٤- انظر التعليقات على 'القيام بدور' في الفصل الثالث ، من هذا الكتاب [كتاب فورستر]، ص ٥٨-٦١ .

٩٥- ربما يبدو أن مثال المراقب الموضوعي لمحتويات العقل هو الموقف الذي أوصى به مرضاه بصياغة القاعدة الأساسية التي قدمها فرويد في "عن بداية العلاج" [1913c), SE XII 135] : 'افعل كما لو كنت ، مثلا ، مسافرا وتجلس بجوار شباك عربة القطار تصف لشخص بداخل العربة تغير المشاهد التي تراها في الخارج . ' دع جانبا الحقيقة الساخرة عن أن القلق من السفر بالقطار

من أوضح أعراض فرويد العصائية ، حتى حين تختبئ العلاقة التي تبدو موضوعية مع شريك السفر بمجرد أن نسأل : "من هذا الآخر ؟ وبأي نوع من الأوصاف يهتم ؟ هل يريد أن يسمع عن الحيوانات والنباتات التي تتغير من مكان إلى آخر ، أم عن ألوان السماء ، أم عن الجيولوجيا ؟" (إن الجيولوجيا ، في الحقيقة ، مثال غريب بعض الشيء ، مثال يذكره Glover في التعليق على هذه الفقرة من أعمال فرويد في عمله الرائع تقنية التحليل النفسي .) بطرح السؤال عما يريد الآخر أن يسمع ، ونستهل سؤال الإحالة-يتحول المرء من المشاهد التي يراها من النافذة ليلقي نظرة على رفيق السفر .

٩٦- قارن خطأ مشابها في المناقشة فيما يتعلق بعلاقة الخطاب التحليلي بالآخرين-شرعيا ، طيبا ، سياسيا ، إلى آخره-في الفصل الثاني من هذا الكتاب [بالطبع ، كتاب فورستر] .

٩٧ - راجع لكان ، "Le mythe individuel du névrosé"

٩٨- هناك حلم آخر من جولات القوة *tours de force* التفسيرية عند فرويد ، الحلم المركزي في 'عن الأحلام' دار أيضا حول السؤال 'من أجل الحب أم من أجل المال ؟ ركز أيضا في تعبير العينين الجميلتين *beaux yeux*؛ انظر 3-671 ، 7-655 ، 50-649 ، 40-636 SE V ومناقشة Anzieu المسهبة عن الحلم في 49-531 pp. Freud's self analysis.

٩٩- راجع ، Ratman SE X 312 .

١٠٠ - واضعا في ذهنه أن خطيئته لم تكن قادرة على الإنجاب .

١٠١- يتناول عمل فرويد "عن بداية العلاج" المسائل التالية بصورة أساسية :

فترة المحاولة قبل أن تبدأ البداية ؛ الزمن ؛ المال ؛ تواصل القاعدة الرئيسية لتقنية التحليل النفسي والمسائل المرتبطة بذلك ؛ الموقف يتخذ باتجاه الإحالة ؛ التواصلات الأولى للمحلل .

١٠٢ - بالإنجليزية في الأصل .

١٠٣ - راجع السيمينار السابع ٣٣٧ .

الفصل الرابع

لاكان والأدب

مالكولم بويي

العنوان الأصلي :

Lacan and Literature

وهو الفصل الخامس من :

Malcolm Bowie, Froude, Proust and Lacan: *Theory as fiction*; Cambridge University Press, 1987.

المتن من ص ١٣٥ إلى ص ١٣٦ ، والهوامش من ص ٢٠٤ إلى ٢١١

vorrei e non vorrei

أودُّ ولا أود

Mozart and Da Ponte: *Don*

Giovanni

فى أبحاث لاكان العلمية تحقق الأعمال الأدبية - أعنى تلك الأعمال التى يقتبسها ويحللها ويشيد بها- قناعات معقدة تشبه تلك التى حققتها فى أعمال فرويد . وتحقق ، بالطبع ، بعض المهام البسيطة أيضا : مثلما فعل فرويد ، يصور لاكان نفسه فى إشاراته إلى الأدب باعتباره شخصا يتمتع بمكانة تعليمية جليلة وطموح ثقافى كبير، ويستدعى إلى الذهن التراث الفنى عن الشاهد النبوى الأوربى من أجل حقائق السيكلوجيا الجديدة . لكن كلا منهما كان يتوق إلى الأدب بصورة مثيرة تجعله لا يستخدمه لمجرد التوثيق أو التوضيح . كان الأدب فى حقل العلم كما كان خارجه ؛ كانت الخبرة بالأدب دافعا إلى التنظير العلمى وهاجسا بما قد تكون عليه النظرية المترابطة ؛ ويبدو ، فى الحقيقة ، أن بعض الأعمال الأدبية ليست مجرد دعوة إلى نظريات العقل ولكنها نظريات العقل بالفعل . وبالرغم من تلك الدوافع المشتركة إلا أن كلا من فرويد ولاكان يتعامل مع المواد الأدبية بأسلوب مختلف ويتبنى مقولات نظرية مختلفة عن الطريقة التى يمكن بها لتلك المواد أن تساعد البحث العلمى أو تشكله . وبينما كان فرويد يرى ضرورة العثور على النموذج الأسمى لسيكلوجيا إكلينيكية خارج العلم ، فى التراجميات الأوربية ، نرى أن النموذج الذى يستخدمه لاكان غالبا ، ويبدو من تكرار التقدير له أنه يحتل المكانة الأسمى ، هو النص الأدبى ذاته ، باعتباره ملتبسا وجمعياً plural بصورة لا تنضب .

كان لاكان ، فى تأكيده على الأدب كنصٍّ متعدد الدلالة ، صاخبا بينما فرويد يكاد يكون صامتا ، وسأبدأ مناقشة هذا التأكيد بتقديم تلخيص موجز لبعض الجوانب من تعليق فرويد، تلك الجوانب التى فضل لاكان ألا يتعقبها ، أو فضل أن يتعقبها

بأساليب ملتفة . لا يهتم فرويد فى اقتباساته العديدة من الشعر بالنسيج اللفظى للأبيات التى وقع عليها اختياره ، ولكنه يهتم بشكل الصياغة ككل ، أو بإيماءة العقل الذى تسعى إلى التعبير عنه ، أو بطرق التداعى ، فى تاريخ الحالات وتحليل الأحلام ، التى تعيد ربط الكلمات ، والعبارات التى تكونها ، بالحياة النفسية العامة للفرد . وفى تفسير الأحلام ، ذلك النص المحتشد بالإشارات إلى الشعر ، تياران قويان فى مناقشة فرويد يختزلان خصوصية اللغة الشعرية والثقافة التى يقدمها الشعر لمفسر الأحلام. وأول هذين التيارين تعليق فرويد على اللغة الطبيعية بوصفها لغة يتأصل فيها الالتباس :

لا حاجة بنا للدهشة من الدور الذى تلعبه الكلمات فى تكوين الحلم ؛ وحيث أن الكلمات هى النقاط العقدية [knotenpunkt(e)] للكثير من الأفكار ، فقد يعتبر الالتباس قدرها ، والعُصاب (مثل الأفكار الاستحواذية والرُّهاب) ، ليس أقل من الأحلام فى انتهاز المزايا التى تقدمها الكلمات فى التكتيف والتقنُّع. ومن السهل أن نوضح أن تشويه الأحلام يستفيد من إزاحة التعبير أيضا .

(GW, II/III, 346 V, 340-41)

إن الشعر يذوب من المشهد بطريقتين مختلفتين ولكنهما ، هنا ، مرتبطتان ببعضهما . إن التباسه ، ونقطه العقدية ، وبنيته المحكمة ، ليست سوى شواهد موضوعية عما تقدمه اللغة بصورة متأصلة عموما ؛ وبلا هوادة يستمر التكتيف والتقنُّع والإزاحة فى العقل اللاشعورى ، بصرف النظر عما تقدمه اللغة من تلميح وإغراء . لم يعد الشعر يتأثر باللغة بالضبط مثلما لم تعد اللغة ، بدورها ، تتأثر بآلية التفكير اللاشعورى التى تبدو خرساء wordless. وبالإضافة إلى ذلك لا تتحقق هذه الهزيمة التى يتعرض لها الشعر بمجرد تركيز الضوء على تلك الآليات العقلية التى تتفوق عليه عموما ، ولكنها تتحقق أيضا بتقديم نشاط الشاعر وتأثير ما يقدمه من أعمال على القراء فى صورة طيعة ومخففة على نحو كاريكاتورى . لقد ناقش فرويد فى الفقرة السابقة العمليات التحولية المميزة للأحلام وضرب بكتابة القصيدة مثلا على الأسلوب الانتقائى المحدد الذى قد يؤثر به تفكير أى شخص على من يخلفونه :

إذا كان على القصيدة أن تلتزم بالقافية ، فإن البيت الثانى من الثنائية يُقيد بشرطين : عليه أن يعبر عن المعنى المناسب ، وأن يكون التعبير عن ذلك المعنى متوافقا مع قافية البيت الأول. وليس هناك أدنى شك فى أن أفضل القصائد هى تلك التى لا نلاحظ فيها تعمد البحث عن القافية ، وهى تلك التى تأتى فيها الفكرتان منذ البداية ، بالتأثير المتبادل ، فى تعبير لفظى يسمح بانبثاق القافية بتعديل طفيف . (GW, II/III, 345-6; V, 340)

لماذا يبدو تكرار التعبير عن رأى 'كلاسيكى' مألوف عن التقفية معقولا على نحو يثير الفضول إلى هذه الدرجة ؟ اختار فرويد أن يقدم نشاط الشاعر بوصفه بحثا عن المعانى والقوافى 'المناسبة' واستبعد كل أثر لتعمد التقفية . إن الشاعر مقاول حلیم مقتصد : مهمته تنظيم الالتباس وليس استثماره ؛ والحيلولة بين تلك النقاط العقدية المفردة ، التى تمثل كلمات القافية ، واكتساب قيمة دلالية إضافية ؛ وترك الأفكار التى تؤثر على بعضها منذ البداية تأثيرا لطيفا متبادلا تستمتع بانسجام نهائى هادئ . والشاعر من هذا الطراز ليس لديه اهتمام خاص بالالتباس ويفتقر إلى أعمال الإثارة التخيلية ، ويترك المسرح خاليا لمن يستطيع التعامل ببراعة مع الالتباس ولن يتمتع بالقدرة على الإثارة البارعة ليدخل من جديد : اللاشعورى ذاته ، وهكذا تكون درامية فرويد فى تفسير الأحلام .

ويستمر التيار الثانى من التيارين اللذين ذكرتهما منذ لحظة ويكمل عملية تدجين الشعر. إن الأحلام التى يناقشها كتاب فرويد ، والتداعيات المصاحبة ، تتخللها-وبدون أن يكون هناك أى مجال للدهشة-مادة 'أدبية' : 'وفى ضوء الدور الذى تلعبه النكات والاقتباسات والأغاني والأمثال ، نجد أن مما يتفق مع توقعاتنا أن ذلك النوع من الأقنعة قد استخدم بمعدل هائل لتمثيل أفكار الحلم' (V, 354) .⁽¹⁾ ولكن ليس هذا ، للأسف ، تفسيرا طبقيا ناشئا عن عادات الأحلام فى فيينا . وتقدم النقف النصية التى تتأرجح فى عقول نيام تلك المدينة من بين المتعلمين ، تقدم الفرص لعمل الحلم المبدع دائما وهى فرص تتاح أيضا ، فى نمط معصوم يساوى بين الجميع ، لكل من يتمتع بالقدرة على فهم اللغة . وقد تقدم الكلمات المقتبسة ، ومن ثم أية كلمة مهما تكن

منزلتها فى تراتبية الثقافة ، جسورا أو تحولات (V, 341) فى تنظيم الأحلام ، ذلك التنظيم الداخلى المعقد . وتنتهى المرحلة الثالثة والأخيرة من تحليل فرويد لحلمه الخاص ' ' Non vixit ' لم يعيش (V, ٤٢١-٤٢٥ ، ٤٨٠-٤٨٧ ، ٣١٥) باقتباس عن هانيه Heine من قصيدة ' Die Heimkehr ('العودة إلى الوطن The Homecoming') :

فهمتني نادرا

ونادرا فهمتك ، فى كل ما مضى

فقط حين نسقط فى البذاءة

يفهم كل منا الآخر .^(٢)

ويخبرنا فرويد أنها كانت تشير إلى 'فنتازيا الطفولة التى اتضح أنها تمثل النقطة العقدية المتوسطة فى أفكار الحلم' (V, 513) ، إن أبيات هانيه التهامية المليئة بالحيل الصوتية ليست مرشحة بذاتها للمناقشة ، حيث لا يوجد لها دور 'عقدى' تؤديه : إنها جسر يعيدنا إلى الفطنة والتعقيد فيما يدعوهُ مرتين 'نموذجهُ الرفيع للحلم' his schne(n) Traum كما تذكر الطبعة المحققة (V, ;GW, II/III, 424, 484;) (421,480).^(٣) إنها تنهى الخاتمة الطنانة بتفسير أتيحت له الفرصة من قبل أن يجعل الكتاب المقدس ، ويوليوس قيصر وهنرى الرابع لشكسبير ، واللص لشيلر ، وفاوست لجوته ، تشارك فى بعض الأدوار الثانوية المتنوعة .^(٤) إن بعض الأحداث السعيدة فى التنشئة والتعليم جعلت من الممكن بالنسبة لفرويد أن يثرى أحلامه وتداعياتها بالأباطرة والأمراء وأبطال الأدب من قاطعى الطريق ، وليس هناك أى خطأ فى اللذة التى يشعر بها حين ينظر إليهم كرفاق . وبالرغم من نخبوية elitism الافتراضات الثقافية عند فرويد ، والحركة إلى أعلى التى من المتوقع أن يؤثر بها الأدب على نصه الخاص ، يُسمع دائما صوت ديموقراطى قوى فى تعليقاته على العقل الحالم : يستطيع عمل الحلم استهلاك أى شىء فى طريقه ، الشعر والثرثرة ، الصعاليك والملوك ؛ ويستطيع ملء الفجوات بأية 'نتف أو رقع' فى متناول اليد .^(٥) واللاشعورى هو النموذج الذى يعمل فى مجتمع تتلاشى فيه الطبقات ولا يتمتع

الشعراء بأى امتياز فى ذلك . إلا أن الشعر لا يتعرض للإهانة حين يصبح غير ملموس فى سيكولوجيا اللاشعورى عند فرويد : إنه بالأحرى صنع ، بتعبير ليونل تريلنج Lionel Trilling ، 'جزءاً فطرياً من المكونات الحقيقية للعقل'.^(٦) ولسنا فى حاجة إلى أن نتذكر أن نظريات فرويد العامة عن الأداء العقلى كان لها ، بالتركيز المستمر على إنتاج المعنى وتحولاته ، تأثير استثنائى مثير على دراسة الأشكال الشعرية .

يقتبس فرويد من هاملت الأبيات التالية ويطرى عليها : 'لا أجنُّ إلا والريح تتجه شمالاً - شمالاً - غرباً ؛ حين تتجه جنوباً أعرف الصقر من المنشار' (V, 444).^(٧) لماذا لا تكون أكثر الأحلام جنوناً شبيهة إلى حد ما بالأمير ذاته فى جنونه الزائف ، وتكتفى بإخفاء معناها الحقيقى تحت 'عبادة من الفطنة والغموض' ؟ يعود بنا نصُّ شكسبير ، كما هو الحال بالنسبة لنص هانيه والكثير من النصوص المقتبسة عن الآخرين فى تفسير الأحلام ، إلى الورداء ، إلى العالم الدلالى الثابت الذى قد يبدو للوهلة الأولى وكأن سطحه اللفظى المتقلب volatile يسعى إلى التدمير . استمعُ بإمعان إلى الحديث الجنونى الذى نطق به هاملت تسمعُ صوتَ الحكمة الشاملة . وفى المقابل ، يطمح لاكان إلى الجنون مع هاملت وإلى أن يكون جمعياً بوعى ككاتب ، سواء أكان ذلك بتقليد نصوص الأدب التى يقتبسها أم بالاستخفاف بها . وبينما يتحكم فرويد تحكما تاماً فى القدرة النصية لاقتباساته ، يناضل لاكان لتحرير تلك القدرة من جديد ، استجابة لأكثر مبادئ التحليل النفسى صرامة . وحين يكتب لاكان فى أعقاب فرويد عن التباس اللغة الطبيعية ، وعن الكلمات بوصفها 'نقطاً عقدية' ، تحتلُّ استعانتة بالأدب فى واحدة من تلميحاته العديدة أو فى عدد منها موقعا بارزا ، وكان الأدب وحده كفيلاً بتقديم الاكتمال والقيمة الضروريتين لهذه المناقشة :

إن الكلمة ليست علامة ولكنها عقدة دالة . وحين أتفوه بكلمة 'ستارة rideau' ، مثلاً ، فإنها تدلُّ طبقاً للعرف على موضوع قد يتنوع بطرق لا تحصى طبقاً للغاية التى يدركها العامل أو التاجر أو النقَّاش أو عالم النفس الجشتالتى ، فهى عمل ، أو قيمة تبادلية ، أو مشهداً ملوناً ، أو بنية مكانية . بالإضافة إلى

أنها على مستوى الاستعارة ستارة من الأشجار ؛ وعلى مستوى الجنس خريز ماء [rides] وضحك [ris]، ويمكن لصديقي Leiris معالجة هذه الألعاب اللغوية الغامضة أفضل من معالجتى لها . وهى حدود واقعى المقدّر لى ، أو شاشة تأمل فى الغرفة التى أنزل فيها مصادفة . وهى بمعجزة فضاء يطل على اللانهاى ، أو المجهول على العتبة ، أو على شخص وحيد فى الصباح . وهى الأفكار الاستحواذية الحركة التى تدل على وجود أجريبين Agrippine فى مجلس الإمبراطور أو تحديق مدام دى كاستيل Mme de Chasteller ولوسيان لوين Lucien Leuwen يتراجع . وهى خطأ بولونيس Polonius الذى اصطدم به : 'فأر! فأر! فأر ضخم!' . وهى على مستوى الدهشة صرخة تعبر عن نفاذ صبرى أو كلمة تعبر عن ضجرى فى فاصل من اللهو . ستارة! وهى أخيرا على مستوى المعنى صورة ذهنية لمعنى، يجب إزاحة النقاب عنه حتى نستطيع اكتشافه. ^(٨) (٦١٦-٦١٧)

وفى فقرة من 'مقال عن أسباب الذهان "Props sur la causalité psychique" (١٩٦٤) ، يصل الهجوم العنيف على بعض النظريات العضوية عن الذهان إلى ذروته الأولى . وفى مواجهة الذين سعوا إلى تهميش العمليات العقلية 'للمجنون' ، والذين استخدموا بعض المفاهيم الهزيلة عن 'الحقيقة' لإدانة العقول الخاطئة ، عقول المجانين ، أكد لاكان من جديد على أهمية تلك العمليات كموضوع للبحث العلمى عموما-سواء أكانت عاقلة أم مجنونة ، طبيعية أم مرضية . والمسألة الحاسمة تتمثل فى أن أنصار النظريات العضوية يتجاهلون باختيارهم أن الجنون ، مهما تكن مصادره ، طريقة من طرق التعبير عن المعنى : 'إن ظاهرة الجنون لا تنفصل عن مشكلة الدلالة بالنسبة للكائن عموما ، أى عن اللغة بالنسبة للإنسان' (١٦٦) . ويرى لاكان أن أفضل ما يمكن أن يقوم به دارسو العقل الإنسانى ممن يسعون إلى السيطرة على 'مشكلة المعنى' هو التدريب على دراسة الأدب . لأن الأدب يعرض الوسط اللغوى الصعب الذى يتم فيه إنتاج المعنى ويصوره . وبينما يسعى الإكلينيكيون الذين يهاجمهم لاكان إلى تقويض الخطاب الذهانى بالتقليل من شأنه ، يسعى لاكان بالعودة إلى حقل

المعنى الأدبي الخصب ، إلى أن يعيد إلى هذا الخطاب التحديد المتعدد العوامل overdetermination كشرط لا مفر منه .

يبعث لاكان بولونيوس قرب نهاية الفقرة السابقة ، ولكنه كان فى البداية أمام هاملت الردى-بمزاجه الكئيب ، ودعايته اللفظية ، وفيض خطبته العنيفة ^(٩) والعقدة الدالة التى تحلها هذه الخطبة وتعيد عقدها - كلمة 'ستارة' - هى ، كما نتوقع ، مثال تم اختياره 'عشوائيا' وهو مثال معقد تعقيدا خاصا مما أتاح للاكان أن يتجول فى تداعيات سريعة بين الصناعة والتجارة والفن والجنس والسياسة والعلوم السيكلوجية .

يوجد 'الأدب' فى شكلين أساسيين . وهو فى الشكل الأول سجل للاستعارات والصور والتأثيرات اللغوية المبهمة ^(١٠) والمشاهد المؤثرة التى قد يعتمد عليها الكتاب والمتحدثون إذا أرادوا . ومن بين هذه المواد تحظى المشاهد المؤثرة باهتمام خاص هنا-ليس لأن بعضها يتردد صداه مع كل من بريتانىكوس *Britannicus* ولوسيان لوين وهاملت ، فى تعقيدات العاطفة الجنسية والسياسية ، ولكن لأن بحث لاكان يقدم عموما بعض التلميحات الأخرى الحافزة حين يستدعى أبيات أجريبين ، تلك الأبيات الشهيرة :

كلا ، كلا ، ولى شباب نيرون ،

انتقلت إلى عبادة البلاط ،

حين اعتمد على فى إدارة الدولة

حين أمرت بانعقاد مجلس الشيوخ هنا ،

وحين تواريت خلف الستار ،

كانت الروح تقرر مصير الجسد الهائل ^(١١) (I, I)

يواصل لاكان لعبة البدائل التى نشأت عن كلمة 'ستارة' *rideau* ، ويعرض أول الشعارات الثلاثة لتدريب زائف للقوة السياسية ويتنبأ بذلك المفهوم الخاص بالمعنى الذى تنتهى به الفقرة السابقة بوصفه كشفا مستمرا ^(١٢) . لكن ممارسى الطب

النفسي والتحليل النفسي لهم ، مثلما يلحُّ لاكان على تذكيرنا في هذا البحث وفي كتابات ، سياساتهم أيضا ، وأنماط الولاء المتغير ، وصراعاتهم على التركية ، ومكائدهم ، ونزاعاتهم ، وأحلافهم السرية . يقدم راسين في إمبراطور روما Imperial Rome محترفي العلاج في صورة ساخرة وجارحة . وبالمثل ، تضيف فنتازيا لاكان عن بولونيوس القاتل ، وأدائه المشحون لصرخة هاملت 'فأر، فأر!' بعداً آخر للكوميديا السوداء من السياق السياسي المباشر للبحث ككل : وتمثل المناقشة في معظمها هجوماً ينصبُّ على مشاعر هنري إي Henri Ey ، وهو معلم سابق للاكان ، وأستاذ بارع في الطب النفسي الفرنسي ورجل له الكثير من الكلمات المؤثرة . وتقدم فقرة ستاندال التي يشير إليها لاكان ، بالإضافة إلى احتوائها على الستارة المطلوبة والشخصية السياسية الخفية (إن مدام دي كاستيل 'شديدة الحنق' ، كما قيل للوسيان المرتبك بعد صفحات قليلة) ، إشارة متطورة واضحة إلى أسلوب لاكان ، الأسلوب الأدبي والمهني :

أغلقت السيدة الشابة نافذتها ونظرت نصف مختفية وراء ستارة من الموسلين المطرز على شباكها . ربما كانت في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من العمر . رأى لوسيان في عينيها تعبيراً عن الوحدة ؛ هل كان تعبيراً عن السخرية والبغض ، أم أنها كانت مجرد شابة تنزع إلى رؤية الأشياء بهدف التسلية ؟ (١٣)

وقد استطاع المتلقى الأصلي 'لمقال حول أسباب الذهان' أن يطرح بيسر سؤال لوسيان عن أسلوب لاكان ، ذلك الأسلوب الغامض المثير للنقاش . لأنه كان أسلوباً لعب فيه الحنق والطيش وما يدعوه هو نفسه 'سخرية' ، لا شك أنها محفوفة بالمخاطر' (١٦٠) (١٤) لورا بدا لعدد كبير من معاصريه أنه غير مناسب وغير مهني .

يظهر عدد كبير من المؤلفين في مواضع أخرى من بحث لاكان منهم فونتييه وفولبير وشيلر وموليير ومونتيني وأفلاطون . وكل منهم ، بمفرده ، يضاعف المعاني الموضوعية في خطاب لاكان ويمده بالعقد . ويتحرك موكبُ من المؤلفين حركة سريعة في النص ، وتنشأ بينهم في حركتهم علاقات لا تاريخية ، تخلق في المناقشة تيارات من

التداعى ، تيارات قوية ومتداخلة وجديرة بأن نتعلم منها . إن لعبة الربط بين مؤلفين سابقين وفقرات مقتبسة من نصوص قديمة ، تدل ، ضمن أشياء أخرى ، على مسئولية أخلاقية شاقة يفترضها المنظر التحليلي ويتحملها : صار وصيا على ما دعاه لاكان فيما بعد 'النظام الرمزي' وداعما للتعقيد والإدراك الذاتى الحرج فى علم سيكولوجى ، وفى خدمة هذه الأهداف ، صار التراث الأدبى - واستمر فى أبحاث لاكان فى الخمسينيات - مخزنا لا ينضب للنوى النصية أو 'النقط العقدية' .

ذكرتُ فيما سبق أن هناك دورين للأدب . ويتمثل الدور الثانى فى أن كتابات لاكان تسعى إلى أن تصبح ما تشاهده ، وأن تنبثق مزهرة وتأمل زهور البلاغة *Fleurs de rhétorique* عند الآخرين . ويركز هنا 'كتابيا' تركيزا استثنائيا على بعض الصور البلاغية فى تنظيم أفكاره قبل أن يبدأ فى استخدام المصطلحات التقنية الكلاسيكية بفترة طويلة فى تعليقاته على 'بلاغة اللاشعورى' وقبل أن يعلن أن كوينتليانوس Quintilian [ماركوس فايبيوس كوينتليانوس : بلاغى رومانى عاش فى القرن الأول الميلادى وألف رسالة عن البلاغة - المترجم] سلفه الفكرى وعرباًه .^(١٥) يبدع لاكان ضد المبادئ الفظة ، مبادئ الالتزام والتسلسل *enchaînement* ومن المتوقع أن ينظر إليها المنظر التحليلي نظرة عادية ، وكأنها لازمة استهلاكية (C'est par ... C'est par) تتأى بنصه عن البعد الزمانى للمناقشة المترابطة . ولكنه لا يلغى إحدى النتائج المنطقية المتوقعة لمجرد أن يُضفى على نصه حركة خاصة تدفعه إلى الأمام . والتكرار الاستهلالى *anaphora* ، وهو أبسط الأنساق اللغوية وربما كان من أكثرها شيوعا ، يطور هنا جوهره الخاص وطاقته المنطقية المضادة ، بالإضافة إلى أنه يدفع القارئ برفق بعيدا عن افتتاحية الجملة إلى جوهر الافتراض . ويلعب لاكان بحرف الجر ' par ' بأسلوب يشبه إلى حد ما أسلوب رامبو فى اللعب بحرف الجر 'à' فى قصيدة 'Dévotion' (... 'A tout prix' ... A ma sœur Ce soir à Circeto...). ومن الكلمات التى تعقب 'par' : مثال *exemple* وعرف *convention* واستعارة *métaphore* ونكتة *calembour* ومرسوم *décret* وفرصة *occasion* ومعجزة *miracle* ومخالطة *hantise* ونداء *interjection* وتخضع هذه الكلمات لسمة

تركيبية متكررة من النوع الذى يستخدم غالبا ليخلق مظهرا من مظاهر التكافؤ بين مصطلحات قد تبدو متباينة بدون ذلك . لكن الوثبات والانحرافات بين المقولات المنطقية تأتي فى هذه السلسلة مفاجئة بدرجة تجعل تركيب الجملة لا يستطيع أن يتحكم فيها بمفرده . ومرة أخرى تلفت عبارات لاكان الأنظار ، تلك العبارات المتضاربة ، إلى الأجزاء الأكثر ارتباطا بالعرف فى فرضياته . وهكذا يتماس هنا تماسا لحظيا ، فى اللعب بين الافتتاحيات ، النظام الاجتماعى والنظام الإلهى ('عرف'-'معجزة') ، والبنيات اللغوية مع الأفعال الذهنية ('الاستعارة'-'السهو' *méprise*) ، والفوضى مع الالتزام بالقانون ('نكتة'-'مرسوم') ، والإدراك المشتت مع الإفصاح الدقيق ('مخالطة'-'نداء') ، والضرورة مع الظروف ('مرسوم'-'صدفة') . وهنا تكتسب القدرة الدلالية لتلك العبارات الجاهزة ('صدفة' *par occasion* ، 'بمعجزة' *par miracle*) اندفاعا جديدا عن طريق العدوى . وباستخدام مصطلحات للتعبير عن تمييز مألوف فى علم البلاغة ، يمكن أن نصف هذه العملية وكانت فى عام ١٩٤٦ جديدة على التحليل النفسى ، ولم تكن جديدة على الأدب - ونقول : صارت الأنساق اللغوية *schemata verborum* موضعا متميزا لصور الحكمة *figrae sententiarum* وقد تم تطويع النمط التركيبى الذى يهين القارئ لانبثاق فكرة جديدة بحيث يصبح جديرا بأن يكون منبعا للأفكار .

إن إطلاق لاكان لكلمة 'ستارة' *rideau* ينتهى بأسلوب واعٍ وبارع و [متعذر الفهم] *en abyme* : وهل هناك طريقة لإزالة هذا الكتالوج المكتظ بالاستائر من المشهد أفضل من أن نسدل عليه... الستارة ؟ ويبدو أن مثل هذه التأثيرات 'الأدبية' التى تتراكم بكثافة تشغل ، بالإضافة إلى التلميح الذى ناقشته منذ برهة ، مناطق كاملة فى أعمال لاكان تحت كلمة الأدب تقدم لكل من يدرس تلك الأعمال إحساسا خاصا بالتميز المهنى إذا كان يتمتع بخلفية أدبية بالإضافة إلى الخلفية التحليلية أو الفلسفية . وسوف أبرهن على أن مبرر 'الأدب' اللاكانى محددٌ بصرامة ، وقبل ذلك سأقدم بإيجاز بعض الطرق الأخرى التى يطرى لاكان بها الأديب ويسعى إلى كسب إطرائه وتجعله و ، وهو يستنبط نظريته ، أنه يمجد التحليل النفسى والأدب تمجيذا مشتركا .

إن 'دارس الأدب' - لو سُمح لي باختصار العدد الهائل من المشتغلين بالدراسة النظامية للأدب - سيجد أنه في حاجة إلى سنوات إذا اختار أن يقرأ كتابات قراءة دقيقة . وستكون هناك مهام عديدة أمام صائد المصادر ودارس أنساب الأفكار وعالم الأصالة الشرعي the forensic scientist of originality . وبالإضافة إلى العدد الهائل من أسلاف لاكان المشهورين ، يوجد عدد لا يحصى من اللاكانيين قبل لاكان - الكتاب الذي توقعوا بطريقة من الطرق جانباً من جوانب النسق الذي قدمه . وربما نكتشف ، مثلاً ' إذا تأملنا مرة أخرى 'مقال حول أسباب الذهان' أن أحد الآراء الأساسية التي كافح لاكان من أجلها - الجنون متأصل في تفكير الإنسان ، والعلماء العقلاء الذين ينكرون هذه الحقيقة يتصرفون بمعنى (آخر) 'بشكل جنوني' - عبّر عنه باسكال بدقة لا مثيل لها في أفكار *Pensées* : 'إن البشر مجانين بالضرورة بدرجة تجعلهم يدعون جنونا من نوع آخر ينفي عنهم الجنون .'^(١٦) ويمكن ، أيضاً ، العثور على مفهوم لاكان (وفرويد) عن الكلمة باعتبارها 'عقدة' دالة في رسالة جرسيان Gracián التي عنوانها *الدقة وفن الإبداع Agudeza y arte de ingenio* (١٦٤٨) : 'الكلمة تشبه الهيدرا الصاخبة لأنها ، بالإضافة إلى دلالتها الخاصة والمباشرة ، ينبثق منها ، إذا قطعها المرء أو بعثرها ، معنى دقيق واضح لكل مقطع ، وتصور لكل نبرة .'^(١٧) ويظهر الكاتبان بالاسم في بعض الأبحاث التالية : اقتبس لاكان الفكرة *pensée* ذاتها في 'الوظيفة والمجال [وظيفة اللغة والكلام ومجالهما في التحليل النفسي - المترجم] Fonction et champ' (٢٨٣) وأثنى على باسكال في 'سؤال أولى عن علاج ناجع محتمل للذهان D'une question préliminaire à tout traitement possible de la psychose' (٥٧٦) لأنه عزل مفهوم 'الذهان الاجتماعي' ، ويلخص حدثاً من *El criticòn* (الناقد *The Critic*) في 'دور التحليل النفسي في علم الجريمة Fonction de la psychanalyse en criminologie' (١٤٧) ، بينما رُحِبَ في " الشيء الفرويدي 'La Chose freudienne' بجرسيان ولاروشفوكو ونييتشه وفرويد بوصفهم كيانا سماوياً في تراث الأخلاقيين الأوربيين (٤٠٧) .

لا نعرف مقدار ما كان يدين به لاكان لجورسيان وباسكال فى عام ١٩٤٦ ، ولا يوجد لدينا أساس معقول يمكن أن نعرف به تأثيرهما ، إن كان لهما تأثير ، على أبحاثه . وإجابة مثل تلك الأسئلة المفردة لا تُلقى ، بحال من الأحوال ، ضوءاً على أصول النظرية التحليلية ، أو على تماسكها ، أو على قدرتها التفسيرية . ولا يعنى هذا أن دارس الأدب لا ينجز سوى المهام الحقيرة . وتأخذنا الأسئلة العامة عن العلاقة النصية بين المفكرين الأحداث وأسلافهم ، حتى لو تم التعبير عنها فى لغة التناقض الساذج بين التشابه العَرَضى والانتحال المتعمد ، يأخذنا إلى ما يمكن أن ندعوه دراما المديونية . the drama of indebtedness والتحليل النفسى بالطبع ، هو بكل دقة نظرية المديونية ، أو 'الإبطاء' 'belatedness' - إنها حتى اليوم النظرية الوحيدة عن الذات التى تتمتع بالقدرة على التحليق - وهو فى الوقت نفسه ، فى تاريخه السياسى الخاص ، يؤدى تلك الدراما فى سلسلة من الأحداث الرهيبة . وتنتشر فى نص كتابات ، مثلما هو الحال فى نص تفسير الأحلام ، تساؤلات قلقة من قبيل 'كم عدد الأسلاف المسموح لى أن أنسب نفسى إليهم؟' وإلى أى حد يمكن أن أوفر لهم وجوداً طيباً؟' عدد هائل (أو بصورة رائعة) وتصبح قصتى مجرد حكاية قديمة . أو عدد ضئيل وهنا تبدو القضايا المثارة وكأنها لا تتمتع بقداية القدم بحيث تكون جديرة بأن ننظر إليها باهتمام كبير . إن دارس الأدب ، كما توضح أعمال هارولد بلوم ، فى إسهاب رائع ، فى وضع يجعله يستطيع تحديد صوت منافسى فرويد تحت الكتالوج السخى لمبادئ الأحلام ، المبادئ القديمة والحديثة ، التى يستهل بها تفسير الأحلام ، وفهم الآلام الخاصة لمفكر يأمل فى أن يصبح نقطة الالتقاء بين أفكار فرويد وسوسير وهيجل ، ويأمل مع ذلك أن يبقى حراً إلى الأبد وينأى بنفسه عن وصمة الاشتقاقية أو الانتقائية .

وثمة مهمة أخرى طويلة الأمد تنتظر دارس الأدب الذى يتمتع بالكفاءة كمؤرخ للفكر ويتمتع بالمهارة فى تحليل النصوص تحليلاً نقدياً . وهذه المهمة ، التى لم تقع حتى الآن عموماً إلا فى أيدٍ تفتقر إلى المهارة ، تتمثل فى وصف أسلوب لاكان النثرى وتحليل ذلك الأسلوب . وقد نُظِرَ غالباً إلى أسلوبه ، 'المثير للوهلة الأولى' بالنسبة لمعظم القراء ، طبقاً لرأى جورج موني Georges Mounin^(١٨) ، باعتباره إساءة لبعض

مبادئ اللياقة فى العلوم الإنسانية ، المبادئ غير المدونة ، وتم تكريس معظم المناقشات ، التى دارت حول كتابات لاكان ويُفترض أنها أسلوبية ، لتعزيز تلك المبادئ ضد أى هجوم آخر . غير أن انعدام اللياقة indecorousness من منظور لاكان له أسلاف ويصبح قابلاً للتحويل بمجرد إدراكه من المنظور الذى يقدمه تاريخ النثر الأوربى . ومازال اللاتناسق والغموض والغرور فى كتابات لاكان يصدم بقوة بعض المعلقين الذين بحثوا فيها وفشلوا فى العثور على النثرية اللطيفة التى اعتادوا عليها فى الدوريات العالمية للتحليل النفسى ، وتبدو فى الحقيقة وكأنها ناجية من العلم المفقود ، عالم التائق الغزير ، وتحتوى الفقرة التالية من 'تدمير الذات وجدل الرغبة فى اللاشعورى الفرويدى Subversion du sujet et dialectique du désir dans l'inconscient freudien' (١٩٦٠) على صورة دقيقة لعبارة فرويد 'حيث كانت الهوى ، تكون الأنا 'Wo Es war, soll Ich werden' : (١٩)

بيانٌ يتَّهم نفسه ، عبارةٌ تتبرأ من نفسها ، جهلٌ يبدد نفسه ، فرصةٌ تضيع نفسها ، ماذا يتبقى هنا سوى الآثار اللازمة لهجر الكينونة ؟

يقدم لنا حلم يصفه فرويد فى 'تأملات فى مبدأى الوظيفة العقلية Formulations on the Two Principles of Mental Functioning' ، بكل الشفقة التى يمكن أن تستثيرها صورة أب ميت يعود شبها محاصراً ، كما يبدو فى الجملة التالية : 'لم يكن يعرف أنه ميت .'

تناولت من قبل الذريعة التى تقدمها هذه الجملة لتوضيح علاقة الذات بالذال . وهى علاقة تتجسد فى بيا (énonciation) يهتز بالتردد الذى يرتد إليه من عبارته (énoncé) الخاصة .

إذا كانت صورة الأب الميت لا تنجو إلا لأن أحداً لم يخبره بالحقيقة التى لا يدركها ، إذن ماذا يمكن أن نقول عن ضمير المتكلم الذى يعتمد عليه هذا الناجى ؟ لم يكن يعرف...أكثر وكان عليه أن يعرف . أوه ! نأمل ألا يحدث هذا أبداً ! بدل أن أعرفه ، أموت . وهكذا أكون هناك ، هناك حيث كان : من عرف ، إذن ، أنتى كنت ميتاً ؟

كينونة اللاكينونة ، أى كيف أتى كذات إلى المشهد ، مقترنا بالتشوش الهائل لناج حقيقى ، تشوش ينتهى بمعرفة الذات ، وخطابٌ يعزز فيه الموت وجوده .^(٢٠) (٨٠١-٨٠٢)

إن عبارة 'حيث كانت الهو...' يتم تخصيصها هنا بالتهجين بفرضية 'مات أبوه حقا ، ودون أن يعرف' فى مقال فرويد 'تأملات فى مبدأى الوظيفة العقلية' (١٩١١) (XII, 22)،^(٢١) وتكتسب الأشكال الهجينية المنبثقة عنها بعض الآثار الهيجلية المكملية .

وقد يبدو فى البداية أنه يمكن أن تتحقق صفقة أمنة على أساس هذه الفقرات بمجرد فحص 'المصادر' الفرويدية والهيجلية ، وخاصة إذا كان البحث ، عموما ، يطور مفهوما عن رغبة تدمج اشتهاء Begierde هيجل ورغبة Wunsch فرويد وتضعهما فى المواجهة . وبينما يقتبس لاكان من فرويد بدقة ، فإن فينومينولوجيا هيجل يؤثر تأثيرا خفيا ومستمر على نصه . ويمكن أن ننظر ، مثلاً ، إلى جملته الأخيرة - 'خطاب يعزز فيه الموت وجوده' - باعتبارها تذكيراً قويا بالفينومينولوجيا . تذكرنا بكلام هيجل عن الموت ، كما فى الفقرة التالية :

إن حياة الروح ليست الحياة التى تجفل من الموت وتحافظ على نفسها بعيدا عن الدمار ، ولكنها بالأحرى الحياة التى تتحملة وتبقى فيه . إنها لا تكتسب حقيقتها إلا حين تجد نفسها فى التمزق التام .^(٢٢)

وتذكرنا بكلام هيجل عن حتمية القوة العامة فى اللغة الإنسانية :

إنهم يعنون 'هذه' الورقة الصغيرة التى أكتب-أو بالأحرى التى كتبتُ - عليها 'هذه' ؛ لكن ما يعنونه غير ما يقولونه . إذا أرادوا بالفعل أن يقولوا 'هذه' الورقة الصغيرة التى يعنونها ، إذا أرادوا أن يقولوها ، يكون الأمر مستحيلا ، لأن هذه الحسية التى يعنونها لا يمكن الوصول إليها باللغة ، اللغة التى تنتمى إلى الشعور ، أى إلى ذلك العالم الأصيل .^(٢٣)

وقد كُنِّفَتْ واكتسبت طرازا جديدا فى التصوير اللاكانى المميز للذات الإنسانية المنقسمة : الذات ('أشبه ذاتا') التى هى أثر من آثار اللغة ، أو حدث فيها ، وهى بتلك

الصفة تشبه شبح الموت بقدر ما تشبه 'الروح' فى تعليق هيجل . ويتم استدعاء هيجل بصورة رائعة لتذكير التحليل النفسى بدقة اكتشافاته التراجيدية الأولى وكتافتها . إن لاكان ، بالتناوب ، سيدٌ خادمين وخادمٌ سيدين فى الديالوج الذى يرسّخه بين فرويد وهيجل . ويمكن النظر عموما إلى إلحاحه فى اللعب على 'ضمير المتكلم Je ' فى الفقرة باعتباره مراوغة بين الأنا الفرويدية ('Das Ich') و 'أنا Ich' الناطقة التى يصور بها هيجل غالبا أوصاف الوعى الذاتى . وهنا تبدو الأنا الفرويدية فى دورها المؤلف كخصم مجادل : الأنا ميتة وتأتى الاعتراف بموتها ؛ ويجب إقناعها بموتها ('que Je meure') وبالتفكير الضلالى الذى ازدهرت عليه ؛ وربما لا يتم بعثها إلا بشروط الإذعان ، تلك الشروط المحفوفة بالمخاطر .^(٢٤) وفى عملية الإقناع تصبح الأداة المتحركة جدليا ، أى 'الأنا Ich ' الهيكلية حليفة لاكان ضد الأنا الخاملة والمغتربة فى تراث التحليل النفسى . ويرى هيجل أن 'ضمير المتكلم ' الناطق لا يستطيع الهروب من قَدَر 'قطعة الورق' المنطوقة :

يُسمَع 'ضمير المتكلم' الذى يعبر عن نفسه أو يُدْرَك ؛ إنها عدوى مر منها مباشرة إلى الانسجام مع أولئك الذين يمثل وجودا حقيقيا بالنسبة لهم ، وهو وعى ذاتى عام . إن إدراكه أو الاستماع إليه يعنى أن وجوده الحقيقى يضمحل؛ يردُّ أو آخريته its otherness إلى ذاتها ؛ وهذا هو وجوده الحقيقى : أى بوصفه الآن وعيا ذاتيا ، وبوصفه وجودا حقيقيا ، إنه ليس وجودا حقيقيا، ولكنه يصبح وجودا حقيقيا فى هذا التلاشى

['und eben diB ist sein Daseyn, als selbsbewuBtes Jetzt, wie es da ist, nicht da zu seyn, und durch diB Verschwinden da zu sryn']^(٢٥)

وقد نطنُّ أن الجدل بين التلاشى والظهور مرة أخرى ، وبين الوجود الحقيقى والوجود الزائف ، فى مثل هذه الفقرات أثر على لاكان ليس فقط لأنه كان يتماس معه فلسفيا ولكن لأنه ، أيضا ، حَفِظَ فى أنماط تركيبية 'جدلية' لاذعة . وقد يبدو باقتفاء ما خلفته صدمات الإنجاز الأسلوبى لهيجل فى كتابات لاكان ، أننا نقبض بقوة على هذه الفقرة من 'تدمير الذات' . لتأمل ، مثلاً كلمات هيجل الختامية ، والنصُّ الأصلى الذى اقتُبِسَتْ عنه أيضا . إن مراحل الجدل التى قُسِّمَتْ بسهولة بين جمل منفصلة ،

فى موضع آخر من الفينومينولوجيا ، تُقدّم هنا ، غالبا ، كأعضاء فى فرضية واحدة معقدة ، أعضاء يعتمدون على بعض بشكل متبادل . وبمجرد قراءة الجملة ، تستعير ، على الأقل ، الأمور التى قد يُظنُّ أنها تقتصر على التبادل-بصرف النظر عن وجودها أو عدم وجودها ، حضورها أو غيابها-من نحوها مظهرا من مظاهر ضرورة التبادل . وهنا لا تقدم البنية التركيبية دفاعا منطقيا ولكنها تقدم دفاعا دراميا عن عملية المناقشة التى يقوم بها الجدلى . ويوجد تكيف مماثل بين المناقشة وتركيب الجملة فى سؤال لاكان 'ماذا يتبقى هنا سوى الآثار اللازمة لهجر الكينونة؟' وبالطبع ، ليس علينا إلا أن ننظر إلى الكلام اليومى لنجد أمثلة تركيبية شبيهة تؤدى بعض أغراض الإقناع من ذلك النوع . ويزخر الأدب الخيالى بجمل ، كما هو الحال بالنسبة لجمل لاكان ، يستحيل فيها الفصل بين الحى والميت :

دائما ، فى كل ساعة ، هكذا بلا انقطاع
على حياتى أن تنتهى ، وتبدأ
فى هذا الموت العائش سُدًى .^(٢٦) (Scève: Délie, 267)

عالمُ موتٍ ، باللعنة
خلق الربُّ الشرُّ ، لأن الشر حسن بمفرده
حيث تموت الحياة كلها ، يعيش الموت ، وتنسل الطبيعة
ضالة كل الأشياء المهولة والمذهلة . (ميلتون : الفريوس المفقود ، 25-622 ، II)

كانت البسمة على فمك أموتَ شىءٍ
حية بما يكفى لأن يكون لها القدرة على الموت . (هاردى ، أنغام محايدة)

إلا أنه بالرغم من حقيقة أن مثل هذه التأثيرات التركيبية – التى أتاحَت للاكينونة أن تضع بصماتٍ متنوعةً على الكينونة لتُرى وتُسمع فى الخطاب – كانت متوفرة أمام

لاكان بدون اللجوء إلى هيجل ، إلا أن الدرس الأسلوبى فى الفينومينولوجيا كان شيقا للغاية . كان ، هنا ، كتابا صور الموت الحى والحياة الميتة كموضوعين أصيلين بالنسبة للوعى الإنسانى ، وكان تركيب الجملة يمثل فناً تصويريا متحركاً لشعور يمكن القبض عليه بسهولة ؛ إنه كتاب لم يناً بنفسه عن الغموض والتعويض فى السعى وراء أهدافه الفلسفية ؛ وقد بدا وكأنه يتنبأ فى وضوح استثنائى بدرس أساسى من دروس التحليل النفسى : إن الحس الإنسانى بالنفس تلفيق مضطرب نشأ تحت ضغط الآخرين والآخرة التى لا يمكن اقتلاعها ، أى أنه نشأ تحت ضغط الشفرة الاجتماعية والعرف الجسد .

إلى أين يأخذنا هيجل ، كمصدر للمفاهيم أو كتأثير أسلوبى ، فى فهم كيفية قراءة كتابات ؟ أظنه يأخذنا إلى أبعد مدى-بشرط أن نتأمل مقاومة لكان بصورة متوازنة مع حماسه . يستخدم لكان مجموعة من الحيل البلاغية لعزل 'تأثير هيجل' فى كتاباته وكسر ذلك التأثير والتبرؤ من اللولبية الجدلية العليا التى تقترب بها الروح ، فى الفينومينولوجيا ، من واقع المعرفة المطلقة .^(٢٧) وتتضمن الفقرة التى ناقشتها أقوالاً ماثورة وشبه توراتية بينها القليل من الروابط السببية الواهية . إن الحذف والإضافة واللعب بالكلمات والمفارقة والالتباس تجعل الأنظار تركز على كل فقرة من هذه الفقرات كوحدة مفردة ، وحدة معنى ، وقد تخلق بعض الكلمات المتكررة (أو أشباهها ومرادفاتها) نمطا مضطربا من الروابط الجانبية بين الوحدات : سقوط الكينونة *choir de l'être* -فقيـد *défunt* -موت *mort* -ليتنى أموت *que Je meure* -كنت ميتا *J'étais mort* -الموت *la mort* ... إلخ ، وتضيف علامات التعجب وعلامات الاستفهام والتركيب غير المتسق للجمال والأسئلة التى تصدر عن عوامل ذهنية مجسدة ولا تنتهى بعلامات الاستفهام تضيف تشويشا فى سير المناقشة - وفى الحركة إلى أعلى وهى حركة محبطة تماما ؛ وتظهر العبارات الماثورة ظهورا مفاجئا وتبدو وكأنها بدون دافع . وتستخدم هنا بعض الحيل ، أعنى تلك الحيل التى نتوقع ألا يكون لها أكثر من وظيفة توضيحية طارئة فى الخطاب النظرى ، تُستخدم بكثافة لدرجة أنها تسود افتتاحية النص وتعرض عملية السعى وراء المعنى لمنعطفات ومعوقات لا تنتهى . وهذه الحيل هى الأدوات المتاحة أمامنا لمواكبة التفكير فى غياب

المنافشة المدعمة والجمل المنمقة المسهبة في الأسلوب الهيجلي (أو في أى أسلوب آخر) .
يجرى تفكيرنا على نحو متقطع ، في وسط لفظي مشوش وثاقب وحافل بالحكم .
وربما يوصف نثر من هذا القبيل بأنه 'باروكي' 'baroque'- ويبدو مصطلح 'الباروكي' ،
بتعريف أدق بكثير مما يستخدمه المعلقون على أعمال لاكان ، أولئك المعلقون الذين
يكثر من استخدامه ، يبدو جديرا بالاهتمام .

تحدث موريس كرول Morris Croll ، في مقاله الريادي الرائع عن 'الأسلوب
الباروكي في النثر 'Baroque Style in Prose' ، تحدث ، بتمجيد له ما يبرره ، عن
حركة جديدة في النثر الأدبي في أوروبا ، ويرى أن تلك الحركة بلغت ذروتها حوالى
عام ١٦٣٠ :

ازدرت [تلك الحركة] الرضا والدمائة والوفرة والخواء والسهولة ، وتعرضت
أحيانا لتأثير التحريف والالتباس حتى تتجنب تلك الصفات ، التى لم تكن ترى
أنها تمثل أخطاء بشكل دائم . وفضلت تلك الأشكال التى تعبر عن طاقة العقل
وجهد فى السعى إلى الحقيقة على الأشكال التى تعبر عن الإحساس القانع
بامتلاك المتعة ، ولم يحدث ذلك بدون رماد وبدون حرارة . وباختصار ، صار
موضوع الفن هو تحركات الأرواح لا سكونها . (٢٨)

ومن الفقرات التى اختيرت لتوضيح 'الأسلوب المقتضب' style أو curt style
coupé ، كتب كرول :

إنهم لا يتحركون حركة منطقية . يقولون فى النهاية ما كانوا عليه فى البداية. إن
تطورهم كله باتجاه تحقق خيالى أكثر حيوية ؛ استعارة تدور ، إذا جاز التعبير ،
لتعرض مختلف جوانبها ؛ تبرق أضواء سلسلة من الاستعارات؛ أو تكشف حلقة
من 'النقط' طاقة الاستيعاب الفردى فى عقل الكاتب . (٢٩)

ومع أنه ليس من الدقة أن نتكلم عن "استيعاب فردى" يشق طريقه فى الفقرات
الأخيرة التى اقتبستها من لاكان ، إلا أن الملاحظات الاستعارية الثاقبة لكرول عن
الاهتمام 'بالنقطة' والاستعارة اللتين تميزان بصورة واضحة طبيعة التفكير فى الكتابة
'الباروكية' التى تشجع لاكان على الإنجاز . إنه يتخلى عن لغة اليقين الهادئ التى

يختارها غالبا زملاؤه ومعاصروه فى التحليل النفسى ليكتبوا بها (حتى حين يعبرون عن شكوكهم) ويستخدم بدلا منها لغة تنزع للشك ، لغة ساخطة وخطرة . إن كتاباته لا يدفعها أى حافز إلى الصعوبة وعدم الترابط ، ولكن يدفعها حافز، صار أمرا أخلاقيا ، إلى أن تكون مدهشة .^(٣٠)

وإذا نظرنا إلى الكتاب الباروكيين الذين ذكرهم لاكان بالاسم كأسلاف له ، فسوف نجد أن حماسه لجرسيان يماثل حماسه لجونجورا ويعادله إلى حد ما : إن تقاليد الكونسبتيزمو *conceptismo* والكلترنيزمو *culternismo* التى تصادمت بقوة هائلة فى أسبانيا فى أوائل القرن السابع عشر ، تتصادم من جديد فى كتابات لاكان.^(٣١) ويرجع تقدير لاكان لتقاليد الاتجاهين إلى الصعوبة التى يحضن عليها وإلى عدائهما الواضح لرذيلة التفكير فى 'الحس السليم' . وتتأرجح الصعوبة فى يدي لاكان بين تركيب الجملة والصوت ، بين المجاز والنسق ، بين فكر مصاب بالغرور ونسيج لفظي يحتشد بالتلميح . إنه ينتمى بالمزاج إلى سنيكا حين يتعامل مع تركيب الجملة ، ويتحول إلى جملة شيشرون حين تتطلبها الوصية التى تقول 'قل دائما شيئا آخر' (٨٣٧) .^(٣٢) ولا ينبغي لنا أن نبالغ فى التركيز على هذه المقارنات ، خاصة حين تضخم تقمص لاكان نفسه لعباقرة أوربا الراحلين تضخيما سطحيا ، لم تمسسه سخريته الشاملة . وكتابات لاكان ليست جيدة فى كل الأحيان حتى بمعاييره الخاصة غير المعتادة . إن وسائله المتأنقة تتأثر أحيانا بمجلات الأدب المدرسية وبتصوراته عن مجتمع طلابي مجادل ؛ وتقرب توريته ومواربته من التفاهة أحيانا . يطل كوينتليانوس عبر الزمن ، ونصادفه فى كتابات فى عدد من القوائم الحماسية لصوره البلاغية ، وربما يأمل فى تحذير لاكان بقائمة من الرذائل التى قد تختفى فى تلك الحيل : ويمكن مقابلة كل من *accismus* ، والكناية *metonymy* ، والاستعارة المدهشة *catachresis* ، والتهكم *antiphrasis* ، والمجاز المرسل *hypallage* ، والإثبات بالنفى *litotes* عند لاكان (٤٦٦) ، بعد تأمل كتاباته ، بالمصطلحات التالية :

anoiconometon, cacosyntheto, cumulatio, nugatio, periergia,
scurra ^(٣٣)

وأقل ما يمكن أن يضطلع به دارس الأدب الذي كنتُ أعدُّ له برنامجا هو تحليل الطرق التي تضل بها كتابات لاكان ، وتسيء إلى أفكاره ، وتفشل في الوصول إلى المفهوم التحليلي المعقد الذي طرحه تعاليمه عن الحقيقة *vérite* .^(٣٤) ولكن المهمة الأكبر التي تقع على عاتق هذا الدارس ، وخاصة إذا كان أسلوبيا ، هي تحديد نوع الكتابة التي يكتبها لاكان والقيام بتحليل تفصيلي لعمليات صناعة المعنى . ولا يمكن لهذا التحليل بمفرده أن يقدم وسيلة لاختبار الترابط في نظرية لاكان . لكن فهم تلك العمليات - والقدرة على إدراك الفرق بين أساليب المناقشة المترابطة منطقيا والمضادة ببراعة للترابط المنطقي - مطلبٌ أساسيٌ لكل من يريد ابتكار مجال لوضع اختبارات مناسبة لتلك النظرية .

وربما نظنُّ أن عملا من هذا القبيل يقدم لدارس الأدب ذروة الأدوار التي يمكن أن يقوم بها في ميدان التحليل النفسي . ولكن ربما كان لاكان أكثر إغواء . وربما نرى أفكاره عن الأدب والمشتغلين به في أكثر أشكالها خداعا في الفقرة التالية من 'الوظيفة والمجال' وقد نوقشت كثيرا وتنعم الآن بما يشبه الاعتراف :

اللاشعوري هو ذلك الفصل من تاريخي الذي يتميز بالبياض أو الاستغراق في الزيف: إنه الفصل الخاضع للرقابة . ولكن من الممكن إعادة اكتشاف الحقيقة ؛ إلا أن قدرها ينتقص عادة في مكان آخر . وبالتحديد :

- في الآثار : هذا جسدي . أي النواة الهستيرية للعصاب ، تلك النواة التي تكشف فيها الأعراضُ الهستيرية بنيةً اللغة ، وتحل شفرتها كنقش يمكن تحطيمه بمجرد اكتشافه دون خسارة تذكر ؛

- في الوثائق الأرشيفية : إنها ذكريات طفولتي ، مستغلقة كتلك الوثائق حين لا أعرف مصدرها ؛

- في التطور الدلالي : إنه يناظر عائلة الكلمات وقبول المعجم الخاص بي ، كما أنه يناظر أسلوبى في الحياة ويناطر شخصيتي ؛

- في التراث ، أيضا ، وحتى في الخرافات التي تحمل تاريخي بشكل بطولي ؛

- وأخيرا فى البقايا التى تبقى عليها التشوهات اللازمة لربط الفصل الزائف بالفصول المحيطة به ، وسوف يرسخ تأويلي معناها من جديد .^(٣٥)
(٢٥٩)

وقد يبدو أسلوب لاكان هنا ، للوهلة الأولى ، تعليميا ساذجا ، وكأن السؤال هو 'أين اللاشعورى وأين أعثر عليه ؟' تأخر طويلا بصورة تبعث على الغيظ ، ويمكن الإجابة عليه من الآن بمجموعة من الفرضيات المذهبية البسيطة . لكن الفقرة فى الحقيقة تمثل تلخيصا بارعا لبعض الاستعارات الفرويدية الأساسية عن اللاشعورى ، وقد أنجزت بطريقة تجعل لاكان قادرا على إبراز تردد متواتر فى تفكير فرويد . وقد شكل كل من نظامى الاستعارة ، النظامين اللذين يضعهما لاكان مقابل بعضهما ، تقريبا ، أى النظام 'الحفرى' والنظام 'الدالى' ، مظهرا دقيقا نضج مبكرا فى كتابات فرويد السابقة على كتاباته فى التحليل النفسى وقد اعتمد عليها وعدلها فى مسار تنظيره .^(٣٦)

تحدث فرويد كثيرا عن بعض النشاطات الذهنية كالإدراك والكبت والتذكر مستخدما مصطلحات تميزه ككاتب . ويمكن تصوير الانتقال من نظام أو مستوى نفسى إلى آخر بسهولة باعتباره عمليات تنتج بواسطة خواص الكتابة-الترجمة ، النسخ ، الطبع ، إعادة الطبع ، تدوين اسم الناشر ، إعادة الصياغة-ويسود الاعتقاد بأن المعانى التى تحملها هذه الخواص معرضة للتشويه أثناء عملية النقل . وبينما كانت المستويات النفسية 'الأدنى' تتمتع بقدرة كبيرة على التذكر بدرجات متنوعة ، كان المستوى الأعلى ، الوعى ذاته ، سطحا للكتابة لا يمكن أن تتشكل عليه أية آثار دائمة (XIX, 230) . وقد قدم علم الحفريات بعض الآثار الراسخة والقوية كنظام بديل للمعنى إلى جانب تلك الرسائل وضدها ، الرسائل المكتوبة والقابلة للنسخ من جديد بصورة لا تنتهى : برغم أخطار الدفن والحفر ، إلا أن ما وُضع فى العقل ذات يوم مازال موجودا ويمكن استعادته سليما . والفن الكتابى الوحيد الذى احتفظ بقدرته ضمن هذا البعد الحفرى كان فن شامبليون ورفاقه من محلى الشفرة - الذين يكتشفون كل المعانى أو كل الأنظمة المنتجة للمعنى من المواد المتبقية .^(٣٧) وتبدو

مناورة لاكان في هذه الفقرة ، إذا تأملنا تلك الخلفية الفرويدية ، واضحة بما يكفى .
وحيث أنه أعاد تفسير موضوعات فرويد الحفرية ، 'آثاره' ، بوصفها كائنات لغوية
متحركة - بالصورة التى قد نتوقعها- فإن أعمال التفسير التى تتحرك بالقدر نفسه
يمكن أن تتلاعب بها بلا حدود . ألا نشهد أحد تصويبات فرويد التى تمت على يدى
فرويد وقد صار لاكان خبيراً بارعاً فيها ؟ ألا يتم الكلام عن النزعة السيموطيقية فى
التحليل النفسى للانتصار على النزعة الحفرية ؟

لا أظن ذلك . لأن المحاولة المترفة التى قام بها لاكان لتغطية العمليات الذهنية
بغطاء من المجاز اللغوى تؤدي فى الإيقاع الختامى للفقرة الختامية إلى درس تأويلي -
شديد البساطة : ربما بملء بعض فجوات التفسير الواضحة فى المادة ، ووضع بعض
المعابر للوصول إلى فهم محدّد ، وإعادة ترسيخ الغزارة الأصلية فى المعنى . إن
الطريقة الحفرية التى تم إنكارها على السطح الاستعارى لهذا الابتهاال ، سلكت
سلوكاً مناسباً: غاصت تحت السطح وعبرت فى سلام . وطبقاً لذلك يحمل تعليق لا
كان على الرقابة إحياء خاصاً . ويلمح بالطبع إلى مقارنة فرويد ، تلك المقارنة الرائعة
بين بعض القوى الذهنية الكابحة والرقابة الروسية التى تغلبت عليها بعض الصحف
الأجنبية ونجحت فى عبور الحدود (I, 273 , V 529) ، ولا يؤثر ذلك على قوة تعليق
فرويد تأثيراً جوهرياً . كان 'الفصل' اللاشعورى مكتملاً ومتربطاً قبل أن تُطبق عليه
أداة الرقيب ، تلك الأداة الجوفاء ، وسيعود من جديد مكتملاً ومتربطاً ، بمجرد رفع
الرقابة عنه . وقد بين دريدا الصعوبات التى ربما تنشأ إذا تم تعقّب الاستعارات
'السيموطيقية' فى التحليل النفسى بصورة ناقصة . إنه يكتب عن الطبقات فى
'ثنايا الكتابة السرية' لفرويد (XIX, 227-32) وفى نماذجيه الذهنية المكونة من
طبقات عموما :

لا يمكن التفكير فى الكتابة بدون العودة إلى الوراء . ومن ثم لا يمكن إقامة
اتصال دائم أو انفصال مطلق بين الطبقات . حذر الرقيب وفشله . وكم نرى
استعارة الرقيب ، فى السياسة ، فيما تقوم الكتابة بشطبه ، وفى الفجوات
والتقنّع ، ولا يأتى ذلك صدفةً ، ولو كان لفرويد ذاته ، فى بداية تفسير الأحلام ،

كما يبدو فى إبداع مرجع تعليمى مكتمل . وذكرونا المظهر الخارجى للرقيب السياسى برقيب أساسى يقيد الكاتب فى كتاباته الأصيلة . (٣٨)

تتمثل عدة الرقيب السياسى فى الحذف والمحو والتقنع وهى أيضا سمات الكتابة الحقيقية التى يمارس نفوذه عليها ... وسمات الكتابة الأخرى أيضا . وما فعله لاكان باستعاراته اللغوية الدقيقة يُعدُّ تجديدًا للمواد اللاشعورية التى يبتكرُ فيها التحليل النفسى استمرارا واكتمالا بصورة رائعة يتناقضان تماما مع بعض العناصر الأخرى فى المناقشة التى قدمها فى 'الوظيفة والمجال' . وعزل الكتابة واللاشعورى كليهما معتبرا أنهما كتابة فراغهما المتوطن ولم يلمح إلى دياالوج التحليل النفسى أو إلى مواضع الصمت التى تعوقه أو تدفعه . وقد أصبح التحليل النفسى ، فى فاصلة قصيرة من نصف صفحة ، فناً بسيطاً ، فنُّ الذاكرة ، أداة تساعد الذات على استحضار ماضى المرء ، الماضى الشخصى ، بالمعرفة الاستبطانية . وتلك هى اللعبة التى يدعى دارس الأدب للاشتراك فيها . والإغراء العاطفى المرافق للدعوة إغراء قوى .

وسوف يعرف هذا الدارس مدى ما يحتوى عليه 'الفرع' الذى اختاره من العناصر المتباينة ومدى جموحه فى معظم الأحيان . وسوف يعرف أن عليه اكتساب عدد من المهارات المهنية المتباينة حتى يتمكن من تناول نصوصه تناولا صحيحا ، أو حتى يقترب باحتراس مناسب من الصعوبة التى تقسم بها تلك النصوص أو من افتقارها إلى الحسم . وسيكون عليه قبل أن يفسر النص الذى يتناوله - إذا كان يطمح إلى ذلك - أن يكتشفه ، ويعزله ، ويمعن النظر فيه . وربما تتطلب هذه الأنشطة الأولية عددا من القدرات المتنوعة ، القدرات التحريرية أو الببلوجرافية أو التاريخية أو المعجمية . ويحتاج التفسير الحقيقى إلى ما يفوق ذلك بكثير . وسوف يعزز جاليرى لاكان الذى يعرض فيه صور أصحاب المهن الأكاديمية المؤثرة احترام هذا الدارس لذاته بقدر كبير . والمفسر الذى تقع على عاتقه فى النهاية مسئولية ترسيخ المعنى من جديد هو بالفعل دارس للنقوش والسجلات والأسلوب والثقافة الشفهية ، ومستكشف ، وعليه الاستعداد دائما لاستثمار خبرته المتشعبة بطرق جديدة . ويقدم كل من المحلل

النفسي ودارس الأدب للآخر مرآة ترضى كبريائه وتبدو فيها خصائص إنجازاته ، الخصائص التي قد تبدو سطحية بدون ذلك ، تبدو توجهها خلقيا يعبر عن حالة من القيم الخلقية . إن كلا منهما يقود حملة ضد عدم الدقة وضد الكذب ، ويجمع بينهما الفهم القوى للاستقامة المهنية . ولا تضرب أفقهما الخلقى بواعث دنيئة ، ولا يعوق الجهل أو البصيرة الجزئية نشاطهما التأويلي ، والثن الذي يدفع مقابل هذا الشعور الذي ترافقه البهجة ، بمصطلحات التحليل النفسي المحض ، ثمن باهظ للغاية ؛ وفي مطاردة هذه اللحظات ، يجب الانغماس في التحليل النفسي كطريقة مميزة للتذكر أو كمنهج لدراسة الجدل بين البشر في الكلام الإنساني .

ويمكن لنا أن نعترض على اعتراضات من قبيل أنهم ذوو عقول حرفية خرقاء للغاية ؛ وأن لاكان يسعى ببساطة إلى إعداد زملائه بتذكيرهم بالفنون الإنسانية التي تقترب من فنونهم الخاصة؛ وأنه يرسم خطوط 'كلية التحليل النفسي' التي تشمل مناهج خارج الطب وكان فرويد قد تنبأ بذلك ذات مرة (XX, 246) ؛ ^(٣٩) ويوجد تعليق على التواصل الإنساني يلتزم التزاما صارما بالتحليل النفسي في موضع آخر من 'الوظيفة والمجال' ولا حاجة بنا لوجوده هنا أيضا . وفي الحقيقة لن يكون لهذه الاعتراضات أهمية كبيرة إلا إذا كنا نتساءل عن الترابط في بحث لاكان ككل . لأن البحث يكتسب ، وهو في سبيله إلى الاكتمال ، قدرة فائقة في الإجابة على الأسئلة التي يطرحها وفي إعادة توزيع تأكيداته . ولكن البحث شديد التعقيد والغموض فيما يستنبطه بالتفصيل من المناقشة التي تميل فقراتها التي تحمل وعظا مباشرا ، حين توجد ، إلى الانفصال عن تلك المناقشة وتبدو كأجزاء منفصلة عن البنية الأساسية للنص - تبدو وكأنها قوالب لمعنى آمن ومفيد . وربما تكون تلك القوالب ، وقد قمنا بفحص مثال منها وربما يكون أوضحها ، خادعة على نحو خطير . قد تخدع إلى درجة توحى بأن نسخة لاكان من التحليل النفسي ليست سوى دراسة أدبية تقليدية أعيد وصفها بصورة خيالية . ومع أن لاكان مسئول بدرجة كبيرة عن المبالغة في قيمة لأدب وبدت أعماله غالبا وكأنها تشجع على ذلك (استطاع ، في بعض لحظات كشف في أبحاثه ، أن يكتب عن الأدب بشكل مختلف - أقل إثارة للاشمئزاز ، وأقل

كرما) ، إلا أنه احتج أيضا بعنف على 'التضخم الأدبي' *inflation littéraire* (٤٠) الذى خضع له التحليل النفسى عموما . ويرى لاكان أن أوراق اعتماد الأدب ، كصرح ثقافى ومصدر توجيهى للتحليل النفسى ، مؤثرة بصورة لا تقبل الشك .

ومن المناسب أن نرى العلاقة بين النظرية اللاكانية والدراسات الأدبية بوصفها علاقة يتم فيها تبادل الدعم والتعزيز بين الطرفين . وفى ظلال تلك النظرية اكتسبت كتابات عدد كبير من النقاد بعض المزايا : تحولوا مرة أخرى إلى ما يميز الكثير من المعانى الأدبية ، تحولوا إلى التضمين والحركة والالتباس ؛ لقد قدم لهم لاكان - فى 'سيمينار عن "الرسالة المسروقة"' (١١ - ٦٦) وفى الكثير من الكتابات اللاكانية - وسائل جديدة للنظر إلى الحبكة والتصوير والإحكام فى الحكاية النثرية ؛ ووضح لهم مجرى فتشية السلعة commodity fetishism الذى يتخلل المفهوم الحديث 'للنص' وضرره الذى يعادل ما أحدثه من ضرر حين تخلل المفاهيم القديمة ، مفاهيم 'التحفة الرائعة' والعمل العظيم ودعاهم إلى الشك فى النقد الأدبى ذاته بوصفه طقسا للانحناء أمام موضوعات لفظية مقدسة ؛ وقدم لهم أدوات للتفكير الحاسم فى الأعمال الأدبية بوصفها من منتجات الرغبة ، وفى تشبعهم بالرغبة فى التعامل مع الأعمال التى يكتبون عنها ومع القراء الذين يتوجهون إليهم بالخطاب . ورفضت نظرية لاكان وعد النقد الاشتراكى المادى بأسلوب جديد - أسلوب قادر على إقامة ارتباطات متماسكة بين بنية اللاشعورى والممارسات الدالة المتفاعلة معها وتكون ثقافة من الثقافات . (٤١) ويميل النقاد الذين يدينون بمثل تلك الأمور إلى تصديق أن التحليل النفسى فى أعمال لاكان يدين للأدب بقدر مساوٍ ومضاد من الديون . ولكن العلاقة فى الحقيقة غير متماثلة لأسباب سأقوم بشرحها الآن .

رأينا من قبل أن الأدب ، فى منظور لاكان ، موضوع من موضوعات الرغبة ، يتقلب فى أشكال عديدة ورأينا أحيانا أن نصوصه النظرية تُفَرِّط فى التعميق فى محاولاتها لاصطياده وافتراسه . وقد تستثير نصوص الأدب ، حتى حين تستخدم لأغراض تعليمية بسيطة ، سلسلة من المناورات القلقة فى كتابات لاكان ، وكأن الحسد والشك جعلنا من المستحيل بقاء أية نقطة محورية . ويناقش لاكان ، مثلا ، فى 'مقال

حول أسباب الذهان 'شخصية السيست Alceste ، وهى شخصية من شخصيات موليير ، بوصفها شاهدا نبويا 'على الروح الجميلة' (*schöne Seele, belle âme*) (٤٢) عند هيجل ، تتقمص بصورة زائفة قانون الفؤاد وقانون الطبيعة ، ويقودها مشهد الرفاق المتصدعين إلى وضعين لا ينالان رضاها بالقدر ذاته - تصور مسعور أو استغراق ذاتي واهٍ (٤٣) والوضعان ، فى رأى هيجل ، يندران بالخبل أو الجنون (٤٤) ويتلاءم هذا التعليق الهيجلى عن الجنون الكامن فى ادعاء المرء لعقل لا مثيل له ، يتلاءم تماما مع مناقشة لاكان للموضوع : تتنبأ قيود هيجل على 'الروح الجميلة' بنقد لاكان لإجراءات التشخيص الضلالية التى مازالت أساسا لقسم كبير من الطب النفسى المعاصر ، ولكنها لا تصدر على هذا النقد ؛ وتشبه علاقة الروح الجميلة برفاقها علاقة البارانونيا بين شخص وآخر وهى علاقة يصف بحث لاكان خصائصها بالتفصيل الشديد ، ولكن التشابه ليس تاما . وببساطة يستبدل لاكان بشاهد هيجل الأدبى المفضل (كارل مور فى اللصوص لشيللر) شخصية أكثر قبولا لدى الجمهور الفرنسى وأكثر تناغما مع ذوقه الشخصى (١٧٣١) ، ويردد رأى هيجل: 'يبتكر موليير السيست و...يخلقه على تلك الصورة-إنه مصيب تماما فى ذلك: إنه لا يتعرف فى روحه الجميلة على اقترابه هو ذاته من خلل حقيقى بينما كان ثائرا ضده' (١٧٣) (٤٥) وينشأ تحليل مسرحية *Le Misanthrope* البشر حين يحدث التداخل بين أسلوب التحليل النفسى والأسلوب الفينومينولوجى ، وفى كل منهما تتلاشى القيمة البارزة للأدب . يكتشف السيست العالم الاجتماعى المحيط به ويزدرى الآخريّة otherness الجائرة التى تعوق الاستقلال المزعوم لعقله ويزدرى أيضا سلسلة من الانعكاسات النرجسية التى تنعكس عليها نرجسيته :

إنه ، إذا توخيتُ الدقة ، مجنون ، ليس لأنه يعشق امرأة تعبت به أو تخونه ، وهو سبب يعود ، بدون أدنى شك من وجهة نظر جيل جديد من الرفاق المتعلمين ، إلى نقص فى قدرته الحيوية على التكيف ، ولكنه مجنون لأنه وقع ، تحت راية العشق ، فى شعور حقيقى يفضى به إلى رقصة من الفن الوهمى التى تبتهج فيها Célimène الجميلة : أعنى نرجسية العاقل التى تدعم البنية النفسية

'للمجتمع' فى كل العصور ، وتتضاعف هنا بالانرجسية التى تفصح عن نفسها ، خاصة فى بعض العصور ، فى المثالية الجماعية للعشق. ^(٤٦) (١٧٣)

وبرغم التوبيخ الذى يوجهه السيست للمجتمع ، إلا أن المجتمع ليس إلا سطحاً للمقاومة ترتدُّ عليه عدوانيته إلى ترسه المجهز-ذاته . ويقدم لاكان تفسيراً لدافع السيست إلى تدمير ذاته - 'الهجوم الانتحارى للانرجسية' (١٧٤) ^(٤٧) - من خلال الدراسات الحديثة عن البارانونيا فى الطب النفسى ، بما فى ذلك أطروحته التى تقدم بها للدكتوراه . ولكن هذا اللجوء إلى موليير ليس مجرد محاولة لانتزاع حالة جاهزة من مجال الأدب العام ، ولا يقتصر تحليل لاكان على السعى إلى اختبار القوة التفسيرية لمفهومه الحديث لمرحلة المرأة . وتنتهى مناقشته بانعطاف ميلودرامى فى المناظرة التى تسبقها :

أستطيع ، بدلا من السيست ، أن أسعى إلى المباراة التى يلعبها قانون الفؤاد فى المصير النهائى الذى يؤدى بالثورى القديم فى عام ١٩١٧ إلى القفص فى محاكمات موسكو . ولكن ما يتضح فى فضاء مخيلة الشاعر يعادل على المستوى الميتافيزيقى أكثر الأشياء دموية فى العالم ، إذ أنها تصنع تيار الدم فى العالم ^(٤٨) (١٧٥).

وقد عبّر هيجل عن تقديره للثقافة المتشعبة فى شخصية كارل مور التى أبدعها شيللر بالإحجام عن ذكر اسم المؤلف أو الشخصية أو المسرحية فى الفينومينولوجيا ، وتجنب الاقتباس المباشر منها: إن كارل مور متأصل فى النص ولا يمكن إدراكه إلا عبر ستار من التلميحات ^(٤٩) ويعبر لاكان ، من ناحية أخرى ، عن تقديره لشاهده الأدبى المناظر فى تحول حاد فى البؤرة : كان يستطيع الكتابة عن المحاكمات المثيرة فى عهد ستالين أو عن مشهد المذابح البشرية المروعة ، ولكنه خضوعاً لحيرة غير محددة اختار مناقشة المعادل 'الميتافيزيقى' لتلك الأحداث ، واختار عملاً أدبياً تشهد على صحته بنية أساسية فى إدراك الإنسان . يُهدّد السيست بالطرد - ماذا نتوقع من حكاية عن عدوانية البارانونيا حين تحدثنا عن حقائق التاريخ بهذه الفصاحة الصارخة؟ - وبعد ذلك يُردُّ له اعتباره بغرور .

ولا يتضح لماذا تفوق قيمة شخصية عدو البشر ، الشخصية التي أبدعها مولير ، كنموذج ، قيمة البلشفي الذي يعلن اتهامه لنفسه . إن الأعمال الثقافية الوسيطة المعقدة تعقيدا ساحقا ، تلك التي مرت خلالها الآلية النفسية الضمنية في كل حالة من تلك الحالات التوضيحية تجعل إمكانية اقتفاء كل منها أقل بكثير من إمكانية اقتفاء مادة الحالة الإكلينيكية التي يذكرها لكان في موضع آخر من البحث . وهكذا يؤكد الادعاءات المعرفية للأدب الخيالي ، ثم ينكرها ، ويؤكد لها من جديد تأكيدا قويا ، وبالقوة نفسها ينكرها من جديد على مدار البحث . ويجب أن يكون المثال التحليلي الواضح في النص الأدبي بالتعريف واضحا في موضع آخر ، وعلى الأدب أن يتذكر أنه لا يتمتع بامتيازات ثابتة . لا يكتسب المثال السلطة من أي عرف متنقل ولا من أي تدوين سابق على مشاهدته ، ولكنه يكتسبها من قدرته على التنقل بين عدد متنوع من الخطابات المترابطة - إكلينيكية ، تاريخية ، فلسفية ، درامية ، شعرية - واجتذاب مواد مناسبة للمشاهدة طوال عملية التنقل . وقد يساهم الأدب في تقديم توضيح عام لحقيقة أن المفاهيم التحليلية محدّدة بعوامل عديدة ، ولكن ذلك التوضيح لن يكون مقنعا إلا إذا تابع الأدب أقدار كل حيل التشكيل الأخرى وحل محلها بدوره .

لا يمكن هنا أن نسرد القصة الكاملة لاستياء لكان من الأدب ومن النماذج الأدبية في نظرية التحليل النفسي . لكن إيقاع الإعجاب والحسد والعدوانية الذي يميز أسلوبه في تناول المواد الأدبية ينتج عنه درس مضطرب ويكاد يكون من المستحيل على دارس الأدب الذي يقرأ لكان بحثا عن الثقافة أن يستوعبه . إن لكان ، كما رأينا ، يختلف من ناحية اختلاف حقيقيا عن فرويد في تقديره الدقيق للنص الأدبي : إنه مبهم ومعقد وذو مرجعية ذاتية ومثقل بالوعد بالمعنى وهو لا يقدم فقط نموذجا نظريا عن اللاشعوري ولكنه يقدم أيضا نموذجا عمليا للمحلل النفسي باعتباره صانعا للكلمات verbal performer . وأحيانا يكون الأدب الطريق الملكية لفهم التحليل النفسي ، ويكون دارس الأدب رفيق سفر أمين ، وزميلا مغامرا على بحور متعددة المعاني وباحثا عن نظام مغمور وأصلي للمعنى . ومن الناحية الأخرى ، لا يتعدى الأدب في أحيان أخرى ، أن يكون أكثر من شاهد عابر لبنية ملتفة على ذاتها في عالم لا تخرج كل منتجاته العقلية الأخرى على تلك البنية . ويتمضن تقدير لكان للشعر ، التقدير

الذى يفوق تقديره للأجناس الأخرى ، يتضمن فى 'الشاهد الأدبى فى اللاشعورى
'L'instance de la lettre dans l'inconscient' تأرجحا مميزا :

ولكن على المرء أن يستمع فقط إلى الشعر ... ليسمع التعدد الصوتى ، ويتضح
له أن الخطاب كله يتم تنظيمه بطول المقاطع الشعرية فى المقطوعة .

وليس هناك فى الواقع سلسلة دالة ليس لها ، وكأن كل وحدة من وحداتها
متصلة بإحدى علامات الترقيم ، ارتباطاً كامل مع سياقات ملائمة معلقة 'عموديا'
، إذا جاز التعبير، من تلك النقطة .^(٥٠) (٥٠٣)

إذا أردت أن تفهم اللاشعورى كسلسلة دالة ، فسوف يساعدك الشعر على
تصوره ، وإذا أردت أن تفهم القدرة الدالة فى الشعر ، فسوف تساعدك الموسيقى
متعددة الأصوات على تصورها... إن لعبة الإبدال بين الأنساق البنيوية المختلفة التى
يمكن ملاحظتها فى المنمنمات تمثل إحدى السمات الأساسية فى تفكير لاكان فى
المراحل الأخيرة . إن النقط العقدية *knotenpunkte* فى النص الأدبى تفسح المجال
أمام عقد بروميو *Borromean knots* ، وأشكال موبىوس *Moebius strips* ،
والحساب والرياضيات . وقد نتخلى عن أنساق شكلية أعلى رتبة للإفصاح عن منطق
الدال بطرق تتفوق على حرفة الأدب أو تفشل فى تحقيق ما تحققه . وقد قال لاكان
بفخر فى مؤتمر فى جامعة جونز هوبكنز *Johns Hopkins* فى أواخر الستينيات:
'إن أفضل الصور التى تلخص اللاشعورى هى صورة بلتيمور *Baltimore* [ميناء
بحرى فى شمال ميريلاند - المترجم] فى الصباح الباكر .'^(٥١) ومثل هذه الإيماءات
التي تكثر فى أعمال لاكان لا تقدم لحرفة الأدب سوى أمل أو تشجيع ضئيل ، حتى
فى بلتيمور .

وأفضل ما يمكن أن نأمل فى الحصول عليه من كتابات لاكان عن العلاقة بين
التحليل النفسى والدراسات الأدبية هو : قد يجد علم البلاغة ، الذى يستعيد دوره من
جديد فى التطبيق على نصوص الأدب ، فى النهاية نظرية فى التحليل النفسى تتناسب
معه فى التعقيد والتفسير . وحتى هذا الأمل ، وهو أمل مشروع بالضرورة ، علينا أن
نعمل للوصول إليه ، وتخليصه من الوعود الزائفة والحلول المبسرة التى قدمها لاكان

بأسلوبه الأدبي للنقد ، ويرى لاكان أن أحد الأشياء الأساسية التي نتعلمها من التحليل النفسى تتمثل فى أن اللاشعورى له 'أسلوب' خاص به، وربما يوحى بسهولة للمتهور فى عدد من عباراته المبرمجة عن تنقل مبادئ التحليل أنه من الممكن 'القبض' على هذا الأسلوب بمجرد التعرض لعدواه الحميدة :

إن أية عودة إلى فرويد تقدم موضوعا جديرا بالمعرفة لن تكون إلا بواسطة الوسيلة التى تكشف بها عن نفسها أكثر الحقائق اختفاء فى ثورات الثقافة . وتلك الوسيلة هى الصيغة الوحيدة التى يمكن لنا أن ندعى أنها تنتقل إلى أتباعنا . هذه الوسيلة تدعى الأسلوب .^(٥٢) (٤٨٥)

توجد بالطبع وسائل فضفاضة وأخرى محكمة لقراءات تعبيرات من هذا القبيل . وربما تكون أكثر القراءات الفضفاضة على الإطلاق هى تلك التى تستنتج أن أسلوب اللاشعورى ، وهو أسلوب مفضل للتنظير التحليلي وأسلوب لاكان الأدبي الخاص كانت لهما حدود مشتركة بصورة مبهمة، ويمكن فهم اللاشعورى فهما يسيرا بالتكريس للتأنيق اللفظى فى كتابات لاكان . ويبدو أن لاكان لم يفهم غالبا إلا على هذا النحو ، إذا جاز لنا تخمين ذلك من خلال العدد الهائل من التدريبات فى الثثرة اللاكانية Lacanobabble التى وجدت طريقا بالفعل إلى المطبعة . ثمة تورية هنا ومعجزة هناك ، ولا يخلو الأمر من المفارقة بشكل دائم ، ويوجد وثب سار لموسيقى الدال ، تلك الموسيقى الخادعة ، فى كل موضع...إننى متردد فى إفساد هذه اللعبة ، أو التوصية بالروية ومراعاة ظروف دارسى الأدب الذين شعروا برعشة التحرر تجرى فى كتاباتهم بعد التعرض للمسمة فاتنة من لمسات لاكان . ولكن لا يكتسب ذلك سوى أهمية ضئيلة بالنسبة لدارس الأدب المزود عادة بإدراك نظرى يتسم بالفقر ، والقانع بالمراوغات والنزوات والألغاز ليمسك فى يده بنظرية جديدة عن الأدب ، بنظرية مفعمة بالحيوية .

والنظرية الجديدة التى أشير إليها هنا ليست التحليل النفسى عموما كما ورد فى التعليقات التحليلية لخطاب فرويد فى تفسير الأحلام ، وسيكوباثولوجيا الحياة اليومية والنكات وعلاقتها باللاشعورى ، وقد عبر عنه لاكان من جديد . وهو تعليق بارع براعة

استثنائية حين يقدم علاقة مترابطة ومتحركة بين لحظات الخطاب ومستوياته التي تخضع غالباً للتقسيم بدعوى 'الملازمة' - على أيدي محلّي نصوص الأدب . وهو يسمح بالتعبيرات الفردية ، ويسمح في ذات الوقت بصيغ تواصلها التركيبية وبالصيغ التركيبية المضادة ، وبتوجُّهها إلى هدف افتراضى ، وبما تحمله من التداعيات المتراكمة ، وقد يسمح باقتفاء المعانى المضمرة سواء فى التعبيرات التى تصاغ فى كلام مباشر أم فى تلك التعبيرات التى ترفض التصريح المباشر . وربما كان الجزء الأكثر إثارة فى التحليل النفسى هو الإلحاح على منح ماضٍ معين ومستقبل معين للتعبيرات التى تأتى بوصفها الحاضر الخالد ، حاضراً للتعبير الذاتى الصائب . ويرى فرويد أن الحياة النفسية للإنسان قد تم تنظيمها ، بين التأرجح الساذج فى الوهن الرومانسى ، بين ما لا يعود وما لا يتحقق ، بحيث تقع كل لحظة من لحظاتها الحاضرة تحت ضغط مزدوج : كان الفرد فى كلامه ينقح ماضيه بنشاط ويعيد بناءه وهو ينظر بنشاط إلى مستقبل يتطلع إليه فى رغبة ، وأى فهم لما كان يقصده الأفراد حين نطقوا بما نطقوا به - سواء فى الديالوج التحليلى أم خارجه - هو موضوع للحفاظ على التوازن التفسيري الحقيقى بين قوى الاستعادة وقوى التوقع .

وتأتى مساهمة لاكان ، فى دراسة أكثر دقة لهذه القوى ، تأتى فى عدة أشكال متميزة . إنه يشيّد نماذج منطقية لعمليات إعادة البناء العقلى وما قبل البناء العقلى التى تكمن وراء عملية التواصل الإنسانى . ويعزو تلك النماذج إلى اللسانيات ويعزو اللسانيات إلى زمنية الكلام المتبادل بين الذات ويقدّر فى كتاباته مفاهيم إعادة والتوقع بخلق تفاعل دقيق بين أزمنة الفعل ومستويات الزمن فى تركيب الجملة . وسوف يتضح مدى ما يمكن أن تمتد إليه هذه الأهداف المتمايزة بصورة مشتركة فى هذا التلخيص الاسترجاعى ، فى 'الوظيفة والمجال' (١٩٥٣) ، لبحث سابق 'الزمن المنطقى' "Le Temps logique" (١٩٤٥) :

حاول مؤلف هذه السطور أن يوضح فى منطق السفسطة المصادر الزمنية التى يعثر فيها الفعل الإنسانى ، طالما كان يرتب أوضاعه طبقاً لفعل الآخر ، على حلول أكيدة فى تقطيع تذبذبه ؛ ويعثر على معناه الآتى فى القرار الذى

يتوصل إليه هذا الفعل بتكريسه لفعل الآخر - الذى يتضمنه من تلك النقطة - مع نتائج المنبثقة عن الماضى .

ويتضح فى هذا المقال أن اليقين الذى يتوقعه الفاعل فى 'زمن الفهم' الذى يحدد فى الآخر ، بالسرعة التى تعجل 'لحظة الخلاصة' ، القرار الذى يجعل حركة الفاعل خاطئة أو صائبة .^(٥٤) (٢٧٨)

يقوم النموذج المنطقى الذى يقدمه لكان فى هاتين الفقرتين ، وتتكون كل منهما من جملة واحدة معقدة بعض الشيء ، برحلة العودة إلى تركيب الجملة وإلى المحددات الموضوعية فى السلسلة الدالة : والفهم الجديد للزمنية temporality والعلىة causality ، الفهم الذى يشجع عليه التحليل النفسى ، وقد تشكل من قبل كدراما صامتة للعمليات المنطقية المترابطة ، أصبح مرة أخرى كلاما رائعا للغاية يتطلع إلى الخلف ويتطلع إلى الأمام ويمثل المادة الخام فى التحليل النفسى .

حدثت منذ لحظات عن علاقة جديدة محتملة بين البلاغة ونظرية التحليل النفسى ، وهى علاقة درسها التحليل النفسى دراسة تفصيلية . وقد يكون لدارسى الأدب الحق فى الاحتجاج على هذه النقطة بأن البلاغة تعرف بالفعل ديناميكيات الكلام وأنها متعددة الجوانب بصورة كافية ، وبأن أية محاولة للزج بها فى نظرية سيكولوجية دخيلة تؤدي إلى نمو هائل فى بعض الخواص الخفية ضمن مجموعة من التقاليد التحليلية المنظمة جيدا والمختبرة جيدا . وربما أضافوا ، إذا كان على التحليل النفسى أن ينشأ متأخرا كديناميكيات بديلة فى الكلام ، فلندعه بالتالى يتعلم على الأقل درسا فى الدقة من علم الكلام الذى نشأ من قبل الميلاد ومن توابعه فى العصور الحديثة . إن جيرار جينيت Gérard Genette ، وهو واحد من أكثر البلاغيين الجدد تميزا ، تستبعد عبادته للدقة اللعب من كتاباته استبعادا تاما ، ينفذ صبره بوضوح حين يأخذ اللعب تحولا 'سيكولوجيا' ويسعى فى 'دروس فى القص Discours du récit' إلى أن يستعيد للبلاغة بدقة مفهوم 'التنبؤ anticipation' ومفهوم 'الاسترجاع retrospection' ويفعل هذا جزئيا بانتزاع البعد النفسى من اسميهما :

حتى نتجنب التضمينات السيكولوجية المرتبطة باستخدام مصطلحات من قبيل

'التنبؤ' anticipation" أو 'الاسترجاع' rétrospection" تم استدعاء الظواهر الموضوعية تلقائياً ، واستبدل بالمصطلحين مصطلحان أكثر حياداً : يشير مصطلح التوقع *prolepse* إلى كل آليات السرد التي تتكون من قص حدث تالٍ أو استدعائه قبل وقوعه ، ويشير مصطلح الاستعادة *analepse* إلى استدعاء لجزء من حدث سبق هذه النقطة التاريخية أو وجد قبلها...^(٥٥)

ويجب ربط التوقع والاستعادة في هذا المقال الواعد بالشمول المعنوي *syllipsis* والكناية عن الصفة *metalepsis* والتجاهل الظاهري *paralepsis* ، وتُنقَّى de-contaminated كلها بصور متشابهة ؛ يرسم جينيت حدوداً واضحة لكل مصطلح تقني ويحافظ عليها حتى حين تكون نصوص الأدب التي يناقشها مشوشة بصورة تدعو إلى الإحباط (يتراجع بعض النقاد أمام كومة بروسست ، تلك الكومة البلاغية المشوشة في روايته بحثاً عن الزمن المفقود ، لكن جينيت لا يتراجع أمامها) ؛ ويكون 'علم النفس' في الحقيقة عدواً لنسق بلاغي من هذا القبيل إذا استدعى إلى المناقشة مخزوننا اعتباطياً عن العاطفية والذاتية بدلا من استدعاء نسقه الخاص .

لكن التحليل النفسي نسق عنيد واسع الحيلة . وقد واجه بالطبع بعض العثرات قبل أن يظهر بتلك الصورة . ومازال موضوع الاهتمام المركزي فيه - الرغبة - يتردد في الكثير من الأسماع مثل جوهر ما لا يقبل التصنيف . وكان عليه أن يستعير لمنهجه في دراسة الرغبة بعض الأسماء من الفروع المعرفية الموجودة والمصنفة : وكانت هيدروليات الرغبة ، واقتصادها ، وطوبوجرافيتها ، وسيمنطيقيتها ، وشعريتها ، وبلاغتها - بالإضافة إلى الكثير من الأشياء الأكثر غرابة وقد دخل العملية ، وهو يكتسب من هذه الفروع المعرفية مناخ التكامل التصوري والاصطلاحي ، ليبدو متطفلاً عليها . واستوعبت اللغة السيكلولوجية الدارجة في القرن العشرين في أوروبا وأمريكا الشمالية بعض مفاهيم التحليل النفسي - 'الكبح' ، 'التسامي' ، 'الأنا' ، 'زلات اللسان' بالمفهوم الفرويدي - استوعبتها بسهولة بحيث يمكن ، من أن ذلك نوع من حماقة ، اتهام التحليل النفسي بأن نزع أن الحس العام كان يعرف ، بدايةً ، بالضرورة ما صورّه فرويد باعتباره اكتشافاً خاصاً . وبرغم هذه العثرات تابع التحليل النفسي

دعوته التنظيمية ، وتبدو فى أوضح صورها فى تحولاته النظرية الرئيسية : ركز التحليل النفسى ، فى تنقيح فرويد لنظريته وفى رواية لاكان لتاريخ هذا التنقيح مرة أخرى ، على إزالة التنافر تماما وتوسيع مدى ذلك التنظيم . والبلاغى الذى يتطلع إلى أبعد من مجازاته وصوره البلاغية المتميزة تميزا دقيقا ، إلى العالم المفعم بالرغبة فى 'علم النفس' غير المصنف ، يميل فى الواقع إلى الشعور بأن مقولاته التحليلية تهددها النزعة الحيوية المنبعثة من جديد أو التيار الجارف لطاقة حيوانية مجردة . ولكنه إذا تطلع إلى نسق الرغبة الذى يفترضه التحليل النفسى فسوف يجد بلاغة أخرى - بلاغة القلق ، والأفكار الاستحواذية ، واللذة وانعدام اللذة ، واللذة السابقة واللذة التالية ، والكبح ، والتذكر - تشبه البلاغة شبها كبيرا من حيث قدرتها على مضاعفة مقولاتها وفصل هذه المقولات والربط بينها . وهذه البلاغة ، التى تحمل هذا الاسم غالبا فى نصوص لاكان ، مازالت تتمسك بعادة رديئة تتمثل فى حمل أسماء أخرى ، وتبدو بوصفها علما للغة وعلما لبعض القوى الدافعة فى حياة الإنسان ، قوى ليس لها أسماء . لكن البلاغة الحقيقية ستجد فى الحقل التحليلى الزائف نسخة مشوهة . إن التحليل النفسى بلاغة لا تزال فى طور الإنشاء ؛ بلاغة تخاطر ؛ بلاغة تبذل مقولات حسب شهوتها . وربما بهذا الفهم للقراءة المعوقة والمتفاقمة تكمن قيمة كل من البلاغة والتحليل النفسى بالنسبة لبعضهما .^(٥٦)

سيطرت على فرويد أثناء تأليف كتاب تفسير الأحلام فكرة ج. ت. فتنشر G.T. Fechner فى كتابه عناصر السيكوفيزياء *Elements of Psychophysics* ، واعترف بحماس فى عدة مناسبات بدينه لفتنشر .^(٥٧) وكانت هذه الفكرة ، كما ذكر فرويد لفليس Fliess فى عام ١٨٩٨ ، أن 'عملية الحلم تتم فى منطقة نفسية مختلفة' (فرويد/فليس ، ٢٩٩ ؛ الأصول ، ٢٤٤ - ٢٤٥) . وهنا بدأت مسيرة فرويد كطوبوجرافى ذهنى . وبرغم وجود بعض المخاطر والحدود لتصوير العقل بوصفه يشغل مكانا ، فإن تصوير نسق اللاشعورى ونسق ما قبل الشعورى - الشعورى بوصفهما 'مناطق نفسية' بديلة كان يتمتع بمزية تعبيرية واحدة : إنه يذكر عالم العقل وهو يشرع فى بناء نماذج ذهنية إضافية أكثر التواء بأن العقل مقسم تقسيما ذاتيا أكيدا ولا

يمكن بناء جسور دائمة بين مناطقه الداخلية . ويمكن استغلال القوة التعبيرية في فكرة فتشتر ، وقد استفلها لاكان بالفعل في مناسبات عديدة.، بصورة أفضل لتلخيص أفضل الآمال التي يقدمها لاكان لإقامة علاقة بين التحليل النفسي ودراسات الأدب : لا تدع أياً منهما يكون للآخر مرآة لطيفة أو حلية عليّة ، ولكن *an-derer Schauplatz*،^(٥٨) 'مشهداً آخر' لوحاً لا يعرف المجاملة .

هوامش الفصل الرابع

١- للاطلاع على السياق التعليمي الراقى الذى نُشأ وعمل فيه فرويد ، راجع

Spector,s 'Vienna and Freud's Education'(*The Aesthetics of Freud*, 3-23) and George Steiner's penetrating 'A remark on Language and Psychoanalysis' (*On Difficulty*, 48-9) .

وكمثال عملى عن هذه الكتابة فى الأحلام ، راجع الهامش رقم ٢ ؛ وبالنسبة لقائمة الكتب 'العظيمة' و'الجيدة' 'المفضلة' عند فرويد فى عام ٧٠٩١ ، راجع الرسائل 278 Letters, . . ويوجد مسح فريد لاهتما فرويد بالفنون فى Richard Wollheim's *On Art and the Mind* [عن الفن والعقل] (١٩-٢٢٠) .

٢ - اقتبست رباعية هاتيه عن Pierre Grappin's edition of the *Buch der Lieder*, 239 , واقتبست الترجمة عن Hal Draper's *The Complete Poems*, 107

٣- لكلمة 'schön' ["جميل"] ، مثل مرادفاتها فى الإنجليزية ، استخدام عام ساخر بالطبع . وفى تبويب تفسير الأحلام إلى أبواب فرعية وضع فرويد العنوان 'Ein schöner Traum'; GW,II/III-290-91; IV,284-5 ، ليوضح أن الحالم المقصود كان هانئا بقيم جمالية وفكرية فى إنتاج الحلم بمهارة فائقة (وعزز هذه القيم الحلم الجميل الذى ظهر فى تداعياته عن فاوست) بالإضافة إلى أنه كان هانئا أيضا ببراعته فى تحويل مواد الحلم التى تضر بالسمعة إلى بهجة . وقد حافظ المترجمون الإنجليز فى هذه الحالة على الأثر الساخر بالقدر نفسه . ودافع فيتجنشتاين Wittgenstein فى حديث مسجل عن حلم من هذه الأحلام الجميلة ضد سخرية فرويد ، وحمل فرويد مسئولية تدمير الجمال الحقيقى ، جمال الحلم بواسطة أفظع الحشود الجنسية ، وأسوأ أنواع الدعارة (Lectures and conversations, 23) (ويبدو أن فيتجنشتاين نقل العنوان 'Ein schöner Traum' إلى حلم 'الزهور' المدون بعد ذلك فى العمل نفسه ويصف أيضا بأنه 'schöne' : راجع GW, II/III, 352; V, 347) .

٤ - تتبع الكسندر جرينشتاين Alexander Grinstein نمط هذه الإشارات والتلميحات فى حلم

‘Non vixit’ [‘لم يعيش’] ، راجع أحلام سيجموند فرويد Sigmund Freud's Dreams ، ٢٨٢-٣١٦ ، وفاوست الذى يظهر صدفة فى هذا الحلم ، يحتل مكانة خاصة فى موضع آخر من تفسير الأحلام . وفى مناقشة سابقة عن النقط العقدية ، على سبيل المثال ، استعان بالشعر للمساهمة فى حلها : ويقتبس فرويد كلام ميستوفليس عن ‘تحفة النساج’ فى الحديث عن نمط التفكير (فاوست ، الفصل الأول ، المشهد الرابع) ليعزز دعواه بأن ‘النقط العقدية’ تميز الحياة العقلية عموماً (IV, 283) . واستشهد فرويد به مرة أخرى فى عام ١٩٣٠ ، فى الفقرة الأخيرة من خطابه وهو يستلم جائزة جوته (XXI, 212) .

٥ - وفى إشارة أخرى إلى ديوان هانيه ‘Die Heimkehr’ ، كتب فرويد عن ‘مراجعة ثانوية’ فى الأحلام : ‘تعمل هذه الوظيفة بالطريقة التى يعزوها الشاعر بمكر إلى الفلاسفة : تملأ الفجوات فى بنية الحلم بمزق أو رقع’ (V, ٤٩٠) . واقتبس فرويد القصيدة المشار إليها هنا فى محاضرات تمهيدية جديدة New Introductory Lectures XXII, 116

٦- راجع ، ‘Freud and Literature’ The Liberal Imagination, 25

٧ - تمثل مسرحية هاملت نقطة مرجعية ثابتة فى كل كتابات فرويد . ويوجد أول تعليق مسهب عليها فى خطاب إلى فليس فى ١٥ أكتوبر ١٨٩٧ (I, ٢٦٥-٢٦٦)؛ فرويد/فليس ، ٢٧٢-٢٧٣؛ الأصول (٢٢٣-٢٢٤) ، والمناقشة التى نوقشت بدورها أكثر من سواها توجد بلا شك فى تفسير الأحلام ، IV, ٢٦١-٢٦٦ . ومن العلامات البارزة عن المسرحية فى أدبيات التحليل النفسى والأدبيات المرتبطة بها: Ernest Jones’s *Hamlet and Oedipus* (1949) and Jean Starobinski’s *Hamlet and Oedipe* (1967) in *La relation critique*, 289-419 (كتب أساساً كمقدمة للترجمة الفرنسية لأعمال جونز) ؛ بالإضافة إلى André Green’s: *Un œil en trop* (1969) (إلا أن مناقشة جرين الأساسية عن شكسبير تهتم بمسرحية عطيل) .

٨ - بالفرنسية فى المتن .

٩ - جاء تعليق لاكان عن هاملت بصورة أساسية كجزء من سيمينار ١٩٥٨-١٩٥٩ عن الرغبة وتفسيرها *Le désir et son interprétation* (ولم يطبع كاملاً حتى الآن) . وتوجد أجزاء من الأقسام السبعة المخصصة لهاملت فى 24 (pp.5-31), 25 (pp. 11-36), and 26-27 onicar, 24 (pp.5-44) وقد ترجم جيمس هولبرت James Hulbert أجزاء منها فى الأدب والتحليل النفسى :

Literatures and Psychoanalysis Yale French Studies, 55/56-11-52).

١٠ - يشير لكان هنا إلى : Michel Leiris's Glossaire j'y serre mes gloses (1939)

١١ - بالفرنسية في المتن .

١٢ - كتب دريدا بفطنته وحدته المعتادتين عن تعرية الحقيقة في التحليل النفسي ، راجع :

La Carte postale, 447 .

١٣ - بالفرنسية في المتن . راجع : *Romans et Nouvelles*, I, ed. Henri Martineau, 749

١٤ - بالفرنسية في المتن .

١٥ - عن كوينتليانوس ، راجع كتابات ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٥٢١ إلخ . وأما الأدبيات عن التحليل النفسي

والبلاغة فهي الآن واسعة الانتشار ، وثمة مساهمات مميزة في :

Emile Benveniste, *Problèmes* [I], 86-7; Francesco Orlando, *Toward a Freudian Theory of Literature*, 161-75 and Tzvetan Todorov, 'La Rhétorique de Freud' *Théories du symbole*, 285-321.

وثمة تعليق مفيد عن تناول لكان للمصطلحات البلاغية وعن البنية البلاغية ، راجع

A.Kremer-Marietti in Lacan ou la rhétorique de l'inconscient and J.B.

Fages in *Comprendre Jacques Lacan* (see in particular, 74-92.)

١٦ - بالفرنسية في المتن . وهي الفكرة ٤١٤ في طبعة Brunschvicg .

١٧ - [يحتوي الهامش على ترجمة فرنسية لعبارة جرسيان] وقد انتظر كتاب جرسيان The

Agudeza حوالي ٣٥٠ عاما ليعثر عليه مترجم فرنسي ، وظهر وكأنه هيدرا برأسين في

المشهد الباريسي في عام ١٩٨٣ ، مترجما بواسطة Bentio Pelegrin and Michèle

Gendreau-Massaloux/Pierre Laurens (راجع ٢١١ و ٢٢٩ بالتتابع للاطلاع على

'الهيدرا الصوتية' (أو 'هيدرا الفم') بالفرنسية) .

١٨ - بالفرنسية في المتن . راجع :

'Quelques traits du style de Jacques Lacan', Introduction à la sémiologie, 118

١٩ - راجع ص.. ١٢٢-١٢٣ [من الأصل الإنجليزى - فصل بعنوان 'لاكان' ، وهو الفصل الثانى من الترجمة العربية - المترجم] .

٢٠ - بالفرنسية فى المتن .

٢١ - يرجع هذا البحث إلى عام ١٩١١ . وفى العام نفسه أضاف فرويد إلى تفسير الأحلام (V, ٤٣١-٤٣٠) تعليقا على سرد الحلم ومنه أخذت هذه الفرضية .

٢٢ - راجع ، Phenomenology Of Spirit, trans. A.V. Miller وكل الإشارات التالية إلى الفينومينولوجيا Phen. هى إلى هذه الترجمة .

٢٣ - راجع ، Phen., 66 .

٢٤ - راجع ، ص ١١٤-١١٥ [من الأصل الإنجليزى ، فصل بعنوان 'لاكان'] للاطلاع على تعليق أولى موجز عن تمييز لكان بين *moi* ('الأنأ') و *sujet* ('الذات') .

٢٥ - راجع ، Phen., 309 .

٢٦ - بالفرنسية فى المتن .

٢٧ - توجد عبارة فى 'وضع اللاشعورى' *Position de l'inconscient* من أوضح عبارات لكان عن حدود ما يدين به لهيجل ، وعن رفضه للبرنامج المثالى الذى طرحه هيجل : 'لم يتضمن استخدامنا لفينومينولوجيا هيجل أى ولاء للنسق، ولكنه بشر بمثال لمواجهة الحقائق الواضحة عن التقمص ...

بالإضافة إلى ذلك ، تساعد التعبيرات الهيجلية دائما ، حتى لو اقتصر المرء على نصوصها ، على قول شئ آخر . شئ آخر يصحح ترابطها بالتأليف الخيالى ، ويحافظ فى الوقت نفسه على قدرتها فى كشف وهم التقمص .

وهذا هو تسامينا الشخصى الذى يحول تسامى هيجل ، وكان وهمه الشخصى ، إلى فرصة لإمعان النظر ، بدلا من وثبات التقدم المثالى ، وتجسيد التقمص . ' ص ٨٢٧ .

راجع أيضا ، Alain Juranville, *Lacan et la philosophie*, 120-8 .

٢٨ - راجع ، *Style, Rhetoric and Rhythm*, 207-8 : وتوجد مراجعة مفيدة لعمل أكاديمى عن النثر الباروكى فى :

Mac Fumaroli's monumental *L'Age de l'éloquence*, 1-34

٢٩ - راجع ، 218-19 *Style, Rhetoric and Rhythm*

٣٠ - لفت باترك ماهونى Patrick Mahony الأنظار ، مستشهدا أيضا بكرول ، إلى وجود عناصر باروكية فى كتابات فرويد ذاته (فرويد كاتبا 5-163 *Freud as a Writer*) . ويوجد دليل موجز لأعمال بالألمانية والإنجليزية والفرنسية عن أسلوب لاكان فى :

(François Roustang's 'Du Chapitre Ecrire la psychanalyse, 65-95 VII)

٣١ - عن لاكان وجونجورا ، راجع . *Ecrits*, 410, 467, *Ornicar?*, 26-27 (p.25) etc.

ويعرف جونز R.O. Jones *Culteranismo* ، وكان جونجورا من أبرز ممثليها ، على النحو التالى : 'مصطلح ابتكر فى أوائل القرن السابع عشر ... وتتضمن هذه النزعة أسلوبا يبالغ فى الصنعة إلى أقصى حد ، وتعنى عمليا صبغ تركيب الجملة والمعجم بصبغة لاتينية ، واستخدام دائم للتميم الكلاسيكى ، وإبداع أسلوب شعري مميز ينأى عن لغة الخطاب اليومى قدر المستطاع' . (*A Literary History of Spain. The Golden Age: Prose and Poetry*, 142) . وتتضمن *Conceptismo* أو (*agudeza*) استخدام التصورات ، وكان جارسسيان أكبر أنصارها على المستويين النظرى والعملى ، ووصف جونز هذه النزعة عند جارسسيان بأنها 'بلاغة الحصافة' (٢٠١) . وكان 'الصدام' بين تقاليد النزعتين عنيفا فى الواقع ، ولكن ليس علينا أن نبالغ فى تصويره : توجه جارسسيان فى بحثه عن أمثله لكتابه *agudeza* إلى جونجورا أكثر مما توجه إلى أى كاتب آخر ، وربما كان Martial هو الاستثناء المحتمل لهذا التوجه .

٣٢ - ويمكن ملاحظة لاكان فى المزاج 'الشيشرونى' 'Ciceronian' فى موضع آخر من تدمير الذات *Subversion du sujet* : راجع ، مثلا ، الفقرة الثانية فى ص ٨١٢ . وعن جملة 'قل دائما شيئا آخر' ، راجع ص ١٢٨ [من الأصل الإنجليزى - فصل بعنوان 'لاكان'] والهامش ٢٧ (حيث توجد الجملة فى السياق الأصلى) .

٣٣ - ثمة تعريف ووصف لهذه المصطلحات ولبعض الرذائل الأخرى فى :

Lee A. Sonnino's *A Handbook to Sixteenth-Century Rhetoric*

٣٤ - عن الحقيقة ، راجع العبارات الموجزة والبراقة فى الوظيفة والمجال (٥٥٢-٦٥٢) ويبحث بعنوان 'العلم والحقيقة' (٨٥٥-٨٧٧) .

٣٥ - بالفرنسية فى المتن .

٣٦ - صور أنتونى ويلدن Antony Wilden نمط تلميح لاكان لفرويد فى هذه الفقرة فى :

(*The Language of the Self*, 108-9).

وللاطلاع على تعليق أكثر تفصيلا عن النظامين الاستعاريين ، راجع ص ١٨-٢٧ (من الأصل الإنجليزى (archaeological) وأنتونى ويلدن فى النسق والبنية *System and Structure*, ٤٣-٤٦ (emiotic) .

٣٧ - راجع ، تعليق فرويد على حل شفرة الكتابة الهيروغليفية ، XIII, 177 ، (سبق اقتباسه ، ص ١٢٠ [من الأصل الإنجليزى - فصل بعنوان 'لاكان'] .

٣٨ - راجع ،

'Freud et la scène de l'écriture', *L'Écriture et la différence*, 433-50'

٣٩ - عن تعليق فرويد على هذا الصرح التعليمى التخيل وما أضافه لاكان إلى مناهجه الدراسية ، راجع ص ١١٩-١٢٠ [من الأصل الإنجليزى-فصل بعنوان 'لاكان'] .

٤٠ - يبدأ ستوارت شينيدرمان Stuart Schneiderman فى جاك لاكان : موت بطل الفكر *Jacques Lacan. The Death of an Intellectual Hero* بذكرى من السيرة الذاتية تتضمن درسا مفيدا لكل من اقتنع بالنقد الأدبى كنقطة تميز لدخول التحليل النفسى: كان اطلاعى السبق على الأدب ، خاصة شكسبير ، بمثابة إعداد رائع لاستيعاب لاكان. إن كتاباته منمقة تنمقا دقيقا ، وقد تفرط فى التعميق، ولا تفهم بسهولة . إنها تشبه الشعر من هذه الناحية، وكالشعر تخضع للفكر النقدى . إلا أن هذا التشابه خدعة ، خدعة بلاغية . وهو ما كنت أفكر فيه حين رأيت أننى أتناقض مع نفسى حين استمر فى شرح النصوص وأنا لا أعرف شيئا عن الخبرة التى صدرت عنها تلك النصوص . وهكذا تركت بفالو Buffalo [ميناء على بحيرة Erie وشلالات نياجرا - المترجم] وتخليت عن مسيرتى كأستاذ للغة الإنجليزى لأصبح محللا نفسيا لاكانيا' (V-VI) . وتوجد نوايا مماثلة عن الطريق الأدبية إلى لاكان عبرت عنها بقوة جين جالوب Jane Gallop فى *Reading Lacan* - عبرت ، إذا جاز التعبير ، بأسنان خبرتها كقارئة وناقدة .

٤١ - فى عام ١٩٧٧ قدم فردريك جامسون Fredric Jameson فى 'الخيال والرمزى فى أعمال لاكان' 'Imaginary and Symbolic in Lacan', صورة واضحة عما قد يتضمنه هذا النقد ، إلا أنه منذ ذلك الوقت لم تظهر ، إلا نادرا ، أعمال تفصيلية من هذا النوع الذى يركز بصورة خاصة على البؤرة اللاكانية .

٤٢ - للاطلاع على مناقشة هيجل الأساسية عن 'الروح الجميلة' ، راجع Phen., 397-409.

٤٣ - راجع ، Phen., 211-8, 406-7.

٤٤ - راجع . Phen., 225-6, 407.

٤٥ - بالفرنسية فى المتن . وقد رجع لاكان إلى 'الروح الجميلة' فى 'الشيء الفرويدي La Chose freudienne' (٤١٥) .

٤٦ - بالفرنسية فى المتن .

٤٧ - بالفرنسية فى المتن .

٤٨ - بالفرنسية فى المتن .

٤٩ - اقتفى Jean Hypolite أسلوب هذا التلميح فى الهوامش التى وضعها لترجمة الفينومينولوجيا ص ٣٠٢-٣٠٩ (الجزء الأول) وفى ص ٢٧٥-٢٧٨ من *Genèse et Structure* . ويوجد ديدرو فى الفينومينولوجيا بصورة أفضل من وجود شيللر حيث يقتبس هيجل من *Le Neveu de Rameau* ضعف ما يقتبسه من شيللر ويذكره بالاسم فى الهوامش (Phen., 318-32) .

٥٠ - نوقشت هذه الفقرة من قبل ، راجع ص ١٢٥ [من الأصل الإنجليزى - فصل بعنوان لاكان] ، وتوجد صيغة من هذا التشابه ، صورة مبكرة وأقل تأرجحا فى 'الوظيفة والمجال' (٢٩١) .

٥١ - راجع :

'Of Structure as Inmixing of an Otherness Prerequisite to any Subject Whatever', in *The Structuralist Controversy*, ed. Richard Macksey and Eugenio Donato, 198

وقد كتب هذا البحث فى مزيج من الإنجليزية والفرنسية ونشر بالإنجليزية .

٥٢ - بالفرنسية فى المتن . وبهذه الفقرة ينهى لاكان بحثا بعنوان 'La psychanalyse et son enseignement' (٤٣٧-٤٥٨) ، وقد قدم هذا البحث أول مرة فى عام ١٩٧٥ أمام جمهور من نوى الاهتمامات الفلسفية .

٥٣ - عن المفهوم الحاسم الذى قدمه فرويد لكلمة *Nachträglichkeit* ('الفعل المؤجل deferred action، أو 'retroaction، أو 'l'après-coup')، راجع لبلانش ويونتالى ١١١-١١٤.

٥٤ - بالفرنسية فى المتن .

٥٥ - راجع ، Figures III, 82 .

٥٦ - قليلة هى العبارات العامة، عن العلاقة بين الأدب والتحليل النفسى ، الأكثر موضوعية من-إذا افترض المرء أن للعلاقة مستقبلا- the 'Polemical Epilogue' to C. Barry Chabot's 'Freud on Schreber': 'يمكن لنا أن نقول إن المشكلة التى تواجهها الجهود الأكثر استمرارية لتنظيم دراسة التحليل النفسى والأدب تتمثل فى أنها تدرك الفوائد التى تنشأ عن المشروع وهو يسقط وحيدا فى اتجاه واحد: ظاهريا لا تقدم الدراسات الأدبية مَهْرًا... وإذا استطاع التحليل النفسى أن يساهم بالفوائد الأساسية لنظريته السيكلوجية ، فإن الدراسات الأدبية يمكن أن ترد المجاملة بتزويد التحليل النفسى بفوائد من تعرفه على الطبيعة اللغوية لشاهدها... وبهذه الروح التعاونية فقط يمكن إثراء كل منهما ؛ ولا يمكن أن يصلا إلى نهايتين منفصلتين إلا باتحادهما' (١٥٢-١٥٣) . ومن الأعمال التى تساهم فى هذا البرنامج يبرز

Peter Brooks' Reading for the Plot. Design and Intention in Narrative (1984)

وترسخ مناقشته لما وراء مبدأ اللذة بصورة خاصة (٩٠-١١٢) معايير جديدة للقراءة النقدية لنصوص فرويد .

٥٧ - راجع ، مثلا ، تفسير الأحلام IV، ٤٨-٤٩ ، V، ٥٣٥-٥٣٦، ومحاضرات تمهيدية XV ، ٩٠ ، ودراسة فى السيرة الذاتية ، XX ، ٥٩ .

٥٨ - يعيد فرويد صياغة عبارة فتشتر حين يقول 'يختلف مشهد عمل الحلم المثالى فى حياة اليقظة' (GW, II/III, 51; IV, 48) . وعن دتّين فرويد لفتشتر ، راجع :

Paul-Laurent Assoun, *Introduction à l'épistémologie freudienne*, 150-8.

الفصل الخامس

الرسالة المسروقة وحالة بو

شوشانا فيلمان

العنوان الأصلي :

The Case of Poe: Applications/Implications of Psychoanalysis.

وهو مترجم عن :

Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Adventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass.), 1987 pp. 15-27-32-39-51 . Reprinted in K.M. Newton, *Theory into Practice* (Macmillan 1992 pp.174-191).

إشارة :

ليس لـ لاكان سوى أحد العناصر فى ما بعد البنيوية البريطانية . وقد انبثقت إحدى سمات النقد الحديث من النقد التحليلى المكتمل حيث تحتل النظرية الفرويدية والنظرية اللاكانية الدور الأساسى . وشوشانا فيلمان ناقدة يرتبط اسمها ارتباطا قويا بمدرسة ييل Yale التفكيكية ، ولكن نقدها تطور أكثر فى الاتجاه اللاكانى . ويتمثل قيمة لاكان ، فى رأيها ، فى أنه "يجسد...وقفة تفسيرية ثورية و... نظرية ثورية فى القراءة" . وترى أن لاكان يتجاوز الرأى الذى يرى أن التحليل النفسى تفسير "منغرس فى خطاب المريض" :

إن رأى لاكان أكثر جذرية من ذلك . إن فعالية القراءة لا تقتصر على فعالية المحلل ، ولكنها تتضمن فعالية المحلل أيضا : إنها تفسير لما يحدث على جانبى الموقع التحليلى...اللاشعورى...ليس ببساطة ذلك الذى يجب أن يُقرأ ، ولكنه أيضا ، وربما بصورة أساسية، ذلك الذى يُقرأ . اللاشعورى قارئ ، ويتضمن ذلك بصورة أكثر جذرية أن كل من يُقرأ ، ويفسر ما يخرج من اللاشعورى الخاص به ، محلل ، حتى حين يتم التفسير من وضع المحلل .

وفى مقالها عن بو ينصب الاهتمام على "السؤال الحاسم عن القيمة العملية للتحليل النفسى"⁽¹⁾ . إن المرء لا يستطيع ببساطة تطبيق أفكار فرويد أو لاكان على نص أدبى ، لأن أنا المحلل (أو الناقد الأدبى) لا تمثل نقطة مرجعية ثابتة فى رأى لاكان . وهكذا لا تكون المعرفة التحليلية اكتشافا لشيء موضوعى فى النص ولكنها عملية تتداخل معه وفيها يكون التحليل النفسى ذاته مهددا بالضيق ويكون علينا إعادة اكتشافه باستمرار

K.M. Newton
Theory into Practice, pp.124-5.

(1) Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Adventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass., 1987), pp. 2-10 -12.

تُستهلُّ أولى المجموعات المنشورة من مقالات لاكان ، كتابات *Ecrits* ، بفصل بعنوان "سيمينار عن الرسالة المسروقة" . وما يدعى "السيمينار" تعليق مكتوب عن فصل دراسي استغرق عاما كاملا وقد تم تكريسه لاستكشاف نص أدبي قصير ، إحدى الحكايات الرائعة التي كتبها إدجار ألان بو ، "الرسالة المسروقة" . وقد قُدِّمَ السيمينار إلى متدربين في التحليل النفسي . لماذا اختار لاكان تكريس عام كامل لتدريس هذه الحكاية ؟ ما مغزى القرار الاستراتيجي بوضع هذا "السيمينار" في افتتاحية كتابات ، بوصفه عملا رئيسيا في محاولات لاكان ؟

سأقوم بدراسة هذين السؤالين على نحو غير مباشر ، بالتأمل ، أولا ، في "حالة بو" في الدراسات الأدبية في علم النفس والتحليل النفسي قبل لاكان . وسأحاول ، بعد ذلك ، تحليل الاختلاف الذي قدمه لاكان في المقاربة التحليلية للقراءة والطريقة التي جعل بها لاكان الدرس الذي استنبطه من دراسة بو درسا في التحليل النفسي .

إن التعليق على الشعر من منظور التحليل النفسي يعنى ، تقليديا ، تحليل الشعر باعتباره عَرَضاً من أعراض الشاعر . وأودُّ هنا أن أعكس تلك المقاربة ، وأحلل أحد الشعراء باعتباره عَرَضاً من أعراض الشعر .

ربما لا يوجد شاعر باستثناء إدجار ألان بو تم التهليل له بمثل هذا السخاء ، وفي الوقت ذاته ، تعرض للاستنكار بمثل هذا العنف . إنه أحد أكثر الأعلام في المشهد الأدبي الأمريكي إثارة للخلاف ، "ربما يكون أكثر من أسىء فهمهم بين الكتاب الأمريكيين كلهم" ^(١) "إنه بمثابة حجر عثرة أمام الناقد الحصيف" ^(٢) لا يوجد شاعر أثار في تاريخ النقد مثل هذا القدر من التضارب وهذا الكم من التناقضات النقدية . وهذا التضارب النقدي ذاته يمثل ، في رأيي ، دليلا على فعالية شعرية ، وتلك التناقضات النقدية التي أثارها شعر بو مهمة لطبيعة الشعر بصورة غير مباشرة .

التأثير البو-يطيقي Poe-etic :

تاريخ حالة أدبية

لا يوجد شاعر آخر أشير إليه غالبا بمثل هذا القدر باعتباره "عبقريا" ، في شكل من أشكال الاتفاق الجماعي شارك فيه حتى أولئك الذين ينتقصون من قدره . تحمل دراسة جوزيف وود كرتش Joseph Wood Krutch ، وهي دراسة تميل إلى التقليل من منزلة بو وتحقير قيمة إنجازاته الفنية ، إلا أنها ، مع ذلك ، تحمل العنوان : إدجار آلان بو : دراسة في العبقرية .^(٢) وهذا ما فعله عدد كبير من النقاد الآخرين الذين يعترفون "بعبقرية" بو ويؤكدون عليها في عناوين مقالاتهم .^(٤) يكتب توماس ونتورث هيجينسون Thomas Wentworth Higginson : "يحدث أحيانا أن نلتقى بوعي معجزة استثنائية ندعوها عبقرية ولكن ذلك لا يحدث إلا نادرا في حياتنا . ومن بين العدد الكبير من الشخصيات الأدبية التي قابلتها... لا يربو عدد من تركوا في إحساسا لا يقاوم بهذه الخاصية النادرة على ستة أشخاص : وبو واحد من بين هذا العدد القليل."^(٥) ويتحدث الشاعر الإنجليزي سوينبرن Swinburne عن "الخاصية الفريدة لعبقرية بوالمرهفة" : ويصف الشاعر الفرنسي مالارميé Mallarmé ترجماته لأعمال بو بأنها "أثر خالد للعبقري الذي... مارس تأثيره في بلادنا" : ومع أن الشاعر الأمريكي جيمس راسل لويل James Russell Lowell ، وهو من أعنف نقاد بو ، أصدر حكمه ، الحكم المنظوم الذي نال حظه من الشهرة ، على شعر بو بأن "خُمسيه من الغش المطبق" ، إلا أنه يؤكد على أن "السيد بو يمتلك ذلك الشيء الذي يفوق الوصف ، الشيء الذي اتفق الناس على أن يدعوه عبقرية... دع الموهبة تلتف وتلتوى بقدر ما تستطيع ، إنها تفتقر إلى مثل هذه المغناطيسية . ربما كانت تتمتع بوفرة من العظام والأوتار ، لكنها تفتقر إلى الأجنحة."^(٦)

ربما يتمنى القارئ المدقق ، مهما يكن شكّاكًا وغير رومانسي ، لو يتعلق بذلك "الشيء الذي يفوق الوصف ، الشيء الذي اتفق الناس على أن يدعوه عبقرية" ، ومن الواضح أن شعر بو يُنتج ما يمكن أن يُدعى تأثيرا، عبقريا : انطباعاً بقوة غامضة

ومسيطرة يخضع لها القارئ . ولوصف "تلك القوة ، التي تُحَسُّ" ،^(٧) كما يعبر أحد القراء ، يتحدث لويل عن "المغناطيسية" ، ويتحدث نقاد آخرون عن "السحر" . ويكتب برنارد شو : "من الحتمى أن بو أنتج السحر باستمرار بينما أنتج معظم معاصريه الجمال" .^(٨) وعلى مضض يوافق ت.س. إليوت تماما على أن "بو تمتع ، بصورة استثنائية ، بالشعور بالعنصر التعويذى فى الشعر ، ذلك الذى ربما يُدعى ، فى أقرب فهم حرفى له ، "سحر الشعر" ."^(٩)

ويعزى "سحر" بو إلى إبداعه فى النظم ، وبراعته التقنية النادرة . إلا أن كلمة "سحر" ، "فى أقرب فهم حرفى" ، تعنى أكثر بكثير من مجرد الاعتراف العقلانى بمهارة تقنية رائعة ؛ إنها توحى بالفعل المؤثر لشيء يفوق فهم الشخص وسيطرته ؛ إنها توحى بقوة لا يملك الشخص خيارا أمامها سوى الخضوع . يكتب لويل ، ومازالت الإشارة إلى عبقرية بو : "لا أحد يستطيع أن يقول لنا ما هى ، إلا أنه لا يوجد أحد لا يدرك حتما... قوتها" (ص ١١) . وقال شو : "من الحتمى أن بو أنتج السحر . " ثمّة شيء فى شعر بو يُدرك باعتباره شيئا حتميا ، شيئا لا يمكن تجنبه (ليس مجرد شيء تستحيل مقاومته) . ويضاف إلى ذلك أنه بمجرد قراءة هذا الشعر توجد حتميته لتبقى؛ تصبح حتمية أبدية ، يكتب بندلتون كوك : P. Pendleton Cook : "إنه سيلتصق بذاكرة كل من يقرأه" (ص ٢٣) . ويكتب إليوت : "كتب بو القليل ... من القصائد القصيرة ... التى تلتصق بالذاكرة بصورة من الصور" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) .

وهذا هو السبب فى أن شعر بو يمكن تعريفه ، وقد عرّف بالفعل ، بأنه شعر ذو تأثير من الطراز الأول ، بالمعنى الذى أكدّه هارولد بلوم : "إنه يتدفق" ، أو أن له سلطة على الآخر . ويمكن التعليق ، فى الواقع ، على حالة بو فى التاريخ الأدبى باعتبارها حالة متفاقمة ومعقدة من حالات "قلق التأثير" ، قلق يستثار بدون قصد نتيجة "تأثير" ينبعث من هذا الشعر بصورة لا تُقاوم . إلا أن الشيء الفريد فى تأثير بو، مثلما هو الحال بالنسبة لسحره ، هو مدى إغواء فعله بصورة لا تقبل التعليل ، بصورة تتجاوز السيطرة والإرادة وإدراك من يتعرضون لذلك التأثير . يكتب إليوت :

إن تأثير بو ... يثير الارتباك . إن لشعره ونظرياته البويطيقية تأثيراً هائلاً في فرنسا . ويبدو أن تأثيره ضئيل في إنجلترا وأمريكا ... إلا أن المرء لا يمكن أن يقين على يقين من أن كتاباته هو ذاته لم تتأثر ببو . (ص ٢٠٥)

ويواصل إليوت تعليقه دارسا تأثير بو على بودلير ومالارميه وفاليري :

إنهم هنا يمثلون ثلاثة أجيالٍ أدبية ، تكاد تمثلُ بالتمام قرنا من الشعر الفرنسي . إنهم ، بالطبع ، شعراء مختلفون تماما ... لكنني أظن أن باستطاعتنا اقتفاء تطور نظرية واحدة محددة عن طبيعة الشعر واقتفاء انتقالها بين هؤلاء الشعراء الثلاثة وهي نظرية يرجع أصلها إلى نظرية ... إدجار بو . والانطباع الذي نخرج به عن تأثير بو هو الأكثر تأثيرا ، حيث أن مالارميه ، ومن ثم فاليري ، لم ينبثقوا ، في الحقيقة عن بو عبر بودلير : تعرض كل واحد منهما بنفسه لذلك التأثير بصورة مباشرة ، وترك دليلا أكيدا على القيمة التي يعزوها إلى نظرية بو ذاته وإلى ممارساته . " (ص ٢٠٦)

ومما يثير الغرابة بدرجة كبيرة ، أنه بينما لا يوجد أدنى شك في أهمية بو على مستوى العالم وفي تأثيره الكبير ، إلا أن بعض النقاد يستمرون في الاحتجاج والتصريح ، بأعلى أصواتهم ، بأن بو ليس مهماً ، وأن بو ليس شاعرا كبيرا . يكتب الدوس هكسلي عن بو ويتهمة "بالسوقية" :

هل كان إدجار ألان بو شاعرا كبيرا ؟ لم يحدث بالتأكيد أن قال هذا الكلام أي ناقد من الناطقين بالإنجليزية إلا أن الحال مختلف في فرنسا ، حيث خرج منذ عام ١٨٥٠ حتى الآن أفضل الشعراء في كل جيل-نعم ، وأفضل النقاد أيضا ؛ لأن بودلير ومالارميه وبول فاليري ، شأنهم شأن معظم الشعراء البارعين ، نقاد رائعون-خرجوا عن طريقهم لتبجيله... أما نحن الناطقين بالإنجليزية... لا يمكن إلا أن نقول ، مع كل الاحترام الواجب ، إن بودلير ومالارميه وفاليري كانوا مخطئين وأن بو ليس واحدا من شعرائنا الكبار .

(Recognition ، ص ١٦٠)

إلا أنه يبدو أن الذين ينتقصون من قيمة بو لا يدركون المفارقة التي تؤسس مشروعاتهم : ليس من الواضح أبدا لماذا يكون على أى إنسان أن يتكلف عناء الكتابة-بإسهاب-عن كاتب تافه . وهكذا يكتب يوفر ونترز Yvor Winters وهو من أكثر متهمى بو تنظيما :

لا يكمن الخطر ، أساسا ، فى المعجبين به الذين يمكن التأثير فيهم من الأدباء الذين مازال له بعض الشيء فى نفوسهم ، حتى فى إنجلترا وأمريكا ، حيث كان يجب أن تكون الألفة مع لغته دليلا واضحا على فجاجته ، لأن هؤلاء الأفراد لا يؤثرون عموما تأثيرا حقيقيا دائما ؛ إنه بالأحرى يكمن فى هيكل المؤسسة التعليمية المؤثرة حيث يمكن دعم أحد الكتاب دعما قويا من قبل المؤسسة التعليمية ، وسوف يكفى القليل جدا من التوضيح الفلسفى لترسيخ وجوده فى العالم الأكاديمى ككاتب لا تحتاج عظمته إلى دليل . (*Recognition* ، ص ١٧٧)

وتكمن المفارقة هنا ، فى كتابة هذا الهجوم ضد بو ، فى أن ما يفعله المهاجم فى الحقيقة يضيف دراسة أخرى إلى "هيكل المؤسسة التعليمية المؤثرة" التى "يكمن الخطر" فيها على حد تعبيره ؛ وهكذا ، يكون من المفارقات الكبيرة ، أن الخطر فى الواقع سوف يزداد بدراسة ونترز-أى ، سوف يزداد احتمال أن تصبح "عظمة بو ككاتب لا تحتاج إلى دليل" . وسوف أناقش هنا ، بصرف النظر عن حكم القيمة الذى قد يصدر على بو ، هذه المجموعة المؤثرة من الدراسات عن بو ، والكم الهائل من أدبيات النقد الذى كُتب عن شعر بو ، وهذا الكم فى حد ذاته مؤشر على قوته الشعرية المؤثرة ، على القوة التى تدفع القارئ إلى الفعل ، وترغمه على عملية القراءة . إن الإنكار ، الفصل والمدون ، لقيمة بو ، والنفى المسهب والصاخب لأهميته ، يشبهان النفى فى التحليل النفسى تمام الشبه . ومن الواضح أنه إذا كان نصُّ بو غير مهم فى الواقع ، فإنه لا يكون من المهم أن نصرِّح ونبرهن ونؤكد أن بو ليس مهماً . إن حقيقة أن التصريح بأن بو غير مهم تصريح مهم إلى حد بعيد ليست سوى دليل على أن شعر بو شعر مهم فى الواقع .

وهكذا يمكن القول إن لبو تاريخ حالة أدبية ، تتضح في أجلى صورها حين تجسد ، فى أشكالها المتناقضة ، طبيعة المفارقة فى التأثير الشعري القوى : إن الشعر الحقيقى هو الذى نشعر أمامه ، أكثر مما نشعر أمام سواه ، بأنه شعر لا يمكن مقاومته، ويبرهن التاريخ الأدبى أيضا على أن الشعر الأكثر مقاومة ، هو الشعر الذى استثار المقاومات أكثر من سواه .

ويساهم هذا التناقض الظاهرى ، الذى يجعل من شعر بو حالة فريدة فى التاريخ الأدبى ، يساهم بوضوح فى طبيعة المفارقة فى التأثير التحليلى ، والسر الذى يقدمه لنا سر تحليلى من الطراز الأول ، كما عبّر بو نفسه ، الذى جاءت ظنونه المدهشة عن طبيعة ما يطلق عليه "التحليل" ، جاءت شبيهة بصورة مذهلة للاكتشافات التى عرفها التحليل النفسى بعد ذلك . "إن السمات العقلية التى تُقدّم بوصفها سماتٍ تحليليةً لا تقبل التحليل ، فى ذاتها ، إلا بقدر ضئيل . إننا لا نفهمها إلا عبر تأثيراتها ."(١٠)

جاء نصُّ بو (وليست سيرة بو الذاتية عن العصاب الذى عانى منه) نتيجة للطبيعة الأصيلة لتأثيره القوى ، ونتيجة لعمليات القراءة التى يستثيرها ، وهو يمثل بكل وضوح حالة تحليلية فى تاريخ النقد الأدبى ، حالة توحى بشيء حاسم علينا أن نفهمه بواسطة مصطلحات التحليل النفسى ، وبالتالي لا يكون تناول أبحاث التحليل النفسى لبو بصورة متكررة ، وتركيز أنظار النقاد التحليليين عليه ، باستمرار مثيرا للمدهشة .

لاكان

مقاربة إشكالية النص

إن "الرسالة المسروقة" ، كما نعرف ، قصة السرقة المزدوجة ، لرسالة مشبوهة، أرسلت في الأصل إلى ملكة . وحين فوجئت الملكة بدخول الملك على غير توقع ، تركت الرسالة على الطاولة أمام أنظار الجميع ، حتى لا تثير الشبهة وبالتالي تلفت نظر الملك . دخل الوزير D الذي يحلّ الوضع ، ويلاحظ الملكة والنظرات المتبادلة بينها وبين الملك الذي لا يرتاب في شيء ، ويكتشف الوزير ، بعد أن تعرّف على خط المرسل ، موضوع الرسالة ، ويسرقها ويضع مكانها رسالة كانت في جيبه تحت عيون الملكة ذاتها في تحدٍّ لها ، ولم يكن في وسعها أن تقوم بأى شيء لمنع السرقة بدون أن تستثير شكوك الملك . وبعد ذلك تطلب الملكة من رئيس الشرطة أن يقوم بتفتيش جناح الوزير . ويستخدم رئيس الشرطة كل حيل البوليس السري لتفتيش كل المواضع الخفية التي يمكن أن نتصورها في بيت الوزير ، ولكن باءت كل محاولات البحث بالفشل .

يستدعى رئيس الشرطة ، بعد استنفاد كل الوسائل ، أوجست دوبيين ، "الحلّ" الشهير ، كما يصفه بو (إنه مخبر هاوٍ بارع في حل المشاكل بالاستدلال المنطقي) ويحكى له القصة بكاملها. (وفي الحقيقة ، عرف القراء قصة الرسالة من هذا السرد من رئيس الشرطة لدوبيين ، وقد سجلها الراوى ، وهو صديق دوبيين وكان حاضرا حين كان رئيس الشرطة يحكى القصة لدوبيين .)

وفي اللقاء الثانى ، وسط الدهشة الهائلة لرئيس الشرطة والراوى ، يخرج دوبيين الرسالة المسروقة من درجه ويعطيها لرئيس الشرطة مقابل مكافأة مالية كبيرة . ينصرف الرئيس ، ويشرح دوبيين للراوى كيفية العثور على الرسالة : استنتج أن الوزير ، الذى يعرف أن الشرطة ستقوم بتفتيش بيته بكل دقة ، توصل إلى أن أفضل قاعدة لإخفاء الرسالة أن يتركها في مكان واضح ، تحت أنظار الجميع ؛ إن الرسالة ، بكل دقة ، لم تُكتشف لأن كشفها لم يكن يحتاج إلى دليل . وبناء على تلك الفرضية،

عرج على جناح الوزير ، وتلفت حوله ، وفي الحال رأى الرسالة موضوعة على رف في حامل للبطاقات . وبعد ذلك بوقت قصير ، أثار رجل يعمل لحساب دوبيين ضجة في الشارع جعلت الوزير ينظر من النافذة ، وفي هذه اللحظة استبدل دوبيين الرسالة بنسخة طبق الأصل .

ينصب اهتمام لاكان عند هذه النقطة من البحث على الإشكاليات التحليلية "للتكرار القهري" "repetition compulsion"^(١١) كما اتضح في تأملات فرويد في وراء مبدأ اللذة . ومن ثم يركز لاكان جهوده ، فيما يتعلق ببو ، على تحديد أسلوب اعتماد حبكة القصة وتتابع أحداثها (كما يحدث في تتابع الأحداث في قصة حياة ، بالنسبة لفرويد) على مبدأ التكرار ، وهو مبدأ يحكمها ويشيد التلاحم الدرامي والتهكمى بدون قصد . يشير لاكان إلى أن "هناك مشهدين ، وسندعو أولهما ، بلا أدنى تردد ، المشهد الأساسي... ويمكن اعتبار المشهد الثاني تكراراً له بالمعنى الذي نهتم به الآن" (ص ٤١) .^(١٢) يجرى المشهد الأساسي في مخدع الملكة : إنه مشهد سرقة الرسالة من الملكة بواسطة الوزير ؛ والمشهد الثاني-الذي يمثل تكراراً للأول-هو مشهد سرقة الرسالة من الوزير بواسطة دوبيين .

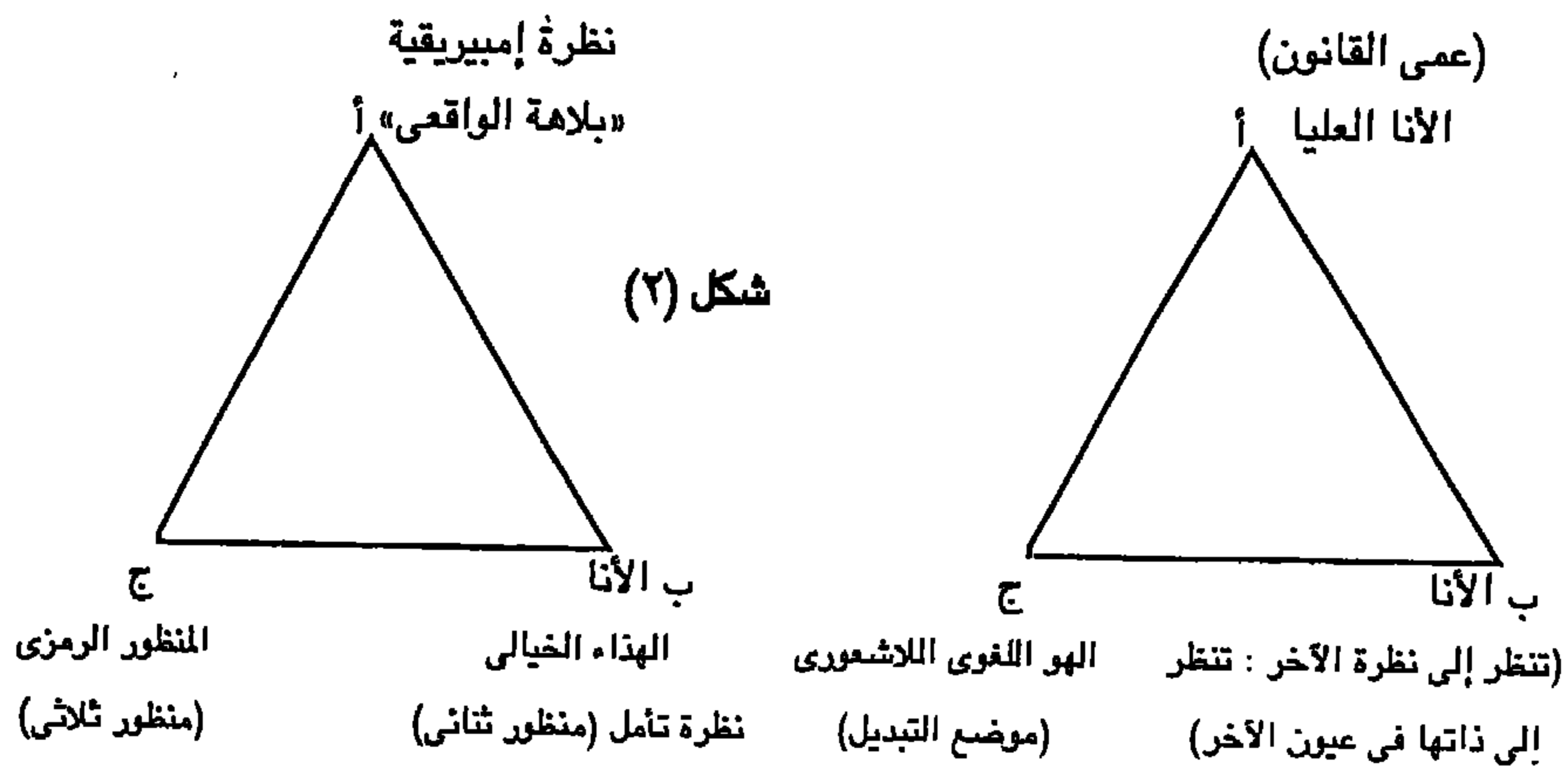
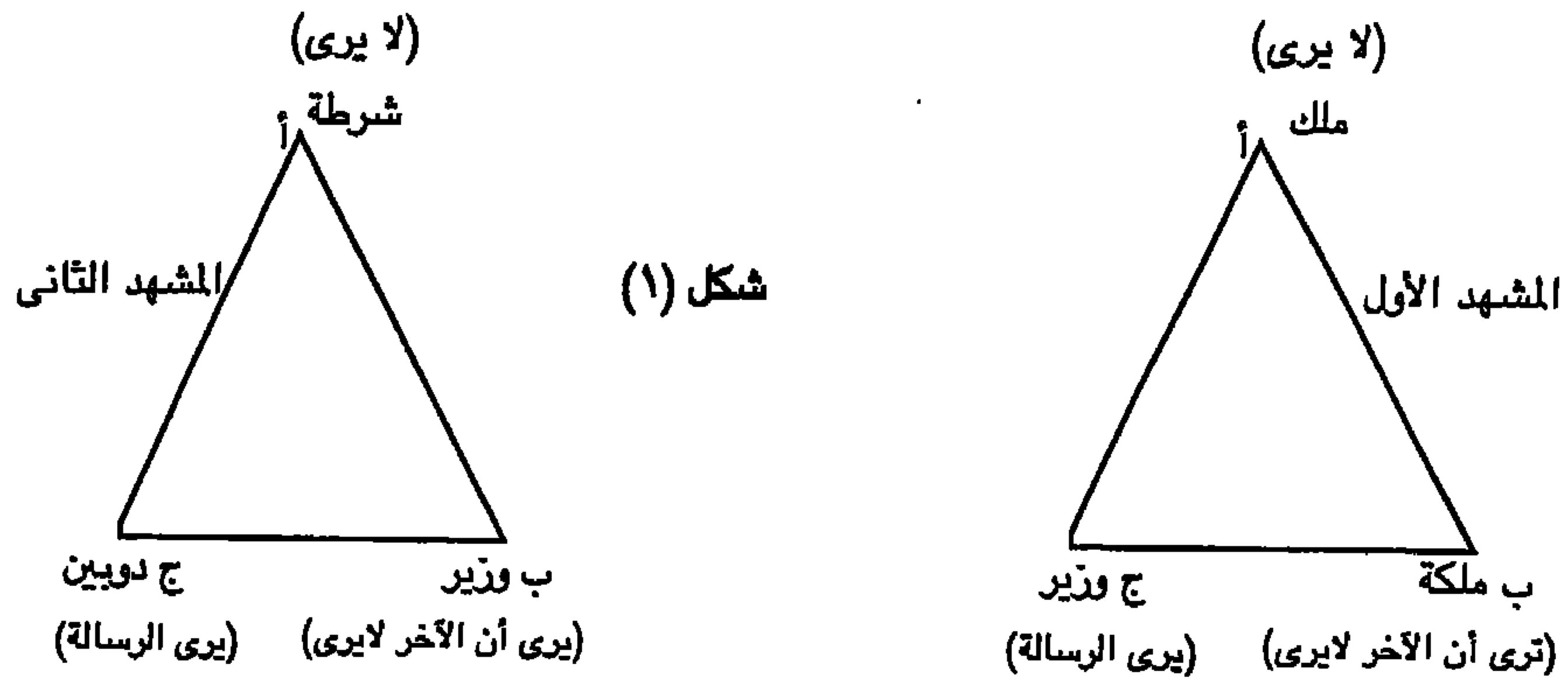
ويرى لاكان أن ما يشكل التكرار ، مهما يكن ، ليس مجرد التشابه في موضوع السرقة المزبوجة ، لكنه الموقف البنيوي برمته الذي تحدث فيه السرقة المتكررة : يأتي اللص في كل حالة نتيجة لعلاقة موضوعية بين ثلاثة أطراف ؛ والمشاركون الثلاثة في المشهد الثاني هم الشرطة والوزير ودوبيين . حيث يحتل دوبيين بالطريقة نفسها وضع الوزير في المشهد الأول (وضع سارق الرسالة) ، ويحتل الوزير في المشهد الثاني وضع الملكة في المشهد الأول (مالك الرسالة المسلوقة) ؛ وتحتل الشرطة ، حيث تبقى الرسالة غير مرئية بالنسبة لها ، الوضع الذي سبق أن احتله الملك . وهكذا يعكس كل مشهد صورة الآخر ، ويصور المشهدين التبادل المتكرر "لثلاث نظرات ، لثلاث نوات ، تجسدها في كل مرة شخصيات مختلفة" . إن ما يتكرر ، بتعبير آخر ، ليس فعلاً سيكولوجياً يُقترَف باعتباره وظيفة من وظائف السيكلوجيا الفردية الشخصية ، ولكن

باعتباره ثلاثة أوضاع وظيفية فى بنية ، تحدد ثلاثا من وجهات النظر المختلفة ،
وتجسد ثلاث علاقات مختلفة لعملية الرؤية وخاصة رؤية الرسالة المسروقة .

الأولى ، نظرة لا ترى شيئا : الملك والشرطة .

الثانية ، نظرة ترى أن الأولى لم تر شيئا وتتوهم أنها تتكتم على ما تخفيه :
الملكة ثم الوزير .

الثالثة ، ترى أن النظرتين الأولى والثانية تركتا ما يجب إخفاؤه فى متناول يد
من يريد الاستيلاء عليه : الوزير ودويين فى النهاية . (ص ٤٤)



وقد صممت الشكل السابق لتخطيط تحليل لاكان وتوضيح الإدراك البنيوي
التزامنى الذى يقترحه للتطور التعاقبى الزمنى فى الدراما .

ويؤكد لاكان أن «ما يهمنا اليوم» ،

هو الطريقة التى تحل بها الذات إحداها مكان الأخرى فى إزاحتها أثناء
التكرار الموضوعى .

سنرى أن إزاحة النوات تتحدد بالوضع الذى يحتله الدال المحض-الرسالة
المسروقة-بأطرافها الثلاثة . وهذا ما سوف يؤكد لنا مكانته كتكرار تلقائى . (ص ٤٥)
ويتعبير آخر ، تصبح الرسالة المسروقة ذاتها-عبر تأكيدها فى البنية-دال
اللاشعورى أو رمزّه ، حتى يكون مقدر لها "أن تدل على إلغاء ما تدل عليه"-ضرورة
كبتها ، وكبت رسالتها : "لن يكون المعنى وحده خطيرا وسيكون نص الرسالة أيضا
خطيرا إذا تم تداوله" (ص ٥٦) . وبطريقة مماثلة إلى حد بعيد ، مثلما يعود المكبوت
فى العَرَض ، وهو بديله الرمزي المتكرر ، تعود الرسالة المسروقة فى الحكاية
باستمرار-بوصفها دال المكبوت-عبر الإزاحة والإحلال المتكررين . "وهو ، فى الواقع ،
نفس ما يحدث فى التكرار القهرى" كما يقول لاكان (ص ٦٠) . إن الرغبة اللاشعورية ،
بمجرد كبتها ، تواصل الحياة فى وسط رمزي بديل يحكم حياة الذات وأفعالها دون
أن تدرك معناها أبدا أو تدرك النمط التكرارى الذى تشيده :

إذا كان ثمة معنى لما اكتشفه فرويد وأعاد اكتشافه بإحساس متزايد بالصدمة
دائما ، فإن إزاحة الدال هى التى تحدد الذات فى أفعالها ، فى قدرها ، فى
رفضها ، فى عماها ، فى نهايتها ، وفى مصيرها ، على الرغم من مواهبها
الفطرية ومكاسبها الاجتماعية ، وبصرف النظر عن سمات الشخصية أو الجنس
sex، وكل ما يمكن أن يكون مهماً للمعرفة السيكلوجية ، ككل ، سوف يتبع شاء
أم أبى ، مسار الدال . (ص ٦٠)

إذن ، بأى معنى يختلف المشهد الثانى من حكاية بو عن المشهد الأول وهو
رره؟ إنه ، بكل دقة ، بمعنى أن المشهد الثانى يتيح لنا ، عبر التكرار ، فهم الأول
تحليله . وليس هذا التحليل عبر التكرار ، فى القراءة الرائعة التى قام بها لاكان ،

أقل من أن يكون إيجوريا عن التحليل النفسى . وهكذا يقارن تدخل دوبيين ، الذى يعيد الرسالة إلى الملكة ، بتدخل المحلل ، الذى يخلص المريض من العرض . لا ينشأ تأثير المحلل نتيجة لقوته العقلية ولكنه ينشأ-كما يؤكد لاكان-نتيجة لوضعه فى البنية التكرارية . ويسمح المحلل بفضل احتلال الوضع الثالث-أى موضع locus لاشعورى الذات كمكان لتبديل الرسالة برسالة (الدال بدال)-عبر الإحالة transference ، بتكرار الصدمة وإحلال بديل رمزى مكانها فى الحال ، ويؤثر بالتالى على حل عقدة الدراما .

ومن المهم أن نعقد مقارنة بين دراسة لاكان للتكرار القهرى فى التحليل النفسى انطلاقا من نص بو ودراسة مارى بوناپرت Marie Bonaparte عن التكرار القهرى فى نص بو .^(١٣) ومع أن المحللين يدرسان المؤلف ذاته ويركزان على المفهوم التحليلى ذاته ، إلا أن مقارنة كل منهما تختلف عن الأخرى اختلافا كبيرا . ويقدر ما أصبحت دراسة بوناپرت كلاسيكية ، ونموذجا للتحليل النفسى التطبيقي ، أود ، فى الإشارة إلى الاختلافات فى مقارنة لاكان ، التلميح إلى الطريقة التى تضع بها تلك الاختلافات موضع الشك وتقدم بديلا لها فى الحال .

١- ماذا يكرر التكرار القهرى ؟ تفسير الاختلاف مقابل تفسير الهوية . ترى بوناپرت أن ما يتكرر بصورة قهرية فى نصوص بو المختلفة هو الفنتازيا اللاشعورية ذاتها : رغبة بو فى أمه الميتة وهى رغبة سادية فى اشتهااء الموتى sadonecrophiliac . ويرى لاكان أن ما يتكرر فى النص ليس محتوى الفنتازيا ولكن الإزاحة الرمزية للدال فى تأكيد سلسلة دالة ؛ والتكرار هنا ليس تكرارا للتماثل ولكنه تكرار للاختلاف ، إنه ليس تكرارا لمصطلحات مستقلة أو لموضوعات متشابهة ولكنه تكرار لبنية علاقات تبادلية متباينة ،^(١٤) إن ما يعود فيه هو آخر دائما . وهكذا تكرر البنية الثلاثية عبر اختلاف الشخصيات التى تتتابع لاحتلال الأوضاع الثلاثة ؛ ولا يمكن لنا أن ندرك دلالتها البنيوية إلا عبر هذا الاختلاف . وبصورة مماثلة تكمن دلالة الرسالة فى إزاحتها ، أى فى تحركاتها المتكررة إلى أماكن مختلفة . وحيث أن المشهد الثانى ، فى رأى لاكان ، يمثل إيجوريا التحليل ، فإن أهميته لا تقتصر على تكرار

المشهد الأول ، ولكنها تمتد إلى الطريقة التي يقدم بها هذا التكرار (مثل التكرار الإحالي لخبرة تحليلية) اختلافًا : يأتي بحلٍّ للمشكلة . وهكذا بينما تحلل بونابرت التكرار باعتباره تأكيدًا للهوية ، يرى لاكان أن أية رؤية محتملة لواقع اللاشعوري تعتمد على إدراك التكرار بوصفه تأكيدًا لاختلاف لا يزول ، لا بوصفه تأكيدًا للهوية .

٢- تحليل الدال مقابل تحليل المدلول . في ضوء قراءة لاكان لحكاية بو باعتبارها إيجوريا القراءة التحليلية ، قد يكون من المهم تحديد الفرق بين مقاربة لاكان ومقاربة بونابرت للقصة . إذا كان من الممكن أن نقول إن الرسالة المسروقة علامة اللاشعوري ، فإن مهمة المحلل ، في رأى بونابرت ، تكمن في كشف محتوى الرسالة ، وتعتقد-شأنها في ذلك شأن الشرطة-أنها مخبأة في مكان ما من الواقع ، في عمق بيوجرافى سرى . ومن الناحية الأخرى ، يرى لاكان أن مهمة المحلل لا تكمن في قراءة المحتوى المرجعى الخفى الذى تتضمنه الرسالة ، ولكنها تكمن في تحديد وضع المغزى السطحى لحركتها الخارجية ، وتحليل الدليل الرمزى لإزاحتها وهو دليل ينطوى على مفارقة ، ولتأكيدا البنىوى ، فى سلسلة دالة . يكتب بو : "ثمة شئٌ بمثل هذا العمق. إن الحقيقة لا توجد فى بئر دائما . وأظن ، فى الحقيقة ، أن معظم المعارف المهمة توجد على السطح دائما ." (١٥) ويتخذ لاكان ، متبنياً رؤية بو ، من مبدأ الدليل الرمزى مرشدا لتحليل الدال وليس تحليل المدلول-لتحليل اللاشعورى (المكبوت) ليس بوصفه شيئا خفيا ولكن على العكس بوصفه شيئا مكشوفًا - فى لغة - عبر إزاحة (بلاغية) مهمة .

ومع أن تحليل الدال على هذا النحو يمكن أن يوجد نموذج له فى تفسير الأحلام لفرويد ، إلا أنه يمثل انقلابا جذريا للتوقعات التقليدية فى المقاربة التحليلية العامة للأدب ويحثها الدائم عن المعانى الخفية . وفى الحقيقة ، لا تمثل قراءة لاكان "للرسالة المسروقة" مجرد تقويض للنموذج التقليدى فى القراءة التحليلية : إنها ، عموما ، قراءة غير مسبقة فى تاريخ النقد الأدبى . لقد عودنا تاريخُ القراءة أن نفترض-عادةً ، دون شك-أن القراءة هى العثور على المعنى ، وأن التفسير لا يمكن أن يتأسس إلا على ما

له معنى . ويكشف تحليل لاكان للدال فرضية جديدة تماما، فرضية جاءت نتيجة ، منهجية ومنطقية نافذة البصيرة" لاكتشافات فرويد : إن ما يمكن قراءته (وربما ما يجب قراءته) ليس المعنى ولكن الافتقار إلى المعنى ؛ إن الدلالة لا تكمن في الوعي، لكنها تكمن ، بصورة خاصة ، في تمزُّقه ؛ يمكن أن يتم تحليل الدال بواسطة تأثيره ؛ دون أن نعرف مدلوله ؛ إن الافتقار إلى المعنى-الانقطاع في سياق الفهم الشعوري - يمكن تفسيره على هذا النحو بل ويجب تفسيره عليه ، دون تحويله بالضرورة إلى معنى ، يكتب لاكان "لنلقِ نظرة" :

سوف نجد إضاءة فيما يبدو ، للوهلة الأولى ، أنها أمور قاتمة : حقيقة أن الحكاية تتركنا في الحقيقة دون أن نعرف مرسل الرسالة أو محتواها . (ص ٥٧)

إن الدال ليس أداة وظيفية...ربما نسلم حتى بأن الرسالة تحمل معنى يختلف تماما (إن لم يكن بصورة أكثر إلحاحا) بالنسبة للملكة عن المعنى الذي فهمه الوزير . ولن تتأثر سلسلة الأحداث تأثرا ذا بال ، وحتى لو لم تكن مبهمة تماما بالنسبة للقارئ الذي يجهلها .(ص ٥٦)

وهذا هو التأثير اللاشعوري الحقيقي بالمعنى الدقيق حيث ندرس أن اللاشعوري يعني أن الإنسان مسكون بالدال . (ص ٦٦)

وهكذا يرى لاكان أن ما هو تحليلي من الطراز الأول ليس المقروء المفهوم(كما ترى بونابرت) ولكن ما هو غير مقروء وتأثيرات غير المقروء . إن ما يقتضى التحليل هو إلحاح غير المقروء في النص .

وقد قال بو ذلك كله ، بالطبع ، في التعليق على طبيعة ما دعاه هو أيضا-بصورة مذهلة للغاية ، في الحقيقة- "التحليلي" : "إن السمات الذهنية التي تدرس باعتبارها تحليلية لا تقبل التحليل ، في ذاتها ، إلا بصورة ضئيلة . إننا لا نفهمها إلا من خلال تأثيراتها . " ومن الغريب تماما أن ما قاله بو عن التحليل بحماس بقي هو ذاته بدون تحليل . ولم يلاحظه في الحقيقة أحد من دارسي التحليل النفسي قبل لاكان ،

ربما لأنه ، أيضا ، طبقه لمنطقه التحليلي الخاص "لا يحتاج إلى دليل بدرجة" تجعله لا يدرك .

٣ - المقاربة النصية مقابل المقاربة البيوجرافية . يتضمن تحليل الدال نظرية في النصية تصبح بالنسبة لها بيوجرافيا بو ، أو ما يدعى مرضه ، أو التحليل النفسي المفترض لشخصيته ، بلا أهمية . إن الافتراض المسبق-الذي يحكم أعمالا من قبيل عمل ماري بونابرت-بأن الشعر لا يمكن تفسيره إلا باعتباره سيرة ذاتية ، تفسير قاصر ومحدود بصورة واضحة . ويقدم التحليل النصي في أعمال لاكان ، للمرة الأولى بديلا تحليليا للمقاربة البيوجرافية التي لم تكن قبل ذلك موضع شك وكانت تبدو كاملة .

٤ - علاقة المؤلف/المحلل : تدمير نمط السيد/العبد وتضاد الطبيب/المريض .
لنتذكر كم من القراء عانوا من الارتباك نتيجة تأكيد التحليل النفسي ، ذلك التأكيد المخزي والمتدني أحيانا "لعلة" بو ، وأيضا "نتيجة الشروح التي تساوى بين الشعري والذهاني" . وكان يبدو أن الشك لم يتطرق إلى عقول قراء التحليل النفسي في أنه إذا كان من الممكن لوضع القراءة أن يشبه وضع التحليل النفسي ، فإن الشاعر يتساوى بالمريض المعتل ، وبالمحلل على الأريكة . ويدمر تحليل لاكان ، مع ذلك ، هذا الوضع الإكلينيكي الذي يوضع فيه الشاعر ويدمر معه ، أيضا ، طمأنينة المفسر التي "تجاور" ذلك الوضع . وإذا كان لاكان لا يهتم "بعلة بو" ، إلا أنه مع ذلك يهتم اهتماما كبيرا بصورة الشاعر في الحكاية ، وبالفرضيات التي تفترض بشأن كفاعته أو عجزه . يقال أن الوزير ودوبين شاعران وأن التعليل الشعري الذي يقدمانه هو ما يفشل رئيس الشرطة في فهمه ، ويمكنهما بالتالي من التفوق على الشرطة . "د- أظن أنه ليس أحقق تماما ،" هكذا يعلق دوبين في بدايات القصة ، ويرد رئيس الشرطة على ذلك بالقول :

"ليس أحقق تماما...ومن ثم فهو شاعر ، وأظن أنه لا يبعد سوى خطوة واحدة عن الحماسة ."

وقال دوبيين بعد أن سحب نفسا عميقا من غليونه : "حقا ، مع أننى شعرتُ بالإثم من كتابة بعض النظم التافه . " (ص ٣٣٤)

والسؤال الذى لا يطرحه لكان كان يمكن أن ينشأ عن التأكيد على نقطة أخرى من الطبيعى ألا تثير الانتباه ، لأنها ، مرة أخرى ، واضحة وعديمة الدلالة بصورة لافتة للنظر : لماذا يقول دوبيين إنه ، أيضا ، ينتابه إحساس بالإثم نتيجة نظم بعض الشعراء؟ بأية صورة يتضمن وضع الشاعر إحساسا بالإثم ؟ بأى معنى يمكن أن نفهم إثم الشاعر؟

يلفت دوبيين أنظارنا ، بالتالى ، إلى حقيقة أنه هو والوزير شاعران ، وهى درجة من الكفاءة لا يصل إليها رئيس الشرطة . وحين يشرح دوبيين ، بعد ذلك ، للراوى هزيمة رئيس الشرطة يؤكد مرة أخرى على عدم قدرة رئيس الشرطة على رؤية المنطق أو "مبدأ الإخفاء" الذى يناسب الشعراء وهكذا (كما قد يُفترض) يكون شعريا بصورة خاصة :

هذا الموظف مرتبك تماما ؛ ويكمن المصدر البعيد لهزيمته فى افتراض أن الوزير أحمق ، لأنه اكتسب شهرة بوصفه شاعرا . الحمقى كلهم شعراء ؛ وهو ما يشعر به رئيس الشرطة حين يشعر بالإثم شعورا تاما من مسألة لا تستحق ذلك نتيجة استنتاجه أن الشعراء كلهم حمقى . (ص ٣٤١ - ٣٤٢)

فى ترجمة بودلير لقصة بو إلى الفرنسية بقيت كلمة أحمق fool ، بالمعنى القديم القوى، fou ، أى بمعنى "مجنون" mad . ومن ثم ، أن أن نقدم الصياغة الجديدة التى أعدها لكان لهذه الفقرة من القصة :

وبعد ذلك ، ثمة لحظة من السخرية [من قبل دوبيين] من خطأ رئيس الشرطة فى استتباط أنه ليس من المستبعد أن يكون الوزير مجنونا لأنه شاعر ، ويبرهن على أن هذا الخطأ قد يكمن ... ببساطة فى تصنيف زائف من صنع الطرف الأوسط ، حيث أنه بعيد عن [الطرف] التالى ، عن حقيقة أن المجانين كلهم شعراء .

نعم ، حقاً . لكننا تركنا فى الظلام فيما يتعلق بتفوق الشاعر فى فن الإخفاء . (ص ٥٢)

تبدو هذه الفقرة من القصة ويبدو تعليق لاكان هامشيين وعرضيين . إلا أن العلاقة المفترضة بين الشعروالجنون لها صلة دالة بحالة بو وبمقاربات التحليل النفسى ، المقاربات الأخرى التى وضعناها فى الحسبان ، ألا يمكن القول إن خطأ مارى بونابرت (الذى يتمثل ، شأنه فى ذلك شأن خطأ رئيس الشرطة ، فى الانهماك فى البحث عن معنى خفى) يكمن فى حقيقة أنها ، شأنها فى ذلك شأن رئيس الشرطة مرة أخرى ، تساوى ببساطة بين الشعرى والذهانى ، وهكذا تفشل ، وقد أغشى بصرها ما ترى أنه العجز الشعرى ، فى رؤية القدرة الشعرية أو فهم خصوصيتها ؟ إن الكثير من دراسات التحليل النفسى التى تشخص علة الشاعر وتبحث عن سره الشعرى فى شخصه (مثلاً يفعل رجال الشرطة) تشبه فى الواقع تحقيقات الشرطة ، وتفشل ، مثلاً تفشل الشرطة فى قصة بو ، فى العثور على الرسالة ، وتفشل فى رؤية نصية النص .

إن لاكان ، بالطبع ، لا يقول هذا كله ولا يراهن عليه فى التحليل الذى يقدمه . وكل ما يقوم به هو طرح سؤال آخر حين اعتقدنا أننا حصلنا على إجابة ما :

نعم ، حقا . لكننا تركنا فى الظلام فيما يتعلق بتفوق الشاعر فى فن الإخفاء .

إلا أن هذا السؤال الذى يبدو هامشيا ، وي طرح بصورة عابرة ، ويترك دون إجابة ، يوحى باحتمال وجود بؤرة مختلفة اختلافا تاما فى القصة أو وجود منظور مختلف للتفسير . إذا كانت "الرسالة المسروقة" تمثل بصورة خاصة قصة "تفوق الشاعر فى فن الإخفاء" ، إلا أنها ليست مجرد إليجوريا التحليل النفسى ولكنها أيضا ، فى الوقت ذاته ، إليجوريا الكتابة الشعرية . ولاكان ذاته شاعر لدرجة أن ما يتم إخفاؤه بتفوق فى سيميناره هو التفكير فى الشعر .

إلا أنه لا يمكن فهم تفوق الشاعر فى التفسير الذى يقدمه لاكان للوضع الثالث المتعلق بالرسالة إلا باعتباره تفوقا بنيويا : الوزير فى المشهد الأول ، ودوبين فى المشهد الثانى ، وكل منهما شاعر . لكن الوضع الثالث يمثل أيضا ، وهذه هى النقطة الأساسية فى مقارنة لاكان ، وضع الشاعر الذى لم يعد وضع المريض المعتل ولكن ،

إذا كان لابد ، فإنه وضع المحلل . وإذا كان الشاعر لا يزال متَّهماً بالحماسة ، فإن حماقته-إن وجدت (ويبقى السؤال مفتوحاً)-هى فى الوقت ذاته حماقة المحلل . إن التناقض الواضح بين الجنون والصحة العقلية ، أو بين الطبيب والمريض ، تناقض لاشعورى لا يستطيع أحد أن يمسك به أو يسيطر عليه . "لا توجد ميتا لغة 'Metalanguage'، كما يقول لاكان : لا توجد لغة يمكن أن يتجنب فيها التفسير تأثيرات اللاشعورى ؛ والمفسر ليس محصناً أكثر من الشاعر ضد الضلالات والأخطاء اللاشعورية .

هـ - التضمين ، مقابل التطبيق ، فى نظرية التحليل النفسى . لم تعد مقارنة لاكان تقع ضمن القسم الذى أطلق عليه "التحليل النفسى التطبيقي" حيث يتضمن مفهوم التطبيق وجود علاقة خارجية بين العلم التطبيقي والحقل الذى يُفترض، من اتجاه واحد ، أنه يقدم المعرفة . وحيث أن نص بو ، فى التحليل الذى قدمه لاكان ، يفسر نص فرويد بالضبط مثلما يفسر نص فرويد نص بو ؛ وحيث أن نظرية التحليل النفسى والنص الأدبى يقدم كل منهما المعرفة للآخر ، ويزيحه ، وحيث أن الوضع الحقيقى للمفسر-المحلل-يصبح داخل النص وليس خارجه ، يتلاشى إذن التعارض الواضح والحدود الصارمة بين الأدب والتحليل النفسى : يمكن أن يكون التحليل النفسى متغلغلا فى الأدب intraliterary بقدر ما يمكن أن يكون الأدب متغلغلا فى التحليل النفسى intrapsychanalytic. إن الرهان المنهجي لم يعد تطبيق التحليل النفسى فى الأدب ولكنه ، بالأحرى ، رهان التضمين المتبادل فى كل منهما.

إذا كنت قد تناولت بإسهاب المساهمة المبتكرة التى قدمها لاكان والمثال المنهجي المختلف فى مقاربته ، فإن الهدف لم يكن تقديم هذا المثال باعتباره نموذجاً للتقليد ، ولكنه بالأحرى ، إشارة إلى الأسلوب الذى يدعونا به بصورة موحية إلى تجاوزه (مثلما يتجاوز لاكان أسلوب فرويد) ، الأسلوب الذى يفتح به مجالاً جديداً تماماً لاحتمالات لم تُجرَّب من قبل فى مشروع القراءة . وبتعبير آخر ، لا تكمن أهمية لاكان فى رأى بصورة خاصة فى أية تعاليم جديدة قد تفترضها "مدرسته" ، ولكنها تكمن فى التأكيد الواضح على وجود أكثر من أسلوب لتضمين التحليل النفسى فى الأدب ؛

والسؤال عن كيفية تضمين التحليل النفسى فى الأدب سؤال يحتاج إلى تفسير ، وإلى تحدٍّ من براعة المفسر وبصيرته ، ولا يمثل فرضية يمكن أن نسلم بها بطريقة ما ؛ إن ما يتعلق بالتحليل فى النص ليس بالضرورة القاطعة "اللاشعورى فى الشاعر" ، علينا أن ندع علقته أو مشاكل حياته فى حالها ؛ ولتحديد وضع التحليل فى نص من هذا القبيل-تحديد وضع موضوع التحليل أو نقطة تضمينه النصية-ليس علينا بالضرورة أن نتعرف على ما هو معلوم وأن نعثر على إجابة ، ولكن ، وربما بتحد أكبر، تحديد وضع المجهول والعثور على سؤال .

التحليلى البو-يطيقى The Poe-etic Analytical

لنعد الآن إلى السؤال الحاسم الذى تركناه معلقا من قبل ، بعد طرحه بنقض شرط فرويد المتعلق بنوع البحث الذى تقدمه مارى بونابرت : هل يمكن أن يقدم لنا التحليل النفسى بصيرة للنفاذ إلى خصوصية الشعري ؟ ويمكن الآن أن نكمل هذا السؤال بسؤال آخر : كيف يمكن تحديد وضع التحليلى فيما يتعلق بشعر بو ؟

ربما يأخذ البحث عن إجابة لهذين السؤالين أحد اتجاهين . (١) قراءة مباشرة لنص شعري من نصوص بو فى محاولة لتحديد وضع الدال الشعري فى القصيدة وتحليل وظيفته وتأثيراته ؛ ويتعبير آخر ، تحليل عمل الشعر بهذه الطريقة من خلال الدوال (حتى أنه من الممكن اعتبار الدوال ، على عكس المعانى ، دوال اللاشعورى دائما) ؛ (٢) قراءة تحليلية للتاريخ الأدبى حيث يشكل بو تاريخ حالة أدبية واضحة . ولم يقم أحد ، بقدر علمى ، أبدا بقراءة من هذا القبيل فيما يتعلق بأى كاتب : لم يُنظر أبدا إلى التاريخ الأدبى بوصفه موضوعا تحليليا ، بوصفه موضوعا يحتاج إلى تفسير تحليلى .^(١٦) إلا أنه لا يزال من الواضح إلى حد بعيد ، فى حالة مثل حالة بو ، أن خطاب التاريخ الأدبى يشير إلى بعض التحديدات اللاشعورية التى تبنيه ولكنه لا يدرك معناها. ما هو لاشعورى التاريخ الأدبى ؟ هل هناك علاقة بين إثم الشعر واللاشعورى ؟ هل يمكن بطريقة ما اعتبار التاريخ الأدبى إحالة لاشعورية متكررة لإثم الشعر ؟

إن التاريخ الأدبى ، أو بتعبير أدق الخطاب النقدي حول بو ، هو فى الحقيقة من أوضح ("لا يحتاج إلى دليل") تأثيرات الدال الشعري عند بو ، أى من أوضح تأثيرات

نصه . والآن ، كيف يمكن أن نتعامل تحليليا مع مسألة التأثير الخاص لبو ؟ الإجابة التي أقترحها هي : بتحديد وضع ما يبدو أنه غير مقروء أو غير مفهوم في هذا التأثير؛ بتحديد أكثر التعارضات أو الانقطاعات بروزا في الخطاب النقدي المتعلق ببو عموما ، بتحديد أكثر التناقضات إثارة للارتباك، وبمحاولة تفسير تلك التناقضات كأعراض لخاصية الاضطراب في التأثير البو-يطيقي Poe-etic، وبالمثل خاصية اعتماد مثل هذا التأثير على اللاشعوري .

بدا للوهلة الأولى أن شعر بو ، طبقا للأدلة المتعارضة في قراءته ، وإنكرر ذلك مرة أخرى، بدا أنه لا يُقاوم بصورة تفوق كل الأشعار الأخرى وربما يكون أكثر الأشعار مقاومة في التاريخ الأدبي . إننا نشعر للوهلة الأولى بأن بو أستاذ الفن اللاشعوري ، أستاذ لا يبارى وأستاذ أكثر الحالات اللاشعورية التواء ، وقد يُحكّم عليه بأن يبقى "ضحية للفكرة الثابتة" *idée fixe* باستمرار وضحية لهواة التحليل النفسي^(١٧). وأود أن أبرهن على أن الشعر هو بكل دقة تأثير الصراع المميت بين الوعي واللاوعي ؛ وعليه أن يعمل مع المقاومة ومع ما لا يمكن مقاومته أو الهروب منه . إن بو عَرَضُ من أعراض الشعر حتى يصبح الشعر أكثر ما يقاوم تفسير التحليل النفسي وأكثر ما يعتمد على تأثيرات التحليل النفسي .

لكن هذا ، في مفارقة وافية ، هو الشيء المشترك بين الشعر والتحليل النفسي. إنهما موجودان بقدر ما يقاومان قراءتنا . وحين يتم اصطيادهما في فعل ، يُسَرَقَان من جديد باستمرار.

هوامش الفصل الخامس

١- مع أن بولم يكن منبوذاً على المستوى الاجتماعي إلا أن بولير تصور أنه كان منبوذاً ، وربما كان بول ، وما زال ، أكثر من أسىء فهمهم من بين الكتاب الأمريكيين جميعاً . " راجع ،
Floyd Stoval, *Edgar Poe the Poet: Essays New and Old on the Man and His Work* (Charlottesville: University of Virginia Press, 1996)

٢- عبارة ت.س. إليوت الشهيرة في دراسته
From Poe to Valéry', *Hudson Review*, Autumn 1949

وقد أعيدت طباعتها في :

The Recognition of Edgar Allan Poe: Selected Criticism since 1829 ,ed. Eric
W. Carlson Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996 p. 3-5.

وسنذكر هذه المجموعة من المقالات بعد ذلك باسم Recognition وتحتوي على عدد من
المقالات المتنوعة يمكن ذكرها بإيجاز على النحو التالي :

P.P. Cooke, 'Edgar A. Poe' (1884); T.S. Eliot, 'From Poe to Valéry' 199
T.W. Higginson, 'Poe' (1987) ; Aldous Huxley, 'Vulgarity in Literature'
(1931); G.B. Shaw, 'Edgar Allan Poe' (1990); Edmund Wilson, 'Poe at
Home and abroad' (1993); Yvor Winters, 'Edgar Allan Poe: A Crisis in
American Obscurantism' (1937)

٣ - راجع ،

J.W. Knutch, *Edgar Allan Poe: A Study in Genius* (New York: Knopf, 1936)

٤ - راجع ،

J.M.S. Robertson, 'The Genius of Poe', *Modern Quarterly*, 3 (1926)
Camille Mauclair, *Le Génie d'Edgar Poe* (Paris, 1925) ; (John Dillon,
Edgar Allan Poe: His Genius and His Character (New York, 1911);
John R. Thompson, *The Genius and Character of Edgar Allan Poe*
(privately printed, 1929); Jeannet A. Marks, *Genius and Disaster*.

Studies in Drugs and Genius (New York, 1925); Jean A. Alexander, 'Affidavits of Genius: French Essays on Poe, Dissertation Abstracts, 22 (September 1961)

٥- راجع ، 'Higginson, p.67. 'Poe, Recognition,

٦- راجع ،

Swinburne, Letter to Sara Sigourney, 9 November 1875 *Recognition*, p.63. Mallarmé, 'Scolies', in *Oeuvres complètes*, ed. H. Mondor and G. Jean-Aubry (Paris: Pléiade, 1945) p.223; my translation. Lowell, 'Edgar Allan Poe', *Recognition*, p.11.

٧- راجع ،

Cooke, quoting Elizabeth Barrett, in 'Edgar A. Poe', *Recognition*, p.23; original Italics.

٨ - راجع ، 'Shaw, p.98. 'Edgar Allan Poe', *Recognition*,

٩ - راجع ، 'Eliot, p.209. 'From Poe to Valéry', *Recognition*,

١٠ - راجع ،

'The Murders in the Rue Morgue', in *Edgar Allan Poe: Selected Writings*, ed. David Galloway (New York: Penguin, 1967) p.189

وسيزكر فيما يلي باسم Poe.

١١ - للاطلاع على تحليل مهم لطريقة حدوث التكرار في إشكاليات القراءة التي أشار إليها نص لاكان ، انظر :

Barbara Johnson's 'The Frame of Reference: Poe, Lacan, Derrida, in *The Critical Difference: Essays in the Rhetoric of Contemporary Criticism* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1980)

١٢ - راجع ،

Lacan, 'Le Séminaire sur La Lettre volée', in *Ecrits* (Paris: Seuil, 1966); first translated by Jeffrey Mehlman in 'French Freud', *Yale French Studies*, 48 (1972).

وكل الإشارات الواردة في هذا المقال إلى سيمينار لاكان عن بوهي إشارات إلى هذه الترجمة .

١٣ - راجع ،

Bonaparte, *Edgar Poe* (Paris: Den?el et Steele, 1933) English edition: *Life and Works of Edgar Allan Poe*, trans. John Rodker (London: Imago, 1949)

وكل الإشارات إلى ماري بونابرت في هذا المقال هي إشارات إلى الطبعة الإنجليزية .

١٤ - "هل نحن في حاجة إلى تأكيد التشابه بين النتيجتين ؟ نعم ، لأن الشبه في رأينا ليس مجرد تجمع بسيط لخصائص لم تُجمع إلا لمحو الاختلاف . إن الإبقاء على تلك الخصائص المشتركة على حساب الخصائص الأخرى لا يكفي لاستنتاج أبسط الحقائق. إن حث العاملين اللذين نتمنى توضيحهما يتم بالأحرى فيما بين النوات intersubjectivity، مثلما هو الحال بالنسبة للأطراف الثلاثة التي تبنيها . وتنتج المكانة الخاصة لتلك الأطراف عن توافقها المتزامن مع اللحظات المنطقية الثلاث التي يتم أثنائها الوصول إلى القرار ومع المواضع الثلاثة التي يعزوها إلى النوات التي يختار بينها ... وهكذا يتم تحميل اللحظات الثلاث ، التي يبنى ثلاث نظرات ، بثلاث نوات ، تتجسد كل مرة في شخصيات مختلفة . "سيمينار عن الرسالة المسروقة" ، ص ٤٣-٤٤ .

١٥ - راجع ، Poe, p.204, "The Murders in Rue Morgue"

١٦ - حاولتُ ، مع ذلك ، أن أقوم بعملية استكشاف أساسي لمثل تلك المقاربة فيما يتعلق بهنري جيمس في مقالتي ،

'Turning the Screw of Interpretation', in *Writings and Madness: Literature/Philosophy/Psychoanalysis* (Ithaca: Cornell University Press, 1985)

١٧ - التعبير لدافيد جالوي David Galloway, Poe, p.204

الفصل السادس

وظيفة الزمن في التحليل النفسى

جون فورستر

العنوان الأصلي :

DEAD ON TIME: LACAN'S THEORY OF TEMPORALITY

وهو الفصل الثامن من :

John Forrester, *The Seductions of Psychoanalysis: Freud, Lacan and Derrida*; Cambridge University Press 1990 .

المتن من ص ١٦٨ إلى ص ٢١٨ ، والهوامش من ص ٢٥٢ إلى ٢٧٠

لماذا المشهد البدائي صادم إلى هذا الحد؟ جاك لاكان^(١)
عليك بانتظار اللحظة المناسبة لتوصيل تفسيرك للمريض ببعض
الأمل في النجاح .

لكنني أكن لنا ، دائما ، اكتشاف اللحظة المناسبة ؟
إنها مسألة ذوق... سيجموند فرويد^(٢)
أنظر أن تأتي اللحظات المحتملة هي اللحظة المناسبة للتفسير .
لكنني أكن صادمي في تفسيراتي ، وإذا لم أكن على يقين مما
أفسره فإنني لا أتردد في كسب الوقت .

فينيكوت D.W.Winnicott^(٣)

دور شك لا تتحدد سرمدية اللاشعوري إلا في مواجهة المفهوم
الشائع عن الزمن ، المفهوم التقليدي ، المفهوم الميتافيزيقي : زمن
ألي تاورمين الشعور . جاك دريدا^(٤)

صارت جملة فرويد اللاشعوري لا يعرف زمنا ، من الأقوال الميتاسيكولوجية
المتأثرة وقد نعتت بأسوأ الفهم غالبا . ومع ذلك ، كيف يمكن لشيء موجود
ألا يتعرض لعوادي الزمن ؟ من المفترض أن اللاشعور أتى إلى الوجود في لحظة
معينة من الزمن . وأنه يختلف في لحظة معينة من الزمن . وقد صاغ لاكان النقد
الفلسفي في إيجاز بارع على النحو التالي :

إذا كانت الرغبة غير القابلة للتدمير indestructible تفر من الزمن ، فإلى أي
سجل تنتمي في نظام الأشياء ؟ لماذا يكون شيء ، إن لم يكن ذلك الشيء الذي
يبقى ، في حالة متماثلة ، لوقت معين ؟ أليس هذا هو المكان المناسب لتمييز
نموذج آخر للزمن-الزمن المنطقي ، بالإضافة إلى الأمد duration ، مادة
الأشياء ؟ إنك تعرف أنني تناولت هذا الموضوع في إحدى مقالاتي .^(٥)

سيكون هذا الفصل محاولة لتوضيح مفهوم الزمن في التحليل النفسي : سيتوجه

أساساً إلى الإشارات والأقوال المبهمة التي كرّسها جاك لاكان للمسألة . ويوازي هذا الاستكشاف إثبات أن نظريات لاكان التحليلية المميزة لا يمكن استيعابها تماماً بدون فهم نظرياته عن الزمن . وتتغاضى معظم الدراسات المكروسة لأعمال لاكان عن هذا الجانب وتكتفي بالقليل من الإشارات الموجزة . إلا أن ممارسة جلسات تحليلية مختلفة الطول ، الجلسات الفاضحة *the seances scandees* كما يطلق عليها المحللون الفرنسيون ، كانت القضية الرئيسية وراء إرغام لاكان على ترك الرابطة الدولية للتحليل النفسي . ورأى الخاص أن هذه الممارسة لم تكن بمثابة نزوة بصورة كاملة ولم يكن اعتمادها قاصراً على التجربة الكبرى في التقنية التحليلية التي جنحت إليها شخصية لاكان البارع في التصوير المجازي بصورة منمقة . ومهما يكن ، يسلم حتى المحللون اللاكانيون ، المتأثرون أكثر مني بتعاليم لاكان ومفاهيمه ، بأن نظرية الزمن لم تفحص أبداً بصورة كافية^(٦) . وقد قمت بهذه الدراسة بحثاً عن مثل هذا الفحص ، ومع أنه ربما لا يزال من الصواب أن نقول إن هذه النظرية لم توجد أبداً بالصورة التي كان يجب أن توجد عليها ، فإن المواد المقدمة هنا لا تعادل في تأثيرها نظرية تلفت الانتباه فقط ولكنها إحدى أكثر مساهمات لاكان أصالة في قراءة فرويد الذي استدعى نظريته . ولكن من أين نبدأ هذه القراءة ؟

I

استمرت الجلسة بين خمس عشرة دقيقة وثلاثين دقيقة وبدأت بالنسبة لي طويلة غالباً . فقط ذات مرة ، في البداية ، نسي أنني كنت في المكتبة ، وحين انتهيت من الطُّرُق على باب مكتبه ، كان في حالة غيظ شديد ويكاد يصرخ في وجهي لأنني لم أعلن عن وجودي قبل ذلك . انتهيت من ترتيب لموعدي الخاص بحيث لا يكون عليّ أن أنتظر أكثر...^(٧)

ليست هذه هي الطريقة المتبعة في ترتيب اللقاءات بين المحللين ومرضاهم^(٨). ويبدو أن هوفشتاين Hofstein كان محللاً يتمتع بالقوة بصورة خاصة تجعله يقرر ترتيب الموعد من جانبه، وليس من جانب لاكان . ويواصل ، في الحقيقة ، هذا التعليق عن تحليله مع لاكان ليعطي مثالا آخر عن توكيد الذات بصورة ناجحة :

اكتشفت أنه كان الوقت الذي كان يعد فيه كتابات *Ecrits* للنشر . بدأ الجميع يتحدثون عنه وسمعتُ أشياء عن ممارساته لم تكن تتفق مع خبرتي معه. ذات يوم حكيت له قصة بذيئة تتناولها الألسن . قال 'إنها ليست صحيحة' . وقررت أنها كانت صحيحة ، وقلتُ له ذلك . وحين رفضتُ العودة إلى نقط معينة ، لم يلح . كان المحلل هو الموجود وليس 'أنا' لاكان. the "I" of Lacan وكان في قدرة المرء أن يجبره على أن يبقى في موضعه كمحلل حين غادر ذلك الموضع ، وهذا شيء تعلمته معه . مثل تقنية^(٩).

«وكان في قدرة المرء أن يجبره على أن يبقى في موضعه ...» حين كانت المسألة مسألة زمن ، كان عليّ أن أجبره على عقد اللقاء في اللحظة التي تناسبني . ولكن كيف تفعل ذلك ؟ كيف تُثَبِّتَ الموعد *rendez-vous* من طرف واحد؟^(١٠)

وكان لابد أن تثير ممارسة لاكان ، الممارسة غير المألوفة في جلسات مختلفة الطول ، أسئلة من هذا القبيل . وكانت أهمية غرفة الانتظار هي النتيجة الأوضح

والأكثر إثارةً للدهشة في التعليقات المتنوعة التي قدمتها الإشاعة عن تلك الممارسة . المحللون ينتظرون في مجموعات ، ويتوقعون (وربما لا يتوقعون ، طبقا للحالة) أن يتم استدعائهم . وحين يقارن بالانتظار التقليدي-حين يحضر المرء قبل الموعد على غير توقع ، ويستتبط من ثم أن خبرة الانتظار ، بمعنى ما ، زائدة وغير ضرورية ومستحثة ذاتيا self-induced، حين تقاس بالمقارنة مع الزمن الموضوعي للموعد ، أو حين ننتظر الآخر ، الذي يتأخر ، ولكن طبقا للساعة فقط-تجرد فترة الانتظار اللاكاني الساعة من استبدادها الموضوعي الذي يفتقر إلى المعنى . ويصبح السؤال : ما الزمن الموضوعي الذي يمكن أن أقيس به انتظاري ؟ يقدم لغزُ الزمن المنطقي إجابةً ، كما سنرى لاحقاً في هذا الفصل . ولكن يمكن أن نرى فوراً أن المشاكل في معظمها تتعلق بالعلاقة مع الآخر-الآخرون كلهم في الوضع ذاته ، ينتظرون ، والآخر على شرف كلمته ينتظر . إن ترتيب اللقاءات مع الآخر ، انتظار الإنسان ، الاستيلاء على الآخر ، يمتد إلى العثور على تقنية ليبقى الآخر في موضعه الحقيقي .

هناك الكثير يقال عن الرأي الذي يقول إن لاكان طور ممارسته للجلسات مختلفة المدة بوصفها 'تقنية فعالة' "active technique" وخاصة . وتشير 'تقنية فعالة' هنا إلى مجموعة من الممارسات التي ناقشها رانك Rank وفرنيزي Ferenczi في عملهما الكلاسيكي ، وهو عمل استقبل استقبالا مشوشاً في حينه وأثار الخلاف منذ صدوره . وبصورة أكثر تحديداً ، ما يقوم به لاكان من إنهاء الجلسة حين يرى ذلك مناسباً ، بدلا من إنهاؤها حين تعلن الساعة أن عليه إنهاؤها ، طبقا لاتفاق سابق بين المريض والمحلل ،^(١١) ربما انصب باتجاه نوع خاص من المرضى: المريض المصاب بالوسواس القهري . وقد واجه لاكان هؤلاء المصابين بالوسواس في جبهتين : جبهة مرضاه وجبهة زملائه المحللين ، كما قال فيما يلي :

وقد تم تناول التقنية بأسلوب كئيب ، صموتٍ لدرجة التعتيم ، أسلوبٍ يبدو مرعباً لأية محاولة لاقتحام هواء النقد ، الهواء المنعش . وافترض في الحقيقة أن هواء الشكلية اندفع إلى تلك الأبعاد الاحتفالية التي ربما تحير المرء بشأن ما إن كانت تحمل التشابه نفسه مع عصاب الوسواس القهري الذي عرفه فرويد بصورة

مقنعة في ملاحظة الشعائر الدينية . إن لم يكن في تخليقها .^(١٢)

وكان لاكان يدرك إدراكا جيدا فينومينولوجيا عصاب الوسواس القهري مما جعلها تبدو محاكاة ساخرة لكل من مبدأ الواقع وعمليات التفكير : الإبطاء ، الشك ، التردد ، التسويف ، القدرة على عدم إحداث أي شيء سواء أكان ذلك بسرعة بالغة أم ببطء بالغ . وقد التقط لاكان هذه التيمة من أعمال فرويد وجعلها مركز العالم بالنسبة للمصاب بالوسواس القهري ، العالم الذي لا يعرف الزمن non-time . تدخل لاكان بين النظرية الهيجلية عن جدلية السيد والعبد ونظرية فرويد عن الأب العقابي ، المستعد دائما لمعاقبة الرغبات الاستحواذية بحيث يؤدي ذلك إلى ظهور صورة المصاب بالوسواس القهري الذي ينتظر دائما موت السيد ، الأب ،^(١٣) ويعمل وهو ينتظر . وبصورة مثالية ، سوف يعمل ، من منظور المصاب بالوسواس القهري ، على ألا ينتج شيئا-أن يملأ زمن الانتظار بأفعال ليست أفعالا ، *ungeschehenmachen* ، كما يدعوها فرويد ، يبطل undo ما تم ويجعله كأنه لم يكن^(١٤) 'وكان أي فعل لم يحدث ، بينما يحدثان كلاهما في الواقع' .^(١٥) بداية يكون الإبطال وقائيا : ليمنع حدوث أي حدث أو إعادة حدوثه-هو ، بهذا المعنى ، معقول . العنصر 'غير المعقول' يكمن في ألا يجعله يحدث-في العبث بالماضي وسيحاول الشخص العصابي أن يجعل الماضي نفسه غير موجود .^(١٦) [*aufzuheben*] وهكذا ينتظر المصاب بالوسواس القهري لأنه دخل زمنا لا وجود له ، مؤكدا على عدم حدوث حدث حدث : دخل عالما مستحيلا ، بالضبط مثلما يصبح أي رقم لانهايا بالقسمة على الصفر ، يصبح أي زمن فارغا ، يصبح أمدا محضا ، حين يُجرّد من أي شيء حدث بالفعل ، إن زمن الأمد المحض هو زمن الموضوع المحض : الموضوع الذي لا يعرف إلا بأمده

وهكذا يغترب المصاب بالوسواس القهري عن الزمن ، ويضع لاكان هذا الاغتراب بجوار الاغتراب الموجود في كتابات هيجل وماركس : ولا يقتصر الأمر على ذلك

عمل يدوي يأخذه الآخر مني-وهي العلاقة المكوّنة لكل عمل-لكن تعرف الذات على جوهرها في عملها اليدوي ، العمل الذي يجد فيه العامل مبررا لوجوده ، يتملص منه أيضا ، لأنه هو نفسه «ليس فيه» . إنه في اللحظة المتوقعة لموت

السيد ، سيبدأ حياته من تلك اللحظة ، ويتقمص في أثناء ذلك *en attendant* [*quoi*] دور السيد كميث ، ونتيجة لذلك يكون هو نفسه ميتا بالفعل. (١٧)

إن انتظار المصاب بالوسواس القهري له علاقة جوهرية مع هذه اللحظة من لحظات الموت . والعمل الذي ينهمك فيه ، أثناء التحليل ، المصاب بالوسواس القهري ، هو التداعي الحر أولا وقبل كل شيء ، التداعي الحر الذي يراه (على العكس من الهستيري) عملا قسريا . بصعوبة-يبدل مجهودا لخداع السيد بإظهار النوايا الطيبة في عمله^(١٨) -إغوائيا-يتم توظيف "دأب" الذات في الحقيقة لإغواء المحلل^(١٩) -إلا أنه، في رأي لاكان ، عرضة للهجوم إلى حد بعيد :

ومن ثم كيف يمكن أن نرتاب في تأثير أي ازدراء يبدية السيد تجاه إنتاج ذلك العامل ؟ وقد يربك مقاومة الذات على نحو تام. (٢٠)

وهذا التعرف على-وقد يظنه المحللون الآخرون تعاطفا مع-مأزق المريض الذي يعاني من الوسواس القهري الذي دفع لاكان لإعطاء كل هذه القيمة التقنية لجلساته 'القصيرة' .

ليس عندي الكثير مما يمكن أن أقوله عنه إذا لم أكن مقتنعا بأنني ، في تجريب ما سمي بجلساتي القصيرة ، في مرحلة من خبرتي انتهت الآن ، كنت قادرا على كشف فنتازيا الحمل الشرجي *anal pregnancy* في أحد المرضى الذكور ، وأن أكشف أيضا حلم انتهائه بعملية قيصرية ، في تأجيل نهاية الجلسة حيث كنت بدلا من ذلك أستمع إلى تأملاته عن فن دوستويفسكي. (٢١)

وهكذا يتوافق نقد لاكان للمحللين الآخرين ، المتواطئين 'بازدراء' مع أعراض الوسواس القهري التي يعاني منها مرضاهم ، مع إدراكه لأهمية الزمن والنهايات والترقيم بالنسبة للمريض الذي يعاني من الوسواس القهري ولعمل ذلك المريض. (٢٢) ويبقى أنها تقنية غريبة : نتصور المحلل ، ضجرا من الاستماع إلى تأملات المريض عن دوستويفسكي ، مطولا الجلسة بصورة مدروسة ، متخما بتوقع الاستماع إلى المزيد من تلك التأملات العقيمة . ويرضى ، بدلا من ذلك ، بفنتازيا الحمل الشرجي التي انبثقت في «تأجيل» [*délai*] النهاية . يطيل المحلل عملية الانتظار بصورة مدروسة ،

ثم ، ويا لها من مفارقة ، يختصرها ، وهو لا يظهر الازدراء الذي يَكُنُّه المحللون الملتزمون بالساعة the clock-analysts لإنتاج مرضاهم-مع أن الازدراء موجود دون أدنى شك ، في التقييم الضمني للتأملات في دوستوفسكي . وبدلاً من ذلك يبدو أنه يقول للمريض في عملية التأجيل : 'ما تقوله مهم للغاية-لأنه تافه وعقيم-حتى أن علينا الاستماع إلى المزيد منه ، أكثر مما تظن أن علينا أن نسمع طبقاً للزمن الذي تحدده الساعة . ' وتتمثل أهمية هذه اللحظة الساخرة في التقدم الجدلي ، حين يبدأ المحلل مقارنة مسألة نوايا الأنا في ذواتنا '،^(٢٣) تتمثل في الوصول إلى الأهمية بإثارة التفاهة . وهي مسألة عكس أن تلهث لتسمع ، تقرأ ، ترى الحلقة الأخيرة من الرواية البوليسية التي انهمكت فيها أسبوعاً وراء أسبوع . وعكس علامة الترقيم جنس '[الرواية البوليسية] من فعلها؟' - 'whodunnit?' حيث تفصح علامة الاستفهام أكثر مما تفصح « من who » أو 'فعل dunn' أو 'ها it'، وهنا يبين المحلل للذات أن 'ماذا بعد؟' تتمرأى في الزمن السردي بواسطة 'أوه ، لا شيء' في الزمن الاستحواذي ويمكن أن يتم تصويرها على هيئة محاكاة ساخرة لما يميز أي إنسان ويشبعه .

وهذا الفهم لتقنية الجلسات متنوعة الطول كان يجب أن يُصنَّف غالباً تحت المصطلح البسيط الذي استخدمته من قبل : الترقيم punctuation . وفيما يبدو أنه جاء كفكرة تالية ، استطاع لاكان أم يلاحظ أننا باستخدام هذه التقنية ، 'لا نفعل أكثر من أن نضع لكلام الذات ترقيمه الجدلي' .^(٢٤) ولكن ليس هذا المعنى سوى واحد من المعاني التي استخدم فيها مصطلح الترقيم ؛ ويمكن لنا أن نطلق عليه المعنى البنيوي structural ، وهو معني ببنية الخطاب ، وتنظيم السرد ، لتاريخ الذات ، التاريخ الذي يروى من جديد . ويوجد على الأقل ثلاثة معاني أخرى لهذا 'الترقيم' . والمعنى الأكثر ارتباطاً بالمعنى البنيوي ، هو «التوكيد underlining» ، أو 'التشديد emphasis' ؛ الوسيلة غير اللفظية للتشديد ، الوسيلة التي لا يتم التشديد عليها بشدة :

يعزو كلُّ محلٍّ أهميةً عظيمة لكل شيء ، يلقي فجأة أثناء الجلسة ، بعض الضوء على بداية الجلسة . وربما يختار المرء أن يشارك المريض في ذلك ؛ ولكن إن كنت لا أودُّ أن أشدُّ انتباهه إلى ذلك بصورة ملحوظة للغاية ، سأضطر إلى إنهاء الجلسة عند تلك النقطة معتبراً أن وقف الدلالة جدير بعلامة ترقيم . وكلُّ ما عدا

ذلك لا يعدو أن يكون شيئاً يحدث مع الإحالة. (٢٥)

ويتواشج هذا المفهوم ، مفهوم الترقيم مع رؤية المحلل بوصفه كاتباً ، وبوصفه معلّقاً ، يكتب على حافة نص المريض ، إلا أن ذلك يثير سؤالاً في التو . لماذا لا نستخدم معاني أخرى للتشديد ، المعاني التي يتم تقديمها بالفعل في الإطار الذي يقبل فكرة أن التحليل النفسي ممارسة للكلام ؟ وفي الحقيقة ، لا يوجد أدنى شك في أن المحللين حولوا صوت الخنزير إلى أداة للتواصل . أداة مهذبة ودقيقة. (٢٦)

ويوجد معنى إضافي للـ *time between* : وقفه للتنفس ، التوق ، التأجيل ، التردد والتسرع ، الاندفاع والكمون-فينومينولوجيا كاملة للزمن ، لتأرجحه واحتناده ، لنبضه وسكونه ، ويتمتع بأقصى أهمية في عملية الكلام . وبهذا البعد من أبعاد المصطلح ، نطرق مجال السيمنطيقا ، وهو مجال شقّ بحث لاكان عن الزمن المنطقي طريقه إليه ، وسوف أتناوله بالتفصيل في القسم التالي من هذا الفصل ، ولكن بإثارة مسألة فضاء الكلام ، الفضاء الداخلي ، نكون أيضاً قد دخلنا إلى مقاطعة دريدية Derridean [نسبة إلى جاك دريدا-المترجم] معروفة : لماذا لا نستخدم المصطلحات الدريدية عن الفضاء ، والاختلاف *différance* ، انصف هذه الوظيفة ، التدخل المؤقت للمحلل؟ (٢٧)

وأخر معنى للترقيم أود توضيحه قريب أيضاً من مجال الانعكاس الذي سنعود إليه في الكلام عن بحث لاكان عن الزمن المنطقي . حين يتدخل المحلل بترقيم خطاب المريض (سواء أكان ذلك بإنهاء الجلسة أو بآية وسيلة أخرى) ، فإنه يحدّد زمن التحليل على نحو متناغم مع خبرة المريض بالزمنية ، أو ، على نحو أفضل ، مع كونه في زمن محدّد ؛ وهو شكل كبير من أشكال التدخل ، سواء أكان يريد ذلك أم لا يريده ، يدركه أم لا يدركه . وسوف يؤدي حتماً إلى التسرع ، ويعجل بالنتيجة-أو ربما يطيل الانتظار شاحداً معنى التردد . وقد طور لاكان هذه الحتمية ، حتمية مثل هذا الترقيم الزمني وعلاقته بالزمن المنطقي على النحو التالي :

ومن ثم يكون الترقيم المفيد هو ذلك الترقيم الذي يمنح خطاب الذات معناه . وهذا هو السبب الذي يجعل من فضّ الجلسة-وهو ببساطة وطبقاً للتقنية

المعاصرة فسحة كرونومترية chronometric break [الكرونومتر : أداة لقياس الزمن بدقة بالغة- المترجم] ، وهو بذلك يُمثّل مسألة حيادية بالنسبة لخيط الخطاب-يلعب الجزء الخاص بالتقطيع العروضي [une scansion] الذي يتمتع بالقيمة التامة لتدخل المحلل للتعجيل باللحظات النهائية . ويجب أن نقودنا هذه الحقيقة إلى تحرير عملية الإنهاء من الوقوع في الاستخدام الروتيني وإلى استخدامها لأغراض التقنية بكل الوسائل الممكنة .^(٢٨)

وكان ذلك شكلا من أشكال ضبط الممارسة ؛ وسوف نستكشف الدعامات والتشعبات النظرية في القسم التالي من هذا الفصل .

ومهما يكن الأمر ، لنعد الآن إلى الشخص الذي يعاني من الوسواس القهري ، الذي يمد المحلل بخبرة مباشرة تماما ، خبرة الشكوك بالنسبة لواقع الزمن ، ومن ثم يستثير فيه العضلات المتعلقة بالممارسات الزمنية المناسبة لخبرة من هذا القبيل . في 'انتظار موت' الذي يعاني من الوسواس القهري ، يوجد شقّان : الانتظار والموت . إلا أن هاتين التيمتين ربما تكونان غير قابلتين للانفصال : ربما لا يكون الانتظار مجرد تأجيل ؛ وربما يتم تجويف المفهوم الحقيقي للزمن بانتظار قد يمهّد الطريق أمام فكرة الموت ، أو يجعلها ممكنة . وقد أكّد فرويد ، ضد بعض الشواهد 'الإمبيريقية' المهمة،^(٢٩) أن اللاشعوري لا يعرف شيئا عن الموت : 'الموت مفهوم مجرد ذو محتوى سلبي ولا يمكن أن يوجد له ارتباط لاشعوري' .^(٣٠) وتمضي هذه البديهية متلازمة مع بديهية أخرى-اللاشعوري لا يعرف زمنا ، إنه بلا زمن . timeless وقد حافظ فرويد على توتر متواصل بين حقيقة الموت باعتباره النهاية ، النهاية الشاملة ، وإنكار الموت ، إنكار خميرته leavening ورمزيته بواسطة الأشياء الأخرى . وقد برهن في تفسير الأحلام على أن الأطفال لا يعرفون أي فارق بين 'مَن مات' و 'مَن مضى' .^(٣١) وفي 'أفكار للزمن عن الحرب والموت' ، وضع حلا للتناقض بين معرفة الموت كإنهاء للحياة وإنكار الموت واختزاله إلى لاشيء ، في خبرة الألم لموت شخص محبوب أو مكروه ، وفي الجيل التالي لفكرة الروح والعالم الآخر : حفظ الحياة واستمرارها في الموت .^(٣٢) ومن ثم تفتح الحركة العكسية ، حفظ الموت واستمراره في الحياة ، بالقرب من النقطة

نفسها في كتابات فرويد ، تفتح اتجاهها جديداً وأساسيا في تفكيره : فكرة «الاستبطان» ، استبطان المحبوب الغائب كتأسيس للأنـا-النظرية التي شقت طريقها في «الحداد والاكْتئاب» وبعد ذلك وبمزيد من التفصيل في «الأنـا والهُو»^(٣٣) ويبقى أنه لا يوجد موت في اللاشعوري من منظور فرويد ، ما يوجد هو خوف الأنـا من الأنـا العليا ، وهو محتوى تقدمه تجسيدات عقدة الإخصاء ، أو «القلق نتيجة الانفصال عن الأم التي تمثل الحماية»^(٣٤) ، إنه ممكن فقط ، استرجاعيا ، نتيجة الخوف من الإخصاء^(٣٥) وإذا كانت الأنـا في 'مجل مبادئ التحليل' تغوي الأنـا العليا خلال عملها الاضطرابي في التحليل ، فإن هذا لا يحدث إلا لأنها تهاب الأنـا العليا : تعمل ، وعملها تأجيل على نحو غامض ، انتظار يستعطف السيد ، الاحتمال الحقيقي للموت .

وهنا يعدل لاكان ويفنّد تناول فرويد للموت مثلما يتوسع فيه . بالنسبة لفرويد ، في عام ١٩٢٣ ، لا يوجد للموت ارتباط لاشعوري لأنه 'مفهوم مجرد ذو محتوى سلبي' . وهذا 'المفهوم المجرد ذو المحتوى السلبي' هو الرمزي عند لاكان : المقولة التي ترسم حدود المجال الفرويدي . وفي هذا السياق ، يمكن أن يشير لاكان على نحو صحيح إلى تأمل فرويد ، ذلك التأمل الدقيق إلى حد كبير في 'إنكار' negation ارتباط السنين فيما بعد . حقا : اللاشعوري لا يعرف زمنا ، لا يعرف موتا ، لا يعرف إنكارا . وترتبط كلها معا في رأي فرويد . بدلا من الموت ، نجد تمثيل الانفصال والخوف من الفقد ؛ بدلا من الإنكار ، نجد الكبت والاستبعاد expulsion^(٣٧) ومهما يكن الأمر ، يرى لاكان أن مناقشات فرويد هنا في حاجة إلى التدعيم أو التعديل . يقدم لاكان بعض التأمّلات في العلاقة بين الرمز والشيء : 'الاسمُ زمنُ الموضوع' .^(٣٨) ويرى لاكان أن السمة الأساسية للموضوع ، أمده في الزمن ، تمنح له في ميثاق التسمية ، حيث يبتكر شخصان عالما رمزيا . ويرتبط بهذا ادعاء بأن الرمز «يبدو في المقام الأول باعتباره قاتل الشيء ، وهذا الموت يشكّل في الذات تخليد رغبته» .^(٣٩) وفي الارتفاع بالشيء إلى مستوى آخر ، يُفقد جوهرة إلى الأبد : يصبح شيئا على علاقة بأشياء أخرى-أي أنه يصبح جزءا من النظام الرمزي .

يقدم وجود الرمزي الاحتمال الحقيقي للغياب . لا توجد ثقب في الواقع-لا يوجد

غياب «واقعي» . يصبح الغياب ممكنا بترميز الحضور^(٤٠) -يتضمن الحضور كشرط أصيل الحدود التي وراها يكمن غيابه . والموت هو الاسم الذي يطلق على هذا الغياب الأساسي .

وهكذا حين نودُّ أن نحقق في الذات ما كان من قبل إفصاحاً متتابعاً بواسطة الكلام ، وما هو أساسيٌ لميلاد الرموز ، نجدُه في الموت ، حيث يكتسب وجودها [الذات] كلُّ معناه .^(٤١)

ومن ثم ، يصبح ما هو بالنسبة لفرويد ، مجردٌ وسلبيةٌ محضة وبالتالي لا يقبل التمثيل (في اللاشعوري) ، يصبح بالنسبة للاكان المحرُّكُ المفضل لكل تمثيل ، لكل معنى . طالما يُنصَّب الموتُ في ، في بداياتي ،^(٤٢) طالما كنتُ كائنًا متكلمًا ، يستحضر موت الأشياء عبر ميلاد اللغة ، طالما كان لي أنا *an ego* ، أثر لتقمص مع آخر ميت دائما بصورة أساسية ، طالما كنتُ إنسانا يعرف وجود ما بعد الحياة *an after-life* (بتعبير فرويد) ، وجود نظام رمزي (بتعبير لاکان) ، فأنا حي إذن . في تعليق لاکان على المصاب بالوسواس القهري باعتباره عبدا ، إذا ارتبط بالحياة ، فإنه يضيّع جوهر الحياة ، يقين الموت بوصفه أفقها ؛ وبدلا من ذلك يعيش انتظار الموت باعتباره حياته . وكما سنرى ، عرف لاکان مقولات الزمنية ، تلك المقولات التقليدية الجدلية (مقولات الحياة/الموت والماضي/المستقبل) عن الانتظار/التعجيل ، مؤكدا على الفعل الذي يضع نهاية لزمان الانتظار ، الزمن الموضوعي ، وبالطريقة نفسها التي رسم بها فرويد في 'موضوع التواييت الثلاثة' إحلال الاختيار مكان الكبت ، حدد بدقة مأساة لير باعتبارها رفضا لاختيار الموت ، الاختيار الوحيد أمام رجل عجوز .

ولا تتطلب الألفة العملية مع عالم الزمن عند المصاب بالوسواس القهري ، لا تتطلب بالضرورة تغيرا في الممارسات التقنية . ربما تحتاج شكلا خاصا من نفاد الصبر التحليلي *analytic impatience* - والمثال الواضح هو نفاد الصبر الذي نشأ عن الحماس العلاجي لساندور فرنيزي *Sándor Ferenczi* . وحتى هو ، المشهور بتقنياته الفعالة ، كان متعجلاً ، حين هوجم ، لتوضيح أن هدفه كان أساسا 'مساعدة المريض ، بالحيل البارة ، ليستجيب بصورة أكثر نجاحا لقواعد التداعي

الحرّ ومن ثمّ يساعد أو يُعجّل استكشاف المواد اللاشعورية.^(٤٢) وربما يقدر نفاذ صبر المحلّل ، الذي هو موضع التساؤل هنا ، من وصف فرنيزي للوضع الوحيد الذي يمكن فيه تبرير التقنيات الفعّالة : كان 'جمود المحلّل المبرر الوحيد والحافز الوحيد للتعديل'.^(٤٤) هل كان نفاذ صبر فرنيزي يشبه تماما إدراك لاكان للمرونة التي يتطلبها الذي يعاني من الوسواس القهري من المحلّل ؟ يوجد بالتأكيد الكثير من النقط المشتركة . وقد استكشف فرنيزي 'الفعاليات' الخاصة بكل من المحلّل والمريض :

لا يتطلب التحليل أية فعاليات من المريض سوى التحلي بالدقة في ساعات العلاج ؛ وباستثناء ذلك لا يحدث تأثير على النمط العام للحياة ...^(٤٥)

وبينما يكون من الممكن أن تتطلب القاعدة الأساسية أن يكون المريض سلبيا ، باستثناء مهم ألا وهو الالتزام بالدقة ، فإنه لا يوجد أبدا محلّل سلبي : إن التناقض بين التقنيات الفعّالة والسلبية تناقض زائف ، حيث يكون المحلّل فعّالا طالما يقوم بالتفسير.^(٤٦) ومهما يكن ، فقد صُمِّمت التقنيات الفعّالة عند فرنيزي لتعمل عبر الإشباع المقنّع الذي يناله المرضى من التحليل ، بينما تم تصميم تقنيات لاكان لكسر التواطؤ بين مراسم الوسواس القهري والمحلّل واستراتيجيات التأجيل الاستحواذي . وتتمثل إحدى صور الجلسة العادية مع المريض الذي يعاني من الوسواس القهري ، تتمثل عند لاكان في الشك والتردد والصمت - لا شيء يحدث .^(٤٧) وتصور الأخرى شخصا تمسك قبضته الاستراتيجية بالخطاب بصورة محكمة وناجحة إلى حد بعيد بحيث يستحيل حدوث شيء غير موات .^(٤٨) وقد وجد المريض ، في رأي فرنيزي ، إشباعا بديلا متوازنا ، وعلى المحلّل أن يقتحم ، كما لو كان من الخارج ، وبالنسبة للاكان ، يتم ترسيخ الاستقرار في العلاقة المتبادلة بين الذوات بواسطة المريض والمحلّل:

..وحيث أنه يعرف أنه فاني ، فإنه يعرف أيضا أن السيد يمكن أن يموت . ومن ثم يكون منذ تلك اللحظة قانرا على قبول عمله لدى السيد والتخلي عن اللذة أثناء ذلك . وفي ظل عدم التأكد من اللحظة التي سيموت فيها السيد ، لا يكون هناك سوى الانتظار .

وهذا هو السبب الذي يكمن في العلاقة بين الذوات ، شأنه شأن الشك والإرجاء

الذين يمثلان السمات المميزة للذات التي تعاني من الوسواس القهري^(٤٩) ويوجد التناقض بين تقنية فرنيزي الفعالة ، التي ركزت على المريض الذي صار عالمه حصينا للغاية ، المريض الذي يبدو عالم الآخرين ، بالنسبة له ، وكأنه فقد كل أهميته ونفوذه ، وبين تقنية لاكان، التي تتأسس على معرفة أن المحلل ، بدقته المتناهية واستقامته ، يتواطأ ويكون فعالا في سلبيته الأصلية-مع من يعاني من الوسواس القهري ، متتبعا بإخلاص سير المريض في طريق السيد إلى الضريح . والمصطلح الأساسي ، الذي ميز أعمال لاكان في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ، هو 'intersubjective [بين الذوات] ويظهر في الفقرة السابقة التي اقتبسناها ، حيث يحول تعليق فرويد على فينومينولوجيا الشك والتردد عند مريض الوسواس القهري إلى تعليق بين ذوات^(٥٠) . وكان لاكان يعلق آماله حقا على أساس علمي للتحليل النفسي : علم ما بين الذوات .

لن يقدم التحليل النفسي أساسا علميا لنظريته أو لتقنيته إلا إذا تمت صياغته في أسلوب يناسب الأبعاد الجوهرية لخبرته التي تمثل مع النظرية التاريخية عن الرمز: منطق ما بين الذوات وزمنية الذات^(٥١).

وكان لهذين المفهومين ، 'منطق ما بين الذوات وزمنية الذات' ، مكانتهما المميزة عند لاكان ، ويشيران مباشرة إلى مقالين كتبهما في عام ١٩٤٥-كسر بهما حاجز الصمت الذي فرضه على نفسه أثناء الحرب . وهكذا تتطلع الإشارة إلى الخلف ، إلى عمل أنجز بالفعل ، وتقدم أثناء ذلك وعدا ، وعدا تجسد في هذين البحثين . وحتى يمكن لنا أن نفهم مفهوم الزمن ، ومفهوم ما بين الذوات ، في التحليل النفسي كعلم ، ومن ثم نفهم كيف أصبح الزمن حاسما بهذه الصورة بالنسبة لممارسات لاكان ونظريته ، علينا أن نتناول هذين البحثين ببعض التفصيل .

II

لكنني أسمع دائماً من خلفي
مركبة الزمن تسرع مجنحة بالقرب مني ،
وهناك أمامنا تمتد
صحارى الأبدية الهائلة .

أندرو مارفيل ، «إلى سيدته الحبية»

Andrew Marvell, 'To His Coy Mistress'

يأتي مدير السجن بثلاثة من النزلاء ويوقفهم أمامه ويقول لهم :
«لأسباب لا أريد أن أعلنها لكم الآن ، أيها السادة ، عليّ أن أطلق سراح
أحدكم. وحتى أقرر من منكم سيطلق سراحه ، سأترك القرعة تحدّد ذلك ، إن كنتم لا
تمانعون ، بإجراء اختبار لكم .
«أنتم ثلاثة الآن . ويوجد هنا خمسة دسكات لا تختلف إلا في اللون : منها ثلاثة
بيض ، واثنان أسودان . وبدون أن أخبركم أيها اخترت ، سأقوم بتثبيت أحد هذه
الدسكات بين كتفي كل منكم ، أي بعيداً عن نظر حامل الدسك ؛ ويستبعد أي احتمال
لقدرته على إلقاء نظرة غير مباشرة عليه لعدم وجود أي وسيلة ينظر فيها إلى نفسه .
«وبعد ذلك سيكون كل واحد منكم حراً في النظر على مهل إلى رفيقيه وإلى دسك
كل منهما ، بحيث لا يُسمح ، بالطبع ، أن تتبادلوا المعلومات التي ترونها—وهو أمر
ستحول بينكم وبينه ، على أية حال ، اعتبارات تتعلق باهتمام كل منكم بنفسه فقط .
وسوف يستفيد أول من يستطيع استنباط لون الدسك الذي معه من الحرية التي
نقرها .

«بالإضافة إلى ذلك ، يجب أن يأتي الاستنتاج نتيجة لأسباب منطقية وليس
كمجرد احتمالات . ونتفق الآن على أنه بمجرد أن يكون أحدكم مستعداً للتعبير عن

هذا الاستنتاج، أن يعبر عتبة هذا الباب ليتم الحكم على إجابته وهو بمفرده» .
وبقبول هذا الاقتراح لصق دسك أبيض بين كتفي كل منا ، ولم يتم استخدام
الدسكين الأسودين ، علينا أن نتذكر أنهما كانا اثنين فقط .

كيف يمكن أن يحلوا المشكلة ؟

يجري الحل الدقيق على النحو التالي :

بعد أن فكروا بعض الوقت *a certain time* ، يسير الثلاثة معا بضع خطوات
باتجاه الباب ، ويصلون معا . ويقدم كل منهم منفصلا إجابة مماثلة لإجابة رفيقيه ،
على النحو التالي :

«معي دسك أبيض ، وقد عرفت ذلك على النحو التالي . بافتراض أن رفيقي
معهما دسكان أبيضان ، كنت سأفكر في أنه إذا كان الدسك الذي معي أسود ،
فإن كلا منهما يكون قادرا على الاستدلال التالي : «إذا كان الدسك الذي معي
أسود ، فسوف يعرف الآخر ، مباشرة ، من ذلك ، أن الدسك الذي معه أبيض ،
دون تردد ؛ ومن ثم فالدسك الذي معي ليس أسود.» وسيكون على الآخرين أن
يغادرا وهما على يقين من أن معهما دسكان أبيضان . وإذا كانا قد تسمرا
مكانهما ، فإن ذلك يرجع إلى أن معي الديسك الأبيض مثلهما . ومن ثم فقد
تقدمت إلى الباب لأعلن استنتاجي .»

ومن ثم فقد غادر الثلاثة معا ، مسلحين بالأسباب نفسها لاتخاذ القرار . (٥٢)

والعنصر الحاسم في مناقشة لاكان لهذه السفسطة هو 'بعض الوقت' ، فترة
التردد ، الفترة المطلوبة لحل المشكلة . لا يمكن للشخص الأول 'أ' أن يستنبط أن معه
الدسك الأبيض إلا إذا كان يرى أن 'ب' و'ج' غير متأكدين مما معهما : العلامة
الوحيدة التي قدمها على عدم التأكد هي تسمرهما . إلا أنه بمجرد أن يدرك 'أ' أن
تسمرهما يدل على أنه هو نفسه معه الدسك الأبيض ، يكون عليه أن يعجل ، حيث أنه
لا يود فقط أن يكون أول من يصل إلى الباب ، لكنه يعرف أيضا بالضرورة أن
انتظاره يدل بالنسبة لهما على أنه لا يرى دسكا أسود . بالإضافة إلى أنه إذا انتظر

وقتا طويلا للغاية ، فسوف يبدأ الآخران قبله ، وسوف يختفي أساس برهانه على أن معه الدُّسك الأبيض ، سيختفي ، إذا جاز التعبير ، تحت أقدامه المترددة . ومن ثم ، تتضح قيمة السمة الزمنية لمنطق المشكلة ، تتضح في الفعل الذي يبين به كل منهم أنه أنهى فترة الانتظار ، السمة الزمنية .^(٥٣)

ومن المهم أن نوضح بنية المشكلة التي يستخلصها لكان ، البنية التي ستخدمه بعد ذلك في عمله بوصفها النموذج لكل العلاقات بين الذات ومجموعة النوال والزمنية . توجد ثلاث لحظات برهانية ضرورية لحل المشكلة

١-أولا ، توجد لحظة الرؤية : بالاستبعاد المنطقي ، إذا رأى شخص دسكين أسودين، فسوف يعرف أن الدُّسك الذي معه أبيض . وتُعطى هذه اللحظة البرهانية مع بنية المشكلة ؛ إنها لحظة فورية ، لحظة زمنها المنطقي صفر . ومن ثم يكون الشكل المناسب للاستنباط هو التعبير المنطقي غير الشخصي «يعرف المرء أن ...»

٢-ثانيا ، يبني الشخص على هذه البديهية المنطقية الخطوة التالية من البرهان ، اللحظة المنطقية التالية . البرهان هو : 'إذا كان الدُّسك الذي معي أسود ، من ثم لن يتردد من معهما الدسكان الأبيضان اللذان أراهما في استنتاج أن الدسكين اللذين معهما أبيضان ' . والكلمة الأساسية هنا هي 'يتردد' "hesitate" . إنهما بقدر عدم ترددهما بقدر ما يدرك الشخص أنهم لن يترددا إذا شاهدا دسكا أسود على ظهره . بالنسبة لكل منهم ، يوجد زمن للتأمل يُلاحظ في عيون الآخر ، بحيث يقطع كل منهم زمن الفهم الذي يتمفصل مباشرة على زمن تأمل الآخر . إذا كان الشخص "أ" معه دسك أسود ، فإنه من ثم يكون قادرا على رؤية أفكار الآخرين تنكشف في زمن تأملهما : 'إذا كان الدُّسك الذي معي أسود ، كان الآخران سيفادران دون أن ينتظرا ولو لحظة . إذا بقي وتأمل ، فلا بد أن ذلك مصدره أن الدُّسك الذي معي أبيض ' . وهكذا يكون لزمن الانتظار معنى موضوعي . ولكن كيف يمكن لنا أن نقيس زمن التأمل ؟

يمكن اختزال الزمن اللازم للفهم إلى لحظة التطلع ، لكن هذا التطلع يمكن أن يتضمن في لحظته كل الزمن اللازم للفهم . وهكذا ، تتذبذب موضوعية هذا

الزمن مع حدوده . ولا يكمن معناه إلا في شكل الأشخاص الذي يتولد بواسطتهم ، الأشخاص الذين لا يُعرفون إلا بالتبادل القائم بينهم ، ويتعلّق فعلهم في السببية المتبادلة في زمن يختفي حتى في عودة البديهة التي جعلته محسوسا . وفي هذا التلطيف لزمن مفتوح ، مع المرحلة الثانية من الحركة المنطقية ، المسار الذي يأخذنا إلى الخطوة التالية .^(٥٤)

٣- الخطوة الثالثة والأخيرة . يقول كل منهم لنفسه : 'عليّ أن أعجل بتأكيد أن الدُّسك الذي معي أبيض ، بحيث لا يسبقني رفيقاي اللذان معهما الدسكان الأبيضان في الإعلان عن ما معهما.' وهنا ، بعد الزمن اللازم للفهم الذي يربط تبادليا بين أشخاص غير محددين ، نجد لحظة تأكيد الذات self-assertion ، لحظة الحكم . ويتبع الزمن اللازم للفهم إحساساً بالتأخر الفعلي : 'إذا كان الدُّسك الذي معي أبيض ، يكون لزاما عليّ أن أسرع حتى لا يسبقاني .' إن لحظة الإحساس بالتأخر الفعلي (الشديد) تبدو منطقيا تعجّلا في لحظة الاستنتاج . من التردد ، يؤدي الخفقان مباشرة إلى إحساس بالتأخر الشديد . وهذا الاندفاع ليس مجرد تأثير طارئ للموقف الدرامي ؛ على الشخص أن يسرع ، لأنه إذا لم يسرع ، وفاز عليه الآخرون ، فإنه بعد ذلك لن يكون على يقين من أن الدُّسك الذي معه ليس أسود . ومن المحتمل ، في الحقيقة ، أن يستنتج أن الدُّسك الذي معه أسود ، حيث أن برهانه على أن الدُّسك الذي معه ليس أسود يعتمد على الجمود الذي أصاب الشخصين الآخرين . ومن ثم لا تنشأ الحاجة إلى الاندفاع ، الحاجة إلى الإسراع ، عن ظروف المشكلة الطارئة : إنها بالأحرى متأصلة في الشكل المنطقي ، بالضبط مثلما تمثل حقيقة التردد الوسيلة الوحيدة التي يمكن للشخص بواسطتها أن يعثر على حل المشكلة . وهذا النوع الشخصي المؤكد من الحكم الذي اتضح في السرعة التي يمضي بها الشخص إلى الباب هو البرهان الذي يقدمه لكان لتمييز هذه اللحظة المنطقية بوصفها «تأكيد ذاتي subjective assertion» ، حيث تكون الذات المنطقية كالذات الشخصية ، 'ضمير المتكلم the I' . وهذا الشكل الشخصي من أشكال الذات ، على عكس الذات اللاشخصية ، ذات لحظة التطلع ، أو ذات ما بين الذوات ، ذات زمن الفهم ، معزول

في الاندفاع الوقتي حيث يتم تحويل الزمن اللازم للفهم إلى لحظة للاستنتاج .

لن أتوغل هنا في الاهتمام الكبير الذي ينشأ عن هذه السفسطة حين نضع في الاعتبار الشك الذي يستولي على كل شخص من الثلاثة وهو يرى الآخرين يعدوان إلى الباب-يأتي الشك على النحو التالي : 'هل اخترتُ اللحظة المناسبة لاستنتاج أن الدُّسك الذي معي أبيض؟' ويمكن لنا ، بالأحرى ، أن نتجاوز ذلك ونلاحظ أن يقين الشخص بأن الدُّسك الذي معه أبيض تؤكد في الفعل نفسه ، وليس قبل الفعل . واحتمال الحقيقة ، احتمال أن يكون الشخص على صواب ، يتأسس في الاندفاع الذي يقدم اليقين ، بينما يمكن أن يتأسس الخطأ على جمود الشخص ، على عدم الرغبة في القبض على لحظة الاستنتاج . (إذا انتظر مدة بالغة الطول-كيف يمكن أن يكون طول تلك المدة؟-فسوف يرى الآخرين يمضيان قبله ومن ثم يستنتج أن الدُّسك الذي معه أسود .)

والنتيجة التالية التي يستخلصها لكان هي أن هذا الشكل المنطقي يحمل في داخله مرجعية زمنية تلائم العلاقة بين الشخص الأول ، 'ضمير المتكلم' ، وذات التبادلية ، الذات التي تتبادل العلاقة مع الذات (الأننا كما يعرفها فرويد في سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأننا بوصفها العامل الذي يتم تعزيز انفصاله عن الأننا المثالية the ego ideal بتكوين الجماعة عبر التقمص)؛^(٥٥) ينشأ الشخص الأول فيما يتعلق بالقياس العام للذات التبادلية ، أي فيما يتعلق بالزمن الذي يلزمها للفهم.^(٥٦) وهكذا تعتمد الحقيقة ، في هذا المنطق الجمعي الذي يضعه لكان مقابل المنطق الكلاسيكي ، تعتمد على الآخر باعتباره متعلقا بزمن ، ولا توجد وسيلة يمكن أن تصل الذات بها إلى حقيقتها الخاصة إلا في صحبة الآخر وعن طريق حقائقه .

وهكذا ، طالما نحن جميعا عُصابيون ، وطالما نحن جميعا وحوش صغيرة ، من نوع رديء أو لا نبعد عن الحظيرة إلا قليلا ، فسوف يطبق لكان هذا المنطق الجمعي على أي برهان يتعلق بما يدعى الطبيعة الإنسانية:^(٥٧)

١-الخطوة الأولى : يعرف كائنٌ بشريٌ ما ليس كائنًا بشريا .

٢-الخطوة الثانية : تتعرف الكائنات البشرية كل منها على الآخر بوصفها

كائنات بشرية .

٣-الخطوة الثالثة : أؤكد أنني إنسان ، خوفا من أن أقتنع على أيديهم بأنني لست إنسانا .

وبهذه الملاحظة ينهي لاكان بحثه القصير-وهي ملاحظة تشير باتجاه نظرية للجمعي ، أو الجماعة: باتجاه منطق جمعي . ما الأمثلة التي يوردها لهذا المنطق ؟ يذكر مثالين : لعبة البريدج والديبلوماسية . ويتضح فورا أين ينشأ هذا المنطق الجماعي في لعبة البريدج : في اللحظة التي أُخدع فيها .^(٥٨) والديبلوماسية هي فن الابتعاد عن الوطن لتدلي بأكاذيب من أجله ، وتواجه موقفا شبيها تماما بالموقف الذي يجد سجناء لاكان، الثلاثة ، أنفسهم فيه : يقضي الديبلوماسيون أوقاتا طويلة في محاولة لتقدير ما يفكر فيه الآخرون ، ليصلوا سريعا إلى نتيجة لم يقصدها أحدٌ ولكن الجميع يوافقون عليها. والموافقة هي لحظة وصول المشاركين جميعا إلى الباب ، ليعلن كل منهم أن الدسك الذي معه أبيض ، أبيض كالجليد المنذفع .

إلا أن إشارات لاكان كانت أيضا صورية أكثر من ذلك . لم يكن في ذهن لاكان الزمنية اللامركزية للتفاوض فقط ولكن كانت في ذهنه أيضا التطورات المعاصرة في نظرية اللعب ، التي تأسس عليها معظم التفكير الديبلوماسي منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد اتُخذ من لعبة البوكر ومنطق المخادعة نموذجا .^(٥٩) وبصورة أكبر، صاغ لاكان فكرة منطق الجماعة-وتعتبر استمرارا لمشروع فرويد في سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا .^(٦٠) وبينما ركز فرويد على المؤسسات التي تعتبر على درجة عالية من التنظيم (الكنيسة والجيش) والجماعات الكبيرة المنظمة تنظيما هشا ، موضحا أن لها بنية مشتركة ، علاقة الأنا مع الأنا المثالية ، ركز لاكان على 'الجماعات' التي يُحدّد تكوينها ببعض القواعد الرفيعة-قواعد اللعبة .^(٦١) وبينما انشغل فرويد بعملية التقمص في الجماعة بصورة أساسية ، العملية التي يتم بواسطتها تكوين الجماعة عبر التقمص ، بين لاكان كيف تميز الذات نفسها كذاتٍ مختلفة في عملية التقمص . وبينما كان فرويد وعدد كبير من معاصريه مولعين بخصائص الجماعات التي تشبه القطيع ، أي بطمس الاختلاف ، تمنى لاكان لو يوضح كيف انبثق الاختلاف من

القواعد التي ميزت تكوين الجماعة. (٦٢) وقام بمزيد من الاستكشاف لهذه الأفكار في بحث آخر نشر في *لغات الفن the Cahiers d'Art* في نهاية الحرب : 'الرقم ثلاثة عشر والشكل المنطقي للريبة'. (٦٣)

ويقدم هذا البحث ، شأنه في ذلك شأن البحث عن الزمن المنطقي ، مشكلة ثم يحلها . وينصب اهتمام البحثين أساسا على خصوصية الحل . وهنا يقدم لآكان فكرة عن الإطار العام له ليرى هذين البحثين في ضوء التحليلات الصارمة للسلوك الإنساني باعتباره يتحدد بصورة مطلقة بواسطة قواعد اللعبة . وهو تحليل يشكل أحد أول التحليلات الرئيسية للمنطق الربيبة :

إنه جزء واحد من محاولاتنا لتوليد طرق لإدراك الأشكال المنطقية التي تحكم علاقات الفرد بالجماعة ككل ، قبل تكون الطبقة ، وبتعبير آخر قبل تحديد خصائص الفرد. (٦٤)

توجد اثنتا عشرة قطعة ، تبدو كلها متشابهة ، ولكن إحداها 'رديئة' -تختلف في وزنها عن الإحدى عشرة قطعة الأخرى ، وليس من المعروف ما إذا كانت أثقل أم أخف . وباستخدام ميزان بسيط تكون المشكلة : تعرف في ثلاثة أوزان على القطعة ذات الوزن المختلف . ويكون الحل على النحو التالي : قسّم الاثنتي عشرة قطعة إلى ثلاث مجموعات 'أ' ، 'ب' ، 'ج' تتكون كل مجموعة من أربع قطع . زن 'أ' مقابل 'ب'؛ إذا كانتا متساويتين في الوزن ، تكون القطعة الرديئة في 'ج' بالضرورة . خذ قطعتين من القطع الأربع التي تشكل المجموعة 'ج' ولنفترض أنهما 'ج١' و'ج٢' ، وزنهما مقابل بعضهما ؛ إذا تساوتا في الوزن تكون القطعة الرديئة واحدة من الاثنتين الأخريين . زن إحداهما ، 'ج٣' ، مقابل 'ج١' ؛ وإذا تساوتا في الوزن ، تكون القطعة الرديئة 'ج٤' ؛ وإذا لم تتساويا ، تكون القطعة الرديئة 'ج٣' . إذا لم تكن 'ج١' و'ج٢' متساويتين في الوزن ، فسوف نقرر بإجراء مماثل أية قطعة منهما ذات الوزن المختلف .

وإذا لم تكن المجموعتان 'أ' و'ب' متساويتين ، يكون علينا أن نستخدم أسلوبا مختلفا ، حيث تكون القطع الثماني كلها مجالا للشك ، حيث أنه من غير المعروف ما إذا كانت القطعة ذات الوزن المختلف أخف أم أثقل من القطع الأخرى. يقول لآكان إننا الآن أمام

مشكلة ثماني قطع ، وليس مشكلة أربع قطع ، ومع 'ريبة مقسمة' ، ويواصل :

نقترب هنا من جدل أساسي لعلاقات الفرد بالجمعي collective [التجمع - col-
lection] ، وهي علاقات تشتمل على الالتباس الضخم جدا أو الضئيل جدا .

والمبدأ اللازم لحل المشكلة الآن هو مبدأ الدوران : استبدل بثلاث قطع من قطع المجموعة الثقيلة وهي مكونة من أربع قطع ثلاثا مأخوذة من قطع المجموعة 'ج' ، ومن المعروف أنها مكونة في هذه الحالة ، حيث أن 'أ' و 'ب' ليستا متساويتين ، من أربع قطع 'جيدة' ؛ وسيتم وزن هذه المجموعة مقابل القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة الثقيلة مع قطعة من المجموعة الخفيفة ويتم وضع القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة الخفيفة مع قطعة من المعروف أنها جيدة . إذا كانت نتيجة هذا الوزن هي التساوي ، يكون من المعروف أن القطعة الرديئة ضمن القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة التي كانت خفيفة في الأصل ، وحيث أننا عرفنا الآن أن القطعة الرديئة أخف ، وليست أثقل ، من كل القطع الأخرى ، يمكن بوزنة واحدة أن نقرر أي قطعة بين الثلاث هي القطعة الرديئة . وإذا كانت نتيجة هذه الوزنة هي عدم التساوي ، يكون هناك احتمالان : إذا كان الجانب الذي كان أثقل لا يزال أثقل ، فلا بد أن تكون القطعة الرديئة إحدى اثنتين ، التي تركت في الجانب الثقيل أو التي تركت في الجانب الخفيف؛ ويمكن تحديد ذلك باستخدام قطعة من بين القطع التي نعرف أنها جيدة . وإذا تغير الجانب الأثقل بتبديل القطع الثلاث ، فلا بد أن تكون القطعة الرديئة ضمن القطع التي بدلت ، ويكون من المعروف أنها أثقل . وسوف تقرر وزنة واحدة أي قطعة من الثلاث هي القطعة الرديئة .

ثم يوضح لاكان أن المرء يستطيع تحديد المسألة بالوزن ثلاث مرات حتى لو كان عدد القطع ثلاث عشرة قطعة بدلا من اثنتي عشرة قطعة . يقسم المرء القطع إلى مجموعة من خمس قطع ومجموعتين كل منهما من أربع قطع . ويزن المرء المجموعتين اللتين تتكون كل منهما من أربع قطع مقابل بعضهما ؛ وإذا لم تكونا متساويتين، فسوف تكون القطعة الرديئة في إحدهما ، وبالإجراء السابق سنحدد أي القطع هي القطعة الرديئة . وإذا كانتا متساويتين ، فسوف تكون القطعة الرديئة ضمن المجموعة

المكونة من القطع الخمس . وفي الوزن الثانية يأخذ المرء قطعة جيدة، 'أ' ، من القطع الثماني التي نعرف أنها جيدة ، وضعها في كفة مع 'ب' وهي قطعة من المجموعة المكونة من خمس قطع ، وزنهما مقابل 'ج' و'د' ، من المجموعة المكونة من خمس قطع، أيضا . إذا تساوت المجموعتان في الوزن ، فلا بد أن تكون القطعة الرديئة إحدى القطعتين اللتين لم توضعاً في الكفة ؛ وبوزنة مع قطعة جيدة يمكن أن نحدد القطعة الرديئة . إذا كانت الكفة التي تحتوي على 'أ' و'ب' أثقل من التي تحتوي على 'ج' و'د' ، فإما أن تكون القطعة الرديئة 'ج' أو 'د' . وحتى نحدد القطعة الرديئة منهما ، ضع 'س' ، التي من المعروف أنها قطعة جيدة ، في الكفة الأولى مع 'أ' ، وانقل 'ب' لتحل مكان 'ج' ، وارفع 'ج' من الكفة . إذا كانت الكفة التي تحتوي على 'أ' و'س' لا تزال أثقل من التي تحتوي على 'د' و'ب' ، فلا بد من ثم أن تكون 'د' هي القطعة الرديئة ، وهي القطعة الوحيدة التي لم تتحرك . وعلى هذا الوضع ، الوضع الذي احتلته القطعة 'د' ، يطلق لكان اسم ، 'the par-trois-et-un' ، الوضع بثلاثة وواحد . وإذا كانت الكفتان متساويتين الآن في الوزن ، فلا بد أن تكون 'ج' هي القطعة الرديئة ، وهي القطعة التي تم استبعادها . وإذا كانت الكفة الأولى الآن أخف من الثانية ، فلا بد أن تكون 'ب' هي القطعة الرديئة ، حيث أنها القطعة التي بدلت الجانب الذي كانت تحتله .

'ويمثل الوضع بثلاثة وواحد الشكل الأصلي لمنطق الارتياح' . يتم تقديم الحالة العامة للمشكلة باستخدام 'التناوب الثلاثي' *tripartite rotation* والوضع بثلاثة وواحد : 'ويتم تحديد الوضع بثلاثة وواحد في إحدى المجموعات ، يتم فصلها بواسطة التقسيم إلى ثلاث tri مجموعات [التثليث tripartition] . باستخدام الميزان ثلاث مرات يمكن للمرء أن يحل مشكلة ١٣ قطعة ، وباستخدامه أربع مرات يحل مشكلة ٤٠ قطعة (١+١+٣+٩+٢٦) ، وباستخدامه خمس مرات يحل مشكلة ١٢١ قطعة (١+١+٣+٩+٢٧+٨٠) ؛ باستخدام الميزان 'ن' من المرات، يمكن للمرء أن يحل مشكلة $1 + 3 + 3^2 + \dots + 3^{n-1}$ من القطع . ويلاحظ لكان كم يكون التثليث قويا بواسطة الميزان بعد الوزن الثانية . ويلاحظ أيضا أن الرقم ١٣ هنا يتحدد تماما بواسطة العمليات التي تحل المشكلة من جديد ، وخاصة بواسطة 'الوضع بثلاثة وواحد' . وهذا

التحديد ليس وليد الصدفة ، ولكنه بالأحرى :

ينبثق من حقيقة أن الثلاث عشرة ، ممثلة للتجمع الذي يتحدد بالوزن ثلاث مرات ، يتطلبه الوضع بثلاثة وواحد ليكون له ، في تطوره ، ثلاثة براهين : برهان أول لتقديم فرد متطهر من الريبة ، ويقسم الثاني الريبة بين الأفراد الذي يتضمنهم ، وبرهان ثالث يميز كلا منهم عن الآخر بعد التناوب الثلاثي . وهكذا يتوصل لكان إلى استنتاجه من المشكلة ، وهو استنتاج يتناول مفهومي الاختلاف والريبة:

وهذه الإشارة من الفرد لكل الآخرين فرادى ومجتمعين هي الاحتياج الأساسي للمنطق الجمعي .^(٦٥)

وتشير ملاحظته الأخيرة إلى أن تلك العودة إلى المنطق ستكشف من جديد قاعدة صلبة كالصخر وثابتة ، حين تستخدم . والبحث الذي كتبه عن الزمن المنطقي يأخذنا إلى ملاحظة مماثلة في اتجاه الاستنتاج :

ولكنه كاف ليولد بالتكرار توضيح السفسطة لنرى أنه من الممكن منطقيا أن تطبق على عدد غير محدود من الموضوعات ، بافتراض أن الخاصية 'السلبية' يمكن أن تتدخل فقط إذا كان عددها أقل بواحد من عدد الموضوعات . ويكون إدراك التجسيد الزمني أصعب كلما ازداد حجم المجموعة ، ويبدو أنه يمثل عقبة أمام المنطق الجمعي ربما يتجاوزها المرء باستخدام المنطق الكلاسيكي .^(٦٦)

وفي عام ١٩٦٦ أضاف لكان ملحوظة لهذه العبارة : قارن ، هذه الحالة التي يتم فيها طرح واحد هي الخاصية المتعلقة بالوظيفية التحليلية بإضافة واحد في موضوع التحليل النفسي ، ص ٤٨٠ من هذه المجموعة - Situation de la psy- [chanalyse et formation de psychanalyste en 1956].

وفي الحقيقة ثمة طموح مماثل تماما اشتملت عليه الجملة الأخيرة :

حركة تقدم الشكل المنطقي لكل استيعاب 'الإنسان' ، طالما توهم على نحو دقيق بأنها

وجون ريمان John Rickman، ودراستهم للديناميكيات الداخلية للمجموعات في أحد المستشفيات العسكرية :

في عملهما ، اكتشفتُ مرة أخرى الشعور بالمعجزة التي كانت تلازم أولى خطوات فرويد : ووجدتُ في الحقيقة الجوهرية للطريقة تقدما كان يعيق القوة الحيوية لعملية التدخل. (٦٩)

تم تقديم ٤٠٠ شخص لبيون ليعيد تعليمهم ؛ وكانت ساعات العمل المتاحة 'غير كافية حسابيا لحل المشكلة الأساسية التي تعاني منها كل حالة من هذه الحالات ، إذا عالجهم المرء فرادى . وهذه الصعوبة الشديدة هي التي قادت بيون لعبور روبيكون Rubicon/الابتكار التقني ' [الروبيكون : نهر صغير في شمالي إيطاليا ، اجتازه يوليوس قيصر عام ٤٩ ق.م. مشعلا نار الحرب الأهلية التي جعلته سيد روما . وعبر الروبيكون تعبير مجازي يعني اتخاذ قرار خطير لا رجعة فيه-الترجم] وتم تحديد بنية المجموعة وهدفها بالمفهوم الأصل لوجود مجموعة في حرب ، مجموعة تُعرَّف بوجود عدو ووجود قائد . وكان أي فشل في التعرف على الخطر المشترك يعالج ، كما هو الحال في التحليل النفسي دائما ، باعتباره مقاومة . كَوْن بيون على نحو مدروس مجموعة بدون قائد ، ولم يكن أمامه للحفاظ على ترابط المجموعة سوى أهمية الكلام الذي يدلي به [verbe] بحيث يدفع المجموعة إلى الاهتمام بالصعوبات التي تواجه وجودها ، وإلى أن تكون أكثر شفافية بالنسبة لنفسها ،

وتنبثق الغاية من وراء تنظيم من هذا القبيل بالنسبة للطبيب من وضوحه التام ، بحيث يستطيع الطبيب في أية لحظة أن يحدد الطريق التي ستسلكها كل حالة من الحالات التي يرعاها ، الطريق إلى الخروج : العودة إلى توحيدها [unité]، (٧٠) إلى حياتها المدنية أو الاستمرار في المعاناة من العُصاب .

ويوصف الأسلوب الذي عملتُ به هذه المجموعات والتقنيات التي طورها بيون ، أعاد لاكان التأكيد على ضرورة وجود العلاقات الوثيقة بين الطب النفسي والمجتمع ، بذلك الاسم المثير للالتباس ، حركة 'إرشاد الطفل' 'Child Guidance' movement، حاضا زملاءه بحمل الأعباء المهنية التي ستقع على عاتقهم بالضرورة: يكمن تأهيل

الطبيب النفسي لهذه الغاية في «إحساسه بأغوار عالم الإنسان» .

ويدل هذا النصّ اللافت للنظر ، النص الذي يبدو أنه لا يحمل خصائص نصوص لاكان ، يدلُّ بالتأكيد على الحماس ، وحتى المثالية ، اللذين بثهما فيه الطب النفسي الإنجليزي والثبات الأخلاقي الذي تحلى به الإنجليز في الحرب . ويشير أيضا إلى الخلفية الإكلينيكية للبحثين اللذين كتبهما عن العلاقة بين الفرد والجماعة : الزمن المنطقي والرقم ثلاثة عشر . وقد انشغل هذان البحثان بعلامة الاختلاف : الدسك على الظهر ، 'الكثير للغاية' أو 'القليل للغاية' ؛ يهتم البحثان كلاهما بتوضيح الكيفية التي يميز بها الفرد نفسه عن المجموع ، ولا يتم ذلك إلا بتحديد الروابط التي تربطه بالآخرين والتعرف على تلك الروابط . ويمثل هذان البحثان مصدرين أساسيين لما دعاه لاكان 'منطقه الذاتي' : ليس المنطق الذي تخضع له ذاتٌ ، وهو منطق موضوعي ، أو المنطق الذي تستخدمه ذاتٌ ، وهو منطق يحمل صبغة ذاتية ، لكنه المنطق الذي يتطلبه مفهوم الذات ، فيما يتعلق بالذوات الأخر ، وفيما يتعلق بالنزوع إلى التفرد ، المتأصل في قواعد اللعبة . في أحد البحثين ، يوجد منطق الزمن : الاحتياج المنطقي لجدل التردد والتسرع ، للانتظار والاستنتاج ؛ في البحث الآخر ، يوجد المنطق الذي يحكم استخدام المرء للآخرين لتحديد أي امرئ يعاني من عجز ، المنطق الذي يقع الارتياح أثناءه ، أخيرا وبصورة دائمة ، على العنصر الذي لم يتحرك ولم يتزحزح عن موضعه في عملية التثليث العام general tripartition .

وثمة عدد من التتابعات لهذا الخط الفكري في أعمال لاكان التالية . وربما نشير إلى اعتناقه لبنائية ليفي شتراوس . حيث تقوم بنية اللغة بالوظيفة طبقا لقواعد السفسطة ؛ ويبقى أن النتيجة النهائية هي تفرد الذات ، قدرتها على نطق الكلام التام . ومن ثم ، يتكلم الإنسان ، ولكن ذلك يعود إلى أن الرمز جعل منه إنسانا . وحتى إذا كانت المواهب الثرية ترحب في الحقيقة بالغريب الذي قدم نفسه إلى المجموعة ، فإن حياة المجموعات الطبيعية التي تشكل المجتمع خاضعة لقواعد الارتباط بالزواج ، القواعد التي تحكم تبادل النساء ، وخاضعة لتبادل الهبات ، التبادل المحدد بواسطة الزواج... إن رباط الزواج بنظام الاختيار الذي يهتم

بالنسب ، كاللغة ، ملزمٌ بالنسبة للمجموعة في صورته ، لكنه لاشعوري في بنيته . وفي هذه البنية... يجد الباحثُ المروّع كل منطبق الترابط... ويوحى هذا بأنه ربما يكون لاشعورنا بديمومته هو فقط الذي يتيح لنا أن نؤمن بحرية الاختيار فيما يدعى البنيات المعقدة لروابط الزواج ، البنيات التي نعيش في ظل قانونها . وإذا أتاحت لنا الإحصاءات أن نلمح أن هذه الحرية لا تمارس بصورة عشوائية ، فإن ذلك يعود إلى أن المنطق الذاتي يوجّه هذه الحرية في جوهرها. (٧١)

ومن ثم ربما يكون لكلمة أتزوّج الصورة نفسها لاتخاذ قرار باستنتاج 'معي الدسك الأبيض' في البحث عن الزمن المنطقي : ولا يعود ذلك بالأساس إلى أنهما يشتركان في البنية الزمنية نفسها ، بنية التردد الذي ينقلب إلى تسرع ويأمل لاكان ، مع ذلك ، أن يفترض أنها بنية زمنية لكل الأفعال التي تجعل صورة الاستبعاد حقيقية ، 'معي... ولكن حيث أنه يوجد نسق ، 'لاشعوري' و'ملزم' ، للقواعد التي يؤدي تأثيرها إلى التردد ، والتسرع والتأكد من التوصل إلى حل خاص وعلى نحو فريد كمرافقات ضرورية لاتخاذ القرار . ومهما يكن فسوف نخرج عند هذه النقطة إلى التقابل بين الكلام التام المؤسّس ، ومنطق قواعد اللغة ، (٧٢) وهو درب لا نستطيع أن نقطعه هنا ، لا نستطيع إلا أن نلاحظ كيف كان لتقابل لاكان بين اللغة والكلام بُعدٌ زمني : إذا كانت اللغة موجودة دائما وتبدو سرمدية وتجسيدا لموت الأشياء ، (٧٣) فإن الكلام يقدم زمنية إنسانية ، زمنية الفعل في وقته ، زمن الفعل في التردد ، لنحصل على آلة الخيصاد البشعة . إن الزواج ، كنموذج أصلي ، هو ذلك الفعل الذي يكون في الكلام المؤسّس ، 'أنت زوجتي' ('أنت زوجي') ، رهانا باسكاليا Pascalian wager [نسبة إلى بليز باسكال (١٦٦٢ - ١٦٦٣) ، العالم والمفكر الفرنسي المشهور-المترجم] ، الرهان الأفضل في ظل الظروف ، ظروف الفناء الذي يجد فيه البشر المتكلمون أنفسهم .

يوجد... بُعدٌ للزمن ليس [للآلات] فيه ضلع بصورة لا يمكن إنكارها ، وهو ما أحاول أن أقدم لك صورة عنه بواسطة هذا العنصر [في سفسطة الزمن المنطقي] الذي ليس تأخيرا وليس تقدما . لكنه تسرّع ، العلاف بالزمن المميزة

للإنسان ، هذه العلاقة بمركبة الزمن ، الموجودة هناك ، على ظهورنا . أي حيث يوجد الكلام ، وحيث لا توجد اللغة التي تملك كل الزمن في العالم . وهذا سبب آخر في أن المرء لا يظفر باللغة أبدا .^(٧٤)

وإذا كانت حكايات عائلة فرويد تناظر البنيات التي تدعم روابط الزواج ، قرار الزواج ، شعار الحرية ، الحرية التي يقدمها مصطلح "العقدة complex" ، الحرية التي تشبه حرية حامل الدسك الأبيض وهو يعدو إلى الباب ، ليعلن أنه لا يعرف إلا باستبصار ما يفعله الآخرون . وتصبح السفسطة نموذجا لكل القرارات ، سواء أكان قرار الرتمان ، وهو يحاول أن يختار بين زواج المال (كما فعل والده) أو زواج الحب (كما ألمحت والدته لوالده أن يفعل وهو في كل حالة لا وجود له والقرار لم يعد قراره^(٧٥)) ، أم كان قرار السجين ، وهو يحاول أن يقرر ما إذا كان الدسك الذي معه أبيض أم أسود .

لكن السفسطة ، أو المنطق الذاتي ، أو نظرية الخطابات discourses الأربعة التي جاءت بعد ذلك ،^(٧٦) لها تطبيق آخر : كمجاز تصويري لعملية التحليل النفسي.^(٧٧) إن لحظة الرؤية تناظر كل ما يُقدَّم في الموقف التحليلي ، مع كل ما يتعلق بهذا الموقف : المحلّ ، الأريكة ، غرفة الانتظار ، الأحلام ، التفسيرات . ويتضح أن العمل المنجز ، زمن التحليل ، زمن العمل ، زمن التدخل ، الزمن الذي ليس *endlich* أو *unendlich* ، الزمن الذي تحكمه إما/أو المستحيلة ، يتضح أنه قابل للحل في لحظة الاستنتاج : نهاية التحليل . لا يتضح السبب الحقيقي وراء اتخاذ القرار إلا بعد اتخاذ القرار مباشرة ، بالضبط مثلما يحدث في الوصف الذي قدمه فرويد للعملية التحليلية ، حيث التذكر يتبع الاقتناع ، وليس العكس.^(٧٨)

إن مسألة أن للانتظار وظيفة منطقية ، ذات علاقة منطقية بالقرار حين يتوصل المرء إلى الحقيقة عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار يتعلق بأخرين ، بأناس تابعين للمرء ، ربما تساعد أيضا على تفسير ، أو تلقي الضوء على الأقل على ، هدوء لاكان *La-can's sang-froid* حين واجهه عدد المحللين الجالسين منتظرين خارج غرفة الاستشارات-كنتيجة مباشرة لجلساته مختلفة الطول . إذا كان الانتظار ، كما تشير

سفسطة لاكان ، لحظة منطقية ضرورية للوصول إلى قرار صائب ، لحظة تتضح في فعل ، فلن يكون من المدهش أن يُمارَس التحليل الذي يسعى إليه المرء في بيت دكتور لاكان في غرفة الانتظار بقدر ما يمارس على الأريكة . ولا ينبغي هنا أن نتجاهل التحليل الذي تم تقديمه في المشكلة الأخرى ، مشكلة القطعة الرديئة : تفاعلات البارانونيا-التي ميزت هذا الانتظار بحيث يتم استدعاؤه ، الانتظار لنبدأ (وننتهي) ، في القصص التي تحكى عن هذه التحليلات-التفاعلات التي ستمثل تماما خصائص المجموعة التي توضحها عمليات الاختيار والوضع بثلاثة وواحد ، انتظار لإنسان ، الحيرة أي طريق سيسلك متأصلة في الممارسات اللاكانية وتعكس بصورة غير معتادة أكثر نكاته *jeux d'esprit* خفاء .

هل سيكون لهذا المجاز التصويري للتحليل البنية نفسها التي لذلك المجاز التصويري الآخر الأكثر شهرة ، «سيمينار عن الرسالة المسروقة» ، حيث يتشكل التحليل بمرور الرسالة عبر ثلاثة أوضاع تميزت بالتحديق ؟

وهكذا تشيد ثلاث نظرات ثلاث لحظات ، نظرات حملتها ثلاث ذوات ، في كل مرة تتجسد في أشخاص مختلفين .

الأولى نظرة لا ترى شيئا ...

الثانية ، نظرة ترى أن الأولى لا ترى شيئا وتخدع نفسها وهو الحال نفسه بالنسبة لسريّة ما تخفيه ...

الثالثة ترى أن النظرتين الأولى والثانية تتركان ما يجب إخفاؤه معروضا أمام عيني كل من يريد الاستيلاء عليه ...

ويافتراض وجود معامل ما بين الذوات في الفعل المتكرر ، يبقى علينا أن نتعرف فيه على قهرية التكرار بالمعنى الذي يعنينا في نص فرويد .^(٧٩)

تشير هذه الإشارة إلى معامل ما بين الذوات إلى أن البحث عن منطق ما بين الذوات يستمر هنا بأسلوب مختلف عن الأسلوب المتبع في البحث المكتوب عن «الزمن المنطقي» : البحث الذي يربط بين الذوات ، ويتطلب منهم أن يكرروا ، بدل أن يعملوا بتسرع

محدد . وهذا البعد الآخر الأساسي في الزمنية التحليلية ، ألا وهو موضوع التكرار ، يمر عكس بنية التثليث اللاعكسية في سفسطة الزمن المنطقي . وهذا الارتباط بين هذين المجازين التصويريين المختلفين أوضح في النسخة الدارجة من 'سيمينار عن الرسالة المسروقة' في السيمينار الثاني ،^(٨٠) حيث يفحص لكان لعبة فردي أم زوجي [جوز ولا فرد] ، اللعبة التي ذكرها دوبين بطل بو في 'القتلة في رو مودج - The mur- ders in the Rue Morgue' يذكرها دوبين ، أيضا ، في 'الرسالة المسروقة' - المترجم^(٨١) إن تحليل لكان لما بين الذوات اللازم لأداء اللعبة يستحضر لغة اللحظات (temps) الثلاث المقدمة في 'الزمن المنطقي' ليصور سلسلة التقمصات مع تفكير الآخر ، التقمصات الذي يحاول المرء بواسطتها استباق خداعها وخداعها المزدوج :

ربما توجد مدة [temps] ثانية ، تتضح فيها ذاتية أقل تحزيا . إن الذات في الحقيقة تتمتع بالقدرة على أن تجعل من نفسها ذاتا أخرى ، وأن تتوقف عن التفكير في أن الأخرى ، باعتبارها أخرى ، تفكر مثلها ، وعليها أن تضع نفسها في موضع الطرف الثالث ، حتى لا تكون هذه الأخرى التي تمثل انعكاسا خالصا لها ...^(٨٢)

لكن هذه المحاولة لتكرار نجاح المنطق الذي يتيح للسجين أن يستنتج أن الدسك الذي معه أبيض تفشل حين لا يوجد سوى لاعبين يلعبان لعبة 'جوز ولا فرد' . وتؤدي في هذه الحالة إلى تقمص للآخر ، تقمص يفوق الوصف ، لأنه خيالي تماما ،^(٨٣) حيث المسار المتبع في هذه الحالة ، 'المسار الذي يمكن أن يكون منطقيًا' ،^(٨٤) يؤدي بنا إلى الاهتمام بما قد يعنيه أن نلعب لعبة الحظ مع آلة ، كمبيوتر - حيث التقمص مستحيل ، 'حيث يتم استبعاد كل ما يتعلق بنظام البروفيل السيكلوجي' ،^(٨٥) وما ينبثق مع آلة 'سيمينار عن الرسالة المسروقة' ، ليس تردد التقمص الخيالي أو تسرعه ، ليس التقمص الخيالي الذي يوسطه الرمزي بصورة مناسبة (كما في 'الزمن المنطقي') ، ولكن وظيفة التكرار هي التي تنبثق ، وظيفة التكرار كما تتولد عن المنطق المحض ، منطق الرمز - بواسطة الآلة . وهذا المنطق المتحجر هو الشرط الضروري ، في رأي

لاكان ، لفهم مقولة فرويد عن دافع الموت^(٨٦) death drive تفتح الآلة الباب أمام جدل الفرصة والتحديد بعدة عوامل ، وبالتالي أمام انبثاق شيء جديد من التطبيق المتكرر للقاعدة ، أو كما قال لাকা :

حيث من التكوين الأولي من الرمز البدائي... [تنبثق] بنية تبقى شفافة في علاقتها بمعطياتها الأولية ، وتكشف العلاقة الأساسية بين الذاكرة والقانون.^(٨٧) وفي الحقيقة يبتكر لাকা ، مع الإجراءات الخاضعة للقواعد التي يضعها ، الإجراءات التي تعمل على سلسلة من 'الحروف الصغيرة' 'little letters' . يبتكر صورة لذاكرة ارتدادية^(٨٨) retroactive : ليحصل على سلسلة خاصه . يؤثّر فيه الطرف التالي على الطرف السابق .

ولكن يبدو أننا نتناول الآن نوعاً آخر من الزمن التحليلي . نوعاً مختلفاً . بينما أدت سفسطة الزمن المنطقي إلى مفهومي التردد والتسرع ، وهما مفهومان ظهرا غريبين عن ذخيرة مفاهيم المحلل الفرويدي ، إن لم يكونا غريبين عن الوصف الذي يقدمه للأعراض ،^(٨٩) وقد أدت السفسطة التي تطورت عن قصة ، عن لعبة 'أحور' ، فرداً إلى إعادة تقييم المقولات الزمنية التي تم التسليم بها على نطاق واسع . إنها أساسية بالنسبة لتفكير فرويد : التكرار ، الذاكرة ، التاريخ . إنها أساسية التحليل التي قام بها لাকা لم تكن ببساطة إعادة شبه فلسفية أو إعادة تمثيل على تلك المفاهيم ؛ كانت 'العودة إلى فرويد' التي دعا إليها في الأخير . إنها هذا ، في إعادة الاكتشاف ، إعادة التي قام بها لمفهوم فرويدي أساسي ، استخدام المحلل محور كل تفكير لাকা عن زمن العُصاب ، زمن الطفولة ، زمن السبب في المسائل الإنسانية وهذا المفهوم الأساسي تجاهله المترجمون تقريباً ، أو علقوا عليه ، أو ترجموه بصورة غير ملائمة غالباً ، إلى شيء آخر : وأشار هنا إلى مفهوم *Nachträglichkeit* [الفعل المؤجل] .^(٩٠)

وحتى أوصل مناقشة مفهوم لাকা للزمن ، أظن أننا الآن في حاجة إلى تناول تاريخ هذا المفهوم ، واستخدام لাকা له ، وعلينا أن نتذكر دائماً أن تلك السفسطة عن الزمن المنطقي منحت لাকা قدراً من الثروة الفكرية الثابتة في هذه المنطقة من نظرية التحليل النفسي ومن ممارساته ، ثروة لم يكن يسمح أبداً بأن تنتزع منه .

III

ومن ثم يكون اللاشعوري مراوفاً-لكننا نبدأ محاصرته في بنيه ، بنية زمنية ، بنية يمكن أن نقول إنها بنية لم يتم الإفصاح عنها على هذا النحو من قبل . جاك لاكان^(٩١)

٣ أغسطس ١٩٣٨ : يبدو أن الخلفية النهائية لكل كبح فكري للعمل تتمثل في كبح الاستمنااء في الطفولة ولكن ربما تتوغل إلى أعماق من ذلك ؛ ربما لا ينشأ كبحه بمؤثرات خارجية ولكنه يعود إلا طبيعته التي لا تعرف الإشباع . ثمة شيء مفتقد دائماً من أجل التفريغ والإشباع- en attendant quelque chose qui ne venait point [دائماً ننتظر شيئاً لن يأتي أبداً] وهذا الشيء المفتقد هو تفاعل الأورجازم ، ويتضح بالقدر نفسه في مجالات أخرى ، في نوبات الغيبة absences، انفجارات الضحك أو البكاء ، وربما يتضح بطرق أخرى . مرة أخرى يرسخ النشاط الجنسي في الطفولة نموذجاً في هذا المجال . سيجموند فرويد^(٩٢)

'الغيبة' *absence* : كانت هذه الكلمة هي المصطلح الذي استخدمه أطباء الأعصاب في نهاية القرن التاسع عشر *fin-de-siècle* في وصف إحدى الظواهر الباثولوجية والسبب المفترض لظواهر باثولوجية أخرى . ويمكن رؤية الغيبة باعتبارها شكلاً بسيطاً من أشكال فقدان الوعي في حالات تشبه الصرع^(٩٣) [يطلق المصطلح في الحقيقة على شكل من أشكال نوبات الصرع الصغرى- المترجم] وقد ساوى فرويد بين الغيبة ومفهوم بروير Breuer عن 'حالة التنويم' *hypnoid state*، واعتبرها في الفصل النظري في دراسات عن الهستيريا *Studies on hysteria* العامل السببي الأساسي في نشأة الهستيريا . وكان على فرويد أن يستبعد الدور السببي للغيبة ليقدم مفهومه المميز عن الآليات الدفاعية . وقد تطابق مفهوم 'حالة التنويم' مع

اللاشعوري الوصفي عند فرويد ، إلا أنه كان يمثل قوى يسلم بروير بأهميتها في بناء اللاشعوري الديناميكي المكبوت الذي اقتصر على الدفاع فقط عند فرويد . كان بروير ، وعدد كبير من أتباعه ،^(٩٤) متأثرين بحقيقة فقدان الوعي ، باحتمالية وجود وعي بديل ينشأ نتيجة لذلك ، ولم يروا حاجة لمزيد من التأمل في أسس البنيات الذهنية الباثولوجية . وكان متأثر فرويد أقل من تأثرهم ؛ وتطلب الأمر بالنسبة له وجود قوة أخرى ، تقوم بضغط إيجابي ، ليتم 'تخصيب' الغيبة ليبدأ توليد شكل عرَضِي حقيقي . إلا أن فرويد ، كما يشير الاقتباس الذي يرجع إلى عام ١٩٣٨ ، نسب وظيفة مهمة للغيبة بمجرد أن وجد ، طبقا لقناعته ، موضعها الصحيح في فسيولوجيا علم النفس : باعتبارها لحظة الأورجازم أو ، على نحو مساوٍ ومثير للدهشة ، لحظة غياب الأورجازم . ولنقتبس الآن فقرة مهمة من البحث الذي كتبه عن النوبات الهستيرية في عام ١٩٨٠ :

إن فقدان الوعي ، 'الغيبة' ، في النوبة الهستيرية ينبثق من غياب الوعي غيابا لحظيا وجليا يتضح في ذروة كل إشباع جنسي عنيف ، بما في ذلك الإشباع الجنسي الذاتي^(٩٥)... وآلية هذا النوع من نوبات الغيبة آلية بسيطة نسبيا . يكون كل انتباه المرء مركزا في البداية على تقدم عملية الإشباع ؛ ومع حدوث الإشباع ، تنتهي فجأة طاقة الانتباه بكاملها ، بحيث يؤدي ذلك إلى حدوث فجوة لحظية في وعيها [أي وعي التي تعاني من الهستيريا ، ويعتقد أن الهستيريا تحدث بنسبة أعلى بين الإناث ، لذلك يستخدم فرويد ضمير المؤنث-المترجم] . وهذه الفجوة في الوعي ، ويمكن اعتبارها فجوة فسيولوجية ، تتسع بعد ذلك على حساب الكبت ، حتى تستطيع ابتلاع كل ما يلفظه عامل الكبت .^(٩٦)

يمكن للمرء ، على مستوى التخطيط ، أن يفترض أن فرويد رأى في الغيبة المرتبطة بالأورجازم نموذجا لحالة التنويم ، وفي الحقيقة ، نموذج التنويم عموما-وكان على فرويد وهو يتذكر سلسلة من ثقة الطفولة في النص الذي استشهدنا به ،^(٩٧) والعلاقات الوطيدة بين التنويم والحب^(٩٨) ، أن يوضح ذلك بخبرته في التنويم وعلاقته الوطيدة بالتحليل النفسي .^(٩٩) ونرى أن الاستغناء عن مفهوم حالة التنويم لم يكن بهذه

البساطة . كانت هناك أسباب أخرى وراء هذا الاستغناء .

وأول هذه الأسباب كان الارتباط الوطيد بين مفهوم الرضّ trauma ومفهوم حالة التنويم . وتتضح هنا خطوط التطور الميتاسيكولوجي في أعمال فرويد : زيادة المشيرات (الرضّ) ووقاية الداخل من هذه الزيادة ، بحيث يكون المظهر الخارجي الشفاف تماما بقية تأثير الرضوض traumata ونتيجة لها ، ويكون اللاشعور ذاته هو تأثير الرضّ ، التأثير الذي يتيح بعد ذلك احتمالية الانتصار على التأثيرات ذاتها. (١٠٠)

ولكننا لا نقنع بالإجابة التي ترى أن الوعي ينتج عن الرضّ ويكفل في الوقت ذاته مواجهة انتصاره . وربما نشعر بأن هذه الإجابة ، بالرغم من أهميتها ، إجابة ميتاسيكولوجية بصورة مبالغ فيها : ولا يبدو أننا سنغطي أهمية مفهوم الرضّ تغطية كاملة ، وهو ، كما قد يبدو ، أهم المفاهيم الإكلينيكية ، وهو مفهوم ربما يزداد انتشاره في المستقبل أكثر (١٠١) - بصورة غير متوقعة ، وبإلحاح دائم ، في غرفة الاستشارات . إننا نشعر بأن علينا أن ندرس المشكلة بأن نولي النصّ والبعد التاريخي مزيدا من الاهتمام . وهذا التاريخ سيوضح لنا كيف ارتبط مغزى الخبرة ، بوصفها خبرة رضية ، بالاهتمامات النظرية .

ويبدأ الاهتمام الطبي بحالات العُصاب الرضي traumatic neuroses منذ منتصف القرن التاسع عشر واستمرّ حتى نهاياته نتيجة ، كما يرى إيلنبرجر - Ellen berger وآخرون ، (١٠٢) لظهور الصناعة وأهمية الدعاوى المتعلقة بالحوادث بالنسبة لشركات التأمين . وكانت تلك هي 'هستيريا التعويضات' كما كتب إبراهيم Abraham في عام ١٩٠٧ ، (١٠٣) وكما قد نتوقع ، بالاهتمام بخطوط السكك الحديدية والصناعة في بداياتها ، انشغل الأطباء الإنجليز بهذه المسائل انشغالا أساسيا ، وابتكروا مصطلحي 'إصابات الحبل الشوكي الناشئة عن حوادث القطارات ' railway spine وإصابات الدماغ الناتجة عن حوادث القطارات ' railway brain بالإضافة إلى عدد من المصطلحات الأخرى لتغطية الصور الإكلينيكية للحالات التي بدا أنها نتيجة مباشرة لحوادث وقعت على خطوط السكك الحديدية أو في المصانع. وكان شاركو

Charcot [جين مارتن شاركو (١٨٢٥-١٨٩٣) طبيب الأعصاب الفرنسي الشهير وصاحب الإنجازات الكبيرة في الطب النفسي وخاصة في الدراسات التي تتعلق بالهستيريا-المترجم] ، يتبعه بروير وفرويد ، هم الذين قدموا معظم هذه الصور الإكلينيكية . وهكذا برهن شاركو على أن حالات العصاب التي بدا أنها تنتج عن الحوادث ، ظهرت بأعراض مماثلة لأعراض الهستيريا وأعراض الوهن العصبي -neurasthenia ، وهكذا صنفها باعتبارها أعصابه كلاسيكية . وأثناء ذلك ، فتح الطريق أمام عدد من المناقشات العلمية : يمكن إلقاء الضوء على حالات عصاب الرضوض في ضوء التماثل مع الهستيريا ، الأقدم والتي نالت حظاً أوفر من الدراسة ؛ وبالمثل ، يمكن أن تلقي العوامل السببية الواضحة التي ظهرت في حالات عصاب الرضوض الضوء على السؤال المثير للحيرة عن الأسباب الكامنة وراء الهستيريا .

ومهما يكن فقد اتضح من فحص أولئك المرضى الذين كانوا يعانون من إصابات في الحبل الشوكي نتيجة لحوادث القطارات أو الذين يعانون من أعراض أخرى نتيجة لذلك ، أن الإصابة التي كانوا يعانون منها لم تكن لها أية علاقة مباشرة بأعراض الرض : يُقذف رجلٌ من تحويلة صهغرة على أحد خطوط السكك الحديدية نتيجة اصطدام قطار به ، يعاني من شعور بالإجهاد والدوار والدوخة ، ولا توجد علاقة مباشرة بين أي عرض من هذه الأعراض وبين الإصابات الجسدية الناتجة عن حادث التصادم . وكان واضحاً أيضاً من تعليق شاركو أن الأعراض لم تكن تظهر بعد الإصابة مباشرة ؛ كان ظهور الأعراض يتأخر على بصورة تكاد تكون دائمة وفي الحالة التي ذكرناها كان عامل السنك الحديدية شغوفاً بالعودة إلى العمل بعد أن قضى بضعة أيام في السرير وشفى من الحادث ، ولم تظهر أعراض الإجهاد والقلق متبلورة إلا بعد ذلك كرموز لحالة الرض التي تعرض لها .^(١٠٤)

وهكذا رسم شاركو صورة الهستيريا الرضوية ، وجاءت واضحة ومؤثرة كما ينبغي وتحولت بعد ذلك إلى نظرية عن العصاب ، وكانت تلك الصورة تتسم ببعض السمات الخاصة . أولاً ، يمكن رسم خصائص الرض بصورة موضوعية : كان حدثاً 'طارئاً' ، يتسم أساساً بالخطر الذي هدد السلامة الجسدية لكائن بشري .

وباستخدام مقولة الرُّضْ لتكون السمة التي تميز العُصَاب ، وهي مقولة مستعارة من المصطلح اليوناني الذي يستخدم بمعنى 'جرح' ، وهو مصطلح استخدم منذ فترة طويلة ضمن المصطلحات الطبية ، وتبدل معناه بدقة ، ولكن احتفظ بالدلالة على حدوث عنف مفاجئ . وصار مصطلحا يُطلق على حدث خارجي ، وصارت تأثيراته على من يتعرض له مجهولة إلى حد بعيد ؛ لأنها ، بدقة ، كانت تأثيرات غامضة ، وقد تحول التركيز من هذه التأثيرات -'الجرح' ، قطع 'الجلد' - إلى السمة الأساسية لهذا الحدث الذي نجمت عنه تلك التأثيرات . وهكذا اتصل مصطلح الرض بحدث أساسي ، له تأثيرات واضحة ولكنها غير محددة ، وهذه التأثيرات تناظر السمة الأساسية للحدث أكثر مما تناظر طبيعته الداخلية. وكان هذا حال الرجل الذي ذكرناه من قبل ، الرجل الذي كان يتنقل بين تحويلة السكك الحديدية حيث صدمه أحد القطارات وسقط أرضاً ممزقا إلى ألف قطعة -'سُحِقَ بكل معنى الكلمة 'littéralement broyé'. ولم يكن بمستطاع عامل السكك الحديدية أن يحكي كثيرا عما حدث له بعد ذلك ('-Il ne savait pas trop dire ce qui s'est passé en ce moment-là')^(١٠٥) وقد وُجِدَ فاقد الوعي بين أنقاض تحويلة السكك الحديدية .

ويمكن لكل منا ، بتعاطف ، أن يتصور سمات هذا الحدث باعتباره رُضاً : إن المبالغة فيه تتحدث عن نفسها -إن تحول الحارس إلى ألف قطعة بين 'الأنقاض' تحمل الشاهد فجأة إلى الرُّضْ الذي يؤثر على الإنسان الذي تعرض لهذا الحادث . ويبقى أن شاركو هو الذي قدم فكرة أننا يمكن أن ألا ندعو ذلك رُضاً إلا حين لا توجد آثار واضحة على الكائن . إن مفهومنا عن الرض هو ، بالتالي ، مفهوم يجمع بين الوضوح الهائل وانعدام التأثير بصورة غامضة . وكل ما يكون له تأثيرات واضحة ومباشرة -التهشيم الفعلي للبدن ، إصابة الدماغ إصابة عضوية تؤدي إلى فقدان القدرة على الكلام -يمكن استبعاده تلقائياً من مجموعة الأعراض التي تنتمي إلى العُصَاب الرُضِّي .

وهكذا ، بدايةً ، لا يحقق مفهوم الرُّضْ أهميته إلا بعد تفريغه من معظم محتواه ، بعد أن يصبح قصة الإخفاق القريب ، أو الإخفاق في إحداث التأثير المطلوب ، بدلا

من إصابة الهدف في الصميم bull's eye [حرفيا ، إصابة عين الثور- المترجم] . ومن الطبيعي أن يكون لأحد جوانب هذا الوجه 'المفرغ' أهميته العظيمة في تطور التفسيرات السيكلوجية للعُصاب : النتائج السلبية التي حصل عليها علماء الباثولوجيا حين بحثوا عن آفات عضوية في الجهاز العصبي تتوافق مع أعراض المريض . وقد ارتبطت أهمية هذا النفي لوجود آفات عضوية خاصة في مواضع محددة ارتباطا وثيقا بتطور مفهوم الرُّض ؛ إلا أن العلاقة الخاصة بين مفهوم الرض وعدم وجود سبب عضوي لم تبقَ على حالها دائما ، ولم يحدث هذا حتى طور فرويد نظرية التحليل النفسي وربما اعتبر هذا الغياب سببا لفعالية الرُّض .

ومن ثم ، تميز الرُّض ، من ناحية ، تميزا واضحا بالقوة الخارجية التي ترتبط به، وهي قوة شدت التركيز بعيدا عن تفاعلات الذات مع هذه القوة . ومن الناحية الأخرى ، تأسست فعالية هذا الحدث ، سمته الرُّضِيَّة ، بصورة خاصة على عدم وجود التأثيرات العضوية . وحين استخدم شاركو التنويم ليوضح التماثل بين الهستيريا الرُّضِيَّة والهستيريا 'الكلاسيكية' ، طرأ بعض التغير على مفهوم الرُّض . وبقدر ما يمكن أن يكون الإحياء التنويمي مكافئا للرُّض ، حوّل شاركو ، وتبعه فرويد ، التأكيد إلى الوجه المثالي للرُّض : ماذا يمثل الحادث الخارجي بالنسبة للشخص نفسه . ومع هذه النقلة بدأ زحف طويل ومعقد في مرجعية المفهوم ، الذي انبثق عنه مفهوم الرُّض باعتبارهِ تصورا لا غنى عنه مع أنه يفتقر إلى التحديد افتقارا تاما .

والخطوة التالية في تطور مفهوم الرُّض خطوة معروفة تماما . وبعد أن بين شاركو أن أعراض الهستيريا الرضوية تشبه ، بالنسبة لكل الأهداف والأغراض ، أعراض الهستيريا 'الكلاسيكية' ، بدا من الطبيعي أن نبحث عن خبرات رَضِيَّة وراء الهستيريا 'الكلاسيكية' إن جالة Anna O. التي تناولها فرويد ، بالإضافة إلى رغبة فرويد لابتكار علاج يرتكز على نظرية شاركو عن حالات العصاب ، أدت بهما إلى تطوير نظرية من هذا القبيل في دراسات عن الهستيريا . أدت بهما إلى ذكريات ، وهذه الذكريات رضوض (أو ذكريات رضوض) وتطلب العلاج بهذه النظرية تحوّل هذه الرضوض ، عن طريق الشفاء بواسطة النفس بالكلام cathar-

tic talking cure ، إلى ذكريات عادية . ولكن لدينا بالفعل التباس حاسم مطمور في هذه النظرية : هل هذه الأحداث التي تلحُّ الأعراضُ على تذكرها أحداث رضية لأنها كانت تنتمي في الأصل إلى نظام الطاقة الخارجية المتجسدة في حوادث السكك الحديدية ؛ أم أن الرضوض صارت رضوضاً نتيجة لعملية التذكر ؟ هل كان تذكر الرض رضياً أم أن الرضيَّ كان التذكر نفسه ، عملية التذكر-التذكر باعتباره رضاً ؟ وكانت إجابة فرويد ، الإجابة التي استغرق تطورها عدداً من السنوات في العقد الأخير من القرن التاسع عشر : كلاهما رضيٌّ . كان هناك شيء خاص وحقيقي بالنسبة للأحداث الرضية التي أدت إلى احتمالية أن يتم تذكرها بصورة تؤدي إلى ظهور أعراض عصابية وأن تكون عمليات التذكر وعدم التذكر أسباباً باثولوجية.^(١٠٦)

ويبدو أن الخط الأول في المناقشة نشأ عن محاولاته العلاجية المعقدة والممتدة دائماً : بمجرد اتضاح ارتباط حدث يتم تذكره بعرض معين ، كان من الضروري أن يتجاوز هذا الحدث إلى أحداث أخرى ، تبدو رضية على نحو أقل ، أو ترتبط ارتباطاً أقل مع بداية ظهور الأعراض ، أن يتجاوزها ليحل نسق الأعراض (ربما يكون قد أطلق عليها ، حتى في ذلك الوقت المبكر ، اسم 'النزعة العصابية') . وكانت تلك الأحداث مبكرة دائماً ، ترجع إلى الطفولة . ويبدو أن هناك سؤالين بقاءً معلقين في الهواء يتعلقان بحدوث تلك الأحداث في الماضي البعيد : أولاً ، ما الذي يمكن أن يدعوه المرء رضىً بالنسبة لطفل في الثالثة أو الرابعة ؟ ثانياً ، ماذا يفعل المرء بالعمليات العصبانية الخاصة المتعلقة بتذكر الماضي البعيد ؟ إذا كان العصاب ينشأ في جزء منه نتيجة لعملية خاصة من عمليات التذكر ، ماذا يمكن للمرء أن يفعل بذكرات ترجع إلى تلك الفترة من حياة المرء حيث لا يُعتدُّ بالذاكرة في أفضل أحوالها وتكون ، في أسوأ أحوالها ، مليئةً بالفجوات ؟

منذ تلك اللحظة ، وفيما بعد ، نشأت عن الماضي البعيد الذي نتذكره نظرية الإغواء-التحول الحقيقي ، وربما الحتمي ، لمحاولات استيعاب كل حالات العصاب في نموذج الهستيريا الرضية . إنها قصة مألوفة . بدل القوة اللاشخصية ، قوة قطارات السكك الحديدية ، التي تلوح ضخمة بصورة غير متوقعة ، مهددة الجسد الهش ،

تثبتُ الصورُ المبهمةُ للآباء ، التي تجسد نواياهم الأكثر غموضاً ، سؤال الدارسِ المدقق . إنها النوايا الجنسية للوالد أو الوالدة-كما تُرشَّح وتُترجم في ذاكرة الطفل ، تلك الذاكرة الملتبسة-النوايا التي تجسد القوة الرضائية المفرطة وغير المحددة .

والأكثر إثارة للدهشة أن أكثر المفاهيم الفرويدية تميّزاً ، مفهوم *Nachträglichkeit* - الفعل المؤجل *the deferred action* الخاص بالعلية العصابية-تمت استعارته من الشواهد الإكلينيكية لحالات العُصاب الرضائي . ونجد في أعمال شاركو صياغاتٍ مختلفة لفكرة الفعل المؤجل-لكن الشاهد الإكلينيكي يتضمن غالباً تعبيرات من قبيل 'على نحو يكاد يكون مباشراً' ، و 'بعد وقت قصير من التأخير' .^(١٠٧)

كانت النتائج المباشرة [التي نتجت عن الحادث] ألماً شديداً ... وتورماً في الكف والأصابع...وقد اختفى كل ذلك بعد أربعة أيام . ولكن بعد تلك الفترة الزمنية ، أراد العامل أن يستخدم يده ، ولكنه أدرك أن يده تتدلى وأنه لا يستطيع تحريك أصابعه...^(١٠٨)

وكان على فرويد أن ينقل هذا المفهوم إلى الهستيريات اللاتني يعالجهن ، في إشارة واضحة إلى شاركو :

وثرى سمة أخرى تتميز بها حالة كاترين ، التي صارت ، بالصدفة ، مألوفة بالنسبة لنا، تُرى في ظل الظروف التي لم يحدث فيها التحول الهستيرى-con-version ، إنتاج الظواهر الهستيرية ، بعد الرض مباشرة ، ولكنه حدث بعد فترة حضانة incubation . وكان شاركو يحب وصف هذه الفترة بأنها 'فترة التفسير النفسي' [élaboration].^(١٠٩)

إلا أن هذا الفعل المؤجل الذي يميز التأثيرات العُصابية ، في ذلك العمل المبكر من أعمال فرويد ، ربما يكون قد اختفى تحت المفهوم الذي قدمه عن تجمع الأسباب :

في حالة الهستيريا الشائعة ليس من النادر أن نجد ، بدلا من وجود رض هائلٍ ووحيد، عدداً من الرضوض الجزئية التي تشكل مجموعة من الأسباب التي تكمن وراء ظهور الهستيريا . ولا تستطيع هذه الأسباب إحداث تأثيرٍ رضائيٍّ إلا

بالتجمع وهي رضوض تنتمي إلى بعضها البعض بقدر ما تمثل إلى حد ما قصةً واحدة من قصص المعاناة. (١١٠)

وبينما لا يتناقض مثل هذا المفهوم عن الترابط والتجمع ، تناقضا مباشرا مع الفصل الزمني بين السبب والتأثير ، إلا أنه قد أخفاه في الواقع ، (١١١) حيث أنه ربط كل العناصر في 'قصة واحدة' ، في استمرارية يمكن لسمتها الأصيلة أن تلغي الفجوات الزمنية في تلك الحكاية. (١١٢) إلا أن فرويد ، حتى في تلك التعليقات المبكرة عن تجمع الأسباب الرضية ، كان يتحرك باتجاه فينومينولوجيا الأعراض والرضوض التي تسببت في حدوثها حيث احتل الرضُّ الأولُ وضعا مميزا:

ومع ذلك ، لا يوجد أساسا اختلاف بين العرض الذي يظهر زمنيا بعد أول سبب يستثيره وبين كونه كامنا منذ البداية . إننا ، في الحقيقة ، نجد في الغالبية العظمى من الشواهد أن الرضُّ الأول لا يخلُف وراءه أية أعراض ، بينما يخلُف رَضُّ تالٍ من النوع نفسه أعراضا ، إلا أن الرضُّ الأخير لا يمكن أن يوجد بدون تعاون من السبب المثير الذي سبقه ؛ ولا يمكن أن يتضح بدون وضع الأسباب المثيرة كلها في الاعتبار. (١١٣)

إلا أن هذه المناقشات المبكرة مازالت متذبذبة ، تُدرك أحيانا أن الرضُّ الأول قام بدوره كسبب ضروري على نحو دقيق لأنه عمل بوصفه ذاكرة أكثر مما عمل بوصفه 'تأثيرا طازجا' fresh impression ، وتسلم أحيانا بأن 'الأعراض الطازجة' والأعراض التي يتم تذكُّرها ربما تساهم في التحول بالتساوي . ومع ذلك ، قصرت نظرية الإغواء الشروط التي يمكن أن تقوم بدور الرضُّ السببي على الأحداث الجنسية في الطفولة المبكرة . وهذا التحديد الضيق لما يمكن اعتباره رَضًّا كافيا لإحداث عصاب هو ، كما سنرى عاجلا ، الذي دفع فرويد إلى صياغة نظرية الفعل المؤجل بصورة واضحة ودقيقة .

لكن تطور هذه النظرية كان يعني أن فرويد تعرض لصدمة : انتهاء نظرية الإغواء . ولسنا في حاجة إلى أن نكرر هنا أسباب هذا الانهيار ؛ وسوف نذكر فقط السمات المتعلقة بالأصل الذي نعرفه لمفهوم الرضُّ ، الذي بدا الآن بدون شك مختلفا

عن حوادث السكك الحديدية ومناوشات الموت : إذا كانت نوايا الراشدين لم تعد موضع تساؤل ، إذن ما الذي يمكن أن يكون رضىً في فنتازيا تدور حول صور الراشدين ؟

في المراجعة الشاملة لنظريته ، اللازمة لتجاوز هذه العقبة ، نجح فرويد في الإبقاء على عدد مدهش من العناصر المكمل لنظرية الإغواء . ونذكر هنا اثنين من هذه العناصر . أولا ، مازال من الممكن أن نشير إلى بداية العُصاب كحدثٍ أو كمجموعةٍ من الأحداث . إلا أن هذه الأحداث أصبحت الآن 'داخلية' بقدر ما هي 'خارجية' ؛ ولم يعد الطارئ فيها ينشأ عن الفرصة الخارجية، التي تقع تماما في العالم الخارجي ، ولكنها تنشأ عن علاقة معقدة بين العالم الواقعي والعالم الداخلي . وعند هذه النقطة ، فتح تطور نظرية فرويد التي كانت تهتم بطريقة تذكر ما كان رضىً ، أكثر مما تهتم بما يتم تذكره ، فتح آفاقا جديدة . ثانيا ، لم يتبدل هدف التقنية التحليلية إطلاقا : مازالت تبحث عن حدثٍ ، عن ذاكرة تبدو أنها سبب البنيات العُرضية التي نناقشها .

وما له قدر مساوٍ من الأهمية هو حقيقة أن فرويد حافظ على منطق الفعل المؤجل الذي شيده ببطء في نظرية الإغواء ، مستعيرا إياه من مفهوم الرُض الذي طوره . والأسلوب الذي فعل به ذلك أسلوب فريد في الواقع . وكما أُكِّدْتُ ، تضمن مفهوم الرض مقولة التأخير بين السبب وظهور الأعراض ؛ وفي نظرية الإغواء ، كما قدمها في عام ١٨٩٥ ، صار هذا التأخير تأخيرا سببيا : أصبحت حقيقة الاختلاف في المراحل الزمنية سبب نشأة البنية الباثولوجية . وقد انتقلنا من مفهوم الفعل المؤخر *delayed* إلى مفهوم الفعل المؤجل *deferred* .

والصورة الإكلينيكية الموجزة في مشروع سيكولوجيا علمية هي الشاهد الكلاسيكي *the locus classicus* على هذا التعليق ، والمشروع نظري بصورة كبيرة ، وقد كتب في الصيف والخريف من عام ١٨٩٥ . ويجب أن تنبهنا حقيقة أن المادة الإكلينيكية ، وحدها في المشروع ، إلى الأهمية النظرية (والشخصية)^(١١٤) للنقطة التي يطرحها ، وهذه النقطة هي بكل دقة كيف تصبح زمنية الرُض الوسيلة التي تغير بها آليات الدفاع الباثولوجية اتجاهها ، بدلا من آليات الدفاع الطبيعي ضد الألم ، تلك

الآليات التي كان فرويد قد صاغها بالفعل . كانت نظرية فرويد نظرية عامة عن النفس psyche، تتناول آليات الدفاع ، والتفكير والذاكرة ، في صورتها الطبيعية ؛ ومن المؤكد أن هذا الوصف للعمليات الطبيعية كان سيفقد كل أهميته إذا لم يكن قادرا على تفسير ظهور الصور الباثولوجية . وقد وضحت حالة إيمّا Emma كيف كان من الممكن أن تغير هذه الصور الباثولوجية اتجاهها .

اشتملت حالة إيمّا على ثلاثة أحداث وليس حدثين : سرد قصتها في التحليل (وما يدعوه فرويد 'الزمن الحاضر' ، عرض يتضمن إحساسا قهريا بعدم القدرة على دخول المحلات بمفردها) ؛ 'ذكرى من زمن مضى حين كانت في الثانية عشرة من عمرها (قبل البلوغ بوقت قصير)' (المشهد الأول) ؛ و'ذكرى ثانية' لمشهد في الثامنة من عمرها ، اكتشفت بعد 'مزيد من الفحص' (المشهد الثاني) . في المشهد الأول ذهبت إلى محل لشراء شيء ما ،

رأت عاملي المحل (يمكنها أن تتذكر أحدهما) يضحكان معا ، وجرّت في حالة من الفزع . وفيما يتعلق بهذا ، تمت مساعدتها على تذكر أنهما كليهما كانا يضحكان على ملابسها وأن أحدهما أعجب بها جنسيا .^(١١٥)

ويُفسّر المشهد الثاني هذا المشهد غير المفهوم :

في موقفين حين كانت طفلة في الثامنة ذهبت إلى محل صغير لتشتري بعض الحلوى ، نظر البائع نظرة خبيثة إلى أعضائها التناسلية من بين ملابسها . وبرغم الخبرة الأولى ذهبت هناك مرة ثانية ؛ وبعد المرة الثانية كفت عن الذهاب . وهي الآن تُبكت نفسها بسبب الذهاب في المرة الثانية ، كما لو كانت ترغب بهذه الطريقة في استثارة الاعتداء .^(١١٦)

وقد حددت إيمّا نفسها طريقة الربط بين هذين المشهدين : ذكرتّها ضحكات عاملي المحل بالنظرة الخبيثة من عين البائع .

يمكن الآن إعادة بناء الأحداث على النحو التالي . في المحل كان العاملان يضحكان ؛ وهذا الضحك استدعى (لاشعورياً) ذكرى البائع... مع البائع ذكرت

نظرت الخبيثة من بين ملابسها ؛ لكن من ذلك الوقت وبعد أن وصلت مرحلة البلوغ . استدعت الذكرى ما لم يكن من الممكن، بالتأكيد، أن تستدعيه في وقتها ، ارتياحا جنسيا *a sexual release* ، تحول إلى قلق. ومع هذا القلق ، انتابها خوف من أن عاملي المحل ربما يكررون الاعتداء، وجرت بعيدا . (١١٧)

ما هو خاص ، ما هو باثولوجي في هذه العملية ليس حقيقة الأفكار اللاشعورية ، لكنها بالأحرى الفكرة الخاطئة التي تدخل اللاشعور-مضللة إياها . بدلا من أن تدخل ذكرى الاعتداء إلى اللاشعور ، تصبح على وعي بملابسها وبارتياح جنسي ، وتنسب ذلك إلى أحد عاملي المحل .

إذا سألنا أنفسنا عن السبب وراء هذه العملية: الباثولوجية المقحمة -interpolated، فسوف يغرب شيء واحد فقط عن نفسه-الارتياح الجنسي ... ومن الواضح تماما أنه لم يكن يرتبط بالاعتداء حين شعرت به . ونحن هنا أمام حالة ذكرى أثارت عاطفة لم تكن موجودة كخبرة ، لأن الوصول إلى مرحلة البلوغ أثناء ذلك جعل من الممكن تقديم فهم مختلف لما تم تذكره .

والآن ، نحن أمام حالة من الحالات النموذجية للكبت في الهستيريا . إننا نجد دائما أن الذكرى تُكبت ولا تصبح رُضا إلا بواسطة الفعل المؤجل. والسبب في هذا الوضع هو تأخر البلوغ بالمقارنة مع بقية تطور الفرد . (١١٨)

ويمكن وضع مفتاح هذا الشكل من أشكال التفسير بإحدى طريقتين : إما أن الذكرى تثير عاطفة لم تنشأ عنها كخبرة أو لكل ... فرد بقايا ذكريات لا يمكن أن تُفهم إلا بانبثاق المشاعر الجنسية الخاصة به . (١١٩) وفي أوائل عام ١٨٩٦ ، صاغ فرويد هذه المناقشة في صورة نظرية دقيقة :

إن علاقة مقلوبة بهذه الطريقة [حيث يكون للذكرى تأثيرٌ مثيرٌ أقوى مما للخبرة التي كانت وراءها عندما حدثت] بين خبرة واقعية وذكرى ، يبدو أنها تحتوي على شرط مسبق لحدوث كبت . تمنح الحياة الجنسية-عبر تأخر نضج البلوغ بالمقارنة مع الوظائف النفسية-الاحتمال الوحيد الذي يحدث بالنسبة لهذا الانقلاب في التأثير النسبي . تعملُ رضوخُ الطفولة بأسلوبٍ مؤجلٍ كما لو كانت

خبرات طازجة ؛ لكنها تفعل ذلك لاشعورياً. (١٢٠)

ما هو لافت للنظر في هذه النظرية-مع أنه يصحُّ بالنسبة لأعمال فرويد عموماً ومن ثم ليس له أن يدهشنا هو الإلهام الأصلي الذي يبيته شاركو في النظرية الرضوية لحالات العُصاب . مازال هناك حدثٌ رُضِيٌّ ، وما زالت بنية حالات العُصاب يزمتها خاضعة له . إلا أن البنية الفوقية superstructure طرأ عليها تبدلٌ جذري : ليس في مجرد اقتصار الأحداث المسببة على الأحداث الجنسية ، ولكن أيضاً على مستوى الوسيلة التي يمكن لحدث أن يصبح سبباً حيث يتم ربطها بنظرية الذاكرة ، نظرية «إعادة النسخ retranscription» ، نظرية «فشل الترجمة» ، كما عبر عنها فرويد في رسائله إلى ويلهلم فليس Wilhelm Fliess .

لكن هل يصح أن نقول ، كما يقول جيمس ستراتشي James Strachey ، إن هذه الفكرة بكاملها كان لها أساس انهار من تحتها باكتشاف النشاط الجنسي في الأطفال بعد ذلك بعام أو اثنين والتعرف على استمرارية النبضات الغريزية اللاشعورية ؟ (١٢١)

في لغة التحليل النفسي *The Language of psycho-analysis* ، عارض لبلانش Laplanche وبونتالي Pontalis ذلك بشدة ، قائلين 'إن أقوى دفع لهذه التهمة يؤت بتعليق فرويد على حالة «ولفمان Wolfman» ، حيث تُستدعى هذه العملية نفسها ، أي عملية الفعل المؤجل ، باستمرار' . ويقولان أيضاً إن 'الفضل في لفت الأنظار إلى أهمية هذا المصطلح يجب أن ينسب إلى جاك لاكان'. (١٢٢) ومما لا يبعث على الدهشة أن يعكس هذا الإقرار رؤية لاكان للأمور أيضاً :

حين قلتُ في بداية هذه الأحاديث-إنني لا أبحث ، إنني أجدُ ، كنتُ أعني أن المرء في حقل فرويد ، ليس عليه إلا أن ينحني ويلتقط ما يجده . إن التضمين الحقيقي لمفهوم التأجيل *nachträglich* ، مثلاً ، تمَّ تجاهله ، مع أنه كان موجوداً طول الوقت ولم يكن علينا إلا أن نلتقطه . (١٢٣)

ومن الصحيح في الحقيقة أن لاكان ، في بحثه 'تقرير رونما' الذي نشر عام ١٩٥٣ ، أشار بدقة إلى الولفمان the Wolfman باعتباره نصاً ينتمي إلى سنوات نضج

فرويد، نصًا أبرز باستمرار استخدام فرويد لمفهوم الفعل المؤجل
:*Nachträglichkeit*

يحتاج فرويد إلى موضوعية كاملة في الإثبات طالما كان الأمر يتعلق بمسألة
موعد المشهد الأول ، لكنه لم يقدم أكثر من افتراضات لإضفاء الذاتية من جديد
على الحدث ، وهي افتراضات تبدو ضرورية لتفسير تأثيرات الحدث في كل نقطة
من نقط التحول حيث يبني الذات نفسها من جديد-أي بقدر ما يحدث إعادة بناء
للحدث ، كما يعبر عنه ، تأجيل الفعل المؤجل *nachträglich*، في موعد لاحق
[après coup].^(١٢٤)

إلا أن لاكان 'بالعثور' في هذا النص على هذا المصطلح من مصطلحات فرويد ، تمثله
على الفور في نظريته عن الزمن-في الزمن المرتبط بسفسطة الزمن المنطقي الذي
سبقته مناقشته :

مما يعني ، أنه [فرويد] يلغي أزمنة الفهم لصالح لحظات الاستنتاج التي تشكل
تأمل الذات باتجاه اتخاذ قرار يتعلق بمعنى الارتباط بالحدث الأصلي.^(١٢٥)

وربما كانت هذه أكثر اللحظات التي اقترب فيها لاكان طول حياته من البحث عن
ضبط لتقنيته عن 'مشاركة' الذات لاستنتاج الزمن اللازم للفهم بالاستعانة بممارسات
فرويد كمحل . ولم تكن حدود الزمن التي وضعها فرويد على تحليل ولفمان بهذا القدر
من الأهمية ، ولكنه بالأحرى الأسلوب الذي ينحى به الفترة بين ملاحظة المشهد الأولي
والحلم في سن الرابعة ، ليعثر على البنية التي تربطهما معا . ومن ثم سيكون الفهم
التحليلي تكرارا (مع بعض الاختلاف) للحظة الاستنتاج التي توصل فيها اللفمان ،
وهو طفل في الرابعة من عمره ، إلى فهم أهمية المشهد الأول بالنسبة له ، وحمى نفسه
ضد هذا الفهم بخلق العُصَاب الذي عانى منه في طفولته .^(١٢٦) وعلى التحليل أن يكرر
هذه المحاولة في الفهم المرسب ، وربما فكر لاكان في أن السبب المرسب ، بالنسبة
للفمان ، وهو عدم رضاه عن الهدايا التي قدّمت له في الكريسماس (عيد الميلاد) ،^(١٢٧)
كان بمثابة استعارة مناسبة للإحباط النرجسي الذي يتغذى عليه التحليل ، وهو ما
كان على ممارسات لاكان في الجلسات مختلفة الطول أن تعمّقه .

وإذا نحنُنا هذه التأملات جانباً ، فإن ما يتضح هو أن لاكان ربط التقاطه للفعل المؤجل *his trouvaille of Nachträglichkeit* في نصوص فرويد بالزمن بين الذات intersubjective time الذي تفاخر بنفسه لأنه أثبت أنه 'مناسب إلى أبعد الحدود للتحليل الجدلي الذي به نرشد [تلاميذنا] في عملية التحليل النفسي'.^(١٢٨) إلا أنه مما يثير الدهشة قلة استخدامه صراحة لهذا الالتقاط ؛ توجد إشارات قليلة للغاية إلى الفعل المؤجل *Nachträglichkeit* في كتابات وفي السيمينار ، ولكن ليس لنا أن نأخذ ببساطة انطباعاً بأن لاكان تركه لآخرين (خاصة لبلانش وبونتالي)^(١٢٩) ليعبروا عن أهمية المفهوم الفرويدي ، أو أنه اعتبره ببساطة دعامة لبرهانه على أن زمن التحليل النفسي كان الزمن الذي شغله المساجين الثلاثة في سفسطه المنطقية . ويمكن أن نعثر على أحد المفاتيح لأهميته الأوسع في الفقرة التالية :

بالمثل ، ترى ، على عكس منظور بلنت Balint، ويتمشى أكثر مع تأكيد خبرتنا، علينا أن نبدأ من علاقة جذرية بين الذات radical intersubjectivity، من قبول الذات قبولاً تاماً بواسطة الذات الأخرى. وابتداءً من خبرة الراشد ، التي علينا أن نلتقطها على نحو استرجاعي ، تأجيل الفعل المؤجل *nachträglich*، من الخبرات التي يفترض أنها أصلية ، في تصنيف المشاكل التي تعرض لها ، وبدون ترك مجال ما بين الذات على الإطلاق . ويقدر ما تبقى في سجل التحليل ، سنضطر إلى التسليم بعلاقة أصلية بين الذات^(١٣٠)

يبدأ التحليل النفسي من علاقة أصلية بين الذات ، ويعمل في إطارها دائماً ؛ ومن ثم فهو يعمل باتجاه الماضي backwards ، باتجاه الأوضاع السابقة ، حيث لا تقيم واقعيتها وأهميتها إلا على نحو استرجاعي . يعمل التحليل النفسي باتجاه الماضي-هذه العبارة تلخيص مبسط للأهمية التي يستتبطها لاكان من مفهوم الفعل المؤجل *Nachträglichkeit*، وعلى هذا المبدأ الأساسي البسيط يمكن من ثم بناء النقد الكامل للنزعة التطورية developmentalism، الواضح بصورة كبيرة في معظم التفكير التحليلي :

دعنا نوضح أننا لا ننهمك في اقتفاء سلسلة متتابعة من مراحل التطور ولكننا

ننهمك بالأحرى في بالقبض على طريقة تنظيم بعض الأوضاع التي حدثت بالفعل من جديد على نحو استرجاعي. (١٣١)

في الحقيقة رأيي لاكان أن التحليل النفسي كان ، بعيدا عن كونه مثالا نموذجيا للتفكير التطوري، مميزا في تجنب التطورية :

... تكمن الأصالة الحقيقية للتحليل النفسي في حقيقة أنه لا يركز التطور السيكولوجي في مراحل مفترضة-مراحل ليس لها ، بكل معنى الكلمة أساس، يمكن اكتشافه في التطور البيولوجي الملحوظ. (١٣٢)

إن النتيجة الفارقة والتراجيدية التي توصل إليها التحليل النفسي هي أن التطور ينشط تماما بالحوادث ، بعوائق البخت *tuché* (١٣٣) وقد تبنى لاكان في الرد على زميله ، على إلحاح فرانسوا دولتو على ضرورة التفكير التطوري في التحليل ، تبنى ما اعتبره على الأقل ، بعد اكتشافه لمحور الفعل المؤجل *Nachträglich*، وضعا فرويديا أرثوذكسيا (يرى ، مثلا ، في الأسلوب الذي أعد به فرويد نقده لمفهوم رانك ، ذلك المفهوم التطوري الابتداعي عن رضى الميلاد ، في الكف والعرض والقلق .)

إن الخوف من الإخصاء يشبه خيطا يثقب كل مراحل التطور . إنه يوجه العلاقات التي تسبق ظهوره الفعلي-القطام ، التدريب على الإخراج ... إلى آخره . إنه يبلور كل هذه اللحظات في جدل مركزه المصادفة الرديئة . وإذا كانت المراحل متناغمة ، فإن ذلك يكون طبقا لتسجيلها المحتمل بلغة المصادفات الرديئة. (١٣٤)

وهكذا : يقدم مفهوم الاسترجاع *retroactivity* ، مفهوم الفعل المؤجل *the après coup*، إلى لاكان سلاحا مهما في نزاعه مع المحللين المعاصرين له بشأن طبيعة التفسيرات في التحليل النفسي ؛ ويمكن الكشف عن أن تطورية فرويد الظاهرية (١٣٥) تختفي وراء طريقة مميزة من طرق التفسير : تفسير يستدعي مفهوم اللحظات ، أو حتى مفهوم العقد *knots* ، كمفهوم يناظر 'التسجيل' ، والنسخ ، وبناء هذه اللحظات في 'القراءة' الاسترجاعية ، من اللاحق إلى السابق. (١٣٦) وقد حاولت أن أحدد كيف يشكل تطور مفهوم الرضى ، من الفعل المؤخر عند شاركو ومن مفهومه الحضائني للعلية الوظيفية ، إلى الوضع الثابت الذي احتله الفعل المؤجل في

فكر فرويد، كيف يشكل أساس إعادة التكامل التي قام بها لاكان فيما بعد لمفهوم فرويد في تقديمه لزمنية التحليل النفسي ، أولا ، يوجد مفهوم التغير المستمر عبر الزمن، تغير العملية . وليست هناك طريقة لإبقاء العملية مفهومة بدون الرجوع إلى غائية زائفة ، من حيث معيارية normativity تلك النظريات التحليلية التي تطرح نفسها كنظريات تطويرية . ثانيا ، توجد المقولة التي ترى أن هذه التغيرات يمكن أن تُعرف مقدّما *in advance* ، وأنها قدرية (وهكذا نكتشف مرة أخرى نسخة معيارية من نسخ التحليل النفسي) .

إن التحليل النفسي يهتم بالحوادث *accidents*:^(١٣٨) إن مجال عمله ، طبقا لرأي فرويد ، هو 'الطارئ' المتضمن في أطراد القدر' ،^(١٣٩) أعمال 'المصير الطارئ' ^(١٤٠) أعمال 'المصير والفرصة' ولا يقتصر الأمر على أحدهما .^(١٤١) إذا ساوينا بين التطورية ودراسة التكوين ، إن كان تكويننا نفسيا ، تكون من ثم معادة لاكان للتطويرية ببساطة تكرارا للعملية التنظيمية البرجماتية التي عرف بها فرويد حدود المعرفة التحليلية :

إذا ركزنا في عملنا التحليلي على التأثيرات الطارئة أكثر مما نركز على العوامل التكوينية ، فإننا نفعل ذلك ... لأننا نعرف من خبرتنا بعض الشيء عن السابق ، بينما لا نعرف إلا القليل عن اللاحق شأننا في ذلك شأن غير المحللين.^(١٤٢)

لنوجز الآن . لاشك في أن لاكان وجد في مفهوم الفعل المؤجل *Nachträglichkeit* سندا لكثير من آرائه الأساسية عن طبيعة العلية التحليلية،^(١٤٣) طبقا للحدود الحقيقية للعمل التحليلي (من الراشد إلى الطفل ، وليس العكس) . إلا أنني أود أن أكرر : إن التعليقات الحقيقية على هذا المفهوم ضئيلة بصورة لا تتوقع . إن العرض الذي قدمته أمّن بدون شك أساسا للاكان ؛ ولكن ماذا بنى عليه ؟ وما العلاقة بين المفاهيم التي ابتكرها فرويد عن زمن تكوين العرض ، وفكرة الزمن المنطقي ، الفكرة التي عزا لاكان لها كل تلك الأهمية ؟

أغامر بتقديم إجابتين على هذا السؤال ، تتعلق الأولى بتاريخية التحليل ؛ وتتعلق الثانية بمناقشة الصدفة والحظ في السيمينار الحادي عشر للاكان . يبقى مفهوم

الفعل المؤجل *Nachträglichkeit* عند فرويد على وضع الماضي مَرْنًا بصورة خاصة . والدليل على ذلك يمكن أن يوجد في الوضع المتطرف الذي تم اقتباسه كثيرا ، ذلك الوضع الذي تبناه فرويد في عام ١٨٩٩ ، في بحثه عن 'ذكريات الشاشة Screen memory' ، بالنسبة لوضع الذاكرة ؛ وفي نهاية ذلك البحث يبدو فرويد وكأنه ينتقل باتجاه وضع تكون فيه كل الذكريات ذكريات شاشة، شاشات ليس هناك معنى للنظر وراءها بحثا عن الأثر 'الأصلي' ، 'الأولي' : (١٤٤)

ربما نتساءل في الواقع فيما إذا كنا نحتفظ بأية ذكريات على الإطلاق من طفولتنا : الذكريات المتعلقة بطفولتنا ربما تكون كل ما نملك . (١٤٥)

تقدم هذه المعرفة أوسع نطاق لرؤية التحليل النفسي ليس كمجرد محاولة لنسيان الماضي ، (١٤٦) ولكن أيضا كخداع للماضي إن لم يكن معالجة له . إلا أن **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit* لا يتعلق فقط بالماضي ومرونته ، بتلاشيته ، كما قد نفهم من استعارة لاحقة من استعارات لاكان ؛ حيث تتضمن بنية المفاهيم الداخلية تفصل لحظتين مع زمن التأخير (زمن الحضانة ؟ زمن الانتظار ؟) ، مما يسمح للحدث 'الأول' بالانزلاق متحررا من ميراث الأمان الذي سيتحرر منه الحدث 'الثاني' بالمثل (والعكس بالعكس) . وماذا إذا كان الحدث 'الثاني' لما يحدث بعد-ماذا إذا كان الحدث 'الثاني' حدثا مستقبليا مفترضا ؟ وهو المشهد الذي يُستدعى في إحدى الفقرات المشهورة من 'تقرير روما' :

ليست المسألة مسألة الواقعية في التذكر التحليلي ، لكنها مسألة الحقيقة ، لأن تأثير الكلام التام هو الذي يعيد ترتيب مصادفات الماضي بأن يقدم لها معنى الضرورات لتأتي ، بحيث يشكلها القدر الضئيل من الحرية التي توجد خلالها . (١٤٧)

وهكذا يتحدد بوضوح تفصل 'التاريخ' مع المستقبل كغاية للتحليل :

يمكن أن يكون للتحليل غاية وحيدة تتمثل في تقديم كلام حقيقي وإدراك الذات لتاريخها في علاقته بالمستقبل . (١٤٨)

إن إعادة تنظيم الماضي تمضي خطوة خطوة مع إعادة تنظيم المستقبل ، وسيعتمد تمفصلهما على وظيفة الإحالة ، حيث يذوب الماضي في الحاضر ، وهكذا يصبح

المستقبل (مرة أخرى) سؤالاً مفتوحاً ، بدلاً من تحديده بتثبيت الماضي (المشهد الثاني، الحدث الأصلي ، الحدث 'الأول' في التمهيد المزدوج للفعل المؤجل *(Nachträglichkeit)*.^(١٤٩)

إلا أن إعادة ترتيب الماضي والحاضر والمستقبل تثير أيضاً أسئلة أخرى بالنسبة لنظرية العملية التحليلية وإنتاج الأعراض . وهذه الأسئلة هي مرة أخرى الأسئلة التي تكشف تعليقات لاكان على نصوص فرويد أنها القراءات الخسبة والمعقولة أكثر من سواها بالنسبة للمسار الذي اتبعه فرويد : علاقة الرض ومفهوم التكرار .^(١٥٠) وبذلك نكون قد تتبعنا ببعض التفصيل مفهوم فرويد للرض . وبالعودة إلى مناقشات لاكان في السيمينار الحادي عشر ، نكتشف مزيداً من القطع في لغز الصور المقطوعة التي نضعها معاً لاكتشاف تيمة الزمن : مفاهيم الفرصة واللحظة والعلية .

IV

حين أكون خزيًا من القدر وعيون الرجال
وحدي تماما أبكي وضعي المنبوذ ،
وأربك السماء السماء بصرخاتي سدًى ،
وأنظر إلى نفسي ، وألعن مصيري ...

وليم شكسبير ، سونيت ٢٩

لا شيء أغبى من قدر الإنسان ؛ كل ما يعنيه أننا
نُخدع دائما .

جاك لاكان (١٥١)

هل مجرد الحظ العثر هو الذي قاد الولفمان ، وعمره عام ونصف ، ليستيقظ من
غفوة الظهيرة ويبصر والديه وهما يمارسان الجنس ؟ بتوجيه الفكر التحليلي حول
الحظ والفرصة والقدر والمصير مرة أخرى ،^(١٥٢) يطلب منا لاكان أن نفهم هذه المسألة
المشينة ؟ أولا ، ربما نسأل ، هل هي مسألة لا تختلف عن مسألة أن نسأل ما إذا كان
مجرد الحظ العثر هو الذي قاد أوديب إلى قتل العجوز الذي قابله على قارعة الطريق ؟
نعرف أن شيئا من قبيل ذلك اللقاء مكتوب ، وقد تنبأ به كاهن دلفي . ومن الممكن أن
نرد على السؤال المتعلق 'بحظ' ولفمان برد مماثل : يمكن أن نعزو ما هو مكتوب إلى
كاهن تكوينه إلى ساديته الشرجية المفرطة أو كيفما كان الأمر .

ويمكن لنا أيضا أن نقم الملاحظة التصحيحية : إن رؤية الولفمان لوالديه أثناء
ممارسة الجنس لم يصبح حدثا إلا بعد أن ارتبط بشيء ما حدث بعد ذلك .^(١٥٣) إن
ارتباط 'حدثين' على الأقل معا هو ما يجعل رؤيته لوالديه وهما يمارسان الجنس حدثا
رضيا ، وبمجرد ارتباط هذين الحدثين معا يكون لدينا بنية ، شبكة في التحليل
الآخر-شبكة من الدوال ، شبكة من السمات ، شخصية-الولفمان .^(١٥٤) ويمكن أن
نقول إن الولفمان ، بقدر ما هو ذات ، هو شبكة من الدوال التي تكون علاقته الفريدة

بالواقع . لنأخذ مثالا دراميا لافتا للنظر ، مثالا يقبض على عدد كبير من تخیلات المفسرين لأنة عشوائي بدقة كبيرة ، وهو بالتالي يوضح هذه النقطة بأسلوب شفاف تماما :

ربما بدا لي أن أغرب حالة [عن بعض 'الظروف الطارئة' التي تساهم في 'اختيار الفتش'] [zufällige Umstände zur Auswahl des Fetisch] "هي الحالة التي مجد فيها شاب نوعا معينا من 'البريق على الأنف' في شرط فتشي مسبق ، وكان التفسير المدهش أن المريض نشأ في دار حضانة إنجليزية وبعد ذلك قدم إلى ألمانيا ، حيث نسي لغته الأصلية بشكل يكاد يكون تاما . الفتش الذي نشأ في طفولته الأولى ، يجب أن يفهم بالإنجليزية ، وليس بالألمانية . إن 'The Glanz auf der Nase' كان في الحقيقة 'بريقا على الأنف' [Blick] glance at the nose' (١٥٥)

لم يصبح الشاب ، الشاب الإنجليزي ، على هذا الوضع إلا حين استعادت ذاكرته his Muttersprache [لغته الأم] وكيנותه الجنسية ، حين مارست شبكة الدوال الإنجليزية فعاليتها بواسطة البريق shine/Glanz ، حيث صار من الممكن له أن يعود إلى الخلف ويتذكر ما رآه . إن الحالة الفتشية ، الباب الذي يفتح على المجال الجنسي، مجاله الجنسي ، هي شبكة الدوال التي يتردد صداها حول مصطلح 'Glanz auf der Nase' [بريق على الأنف] .

وهذه 'الحوادث' accidents [Zufallen] "هي زاد المحلل . وقد يظن المرء ، بدون الخروج على المؤلف ، أن هذا المثال نموذجي ، فيما يتعلق بالوظيفة كنموذج كوهيني [نسبة إلى كوهين Kuhn - المترجم] : إنه يكشف بوضوح هائل كيف أن عشوائية الدال ، تلك العشوائية التي تشكل كل اللغات الطبيعية هي بكل دقة حادثة يبحث عنها المحلل والمريض ويعثران علي عليها . وهذا المجال من مجالات العلوية مجال مميز ؛ وهنا يكمن السبب في أننا لا نتوقع إجابة معقولة على السؤال : هل كان مجرد الحظ العثر هو الذي قاد المؤلفان ، في منتصف العام الثاني من عمره ، ليستيقظ من غفوة الظهيرة ويبصر والديه وهما يمارسان الجنس ؟ إننا نعرف فورا أن تفسيرات

التحليل النفسي تفتقر إلى الشكل : إن الخبرة الرُّضِيَّة الناتجة عن رؤية المرء لوالديه في وضع جنسي وهو في منتصف السنة الثانية من العمر هي السبب في العصاب الذي عانى منه الطفل وهو في الرابعة من عمره . وقد يبدو مفهوم الفعل المؤجل *Nachträglichkeit* كمحاولة تحفظ على الأقل شكلا من أشكال التفسير العُلِّي: فكرة أن حدثا سابقا يسبب حدثا تاليا . وحتى برغم ذلك فهو يتضمن ادعاء يحتوي على مفارقة ، ادعاء بأن الحدث السابق لا يكون سببا للحدث التالي إلا بعد أن يحدث الأخير . لا يمكن للمرء عند أية نقطة أن يضع شروطا للشكل : إذا وجد 'س' ، يوجد 'ص' بالتالي ، حيث تعتمد عملية عزل 'س' ووصفه اعتمادا كليا على عزل 'ص' من قبل ووصفه وحدثه .

وحتى يتقدم لاكان خطوة أبعد من هذا الإدراك السلبي ، رجع إلى معالجة أرسطو للعلية ، في الفصلين الرابع والخامس من الكتاب الثاني من الطبيعة *Physics* ، أوضح النظريات المفترضة عن وظيفة السبب على الإطلاق^(١٥٦) والمصطلحان اللذان التقطهما من فصلي أرسطو ليسا من المصطلحات الشائعة في الأدبيات الحديثة عن العلية^(١٥٧) البخت *tuché* واتفاقا *automaton* [طبقا لترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي للكلمتين في كتابه عن أرسطو- المترجم] . ويشير مترجم أرسطو إلى الإنجليزية في طبعة Loeb إلى المشاكل التي تنشأ عن ترجمة هذين المصطلحين ، وفي الفصل السادس يتركهما في الشكل اليوناني الأصلي ، ويقترح على القراء الإنجليز أن كلمة 'الحظ' *luck* أو 'النصيب' *fortune* ربما تكون أفضل مرادف لكلمة البخت *tuché* وأن كلمة 'الحادث' *accident* أو 'نتيجة الصدفة' *chance result* ربما تكون أفضل مرادف لكلمة اتفاقا *automaton*^(١٥٨) وافترض لاكان بأسلوبه الذي لا يضاهي حلا أكثر شجاعة : إنه يرى في كلمة البخت *tuché* مرادفا لتعبير 'مواجهة الواقع' *encounter with the real* وفي كلمة اتفاقا *automaton* مرادفا لتعبير 'شبكة من الدوال' *network of signifier*^(١٦٠) أو 'العودة إلى إلحاح العلامات'^(١٦١)

إن أرسطو يعتبر البخت *tuché* فرعا من الاتفاق *automaton* . ووجدها الكائنات التي قد تصيب وقد تخطئ ، سواء بمعنى "الوضع" أو "الفعل" ، يمكن أن

توصف بمصطلح البخت 'tuché'؛ ومن ثم :

حين يؤدي أي عامل سببي صدفةً إلى نتيجة مهمة خارج غايته ، فإننا نعزوه إلى automaton [نتيجة الصدفة chance result] ؛ وفي الحالات الخاصة حين تنبع مثل هذه النتيجة من فعل دعوب (مع أن هذه النتيجة لم تكن هي الهدف) من ناحية قدرة على الاختيار ، يمكن أن نقول إنها تأتي by tuché [بالبخت]. (١٦٢)

تتبع القوة والأهمية اللتين يعزوهما أرسطو إلى هاتين المقولتين من مسألتين منفصلتين . تتعلق الأولى بطبيعة العلية عموماً :

بالنسبة لبعض المسائل يعلن وجود [النصيب أو الحظ أو الحادث] أنها تحدث دون سبب ، لكن كل ما نتحدث عنه على هذا النحو ينتج في الحقيقة عن سبب محدد . مثلاً ، إذا ذهب رجل إلى السوق وصادف هناك شخصاً كان يتمنى أن يقابله لكنه لم يكن يتوقع أن يقابله هناك ، يكون سبب اللقاء أنه أراد أن يتسوق ؛ ويحدث هذا أيضاً في كل الحالات التي ندعى أنها ترجع للصدفة ، حيث يوجد دائماً سبب آخر يمكن العثور عليه ، إنه لم يكن في الواقع وليد البخت tuché بحال من الأحوال. (١٦٣)

ومن ثم يصبح هدف أرسطو هدفاً لأولئك الفلاسفة ، خاصة الذريين atomists ، الذي يعلنون أن لا شيء يحدث في حياة البشر بالصدفة ، إلا من كانوا على استعداد لأن ينسبوا أصول الكون ، أصول العوالم المنظمة إلى أحداث الصدفة [automaton] بالإضافة إلى طبيعة المفارقة المتأصلة في تأكيد من هذا القبيل ، يمكن أن نلاحظ أننا لا نرى أبداً في حركة الأجرام السماوية ما يمكن أن ندعوه تنوعاً سببياً أو طارئاً ... بالإضافة إلى أن البعض ، يرون أن النصيب سبب أصيل في حدوث الأشياء ، ولكن المرء لديه شيء ما إلهي وخفي بالنسبة له ، يجعله غامضاً بالنسبة للعقل الإنساني. (١٦٤)

وتتعلق المسألة الثانية بقوة الحظ أو النصيب في التأثير على سعادة حياة الإنسان وروعتها. (١٦٥) ويعتقد بعض الفلاسفة أن العيش الطيب يعني الحياة السعيدة-إن

الحظ أو النصيب هو 'العامل الحاسم الوحيد في تحقيق حياة من نوع معين' . ويرى آخرون أن 'الحظ ليس له أية قدرة في التأثير على طبيعة حياة الإنسان' . ويجتاز أرسطو في الأخلاق إلى أوديموس *the Eudemian ethics* طريقا وسطا بين هذين الطرفين . وتعتبر مناقشته للحظ والفرصة والنصيب جزءا من البحث الأخلاقي ، وليس من البحث الكوزمولوجي [الكوزمولوجيا : cosmology علم يبحث في أصل الكون وبنيته العامة وعناصره ونواميسه- المترجم ، عن المورد] أو الميتافيزيقي . وسوف يذكرنا إدراك القرابة بين التحليل النفسي وهذه المناقشات الأرسطية بأننا لا نستطيع إهمال حقيقة أن التحليل النفسي ابستمولوجي وأخلاقي في المفهوم الأصل الذي قدمه عن الرض ونتائجه . ولم يستطع لكان إهمال تلك الحقيقة .

ويقدم التحليل النفسي مغزيين واضحين فيما يتعلق بهاتين المسألتين . الأول ، يشبه الفهم الأرسطي ، ويتعلق بالأحداث التي يبدو أنها بلا سبب وبمسألة تورط النوايا والأغراض الإنسانية في هذه الأحداث . إن المبدأ المؤلف عن الحتمية النفسية يمكن استيعابه ، في رأيي ، بنجاح تام وعلى نحو صحيح في النموذج الأرسطي عن العلية المحددة ، مدعومة من قبل 'القوى العلية العرضية' ^(١٦٦) التي ندعوها حظاً ؛ ويدرك أرسطو أننا لا يمكن أن نعزو هذه القوى إلا إلى الأفعال الغائية ، ويعرفها بأنها الأفعال التي يمكن إدراك نتيجتها كهدف متوقع يحدد طبيعة الفعل . ^(١٦٧) وتشير هذه الافتراضات إلى أن المجال الذي نهتم به في هذه الأفعال هو المجال الذي تعزى فيه القصدية إلى التفاوض ويتم التفاوض بشأنها أساسا بواسطة الاسترجاع . وهذا هو بكل دقة هدف المحلل ، تحويل الأحداث عديمة المعنى إلى أفعال ذات معنى . ^(١٦٨)

والمنطقة الثانية هي أيضا تلك التي أدركناها في التحليل : في مجال 'الحادث' ، مجال الصدفة *automaton* ، تتركز البؤرة دائما على القصدية ، على الفرصة ، وحيث أن الفرصة تتضمن القصد ، يتبع ذلك أن الحظ والقصد يتعلقان بمجال الموضوعات نفسها . ^(١٦٩) وأشجع الطرق للتعبير عن المقاربة التحليلية لهذا المجال ، مجال الحظ والقصد يمكن أن تكون على النحو التالي : يبحث التحليل عن تلك الغايات التي تحدد الحظ السعيد ، أو سوء الحظ ، أو الموضوع ، وقد تم إدراكها على هذا

النحو . والمثال الأوضح لهذا الإجراء هو الانعكاس التالي لمثال فرويد ، في سياق مثل بالنسبة له ولصير أعماله أهمية هائلة – مناقشة التكرار ، وهي مناقشة جاءت مباشرة قبل 'تأملاته' في وراء مبدأ اللذة :

إن ما يكشف عنه التحليل النفسي في ظاهرة الإحالة عند مرضى العصاب يمكن أن يوجد أيضا في حياة الناس الذين لا يعانون من العصاب . والانطباع الذي يقدمونه هو أن هناك مصيرا خبيثا يترصد خطاهم وقوة شيطانية تسيطر عليهم [*verfolgenden Schicksals, eines dämonischen Zuges in ihrem Erleben*]؛ لكن التحليل النفسي تبني دائما الرأي القائل بأنهم يرتبون مصيرهم في معظمه [*selbstbereit*] ويتم تحديده بواسطة تأثيرات الطفولة المبكرة ... وهكذا صادفنا أناسا كانت لكل علاقاتهم البشرية النتيجة ذاتها : من قبيل المحسن الذي يتنكر له كل من كفلهم برعايته *his protégés* ، بصرف النظر عما قد يكون من اختلاف بين أحدهم والآخر ، ومن يبدو وكأنه محكوم عليه بتذوق مرارة نكران الجميل ؛ أو الرجل الذي يرفع شخصا آخر من وقت لآخر أثناء حياته إلى وضع عظيم الشأن يتميز بالسلطة الخاصة أو العامة ، ثم يعاني هو نفسه بعد فترة من تلك السلطة ويستبدل به شخصا آخر ؛ أو ، مرة أخرى ، المحب الذي تمر كل أمور حبه لامرأة بالمراحل نفسها وتنتهي بالنتيجة نفسها . وهذه 'العودة الأبدية إلى الشيء نفسه' لا تدهشنا كثيرا حين تتعلق بسلوك نشط ... وفي الحالات التي يبدو فيها أن الشخص يكتسب خبرة سلبية يكون الأمر أكثر إثارة للدهشة بكثير ، حيث يفتقر إلى أي تأثير على تلك الخبرة ، ولكنه يلاقي فيها التكرار القدرى نفسه [*Schicksals*] . وهناك ، مثلا ، حالة المرأة التي تزوجت من ثلاثة أزواج أحدهم بعد الآخر وقد سقط كل منهم مريضا بعد ذلك مباشرة وكان عليها أن ترعاهم على أسرة الموت . (١٧٠)

كيف يمكن لنا أن نناقش هذه الفقرة الرائعة ؟ هل يجب علينا دعم ملاحظة ليدي برنكنل Branknell ونقول إن فقد أحد الأقارب يعدُّ سوءَ حظٍّ ، وفقد اثنين يبدو وكأنه نوع من الإهمال ، وفقد ثلاثة يشير إلى وجود شيطان نشط ؟ وتقبض كلماتها بالتأكيد

على المعنى الذي 'صُدِمَ' [stärker] به فرويد بالخبرات السلبية التي 'تبدو' [scheint] مجرد خبرات سلبية ؛ إن فقد المرأة لزوجها يصبح أشبه بفقد شيء-مثلا، بفقد حقيقة اليد- أكثر مما قد يظن المرء في الظروف الطبيعية .

إلا أن الاستنتاج الذي توصل إليه فرويد ، استنتاج أن هناك شيئا وراء مبدأ اللذة ، له بنية غريبة ، ويبدو وكأنه استنتاج ، بعد فحص خبراته ، أن الذين لا يعانون من العصاب لهم أيضا غايات لا يدركونها ، لكن التأثير المتراكم لتكرار تلك الغايات يعادل وجودها في قبضة قوى شيطانية ، تقودهم إلى مصيرهم المكتوب . تصور فرويد ، في الرسالة المتعلقة بالبنية التي اقتبست منها الفقرة السابقة ، أن مجال عمليات التحليل النفسي هو 'الطارئ' المتضمن في استمرارية القدر ، وأن أعمال 'المصير الطارئ' أعمال 'المصير والشيطاني والفرصة' ، وليس هناك مجال للاختيار بينها . وبهذا يكون الشيطاني قد أتى إلى المقدمة نتيجة الاهتمام بحياة من لا يعانون من العصاب ، ويبدو أن الطارئ قد تنحى جانبا . إن الشيطاني يتمتع بكل قوة الضرورة . إلا أنه ، طبقا لرأي أرسطو وفرويد ، يمكن أن نستنتج هنا أن الشيطاني جزء من مجال الطارئ ؛ إن المسألة ليست مسألة الاختيار بينهما .

ومن ثم ، أين يكمن الطارئ في هذا النموذج من نماذج التكرار الأعمى ؟ ونرد فوراً بأن الطارئ لا يوجد سوى في الحادث الأصلي ، لحظة الإخفاق الأصلي ، الذي تُعدُّ كل الإخفاقات التالية بحيث تكرر ، النكران الأصلي للجميل الذي يمارسه الجاحدون في نبش القبور. ونعود إلى السؤال الأصلي : هل كل هذه الزيجات الفاشلة ، تلك العلاقات التي تنتهي نهاية مريرة ترجع إلى 'سوء الحظ' في الخبرة الأصلية ، التي بقيت تافهة كما كانت ؟

كنتُ أتتبع خط التفكير الذي رسمته لنا إشاراتُ لكان ، ويمكننا الآن إعادة ربط صفحات النص القصير ، في أربعة مفاهيم أساسية في التحليل النفسي . الصفحات التي تمضي بالمناقشة إلى مجال آخر .

ترجمنا كلمة tuché [البخت] بتعبير المواجهة مع الواقع . والواند [الانفاق] الاتفاق automaton ، والعودة ، والرجوع ، وإلحاح العلاقات ، وبه نرى أن مبدأ اللذة

يحكمنا . إن الواقع هو ذلك الذي يقع دائماً خلف الاتفاق ، ومن الواضح تماماً ، من خلال بحث فرويد ، أن هذا هو الموضوع الذي يهتم به .^(١٧١)

إلا أنه لا يمكن لنا أن نقدم مباشرة على هذا البحث عن الواقع ؛ وإذا كان الأمر كذلك ، إذا أصبح البحث عن الواقع الرغبة الملحة للمحلل ، كما كان الحال بالنسبة لفرويد والولفمان ، فقد تكون النتائج مرعبة-يظن لاكان أن الolfman ربما 'كيف' الحادث المتأخر مع ذهنه^(١٧٢) وهذا الواقع ، هذه الغاية terminus ad quem من وراء التكرار الذي قد يراه المحلل يتراجع إلى لحظة ترقيم ، هو دائماً واقع مستور . لكن واقع التحليل ، الواقع الإمبيريقى يترك على الأقل شيئاً مؤكداً فيما يتعلق بهذا الواقع :

إن ما يتكرر هو ، في الحقيقة ، شيء يحدث دائماً ويحدثنا التعبير بما فيه الكفاية عن علاقته بالبحث *tuché* - كما لو كان صدفة ... إن وظيفة البحث ، وظيفة الواقع كمواجهة-المواجهة بقدر ما يمكن أن تُفقد ، بقدر ما تكون مواجهة مفقودة أساساً-ظهرت أول مرة في التحليل النفسي في صورة كانت كافية في حد ذاتها لشد انتباهنا ، أعني صورة الرض ... ألم يكن واضحاً أن الواقع ، في أصول الخبرة التحليلية ، يجب أن يظهر في صورة ما لا يمكن استيعابه فيه-في صورة الرض ، مجددة كل ما سوف يأتي ، وفارضة عليه ما يبدو أنه أصل طارئ؟^(١٧٣)

لدينا هنا ، في هذه الفقرة تأملات لاكان الموازية لاستكشافات فرويد في وراء مبدأ اللذة . ولكن هل تأخذنا إلى أبعد مما أخذتنا إشارات فرويد ، الإشارات التي تعادلها في الغموض ؟ في مجال التحليل النفسي ، مجال 'الغائية اللاشعورية للطبيعة' كما نجدها عند أرسطو ،^(١٧٤) مجال الاتفاق *automaton* ، وكما نجدها عند فرويد-في هذا المجال نبحت عن حدث يعمل ، عرضياً ، كحظ سيئ (أو كحظ سعيد-ولكن هل جاءت الأحداث السعيدة بصاحبها في أي وقت إلى أريكة المحلل النفسي ؟ بعد الحدث ، يشير فرويد ولاكان كلاهما إلى حقيقة أن التحليل النفسي يتناول الأحداث التي تتجاوز عليّة العلوم ، الأرسطية أو البيولوجية الجزيئية^(١٧٥) أو سواها : وراء الفرصة والضرورة ، يوجد الحظ والحدث . يشق لاكان طريقه بين مفاهيم التحليل النفسي عن

الواقع والتكرار ، إن المصير الطارئ ، أو المصير والفرصة ، يتناقض مع التكوين البيولوجي (يُتصور كقالب template محدد ، يقع تحت كشف الخبرة البيولوجية) ، ويقود فرويد إلى مفهومه عن وراء مبدأ اللذة المرتبط ارتباطا شديدا بمبدأ التكرار ، وكل ما يستطيع أن يفعله فرويد ، كما يبين دريدا ، هو تكرار إيماءة التجاوز.^(١٧٦)

إن التكرار هو المفهوم الأساسي في التحليل النفسي الذي يفحصه لاكان في الفقرات التي تأملناها . ويلج على أن المحللين تُغشَى أبصارهم بالمجال شديد الخصوصية، المجال الذي يواجهون فيه التكرار يوميا : الإحالة . وهم على استعداد تام لاعتبار الإحالة والتكرار شيئا واحدا ، وعلى استعداد تام لرؤية أنفسهم الطرف النهائي في سلسلة التكرار التي يمثل التكرار طرفها الأول . إلا أن وجود الإحالة ، يواصل لاكان، لا يفوق وجود أية علامة أخرى- ألا تُقدِّم لنا الإحالة باعتبارها صورة شخص وباعتبارها على علاقة بالغياب؟^(١٧٧) إن تأكيد الإحالة على حساب التذكر، على أساس أن الذاكرة لا تصنع حضورا أبدا ، بينما تكون الإحالة ، بالتعريف ، حاضرة ، سوف يضللنا ، حيث أن النقطة الحقيقية لالتقاء الرُّضِّ والإحالة توجد في مفهوم المواجهة المفقودة :

حيث أن ما يكون لدينا في اكتشاف التحليل النفسي هو مواجهة أساسية-موعد ندعى إليه دائما مع واقع يراوغنا.^(١٧٨)

وهنا ربما نجد صدى لما جلبه لاكان معه إلى التحليل النفسي منذ البداية : ميراثه السريالي . أليست المواجهة الأساسية ، الموعد مع الواقع ، صورة تعود إلى المظلة وآلة الخياطة على طاولة الفحص ، وهي صورة كان السرياليون مولعين بها ولعا شديدا-كانوا مولعين بها نتيجة لحركتها الذاتية ، وهي الخاصية التي تبدو عشوائية وتقدم لنا وسيلة للوصول إلى الجميل الذي يبعث النشوة في نفوسنا؟^(١٧٩)

يتجنب لاكان قراءة الخبرة التحليلية التي قد توحى بأن الإحالة خبرة انفعالية تصحيحية ، مواجهة يمكن فيها تحسين المواجهة الأصلية المفقودة ، التي يمكن حفظ الموعد فيها . ومع ذلك ، وكما يمكن أن نلاحظ في الجمل الاعتراضية-أسس لاكان ممارسته ، ممارسته في جلسات مختلفة الطول ، على أساس فكرة أن الموعد لا يمكن

أن يتشكل على نموذج اليوميّات المنظمة تنظيمًا جيدًا (كما في الممارسات الاستحواذية للمحلّين الأرثوذكسيين ، أو حتى إتاحة الأم رمزيًا بالنسبة للمحلّ الفينيكتي Winnicottian [نسبة إلى فينيكت-المتّرجم] ، التي توجد ، وتبقى ، وهي مصدر الثقة) ^(١٨٠) لا يمكن أبدًا تجسيد الواقع في المحلّ ، في وظيفة المحلّ ، بالتماثل مع الحلم ، باعتباره أثرًا من آثار النهار . وحتى يؤكد لاكان ذلك بأقصى قوة بلاغية ، تحوّل حقًا إلى الحلم : بحثًا عن الواقع ، في الخبرة يتم التسليم طبقًا لما هو متعارف عليه بأنها تقدم الحد الذي يحدد الواقع ، وأيضًا ليقارع نزوعًا رآه في التحليل النفسي ليعالج 'الخبرة الذاتية' للذات كما لو كانت حلما بكل معنى الكلمة ، فكرة أن الحياة حلم.

V

بعد الموت الأول ، لا يوجد موت آخر .
ديلان توماس ، 'في رفض رثاء'
طفل مات حرقا في لندن'
أنا ، أيضا ، رأيتُ بعيني ، اللتين تفتحتا بنبوءة الأم ، الطفل ، وصُدِمتُ بحقيقة
أنني كنتُ أمضي بعيدا بالرغم من الاستغاثة الواضحة في نبرات صوته قبل
الأوان ، ومنذ ذلك الوقت تجدد الكثير لعدة شهور ذات مرة-بعد ذلك بكثير ،
ملتقطا هذا الطفل ، رأيتُه واضعا رأسه على كتفي وغارقا في النوم ، والنوم
وحده قادر على إعطائه منفذا إلى الدال الحي الذي صرته منذ تاريخ الرض .
جاك لاكان (١٨١)

لا حاجة بنا إلى أن نبرر هنا اقتباس الفقرة التالية ، وهي فقرة مبهمة ، وقد اقتبست
كثيرا ويستهلُّ بها فرويد الفصل الأخير من تفسير الأحلام :

من بين الأحلام التي ذكرها لي أناس آخرون ، يوجد حلم يشدُّ انتباهنا عند هذه
النقطة . وهو حلم سمعته من سيدة مريضة وقد سمعته بدورها في محاضرة عن
الأحلام : مازال مصدره الأصلي مجهولا بالنسبة لي . ومهما يكن فقد أثر
محتواه على السيدة ووصل بها الأمر إلى أن 'عاودها في الحلم' ، أي أن بعض
عناصره تكررت في حلم حلمته هي ، وهكذا ، ربما كانت تعبر ، بحمله على
عاتقها بهذه الطريقة ، عن اتفاقها معه في نقطة محددة .

جاءت بواكر هذا الحلم النموذجي على النحو التالي : كان أبٌ يجلس بجوار
سرير طفله المريض نهارا وليلا حتى النهاية . وبعد موت الطفل ، مضى إلى الحجرة
المجاورة لينام ، وترك الباب مفتوحا بحيث يرى من غرفة نومه الغرفة التي يسجى فيها
جثمان طفله ، والشموع الطويلة من حوله . وقد جلس رجل عجوز بجوار الجثمان
ليشرف عليه وكان يتمتم ببعض الصلوات . وبعد ساعات من النوم ، حلم الأب بأن

طفله يقف بجوار سرير، ويمسك بذراعه ويهمس في أذنه مؤنبا إياه : أبي ، ألا ترى أنني أحترق ؟ هب من نومي ، لاحظ وجود وميض ضوء ساطع يأتي من الغرفة المجاورة ، وجرى مسرعا إلى الغرفة حيث كان العجوز الذي يسهر على رعاية الجثمان غارقا في النوم ووجد اللفائف وإحدى ذراعي جثمان طفله المحبوب محروقة بلهب شمعة مشتعلة سقطت فوقها . (١٨٢)

وتأتي تعليقات فرويد على هذا 'الحلم السينمائي' مبهمة بصورة مؤكدة . ويدون تردد ، يقر بأننا هنا 'أمام حلم لا يمثل أية مشكلة في التحليل ، إن معناه واضح ، ولكنه ، كما نرى ، يحافظ على السمات الأساسية التي تميز الأحلام تمييزا واضحا عن حياة اليقظة ومن ثم تستدعي التفسير' (١٨٣) إنه حلم لا يقاوم التفسير : إن غموضه ليس وليد الافتقار إلى الفهم .

واشتهر أيضا تعليق لاكان على هذا الحلم ، ليس لأنه يمضي باحثا عن مصادر القوة المبهمة في الحلم-الإبهام الذي قدمه فرويد ، على نحو صحيح ، ولكنه في الوقت ذاته ، بدا ، بصورة غامضة ، مصمما على تركه على حاله . يشير فرويد إلى أن مصدر قوة الحلم يكمن في إطالته لحياة الطفل ، بعد أن مات (١٨٤) .

إذا استيقظ الأب أولا وبعد ذلك توصل إلى الاستنتاج الذي قاده إلى الغرفة المجاورة ، فإنه كان ، إذا جاز التعبير ، سيقصر من حياة طفله بتلك اللحظة من الزمن [Moment] (١٨٥) .

إن أمنية الأب في أن يكون الطفل لا يزال على قيد الحياة ، قد تبدو ، وكأنها تحققت وأشبعَتْ بهذا الحلم-تمتد حياة الطفل لحظة بتصوره وهو يقول تلك الكلمات التكهنية المرعبة ، بجوار سرير الأب . تنتصر الرغبة على 'حقيقة' موت الطفل ؛ ينجح الحلم لحظة .

يرى لاكان ، ببعض التحفظ ، هذا الحلم باعتباره يقدم أطروحة فرويد بأن الحلم تحقيق لرغبة تعاني من بعض الصعوبات . ويؤكد ، بدلا من ذلك ، على أن 'ما نراه ينبثق هنا ، للمرة الأولى تقريبا ، في تفسير الأحلام ، هو وظيفة الحلم ، وظيفة يبدو أنها ثانوية-في هذه الحالة ، لا يشبع الحلم سوى الاحتياج إلى نوم طويل' . (١٨٦) إنه

صحيح حقا : ما يبرهن عليه فرويد هو أن هذا الحلم يؤدي وظيفتين في الوقت نفسه : يطيل النوم ويطيل حياة الطفل . في النوم ، الطفل حي . أم هل يمكن أن نقول بالأحرى : في الحلم ، الطفل حي ؟

إلا أن لاكان ليس متأكدا بدرجة تؤكد فرويد من أن الحلم إطالة . هل يمكن أن نفترض أن الطفل حي في الحلم-حتى لو كان يتكلم؟^(١٨٧) إن كلماته ، رغم كل شيء ، كالجحيم الحي بالنسبة للأب ؛ إنها كلمات تكهنية إلى درجة تجعلنا نفهم أنها لا تصدر إلا عن شخص ميت ؛ إنها كلمات تشبه الصرخة التي أطلقها فلديمار M. Valde-mar وهو تحت التنويم 'إني ميت'^(١٨٨) -إن هذه الكلمات جحيم حي بالنسبة لأي شخص ، مثلنا ، يسمح لأذنيه أن تحترقا به .

أبي ، ألا تستطيع أن ترى أنني أحترق ؟ إن هذه الجملة في حد ذاتها جمرة-إنها في حد ذاتها تجلب النار أينما حلت-ولا يمكن لنا أن نرى ما يحترق ، لأن اللهب يغشي أبصارنا عن حقيقة أن النار تتواعم مع *the Unterlegt* ، مع *the Untertragen* [الغشاء ، ما يكمن تحت ، ما يمسك تحت] مع الواقع.^(١٨٩)

يخرج لاكان ، شأنه في ذلك شأن فرويد ، عن طريقه ليؤكد أن هذه الكلمات-أبي ألا تستطيع أن ترى أنني أحترق-'تفصل إلى الأبد عن الطفل الميت'؛^(١٩٠) ويخرج عن طريقه أيضا ليخمن أن ما يوقظ الأب ليس 'الحادث' الذي يجري في الواقع ، نوم الرجل الذي يرعى جثمان الطفل ووسقوط وميض الضوء الساطع عبر الباب المفتوح على عيني الرجل النائم ،^(١٩١) لكنه الواقع في الحلم :

إذا كانت وظيفة الحلم هي إطالة النوم ، وإذا كان الحلم ، رغم كل شيء ، قد يأتي قريب الشبه للغاية من الواقع الذي يتسبب فيه ، ألا نستطيع القول إنه قد يناظر هذا الواقع ، أو يرد عليه [*il pourrait être répondu*] بدون الخروج من النوم ؟-رغم ذلك ، يوجد شيء من قبيل النشاط السيرنامي *somnambulist activity* . والسؤال الذي يثار وهو في الحقيقة كل ما تسمح لنا إيماءات فرويد المبكرة بطرحه ، هو-ما الذي يوقظ النائم [*Qu'est-ce qui réveille*] ؟ ألا يوجد ، في الحلم ، واقع آخر؟-الواقع الذي يصفه فرويد-*Dass das Kind*

ihn am Arme ، إن الطفل يقف بجوار سريريه ، *an seinem Bette steht* ،
fasst ، يمسكه بذراعه ، ويهمس في أذنه مؤنبا ، *und ihm vorwurfsvoll zu-*
raunt: Vater, siehst du denn nicht ، ألا تستطيع أن ترى ، *dass* ،
sich verbrenne ؟ ، إنني أحترق ؟^(١٩٢)

هذا هو السؤال ، السؤال-ما واقع الحلم ؟-بالتوجه إليه يفهم لاكان هذا الحلم الذي
يدفعنا إلى الأمام ، ومن المؤكد أننا سننزل الطريق إذا كنا نظن أن واقع الحلم هو
بصيص الضوء الساقط على وجه الرجل النائم ، وسننزل أيضا إذا كنا نظن أن واقع
الحلم هو تذكر مناسبة نطق فيها الطفل بالكلمات : 'أبي ، ألا تستطيع أن ترى...؟' ،
وهو ما تدفعنا إشارات فرويد إلى الاعتقاد فيه .^(١٩٣) وليس واقع الحلم هو الرغبة
الغامرة في أن يكون الطفل على قيد الحياة-إطالة حياة الطفل لحظة ، يبحث لاكان
وراء هذه الترشيحات المحتملة لواقع الحلم المفرع ، مفتشا عن المواجهة المفقودة ، عن
الواقع المفقود . في الحلم ، الواقع المفقود هو سبب موت الطفل ، إنه لا يبحث عن
السبب الفيزيقي ، ولكنه يبحث عن شيء من قبيل السبب الكوني ، عن معنى موت
الطفل - بخته *its tuché* .

ربما يتساءل المرء ، أليس الحلم أساسا عملية إنعان للواقع المفقود-الواقع الذي
لم يعد قادرا على إنتاج نفسه إلا بتكرار نفسه بدون نهاية ، في نهاية لا تبلغ
اليقظة أبدا ؟ ما نواجهه قد يكون هناك منذ ذلك الوقت مع ذلك الكائن الخامل
دائما-حتى حين تحاصره النيران-حتى لو كانت المواجهة تحدث تماما حين تقابله
النيران ، نتيجة لحادث ، يبدو وكأنه وقع صدفة؟ أين الواقع في هذا الحادث ؟-إن
لم يكن ذلك الذي يكرر شيئا ، شيئا هو في النهاية أكثر موتا ، بواسطة الواقع ،
واقع مازال الشخص المكلف فيه برعاية الجثمان نائما ، حتى حين دخل الأب من
جديد بعد أن استيقظ .^(١٩٤)

يطور لاكان جدلية الحلم والواقع وربما يلعب معها . الواقع هو ما يوقظنا من
الحلم . لكن الحلم الفرويدي-وليس حلم الفيلسوف ، الحلم الذي هو عالم
الأوهام-يتضمن الواقع الذي يوقظ الإنسان . والواقع ليس هو الواقع اليومي ، لكنه

الواقع الذي يحدد الرُّضُّ ، ولا يوجد فيه أبداً . وما الرُّضُّ هنا ؟ إنه شيء بشع بصورة تفوق الوصف ، حريق ، لهب لا يمكن إطفاءه أبداً :

هل الواقع هو الذي يحدد اليقظة ، الضوضاء البسيطة التي تحفظ امبراطورية الحلم والرغبة ؟ أليس شيئاً آخر ؟ أليس ما يتم التعبير عنه في أعماق القلق الكامن في هذا الحلم-أعني الجوانب الأكثر حميمية في العلاقة بين الأب والابن ، التي تنبثق بالقدَر نفسه في ذلك الموت وفي الحقيقة التي وراءه ، في معنى القَدَر؟^(١٩٥)

مرة أخرى ، يبدو الواقع في هيئة القَدَر ، بالضبط وكأننا نطرح السؤال على النحو التالي : هل سوء حظ الولفمان - 'مصييره الطارئ'- هو الذي أيقظه ليرى مضاجعة والديه بعد ظهيرة يوم حار من أيام الصيف ؟

بين ما يحدث وكأنه يحدث صدفة ، والكل نيام-الشمعة التي تنقلب والملاءات التي تمسك بها النيران ، الحدث الذي يفتقر إلى المعنى ، الحادث ، قطعة من سوء الحظ-وعنصر الانتقاد ، مهما يكن محجوباً ، في الكلمات أبي ، ألا تستطيع أن ترى أنني أحترق؟-توجد العلاقة نفسها فيما نصادفه في التكرار . وهو ، بالنسبة لنا ، ما يمثله مصطلح عصاب القَدَر أو عصاب الفشل . المفقود ليس التكيف ، لكنه البخت *tuché* ، المواجهة ... الوجه المسيج للعلاقة بين الحادث ، ما يتكرر ، والمعنى المحجوب ، وهو الواقع الحقيقي الذي يقودنا إلى الدافع ، ويؤكد لنا أن فك لغز تلك الحيلة في العلاج المعروف باسم الإحالة لا يتناسب مع اختزاله إلى ما يسمى حقيقة الموقف ... ومن الضروري أن نضع هذا التكرار قبل أي شيء في الشقِّ الحقيقي الذي يحدث في الذات فيما يتعلق بالمواجهة . وهذا الشق يشكل البعد المميز للاكتشاف التحليلي والخبرة التحليلية ، إنه يمكّننا من فهم الواقع ، في تأثيراته الجدلية، كشيء لا يُقبل أصلاً.^(١٩٦)

ما يعمل لاكان باتجاهه ، ما أسعى إلى أن نسير باتجاهه ، هو التمهيد المتبادل لبعدي الزمنية المتعلقة بالتحليل النفسي : زمنية التكرار ، من ناحية ، مع علاقتها الحميمة بالإحالة ، بالواقع ، وبالفكرة الأصلية للرض ؛ ومن الناحية الأخرى ، زمنية الزمن المنطقي ، لحظة الرؤية ، الزمن اللازم للفهم ، ولحظة الاستنتاج . وربما كان

الفعل هو ما يوحد كل ذلك في النهاية . إن الإحالة، رغم كل شيء ، هي تشريع واقع اللاشعوري ، الفعل هو ما يفرض التكرار على المحلل وهو أيضا الوسيلة التي يمكن أن تصل بها إلى ما وراء التكرار . تتطلب سفسطة الزمن المنطقي عند لاكان من الشخص أن يساهم بيقينه في الفعل ، وهذا هو البعد الذي ينظم ممارسة الجلسات مختلفة الطول ، لاغيا الزمن اللازم للفهم لحساب لحظات الاستنتاج . ما يُشرع هو ، بالطبع ، تكرار . إلا أن هذا الطريق هو طريق التقدم الوحيد في التحليل النفسي ، تقدم في عصاب الإحالة، تقدم باتجاه الواقع الذي يتم تجنبه دائما .

ربما توجد حقا أشكال زمنية أخرى يتم فصل معها التحليل . من يصاب بالدهشة من مواجهة الإيقاع الأبوقراطي Hippocratic للعة والأزمة والشفاء،^(١٩٧) أو الإيقاعات الموسمية: إيقاعات النمو والنضج والتحلل والتعقيم ؟ إلا أن لاكان اختار أن ينظم اهتماماته بالزمنية حول الترقيم -the punctuality- بكل معانيه-الذي قدمه فرويد في النظرية التحليلية والممارسة التحليلية : فكرة اللحظة الرضوية ، المواجهة المفقودة ، كآفة لعمل المحلل والمحلل ، اللحظة التي لا تتبلور إلا بالاسترجاع ، وتحمل دلالة كل من المصيري (القدر) والعرضي في إيقاع التكرار ، إيقاع الإعادة . وقد تساوى إيقاع الزمن المنطقي ، إيقاع اللحظة التي تستهل فترة الانتظار ، إيقاع التردد، إيقاع التأخير ، الإيقاع الذي يُغلق بالتسرع واليقين ، تساوى مع المخطط الفرويدي، وجعل أيضا الابتكار العملي ممكنا ، مجازفا بكسر الطريق المسدودة لنسق طقسي وحيد باندماجه في نسق آخر ، طريق مسدودة تمنع الطرفين من المواجهة اليومية المفقودة والمتوقعة تماما ، 'صحارى الأبدية المترامية الأطراف' في التحليل اللامتناهي . وقد ذُكر لاكان المحللين بقوة، بابتكاره العملي ، بأن التفسير فعل ، وأن بداية الجلسة ونهايتها بمثابة عملية ترقيم لخطاب الذات ، وأن لكل ما يفعله المحلل والذات ولكل ما يقولانه دلالة تحليلية . وفي النهاية ، ربما يقومان بأسوأ من وصولهما إلى الباب بأسباب الاستنتاج ذاتها .

هوامش الفصل السادس

قدمت نسخة مبكرة من هذا الفصل ، بعنوان 'الحيرة والتردد : عن زمنية اللاشعوري -Hob
'bling and hesitating: on temporality of the unconscious' ، في مارس من عام
١٩٧٩ إلى سيمينار في العلوم الاجتماعية والسياسية ، جامعة كمبردج ، وهو السيمينار الذي
أشرف على تنظيمه أنتوني جيدنز Anthony Giddes . وأود أن أشكره هو وجون ثومبسون
John Thompson على تعليقاتهما ، وأود أن أشكر مالكولم بويي على تعليقاته على
المسودات الأخيرة ، وأن أشكر مارك كُزنز Mark Cousins .

١- لاكان ، السيمينار الحادي عشر ٧٦/٩٦-٧٠ .

٢- فرويد ، (1926e), SE XX 220 *The queestion of lay analysis* .

٣- راجع ،

Winnicott, Maturation processes and the facilitating environment, p.122.

٤- دريدا ، 'فرويد ومشهد الكتابة' ، ص ٩٦-٩٧ .

٥- السيمينار الحادي عشر ٣٢/٣٣ .

٦- راجع ، 'Enfants du parladit' p.122 Allouch, : 'لا توجد نظرية للترقيم (هناك فقط
بعض القواعد الإمبيريقية ، وهي ، مع ذلك ، قابلة للمناقشة ، ومشكوك فيها) وتوجد نظرية
للقراءة بالكاد ...'

٧- راجع ، Roudinesco, *La Bataille de cent ans*, vol2. p.428 .

٨- بالرغم من وجود عدد لا يُحصى من الحكايات التي يمكن أن تُحكى أو التي حكيت بالفعل عن
عدد كبير من المحللين ، حكايات توضح سلوكهم الشاذ غير التقليدي إلا أن هذه الحكايات
ليست قضيتي هنا ...

٩- راجع ، Roudinesco, *La Bataille de cent ans*, vol 2. p.428 .

١٠ - من الواضح أن مسألة الموعد كما نوقشت في الفصل الخامس ، '... شبه الماضي تماما' ،
تتناول نفس القضايا المطروحة هنا . ويجب هذين الفصلين بالتوازي ، وربما يكون علينا
قراءتهما في وقت واحد .

١١- ويشتمل الأمر على موافقة ضمنية بين المريض والمؤسسة ، بافتراض أن الرابطة الدولية للتحليل النفسي اضطرت ، في ردها على لكان ، إلى تقديم الشرط بأنه لا يجوز إلا لمن يلتزمون التزاما صارما بالجلسات محددة المدة أن يعتبروا أنفسهم محللين نفسيين .

١٢- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٢٤٤/٣٧ .

١٣- إنها التيمة التي تغلب على البحث الذي قدمه عام ١٩٣٨ عن الأسرة ؛ على سبيل المثال :

'Notre expérience nous porte à désigner la détermination principale [de la grande névrose contemporaine] dans la personnalité du père, toujours carente en quelque façon, absente, humiliée, divisée ou postiche' (La Famille 8 . 40 . 16, Les Complexes familiaux, p.73).

١٤- في الفقرة التي يختارها ستراتشي كفقرة تبشر بالمناقشة التي تتلوها ، في الكف والعرض والقلق، عن هذه الآلية الدفعية المميزة للتفكير الاستحواذي ، يشير فرويد إلى تحويل الرتمان لمخاوفه الاستحواذية إلى العالم التالي كما صُمم-برغم أنف الواقع ، وإذعاننا للرغبة التي اتضحت في تخيلات من كل نوع-ليلفي حقيقة موت أبيه' (6-235 SE X, (1909d)

١٥- الكف والعرض والقلق ، SE XX 119 .

١٦- المصدر السابق ، SE XX 120 .

١٧- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٩٩/٣١٤ - ١٠٠ .

١٨- المصدر السابق .

١٩- المصدر السابق .

٢٠- المصدر السابق.

٢١- المصدر السابق . واصل لكان : 'مع ذلك ، لستُ هنا لأدافع عن هذا الإجراء ، ولكن لأبين أن له معنى جدليا دقيقا في تطبيقه التقني.

ولستُ الوحيد الذي لاحظ أنه يصبح في النهاية إجراء مع التقنية المعروفة باسم Zen، وهي تقنية تُستخدم كوسيلة للكشف عن الذات في التنسك التقليدي في بعض مدارس الشرق الأقصى .

قضى لاكان بعض الوقت أثناء الحرب العالمية الثانية في تعلم اللغة الصينية وحصل على دبلوم من مدرسة اللغات الشرقية في باريس .

٢٢- يمكن للمرء أن يتأمل في التناقض الذي يتعلق بعمل الاستحواذي الذي وضعه لاكان ('ازدراؤه' للمحللين ، إدراكه 'المطلب العاطفي' للاستحواذي) بواسطة الإجراء التقني الذي سمعتُ من يؤيده ، في وقت متأخر من الليل ، على مائدة الشرب ، سمعتُ محللاً لاكانيا 'أرثوذكسيا' يوصي بأن تلك الموضوعات التي يتركها المرضى نتيجة النسيان في غرف الانتظار في عيادات محلليهم يجب إلقاؤها في سلة المهملات (poubelle à la) .

٢٣- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ١٠٠/٣١٥ .

٢٤- المصدر السابق ، كتابات ٩٥/٣١٠ .

٢٥- راجع ، 'Bataille D'une pratique', p. 30' .

٢٦- يمكن للمرء أن يسمع أيضا نقدا لاكانيا لهذه الممارسة اللاكانية : لماذا هذا التكتّم ؟ لماذا هذا الارتباك مع الكلمة ، مع الكلام ، حين يمكن للمرء أن يزعم بحق أن المحلّ هو بدقة يعتمد وجوده الحقيقي على قدرته على العثور على الكلمة المناسبة ؟- مع أن عليه أن يتأكد من أنها في الوقت المناسب . ولكن إذا لم يكن المحل مستترحا في فن الحادثة ، فهل يكون من المؤكد أن شيئا انحرف انحرافا أساسيا عن الطريق القويم ؟

٢٧ - في الواقع ، يمكن أن نطرح هذا السؤال في عدد من النقاط في هذه المناقشة ، خاصة حين أعود إلى مناقشة المفهوم الفرويدي للفعل المؤجل-هل هو حقا أحد المفاهيم التحليلية التي جعلت العلاقة بين دريدا والتحليل النفسي علاقة حميمة ومتضافرة إلى هذه الدرجة ؟ أليس تمازج الفضاء والفراغ والزمن ، تمازج التأخير والتأجيل ، الذي يبلوره مصطلح -différer-ance ، وهو ما يتأسس عليه هذا الفصل ، أليس هذا التمازج مصدرا كبيرا من مصادر الحدس ، التي يلتقي عندها تفكير دريدا مع التحليل النفسي في الأعماق ؟

٢٨ - 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٢/٤٤ .

٢٩ - خاصة تلك التي قدمها له كارل إبرهام ، محاوره الرئيسي في هذا الموضوع .

٣٠ - الأنا والهو (SE XIX 85), (1932 b) . وانظر أيضا الكف والعرض والقلق (SE 1926 d),

129-30 XX): 'لا يبدو أن اللاشعوري يقدم أي محتوى لمفهومنا عن انتهاء الحياة ... لا يمكن أبدا إدراك شيء يشبه الموت ؛ وإذا حدث ، كما في حالة الإغماء ، فإنه لا يترك أي أثر ملحوظ وراءه'. يكتب بونتالي في 'عن عمل الموت في أعمال فرويد ، في الذات Self، في الثقافة' (ص ٩٠) : 'كما في التأكيد الذي رده فرويد كثيرا "لا يمكن للاشعورنا أن يتخيل موتنا" ، هل هذا إنكار ؟ "سهو" فضولي أو تدخل في حالة كل من يقدر على إدراك وظيفة القرين وملاحظة عدد كبير. ما الصور الرمزية للموت في الأحلام أو في الحكايات ... وإذا لم نفهم عبارة "اللاشعوري لا يعرف النفي" على النحو التالي : إنه لا يعرف النفي لأنه نفي ... وهو نفي لدرجة أن مكونه الأصلي ، كنسق غير متجانس ، يرتبط بالفقد والغياب ونفي موضوع الإشباع'.

٣١- لم يعدل فرويد هذا الرأي إلا في هامش ، أضافه في عام ١٩١٨ ، وهو عام مهم بالنسبة لتفكيره في الموت ، وفيه أشار طفل إلى أن الاختلاف يكمن في حقيقة أن الشخص الميت لن يرجع مرة أخرى وبالتالي فهو يعاني من عقاب 'لا يقبله بأية درجة' [nicht dosierbar] ، كما ورد في تعليق فرويد .

٣٢- 'أفكار عن زمن الحرب والموت' 3-292 SE XIV, (1915b)

٣٣- قارن مع 'إن الخوف من الاكتئاب لا يقبل سوى تفسير وحيد : تقدم الأنا نفسها لأنها تشعر بأن الأنا العليا تكرهها وتضطهدها ، بدلا من أن تحبها (الأنا والهوى SE XX, (1923b) 58.

٣٤- المصدر السابق .

٣٥- انظر ، الكف والعرض والقلق (SE XX 136 ff), (1926d)

٣٦- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ١٠٠/٣١٥ .

٣٧- انظر ،

Hyppolite, 'Spoken commentary on Freud's Verneinug' and Thom, 'Verneinug, Verwerfung, Ausstossung: a problem in the interpretation of Freud'.

٣٨- السيمينار الثاني ، ١٦٩/٢٠٢

٣٩- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣١٩/١٠٤ . وتستمر الفقرة : 'الرمز الأول الذي نتعرف فيه على الإنسانية في بقاياها الأثرية هو القبر ، ومن الممكن معرفة ما يتوسط الموت في كل علاقة يصادف فيها الإنسان حياة تاريخه . ' وهو موضوع دائم في كتابات لاكان : مثلا ، السيمينار السابع عشر (٨ إبريل ١٩٧٠) ، حيث يؤكد لاكان أنه من الممكن أن نلاحظ أصل الإنسان المتكلم مع اللحد : 'حين تؤكد طائفة، يتعارض كل فرد فيها مع الآخر ، أن جثمان الميت يحفظ ما يقدم للكائن الحي سماته الجسدية . '

٤٠- قارن ، السيمينار السابع عشر (٢٠ مايو ١٩٧٠) : 'إذا كان هناك احتمال لفهم الواقع ، فسوف يكون على السبورة' .

٤١- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٣٠/١٠٥ .

٤٢- كما عبر عنها لاكان في حلقات السيمينار في أواخر الستينيات ، مطورا التيمة التي كانت تيمته المميزة منذ الثلاثينيات ، الأب ، في طبيعته الأصلية ، ميت بالفعل .

٤٣- 'التطور الإضافي للعلاج الفعال في التحليل النفسي' (١٩٣٠) ، في مساهمات إضافية ، ص ٨٨١ .

٤٤- المصدر السابق .

٤٥- المصدر السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ . في الأعمال التالية ، كما يشير لبلانش وبونتالي (اللغة والتحليل النفسي ، ص ٧) ، وقف فرينزي ضد التقنيات الفعالة ، على أساس أن المريض نفسه هو الذي يجب عليه أن يقرر التوقيت ، أو يقدم دلائل لا تخطئ على أن الوقت مناسب . يؤكد لبلانش وبونتالي أن التقنيات الفعالة تسعى إلى التكرار سعيا خاصا: 'للتغلب على الاضطراب إلى التكرار وجعل التذكر ممكنا في النهاية-أو على الأقل ليسمح بتقديم العلاج ويرى فرينزي أننا لسنا فقط في احتياج إلى السماح بالتكرار ولكن علينا بالفعل أن نشجع على التكرار' (ص ٧) . وقد يكون ذلك صحيحا على وجه العموم ، إلا أنه يهمل حقيقة أن فرينزي يشير إلى موقف ثالث ، فوق التكرار والتذكر ووراءهما ، اللذين يتم التلميح إليهما هنا بصورة كلاسيكية : كان فرينزي يحاول التفكير في زمنية الركود : وإذا كان التكرار مطلوبا لتجنب الركود فمرحبا به .

٤٦- إن نقد لاكان للتعارض بين التقنيات الفعالة والتقنيات السلبية ، يتأسس كما هو الحال غالبا على مفهوم غير ناضج عن السلبية ، يمكن أن يوضع في مرحلة مبكرة من مساره . كان لاكان يفكر في خطوط تشبه خطوط فريينزي وكان لاكان قد بدأ تطوير مفهومه الأصلي ، الذي سنفحصه بالتفصيل ، حين علق في 'Review of E., Le Temps vécu' في عام ١٩٣٥ : 'المفهوم الأصلي للانتظار [l'attente] بوصفه أطروحة حقيقية عن الفعالية (بدلا من السلبية ، 'كما قد يتمنى السبب الذي قدمه') مفهوم أصيل ويحتاج إليه النسق' (ص ٤٣٠).

٤٧- بهذا المعنى يكون التصوير الذي قدمه لاكان للاستحوازي امتدادا صادقا وتكميلا للوصف الذي قدمه فرويد للآلية الدفاعية الرئيسية عند الاستحوازي ألا وهي 'إبطال ما فُعل' والتأكد من أنه لا يوجد شيء يُفعل .

٤٨- لاحظ إبراهيم في مناقشته للرضوض والأسرار ملاحظة تأتي في صورة حكمة : 'الهستيريون هم أولئك الناس ذوو الجاذبية الذي يحدث لهم شيء دائما' (خبرة الرضوض الجنسية كشكل من أشكال النشاط الجنسي' ، ص ٥٧) . ويمكن أن نعرف مرضى الوسواس القهري بأنهم أولئك الناس المملون الذين لا يحدث لهم شيء أبدا .

٤٩- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٩٩/٣١٤ .

٥٠- وهكذا يصبح وسيلة بديلة لاستنتاج السمات المميزة لتلك التي كتبها فرويد في 'Character and anal erotism'.

٥١- كتابات ٧٧/٢٨٩ . هذه هي الفقرة الختامية في القسم الثاني من 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما في التحليل النفسي' : وهي تلخص ما توصل إليه القسم الثاني ، وتذكر هدف القسم الثالث والآخر ، وعنوانه الجانبي : 'أصداء التفسير وزمن الذات في تقنية التحليل النفسي' .

٥٢- هذه هي الفقرة الافتتاحية في بحث لاكان ، 'Le temps logique et l'assertion de certitude anticipée' . وقد عدلتُ في ترجمتي تعديلا طفيفا في ضوء ترجمة على وشك الظهور وقد قام بها بروس فينك Bruce Fink ومارك سيلفر Marc Silver ، وأود أن أوجه لهما الشكر لأنهما أتاحا لي الاطلاع على النسخة قبل نشرها . وسوف تتابع المناقشة التي نقدمها هنا بحث لاكان بدقة منذ البداية .

٥٣-علينا أن نتذكر أن التحذير الذي وضعه الحاكم لوسائل حل المشكلة ، منع أي تواصل بين الأشخاص ، قد تم تجاوزه ، حيث أن ظروف المشكلة تشير أيضا إلى أن التواصل اللاإرادي يحدث . إن فعل الانتظار الحقيقي يعادل التواصل مع الآخرين ، بقدر ما يكون الانتظار نتيجة لعملية تفكير تصادف مأزقا أوليا يتمثل في إدراك كل منهم لعدم وجود طريقة لحظية لاستبعاد بعض توليفات الدسكات . يعرف كل منهم ، برؤية دسكين أبيضين ، أن الدسك الذي معه يمكن أن يكون أبيض أو أسود . وهكذا يُعزى تقطيع الشخص للزمن المنطقي للمشكلة إلى تواصل لا يرى فيه أبيض وأسود . وهكذا تكون المشكلة المنطقية لتوليفات محتملة بين مجموعة من الدسكات قد تحولت من مشكلة التخيل المنطقي الفردي إلى مشكلة يتواصل فيها التواصل بين الذات على ثلاثة أزمنة محتملة ومختلفة . ونجد ، في الحقيقة ، بمزيد من الفحص للمشكلة أن لحظتين زمنيتين معلقتين ضروريتان لحل جلي للمشكلة .

٥٤- 'الزمن المنطقي' Le temps logique (١٩٤٥) ، كتابات ٢٠٥-٢٠٦ .

٥٥- انظر 'سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا' (1921c), SE XVIII 111-16m 143 .

٥٦- لدينا في هذه المقولة عن 'المقياس المشترك' مفهوم الوحدة الموضوعية للزمن ، ولكنها وحدة ليس لها أمد ثابت . وهذه الوحدة الموضوعية للزمن هي الوحدة التي تنبثق في علاقة الذات الفردية بالجماعة : إنه الزمن الموضوعي للاشعوري .

٥٧- يمكن لنا أن نقارن هذه الخطوات الثلاث بمخطط فرويد في سيكولوجيا الجماعة :

(١) تكوين الأنا المثالية

(٢) تقمص الأنا للآخرين على أساس امتلاك الأنا المثالية نفسها

(٣) تكوين الذات ، بسرعة

٥٨- بقدر ما أعرف ، من النادر أن تتجه اتهامات الخداع في لعبة البريدج إلى فترة الانتظار حين يكون اللاعب مضطرا للعب الكارت ، لكنها تبقى مقصورة على التفكير . ظاهريا ، يمكن استخدام أزمنة الانتظار المختلفة موضوعيا كإشارة إلى الرفيق . ولكن ، بالخبرة في اللعبة ، لا تُقاس فترات الانتظار بالزمن الموضوعي . إن الزمن اللازم للفهم في البريدج ، كما هو الحال في مشكلة السجين ، يكتسب معناه الموضوعي بمجرد اتخاذ القرار . وإذا حاول لاعب

أن يتناول هذا الزمن اللازم للفهم ، لا يمكن له أن يفعل ذلك إلا باستشارة الشكوك في نفسه (أو يراجع نفسه) ، وفي الآخرين ، الشكوك التي كان يظن أنه تخلص منها حين 'أكمل' الزمن الحقيقي اللازم للفهم ودخل فوراً-الزمن الهزلي الذي جاء بعده ، وربما يكون عليه هو نفسه ، بالاسترجاع ، أن يدرك أن ما كان يعتقد أنه هزلي في الانتظار كان ، في الحقيقة ، فترة حقيقية من فترات الانتظار . طرحتُ هذا السؤال على أحد أبرز اللاعبين في البريدج في هذا القطر ، وقد بعث بالرد التالي : 'ومهما يكن الأمر إلا أنني أشك فيما إذا كانت التغيرات في الزمن بواسطة المدافعين طريقة مناسبة لتبادل المعلومات بطريقة غير قانونية . والأكثر احتمالاً ، أن يشكوا من يعلنون عن الورقة الرابعة من تضليلهم بصورة غير عادلة . ولا بد من وجود طرق أبسط لنقل الرسالة ، وعموماً لماذا يكون على المدافع الذي يتعرض للاحتيال أن يخبر رفيقه بشيء غير واضح ؟' (رسالة من تيرنس ريس Terence Reese ، في ٨ إبريل ١٩٨٠) ويوجد رد على هذه المناقشة في عمود تيرنس ريس في الأوبزرفر ، بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٨٠ ، حيث يتناول القواعد التي تتطلب من اللاعبين الانتظار ، في ظروف معينة ، قبل المحاولة ، بحيث تصبح كل فترات الانتظار التي يمكن أن تمتد اللاعبين الآخرين بالمعلومات بدون معنى (سواء أكانت معلومات صحيحة موجهة إلى الرفاق أول معلومات بهدف تضليل المنافسين) .

٥٩-انظر ،

Von Neumann and Morgenstern, *Theory of Games and economic behavior*, and Rapoport, Two-person theory. The essential ideas.

٦٠-أو ، كما كتب لاكان عنوانه الألماني الأصلي ، *Massen: Psychologie und Ichanalyse* ، يؤكد على مصطلح Massen ، الذي يميز ، إلى حد بعيد ، التفكير السياسي والممارسات التاريخية في النصف الأول من القرن العشرين ، سواء أثناء الحرب العالمية الأولى ، أو أثناء ازدهار النازية أو انتصار البلشفية .

٦١-إن مفهومه لمركزية القاعدة في النشاط الاجتماعي يشبه مفهوم معاصره ، لويدج فيتجنشتاين . انظر الفصل السابع .

٦٢-قارن ، معالجة موضوع الآلة التي تنتج توابع جديدة في ملاحق 'سيمينار عن الرسالة المسروقة'

٦٣- انظر ،

'Le nombre treize et la forme logique de la suspicion', Cahiers d'Art 1945 .

والبحث ليس ضمن الأبحاث التي نشرت في كتابات (المنشور عام ١٩٦٦) ولم يعاد طبعه ، بقدر ما أعرف ، بتصريح من لاكان . وهو ضمن مجموعة لاكان التي عنوانها -Travaux et interventions ، بدون أرقام .

٦٤- المصدر السابق ،

'Elle fait partie de nos approches exemplaires pour la conception des formes logiques où doivent se définir les rapports de l'individu à la collection, avant que se constitue la classe, autrement dit avant que l'individu soit spécifié' (n.p.)

٦٥- المصدر السابق . يذكر أيضا أنه إذا كان هناك ، في الحكم النهائي ، وفي أسطوريته عن الاختيار، مائة مليون روح ، وبافتراض أن 'ن' تساوي ٢٦ فإنها ستكون كافية لعزل الروح المفردة المختلفة .

٦٦- 'الزمن المنطقي' Le temps logique (١٩٤٥) ، كتابات ، ٢١٣ .

٦٧- لا يوجد ضمن كتابات ، وربما كان موجودا في . Travaux et interventions.

٦٨- ذكر رياضيات لوين Lewin التوجيهية ومفهوم عقدة أوديب كمشكلة بين ثلاثة أشخاص . وهي إشارة إلى بحث جون ريكمان ، الذي كان على لاكان أن يقتبس منه بتقدير عظيم له في السيمينار الأول ، ليدخر فقط بعض الانتقادات الحادة التي كثيرا ما تتكرر لمفهوم السيكلوجيا كمشكلة بين شخصين أو ثلاثة . انظر السيمينار الأول ١١/١٧ ؛ وظيفة الكلام واللغة، ومجالهما كتابات ٥-٣٠٤ / ١-٩٠ ؛ 'الشيء الفرويدي' كتابات ١٢٩/٤٢٩ .

٦٩- تحدد قراءة Bion's Experiences in groups المصدر الموضوعي لإدراك لاكان لبداية جديدة مذهشة ، متحليا بالروح الفرويدية .

٧٠- تعني كلمة unité أيضا 'وحدة' unity، وهكذا يمكن أن يكون معنى العبارة أيضا 'العودة إلى الوحدة' .

٧١- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٧٦-٧ ٦/٦٥

٧٢- انظر الفصل السابع [من الأصل الإنجليزي ، وهو الفصل المترجم هنا بعنوان التحليل النفسي والكلمات- المترجم] ، 'ماذا يفعل التحليل النفسي بالكلمات' .

٧٣- وحتى نسق اللغة قد يكون المحرك الأصلي لبعض الإيقاعات الزمنية : 'الرق والعظمة اللذان يمكن أن يتحطم الكائن الحي فيهما تحطما تاما ، إذا لم تحفظ الرغبة دورها في التدخلات والنبضات التي تحدثها دورات اللغة لتؤثر عليه ...' ('وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٧٩/٦٨) . تتكرر كثيرا الإشارة المبهمة إلى 'النبضة' في السيمينار الحادي عشر .

٧٤- السيمينار الثاني ٢٩١/٣٣٦؛ وقد تم تعديل الترجمة في ضوء إشارة لكان إلى قصيدة مارفيل .

٧٥- انظر شينيدرمان ، *Rat Man*؛ وماهوني *Freud and the Rat Man*؛ ولاكان ، 'The individual's neurotic myth'؛ وانظر أيضا المناقشة الواردة في الفصل السابع ، 'ماذا يفعل المحلل النفسي بالكلمات' ، حيث توجد المصادر كاملة .

٧٦- جاءت نظرية لكان عن الخطابات الأربعة four discourses فيما بعد في أواخر الستينيات كابن شرعي للمنطق الذاتي عنده : خطابات السيد والهستيرى والمحلل والأكاديمي . وقد قدم هذا المشروع تحليلا كاملا للعلاقات بين الذات ، التي تحتوي على أربعة مصطلحات : الذات ودالين اثنين والموضوع الصغير أ . وبمعنى ما ، كان ذلك هو ارتباط التحليل النفسي بتحليل الخطاب الذي كان يقدمه ميشيل فوكو- بينما تجسدت في ، المخطط الهيكلية بصورة أساسية ، علاقات القوى التي شعر فوكو بالاضطرار إلى تجسيدها في عمله التالية ، جينولوجيا المعرفة والعقاب وتاريخ النشاط الجنسي ، الجزء الأول . انظر الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب (الأصل الإنجليزي).

٧٧- توجد أيضا مسألة غامضة تماما في البحث الأصلي عن 'الزمن المنطقي' ، مسألة العلاقة بين 'السيكولوجيا' والمنطق ؛ ويبدو أن لكان يحل هذه المسألة بافتراض التوازي بينهما : تأتي هذه الحركة لتولد "ضمير المتكلم" البصورة منطقية بتوضيح أن الزمن المنطقي الملازم يتوازي بدقة مع أصله السيكلوجي ؛ مثلما ، لو نتذكر ، يحذر "ضمير المتكلم" السيكلوجي نفسه من الانتقال التأملية غير المحدود بمساهمة نزعة استيقظت كغيرة ، إن "ضمير المتكلم" الذي نحن

بصدده هنا يُعرّف في صلب التنافس مع الآخر "بصبغة ذاتية" [subjectivation] غير
وظيفة الزمن المنطقي . وهكذا يبدو لنا أنه يقدم الشكل المنطقي الأساسي (بدلاً مما يدعى
الشكل الوجودي) "لضمير المتكلم" السيكلوجي 'الزمن المنطقي' ، (١٩٤٥) ، كتابات ٢٠٨ .
٧٨- انظر ، '6-265 SE XXIII (1937d), Constructions in analysis' .

٧٩- انظر ، لاكان 'سيمينار عن الرسالة المسروقة' ، ص ٤٤ (الترجمة [إلى الإنجليزية] [بتصرف] .
٨٠- السيمينار الثاني ٤١-٢٣١ / ١ - ١٠ . وانظر المناقشة الموازية في مقدمة 'سيمينار عن
"الرسالة المسروقة" "Le Séminaire sur "La Lettre volée" (١٩٥٦) ، كتابات ٦٠ - ٧٥ .

٨١- للاطلاع على مجموعة النصوص التي تناولها سيمينار لاكان ، انظر

Muller and Richardson, The purloined Poe, Lacan, Derrida and psychoanalytic reading, and the provocative reflections of Major, 'La parable de la lettre volée. De la direction de la cure et de son récit', following Derrida, 'Le facteur de la vérité'.

٨٢- السيمينار الثاني ١٨١/٢١٤ .

٨٣- ليس من المؤكد ما إذا كان قد وجد مثل هذا الطفل الصغير الذي نال أكثر مما يسمح به
حظه... لكن لب القضية يكمن في تسجيل يختلف اختلافا تاما عن تدوين ما بين الذوات
الخيالي' (السيمينار الثاني ١٨١/٢١٣) . قارن ، كتابات ٥٩ .

٨٤- السيمينار الثاني ١٨١/٢١٤ .

٨٥- السيمينار الثاني ١٨٤/٢١٧ .

٨٦- انظر ، 'مقدمة سيمينار عن "الرسالة المسروقة" (١٩٥٦) ، كتابات ٤٦ . وهو نص آخر من تلك
النصوص، من قبيل 'الزمن المنطقي' والرقم ثلاثة عشر' ، وهو محاولة ، أو حتى تقليد pas-
tiche، لنظرية رياضية أساسية عن بعض خصائص الذات-الخصائص التي توصف عادة
بأنها 'سيكلوجية' ، وهي ليست رياضية وليست أساسية . إلا أن هذا النص ، مرة أخرى ،
من النصوص التي لم تحظى إلا بتعليقات نادرة .

٨٧- المصدر السابق ، كتابات ٤٨ .

٨٨-المصدر السابق ، كتابات ٤٩ .

٨٩-من الملائم أن نربط الزمن اللازم للفهم لحظة الاستنتاج بمفاهيم فرويد عن 'working through' كما أشار لاكان إلى ذلك صراحة في وظيفة الكلام واللغة ومجالهما ، كتابات ٢٤٩/١٤ .

٩٠-ما زال المصطلح في حاجة إلى معالجة دقيقة في الإنجليزية ، حيث أن 'الفعْل المؤجل' *deferred action* عند ستراتشي لا يعتبر ترجمة دقيقة لمصطلح يأخذ شكلا وصفيا واضحا ، شكلا يستخدمه فرويد كثيرا . وفي هذه الحالة تكون الترجمة الفرنسية القياسية ، *après coup* ، أكثر قربا من جوهر المصطلح الألماني وأكثر دقة .

٩١-لاكان ، السيمينار الحادي عشر ٣٢/٣٣ .

٩٢-فرويد ، 'Findings, ideas, problems' (SE XXIII [1938]) .

٩٣-يوضح فرويد هذه الاستمرارية في بحثه عن

'Dostoevsky and parricide' (1928 b), SE XXI 2180

٩٤-يمكننا أن نرى سارتر ومارلو بونتي كنموذجين أساسيين في التعبير عن هذا الرأي .

٩٥-يمكن لنا أن ننظر إلى الفقرة المنشورة في عام ١٩٣٨ بوصفها تصحيحا لهذا التعميم .

٩٦-راجع ، 'Some general remarks on hysterical attacks' (1909a) [1908], SE IX 40-233

٩٧-للاطلاع على مناقشة لهذه التيمة في أعمال فرويد عن التنويم ، انظر الفصلين الثاني والرابع [من الأصل الإنجليزي] .

٩٨-انظر المناقشة الواردة في :

'Being in love and hypnosis' in Group psychology and the analysis of the ego (1931c), SE XVIII 111-16 .

٩٩-انظر مناقشة فرويد للعلاقة بين التحليل النفسي والإحالة والإحياء في محاضرات تمهيدية عن التحليل النفسي SE XVI 446-55 (1916-17). وللإطلاع على العلاقات بين التنويم والحب والانا المثالية

- ، راجع كتاب Borch-Jacobsen وهو كتاب مهم بعنوان: *Le sujet Freudien* ،
- ١٠٠- للاطلاع على التطورات الميتاسيكولوجية ، راجع مشروع سيكولوجيا علمية SE I (1895)، 295-387 ووراء مبدأ اللذة SE XVIII 7-64 (1920g) .
- ١٠١- مع أننا لا يجب أن نقلل من مقدار اهتمام المحللين بهذا الموضوع ، إلا أنهم يواجهون بالرضوخ ويضعون نظريات تتعلق بها ؛ انظر العمل النموذجي :
- Khan, 'The evil hand' in his Hidden Selves. Between theory and practice in psychoanalysis, pp. 80-139 .
- ١٠٢- راجع ، Ellenberger, The discovery of the unconscious. ،
- ١٠٣- راجع ، Abraham 'The experiencing of sexual traumas', p. 16' .
- ١٠٤- راجع ،
- Charcot, 'Cas d'hystéro-neurasthénie survenue à la suite d'une collision de train chez un employé de chemin de âgé de 56 ans', in L'Hystérie.
- ١٠٥- المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
- ١٠٦- قارن فرويد ، الوسائل الكاملة من سيجموند فرويد إلى ويلهلم فليس ، ص ١٤٤ ، ١٥ أكتوبر : 'هل كشفت النقاب عن سر إكلينيكي عظيم ، شفها أو كتابيا ؟ الهستيريا تحدث نتيجة للصدمة الجنسية قبل الجنسية . ويحدث عصاب الوسواس القهري نتيجة للذة الجنسية قبل الجنسية التي تتحول بعد ذلك إلى لوم [ذاتي] . وتعني "قبل الجنسية" presexual قبل البلوغ بالضبط ، قبل فرز المواد الجنسية ؛ ولا تصبح الأحداث المتعلقة بذلك أحداثا مؤثرة إلا بواسطة الذاكرة .'
- ١٠٧- راجع شاركو ، 'Paralysie hystéro-traumatique' in L'Hystérie p. 92.
- ١٠٨- راجع شاركو ،
- 'A propos de six cas d'hystérie chez l'homme', in L'Hystérie, pp. 155-6.
- ١٠٩- انظر ، SE II 134 ؛ يشير فرويد إلى

Charcot, Leçons du Mardi, 1888, vol. I, p. 99

ويتضح دور بروير بصورة أكبر في هذا الاكتشاف في SE II 213 ، وخاصة فيما يتعلق بالهستيريا الرضوية ، ويقتبس مرة أخرى عن شاركو 'إن تجديد العاطفة في الذاكرة كثيرا ما يكون كافيا أيضا ، إذا تكرر التذكر مرة عديدة بسرعة ، بعد الرض مباشرة وقبل أن يضعف تأثيره العاطفي' .

١١٠-دراسات عن الهستيريا SE II 6 (1896d)

١١١-لا يختلف هذه الممارسة التي وصفها لاكان عن إلغاء فرويد للأوقات اللازمة للفهم لصالح لحظات الاستنتاج-يلغى مرور الزمن الفاصل بين الأحداث لصالح سردية القصة-بالطريقة التي يمكن بها لرواية كلاسيكية أن تقدم بابتهاج مرور خمسة أعوام أو عشرة لتنتقل إلى الحدث (أو الفصل) التالي .

١١٢-يمكن دعم هذه الاستمرارية بمفهوم التخلص ، بحيث يتم ربط التعليق السطحي ، حبل الحوادث ، مع أساس التخلص . وهذا ما تقوله عبارة من العبارات المميزة المتعلقة بالتخلص ، 'يحول الماسوشي الحقيقي خده دائما حين يجد فرصة للصفح' SE XIX 165 (1924c) ، تعبر عن كل الأحداث المنفصلة للسلوك الماسوشي وتجعلنا لا نندهش إذا بدا أي سلوك ماسوشي في المستقبل وكأنه بلا سبب .

١١٣-دراسات عن الهستيريا SE II 173 (1895d) . الحالة التي تتم مناقشتها هي حالة Rosalia H. ، التي قدمها فرويد بكل دقة ليجعل دعواه أكثر 'قبولا' ، دعواه بأن الأعراض 'لا تحدث والمريضة تخبر انطباعات الفترة الأولى ، ولكنها تحدث بعد الحدث [nachträglich] ، أي ، في الفترة الثانية ، حين تتولد هذه الانطباعات في تفكيرها . بمعنى أن التحول [الهستيريا-المترجم] لا ينشأ عن انطباعات ، ولكنه ينشأ عن ذكرياتها : -Die Konversion sei erfolgt nicht an den frischen Eindrücken, sondern an den Erinnerungungen derselben] بروير وفرويد ، دراسات عن الهستيريا Studien über Hyster- ie, p.138; SE II 169 : الترجمة [بالطبع ، الترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية - المترجم بتصرف ملحوظ .

١١٤- سوف يتم تعليق الدلالة الشخصية للحالة على هوية المريضة . ولم تخضع هوية إماً Emma كما دعاها فرويد في المشروع لمزيد من التأمل ؛ إلا أنه يبدو من المقبول بالنسبة لي أنها إما إكشتاين Emma Eckstein، المريضة التي ربطت بين فرويد وفليس ، وقد كُتِبَ عنها الكثير منذ ماكس شور Max Schur في عام ١٩٦٦ قصتها كاملة ، بالصورة التي وجدت عليها في مراسلات غير منشورة بين فرويد وفليس (, Some additional 'Schur, day resi- "of specimen dream of psychoanalysis" dues، ومنذ جعلها جيفري ماسون Masson، بكثير من الضجيج الأجوف ، البطلة الضحية في التاريخ المبكر للتحليل النفسي . وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة ، فربما يدين المفهوم الحقيقي للحدث ، بلغة التحليل النفسي (أي الرض) ، بشيء 'الأحداث' جرت في مارس ١٨٥٩ ، حين كادت إما أن تفقد حياتها نتيجة لجراحة 'خاطئة' أجراها فليس ، ولأثار تلك الأحداث . وإذا كانت إما-فسيكون من الشيق إلى حد بعيد أن فرويد طور التفصيلات الدقيقة لمناقشاته المتعلقة بالفعل المؤجل الذي يتلاءم مع المريضة التي كانت قبل ذلك بعام ضحية لخطأ جراحي جعلها على عتبات الموت ، خطأ ارتكبه فليس صديق فرويد . وربما كنا ندين بالفضل لتفاعلات فرويد الشخصية لهذا الحدث مع المريضة فيما يتعلق بنظريته الدقيقة عن إشباع الأمنية وعن العلية في الأعصاب .

١١٥- المشروع SE I 353 ؛ التأكيد في الأصل .

١١٦- المصدر السابق SE I 354

١١٧- المصدر السابق .

١١٨- المشروع SE I 356

١١٩- المصدر السابق .

١٢٠- راجع ،

(1896b) SE 'Further remarks on the neuro-psychoses of defence' III 7-166 n2

التأكيد في الأصل . وبعد أسابيع قليلة من إرسال هذا البحث إلى المجلة ، لخص فرويد 'نظريته عن الأعصاب' لفليس على النحو التالي : 'أظن أن حدود الكبت في نظريتي عن

الأعصاب-أي ، الزمن الذي لا يكون للخبرات الجنسية بعده أي تأثير باستثناء التأثير الأصلي-يتصادف مع ظهور الأسنان الدائمة (الرسائل الكاملة من سيجموند فرويد إلى ويلهلم فليس ، ١ مارس ١٨٦٩ ، ص ١٧٤) .

وبالمثل في رسالة مؤرخة في ٦ ديسمبر ١٨٦٩ : 'إذا أفرز [حدث A] ، أثناء حدوثه تعاسة من نوع خاص ، إذا أفرز حين يتم بعثه من جديد تعاسة جديدة ، من ثم لا يمكن إحباط هذه التعاسة . وفي هذه الحالة تتصرف الذاكرة وكأنها حدث يجري الآن . ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا مع الأحداث الجنسية ، لأن حجم الاستثارة التي تفرزها تتزايد مع مرور الزمن (مع النمو الجنسي) .

وهكذا يؤثر حدث جنسي جرى في إحدى المراحل على المرحلة التالية كما لو كان حدث جاريا وبالتالي لا يمكن إنهاؤه . إذن ما يحدد الآلية الدفاعية الباثولوجية (الكبت) هي الطبيعة الجنسية للحدث وحدثه في مرحلة سابقة (المصدر السابق ، ص ٢٠٩) . وفي هذه الرسالة يستخدم فرويد نظرية فليس عن الدورية periodicity لكي يستنتج الفترات المختلفة التي يركز عليها تعليقه عن الكبت : يحاول أن يقدم تعليقا عن هذه الفترات فيما يتعلق بالرقم التقريبي الذي يتضاعف بلانهاية (فترة) فليس .

١٢١-المشروع ؛ علينا أن نشير إلى أن الفقرة تعود إلى عام ١٩٦٦ .

١٢٢-لبلانش وبونتالي ، اللغة والتحليل النفسي ، ص ١١١ ، ص ١١٣ .

١٢٣ -السيمينار الحادي عشر ١٩٧/٢١٦ . يعيد لاكان في بحث ، وضع اللاشعوري ، أيضا ، كما في السيمينار الحادي عشر ، وهو يعود إلى عام ١٩٦٤ ، يعيد تأكيد أسبقيته في هذه القضية : انظر فقرة من كتابات ٨٣٩ مقتبسة في الهامش رقم ١٣٧ .

١٢٤ -'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٦/٤٨ ، مشيرا إلى SE XVII and n1 text . وفي هامش لهذه الفقرة يلاحظ لاكان أن 'après coup'ترجمة ضعيفة لهذا المصطلح، إنه تعليق ساخر إلى حد ما يكاد يقدم الاستخدام الفتشي لهذا المصطلح في تراث التحليل النفسي الفرنسي المتأثر تأثرا كبيرا بلاكان .

١٥٢ -'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٦/٤٨ .

١٢٦- سيكون من الصحيح بالقدر نفسه أن نقول إن نشأة هذا العصاب الطفولي كان الوسيلة التي فهم بها المشهد الأولي ؛ ومن المؤكد أنها هي الطريقة التي يستخدمها فرويد في تعليقه . قارن ، إشارات لاكان عن العودة إلى المكبوت وأن المكبوت هو الشيء نفسه (السيمينار الأول ١٩١١/٢١٥).

١٢٧ - أنظر فرويد ، 'من تاريخ حالة عصاب طفولي' SE XVII 35-6 (1918 b) .

١٢٨- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ، ٢٥٧/٤٧؛ الترجمة ببعض التصرف .

١٢٩- ليس هذا في اللغة والتحليل النفسي فقط ، ولكن أيضا في بحثهما الكلاسيكي ، 'الفتازيا وأصول النشاط الجنسي' .

١٣٠- السيمينار الأول ٢٤٢/٢١٧ .

١٣١- السيمينار الرابع ، جلسة ٦ مارس ١٩٧٥ ، ص ٨٥١ .

١٣٢- السيمينار الحادي عشر ٦١/٦٣ .

١٣٣- المصدر السابق .

١٣٤- السيمينار الحادي عشر ٦٢/٦٤ . انظر أيضا عبارة مماثلة ، في 'عن مسألة تمهيدية لأي علاج محتمل للذهان' (١٩٥٦) ، كتابات ١٩٧/٣٥٤ : 'فعليا ، يمكننا هذا المخطط [المخطط R] من رؤية العلاقات التي لا تشير إلى المراحل قبل الأوديبيية ، التي ليست غير موجودة بالطبع ، ولا يمكن تصورها بمصطلحات تحليلية (كما تبدو على نحو كاف في عمل ميلاني كلاين وهو عمل يتميز بالتردد ولكنه عمل منضبط) ، ولكنها تشير إلى المراحل قبل التناسلية بقدر ما يتم ترتيبها في استرجاع عقدة أوديب' .

١٣٥- إن مسألة الدافع الأساسي للمراحل التطورية الكلاسيكية في النظرية التحليلية مسألة مثيرة للخلاف ؛ يطرح لاكان فريينزي أحيانا باعتباره المحلل الذي شارك فرويد في هذا المفهوم الخاطئ: misconception بصورة خاصة ، كما في مقاله 'مراحل في تطور معنى الواقعي' : 'فريينزي هو الذي بدأ وضع المراحل الشهيرة في رؤوس الجميع' (السيمينار الأول ١٩٤٦/١٢٧) . ومن المقبول في النهاية أن نزع أن إبراهيم كان الدعامة النظرية الأساسية لهذا الخط في تطور نظرية التحليل النفسي .

١٣٦- يوجد استخدام لاكان لرياضيات العقد knots على نحو صريح في أعماله في السبعينيات ،

لكن استعارة العقدة ، وخاصة فكرة العَرَض كعقدة ، توجد منذ أوائل الخمسينيات .

١٣٧- ربما يكون من المناسب ، لتجنب سوء الفهم في هذه النقطة المفصلية ، أن نوضح أن لاكان استخدم مصطلح 'الاسترجاع' retroactivity ليصف مفهوما آخر من المفاهيم الأساسية في تعليقه على التحليل النفسي : استرجاع المعنى في الجملة ، حيث لا يكون هناك معنى إلا مع المصطلح الأخير في الجملة ، وتكون القراءة إلى الخلف ، ويميز لاكان بوضوح هذا النوع من الاسترجاع عن النوع الذي يستخدمه فرويد '[إغلاق اللاشعوري] يحدد أيضا نواة الزمن الرجعي reversible ، وهو زمن كبير الأهمية في التعليق على فعالية الخطاب ، إنه واضح تماما في استرجاع المعنى ، الذي ألححت عليه كثيرا ، في العبارة التي تحتاج إلى الكلمة الأخيرة ليكمل المعنى .

'Nachträglich' (تذكر أنني كنت أول من استخرج هذا المصطلح من نص فرويد) ،
Nachträglich أو الفعل المؤجل ، الذي طبقا له يتم تضمين الرض في العَرَض ، والذي يعرض بنية زمنية لنظام أعلى من... الزمن الرجعي للخطاب' (وضع اللاشعوري Position de l'inconscient' (١٩٦٤) ، كتابات ٨٣٨-٩) .

١٣٨- سوف يتضح بعد ذلك تعقد فكرة الحادث ؛ ويمكن للمرء عند هذه النقطة ، مع ذلك ، أن يشير على الأقل إلى هنا إلى خط التفكير الذي يعتمد عليه لاكان في أعمال فرويد : إلى التعارض الذي يضعه فرويد بين 'التكوين' والخبرة' ، بين 'الضرورة' والحادث' .

١٣٩- جملة مأخوذة من ظنون فرويد بشأن هوية المويرين Moerae الثلاثة ، الأقدار ، المعاني الثلاثة 'المصير' : 'Lachesis ، اسم الثاني ، يبدو أنه يحدد "الطارئ المتضمن في استمرارية القضاء والقدر" -أو "الخبرة" كما يجب أن نقول ؛ كما يرمز Atropos "للمتعذر اجتنابه" -الموت . ومن ثم يمكن ترك Clotho Liecني التخلص المتأصل مع تضميناته المصيرية' (تيمة التوابيت الثلاثة' SE XII 198, (1913f) .

١٤٠- ما يلي هو في جزء منه تعليق على رسالة فرويد ، الرسالة المهمة التي بعث بها إلى Else Voigtländer (الرسائل ، بتاريخ ١ أكتوبر ١٩١١ ، ص ٢٩٢-٤) ، وهي رسالة جديدة باقتباس مطول :

نجد أننا في التحليل النفسي أننا لا نتناول تخلصا واحدا ولكننا نتناول عددا لانهاثيا من الأشكال المتعددة للتخلص... والسؤال عن أيهما أهم ، التكوين أم الخبرة ، أي العنصرين يحدد الشخصية ، لا يمكن الرد عليه في رأيي إلا بالقول إنه [daimon kai tuché](المصير والبخت) ولا يمكن أن نقرر أن أحدهما أهم من الآخر.. وإذا ركزنا في عملنا التحليلي على المؤثرات الطارئة أكثر من تركيزنا على العوامل التكوينية ، فإننا نفعل ذلك...لأننا على أساس خبرتنا نعرف شيئا عن الأول ، بينما لا نعرف إلا القليل عن الأخير-غير المحللين...إننا أيضا مع الرأي القائل إننا باستيعاب أهمية الطارئ نسير في الطريق الصحيحة لفهم التكوين...ما يبقى غير قابل للفهم بعد دراسة الطارئ يمكن إدراجه في التكوين .

إن العلاقة بين هذه الحركة باتجاه تحديد مجال التحليلي بوصفه مجال الطارئ ، وبين الحركة المبكرة لفرويد في سيكوباتولوجيا الحياة اليومية ، تحدد مجال التحليلي باعتباره مجال ما يخلو من الفرصة ، وهو مجال كبير الأهمية ، ولكن لا يمكن أن أتأوله هنا بالتفصيل . والمرشد الأساسي لهذا المجال هو عمل دريدا:

My Chances/Mes Chances: a rendezvous with some Epicurean stereophones.

١٤١-الرسائل ، ص ٢٩٣ .

١٤٢-المصدر السابق . يمكن للمرء ، بصورة غير متوقعة إلى حد ما ، أن يقول بجموح ، لقد عزا ميشيل فوكو للتحليل النفسي وضعاً تاريخياً مهماً بقدر ما يضاد بعزم مختلف الخطابات الوراثة والمبتذلة في أواخر القرن التاسع عشر . انظر الفصل الثاني عشر .

١٤٣-وقد تم تجاهله تماما في كتاب أسس التحليل النفسي لجرونباوم-Grünbaum's The foundations of psychoanalysis وهو عمل أسيء فهمه .

١٤٤-يمكن قول الكثير عن ذلك : مرة أخرى أنصح القارئ بالرجوع إلى أعمال جاك دريدا ، على سبيل المثال إلى نقده لمفهوم الحقيقة كاكشاف ، في 'Le facteur de la vérité' (١٩٧٥) ، ص ٤١٢ - ٩٦ ، خاصة مناقشة تعليق فرويد على 'الملابس الجديدة للإمبراطور' ، ص ٤١٤ - ١٩ ، و ٤٤٨ - ٨٣ . إنه يثير مسألة تتعلق بإيماءة فرويدية نموذجية لحل الموضوع (الحلم ،

الذاكرة) أثناء عملية التأويل ، وهي عملية تطرح نفسها بوصفها الكفيلة لأمان الموضوع ، وتعلق تعلقا حميما في نهاية العملية باكتشاف أن الموضوع الأصلي فقد كل أهميته (المثال النموذجي لذلك ، المثال الذي أصبح تعليميا إلى حد بعيد منذ اليوم الذي نشر فيه تفسير الأحلام ، اكتشاف فرويد لمعنى الأحلام التحذيرية (أنظر الفصل الخامس) ؛ كان اكتشاف أن الأحلام التحذيرية تشيد في لحظة تذكرها : إنها أشكال تماثل déjà vu [رأيته من قبل] ؛ والأهم أن وجودها يبقى منعما حيث تبين الأحلام بوضوح كيف يحل الحلم ، في رأي فرويد ، بالسرد التأويلي) ..

١٤٥-راجع فرويد ، '4 - GW I 553 , SE III 322 (1899 a) Screen memories .

١٤٦- [إن هدف] العلاج النفسي [هو أن يجعل من الممكن التعامل مع العمليات اللاشعورية في النهاية ونسيانها] (تفسير الأحلام SE V 578 (1900a) .

١٤٧- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٤/٦٥٢ ؛ وانظر أيضا 'تدمير الذات وجدل الرغبة في اللاشعوري الفرويدي -in Subversion du sujet et dialectique du désir dans l'inconscient freudien' كتابات ٢٠٧ / ٨٠٨ .

١٤٨- 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣٠٣/٨٨ ؛ الترجمة [إلى الإنجليزية] تصرف .

١٤٩- ربما يكون تأثير هايدجر في قمته في تلك الفقرات التي تناقش تاريخية التحليل . ولا يسمح المجال هنا بالخوض في هذا الموضوع بصورة كاملة ؛ ويقدم ماسي Macey تخطيطا مفيدا للعلاقات التي تربط لاكان وسارتر وهايدجر ومفهومهم المشترك عن زمنية الذات ، في Lacan in contexts ، ص ٦-١٠٤ .

١٥٠- إنني مضطر للانتقال إلى تيمة أخرى ، ألا وهي تيمة الموت ، وهي تيمة تنتمي انتماء واضحا لهذا الموضوع: 'إن هذا الحد [الموت] ، في الواقع ، يوجد في كل لحظة فيما يمتلكه هذا التاريخ باعتباره منجزا . وهذا الحد يمثل الماضي في صورته الحقيقية ، أي أنه لا يمثل الماضي الفيزيقي الذي تلاشى وجوده ولا الماضي البطولي كما اكتمل في الذاكرة ، ولا الماضي التاريخي الذي يعثر فيه الإنسان على ما يضمن مستقبله ، لكنه يمثل الماضي الذي يتضح معكوسا في التكرار' (وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢١٨/١٠٣) . ويمكن وضع هذا

'العكسي الموجود في التكرار' فينومينولوجيا على النحو التالي : بعد قول فرويد بأن 'Vor al-
'lem beginnt er die Kur mit einer solchen Wiederholung' (قبل أي شيء آخر ،
يبدأ المريض العلاج بتكرار) (SE XII 150 ؛ GW X 130 ؛ Stud Erg ٢١٠؛ الترجمة
بتصرف ؛ انظر التعليق على هذه الجملة في الفصل التاسع) ، يبدو الحدث '١' على أفق
التحليل وكأنه يتنبأ بالحدث الذي يكرره بالفعل ، وليكن الحدث '٢' ، الحدث الذي يجب
اكتشافه . التحليل موضع التكرار ؛ ومن المستحيل منهجيا شيئا سوى أن يكون موضع
التكرار . ومن ثم فإن ما يبدو زمنا متتابعاً يتبع فيه الحدث '١' الحدث '٢' يُعكس في التحليل
حيث يكون الحدث '٢' قد حدث بالفعل دائما ، ولا يكون الحدث '١' حدثاً إلا بقدر ما يكرر
الحدث '٢' . إلا أن من الممكن أن نوافق على أن الحدث '١' ، بلغة التحليل، يحدث قبل الحدث
'٢' . واستحالة وجود حدث مكثف بذاته في أن يكون حدثاً هي ما يميز تأملات دريدا عن
الحدث؛ وربما تعلل هذه الاستحالة أيضا التقارب المتكرر لفكره مع فكر فرويد ، ومن ثم-بقدر
ما يكون لاكان أيضا على الخط مع فرويد-مع لاكان . انظر الصفحات الأخيرة من الفصل
التاسع .

١٥١-قول منسوب إليه .

١٥٢-حيث أن فرويد ، كما رأينا ، يشير إلى هذه المسائل وقد استدعى كلمة البخت fûché، وهو
المصطلح اليوناني الذي يركز لاكان مناقشته عليه ، انظر الهامش رقم ١٤٠ .

١٥٣-وكانت هذه السمة مميزة لمنهجية فرويد منذ البداية في أعماله ؛ مثلاً ، في حالة هانز الصغير
: 'لا يجب فهم ما ينبثق من اللاشعوري في ضوء ما حدث من قبل ولكن يجب فهمه في ضوء
ما جاء بعد ذلك' (تحليل حالة رهاب في طفل في الخامسة' SE X 66 (1909b) ؛ انظر
أيضا فورستر ، اللغة ، ص ٢٢١ هامش ٣٣) .

١٥٤-ربما نتناول نمودجا من النماذج الأفلاطونية الجديدة عن الخلق للتفكير في هذا الأمر : رؤية
خلق العالم لشخصية إنسان باعتباره تقليدا من دور الرب ، تحديدا يفرض ذاتيا ، إنكارا
ذاتيا-وهو نموذج استخدمه ميشيل بلنت حين وصف السمات الشخصية باعتبارها نتيجة
محدودية القدرة على الحب والمتعة ، تقييد الفيض الذاتي الأصلي . (انظر لاكان ، السيمينار
الأول ٢٠٤/٢٢٨) .

- ١٥٥-راجع ، ud III 383; SE XXI 152 : الترجمة ببعض التصرف .
- ١٥٦-السيمينار الحادي عشر ٥٢/٥١ .
- ١٥٧-أرى أن كتابات Sorabji لا غنى عنها كدليل للعلاقات بين فلسفة العلوم الكلاسيكية وفلسفة العلوم الحديثة ، وخاصة كتابه :
- Necessity, cause and blame. Perspectives on Aristotle's theory
- وثمة عمل آخر كبير الأهمية وهو عمل Nussbaum بعنوان :
- The fragility of goodness. Luck and ethics in Greek tragedy and philosophy.
- ١٥٨-يذكر لاكان صراحة أنهما ترجمتا على نحو غير صحيح إلى 'le hasard' 'la fortune'.
- ١٥٩-السيمينار الحادي عشر ٥٢/٥١ . ربما لا يكون من قبيل الصدفة أن نواجه بالصدفة مثال أرسطو عن فعل البخت tuché؛ انظر الفقرة المقتبسة فيما بعد من Physics, II.iv.196a1-8
- ١٦٠-السيمينار الحادي عشر ٥٢/٥١ .
- ١٦١-السيمينار الحادي عشر ٥٣/٥٤ - ٤ .
- ١٦٢-أرسطو ، 19-24; 1-3; Physics, II.iv 1976
- ١٦٣-المصدر السابق II.iv.196a1-8
- ١٦٤-المصدر السابق II.iv.196b1-7
- ١٦٥-راجع ، Nussbaum, *Fragility of goodness*, p 319.
- ١٦٦-أرسطو ، Physics, II.v 1977a7
- ١٦٧-المصدر السابق ، II.v.196b34-5
- ١٦٨-قارن ، Shafer, A new language for psychoanalysis, and Wittgenstein, ، conversation on Freud' ، ضمن نصوص أخرى .
- ١٦٩-أرسطو ، Physics, IIv 197a6-8. تأتي الفقرة كاملة على النحو التالي : 'ومن ثم يعتبر

الحظ بوضوح ، إنه الاسم الذي نطلقه على السبب الذي يلزم بصورة طارئة فعلا هادفا مدروسا ويؤدي إلى نهاية أخرى ، إلى الحدث الذي نطلق عليه اسم الحظ . ونقول عن النتائج المهمة لمثل تلك الأسباب أنها "وليدة الحظ" .

١٧٠-سواء مبدأ اللذة 1-20 GW Stud III 231-2; SE XVIII 21-2; (1920g) ، الترجمة [إلى الإنجليزية] بتصرف. وفي نهاية الفقرة هامش يشير إلى بحث يونج 'أهمية الأب في قدر الفرد' وكانت مثل هذه الهوامش التي تشير إلى يونج ، في ذلك الوقت (١٩٢٠) ، نادرة في أعمال فرويد ؛ وكانت الملاحظات أكثر ندرة ، وهذه واحدة منها ، تعبر عن دين ، وترشح البحث للقارئ ، والفقرة التي يعنى فرويد أن يعثر عليها القارئ هي 'إن المثال التعليمي المشهور للسلوك الذي يحمل مشاعر متناقضة لصورة الأب هو حكاية الحب في سفر طوبيا . حيث كانت ساره ، بنت رعوثيل ، ابن Ecbatana ، ترغب في الزواج . ولكن قدرها السيء شاء أن تختار سبعة مرات ، المرة تلو الأخرى ، زوجا يموت في ليلة الزفاف. وكان شيطان اسمه أزموذاوس Asmodeus ، يضطهدها ، ويقتل هؤلاء الرجال ... ولسوء الحظ تمنعني أخلاقيات الطب من تسجيل حالة هستيريا تماثل هذا النموذج بالضبط ، باستثناء أنه يوجد ثلاثة أزواج فقط بدلا من سبعة ، ولسوء الحظ اختارتهم تحت كل العلامات المشؤومة لقدرها الذي تحدد منذ الطفولة' (يونغ ، 'أهمية الأب في قدر الفرد' ، ص ٣٢٢-٣) .

والروح الحارسة التي يرد ذكرها في إحدى عبارات وراء مبدأ اللذة ، وهي عبارة سنعود إليها ، وقد لاحظها دريدا وعلق عليها في 'Spéculer-sur' Freud¹¹، خاصة ص ٢٤١ وما بعدها .

١٧١-السيمينار الحادي عشر ٥٣-٤ / ٥٣-٤

١٧٢-السيمينار الحادي عشر ٥٤/٥٤

١٧٣-السيمينار الحادي عشر ٥٤-٥ / ٥٤-٥

١٧٤-أرسطو ، Metaphysics, 1065a31

١٧٥-أظن أن هناك نوعا من الانعكاس الفلسفي يعود إلى إلهامات البيولوجيا الحديثة ، يوجد في

Monod's Chance and necessity, or Jacob, Le Jeu des possibles, and his

The possible and the actual

١٧٦-دريدا ، 'Spéculer-sur' "Freud" passim

١٧٧-السيمينار الحادي عشر ٥٤/٥٤

١٧٨-السيمينار الحادي عشر ٥٣/٥٣

١٧٩-عن علاقات لاكان بالسيرالية ، انظر

Roudinesco, La Bataille de cent ans, Vol. ٢ and Macey, Lacan in contexts, pp. 44-74

وأود أن أشكر تيت جاليري Tate Gallery ، من ليفربول ، لأنه بما يبدو وكأنه صدفة ، دفعني إلى تناول العلاقة بين مواجهة الصدفة في أعمال لاكان وضرورة استخدام الصدفة عند السيراليين ، بدعوتي إلى محاضرة عن 'التحليل النفسي والسيرالية' ، في نوفمبر ١٩٨٨ .

١٨٠-أتذكر نقطتين من الجزء الأول من هذا الفصل : غضب لاكان من المحلل الذي فشل في الطُّرق عليه في غرفة الاستشارات ، والقرار الذي اتخذته المحلل نتيجة لذلك بترتيب مواعيد الخاص ؛ إن جلسات لاكان متنوعة الطول أدت إلى قضاء المحللين مددا مختلفة الطول في غرفة الانتظار ، غير متأكدين من وقت الموعد ومما إذا كان سيتم .

١٨١-السيمينار الحادي عشر ٦٢/٦١ .

١٨٢-راجع ، V 509 Stud II 488, GW II/III 513

١٨٣-راجع ، SE V 510 Stud II 489; GW II/III 514

١٨٤-أشرت إلى الطفل بضمير 't'أحيث أن النص الأصلي لم يحدد عمر الطفل ، مشيرا إلى Kind [الطفل] .

١٨٥-فرويد ، تفسير الأحلام ، SE V 510 Stud II 489; GW II/III 514

١٨٦-السيمينار الحادي عشر ٥٦-٥٧/٧

١٨٧-إن فرويد ، في الواقع ، يأخذ كلام الطفل مأخذ الجد ، وقد اتجهت أولى تعليقاته على الحلم باتجاه هذه النقطة : 'من الضروري أن تكون الكلمات التي نطق بها الطفل قد شيدت من كلمات نطقها بالفعل أثناء حياته وارتبطت ببعض الأحداث المهمة في ذهن الأب' (تفسير الأحلام SE V 510, (1900a) . ويرتبط ذلك بفرضية الرد 'reply' ، وانشغال فرويد بمصدر الكلام في الأحلام ، وقد طرقتُ هذا الموضوع في كتابي اللغة وأصول التحليل النفسي

(وقد فحص بالتفصيل في دراسة -Heynick's Theoretical and empirical investigation into verbal aspects of the Freudian model of dream generation

وهي دراسة تتميز بالدقة الشديدة) . ويفضول كاف ، أدركتُ الانشغال العام لفرويد بمصدر الكلام في الأحلام يقلل من إحساس المرء بأن السبب الذي يجعله يعطي كل هذا الاهتمام لكلمات الطفل هو خاصيتها التكهنية ، أو أن فرويد بالأحرى عالِج كل الكلام في الأحلام بوصفه يحمل هذه الخاصية التكهنية، وهي خاصية كان تواقا على نحو خاص إلى اقتطاعها من قاعدتها وتحويلها إلى قاعدة مألوفة بإرجاعها إلى مناسبات التفوه الخاصة أثناء اليقظة . وعن هذه المناسبة يكتب فرويد : 'يتصرف الطفل في الحلم وكأنه طفل حي : قام هو نفسه بتحذير أبيه ، أتى إلى سريره وأمسك به من ذراعه ، بالضبط كما يمكن أن يكون قد فعل في إحدى المناسبات التي من ذكرها انبثق الجزء الأول من كلمات الطفل في الحلم . وسعيا لإشباع هذه الأمنية أطال الأب نومه لحظة' (SE V 510) . ولكن ربما كان اضطراب فرويد للبحث عن الحدث الحقيقي للتفوه بهذه الكلمات ، بكل الكلمات التي تنطق في الأحلام ، كان محاولة لقطع أي تخمين من جانبنا بأن هذه الكلمات التي تنطق في الأحلام وخاصة هذه الكلمات-ربما تكون تكهنية من منظور أنها اتصالات مباشرة من عالم الموت . انظر استمرارية هذا الخط في التفكير في الهامش رقم ١٩٢ .

١٨٨-إيجار ألان بو ، 'The facts in the case of M. Valdemar'. انظر بارت ، تعليق على حقيقة الحكي في هذا الفعل الكلامي المستحيل ، 'إنني ميت' ، في 'تحليل نصي "لفالمار" بو' ، ص ١٥٢-٤ .

١٨٩-السيمينار الحادي عشر ٥٨/٥٩ . والجملة التي تسبقها وسوف نتناولها فيما بعد هي : ولكن ، من ثم ، ماذا كان هذا الحادث-حين يكون أي شخص نائما ، بما في ذلك من يتمنى أن يأخذ قسطا ضئيلا من الراحة ، ومن لا يستطيع مواصلة السهر ، ون يصده شخص ويقف بجوار سريره ، وقد يكون علينا أن نقول ، إنه يبدو بالضبط وكأنه نائم ، حين لا نعرف سوى شيء واحد عنه ، وهذا هو كل ما في الأمر ، في هذا العالم الغارق في النوم ، سوى صوت يقول ، أبي ، ألا يمكن أن ترى أنني أحترق؟

١٩٠-السيمينار الحادي عشر ٥٧/٥٨ :

'Freud lui-même ne nous dit-il pas que, dans cette phrase, il faut reconnaître ce qui perpétue pour le père ces mots à jamais séparés de l'enfant mort qui lui auront dits, peut-être, suppose Freud, à cause de la fièvre...'

(ألا يخبرنا فرويد نفسه بأن على المرء أن يدرك في هذه الجملة ما يخلد بالنسبة للأب تلك الكلمات إلى الأبد منفصلة عن طفله الميت ، الكلمات التي قيلت له ، وربما يفترض فرويد أنها نتيجة الحمى ... ؛ الترجمة بتصرف) .

١٩١-راجع ، SE V 509 ؛ لاحظ أن فرويد لا يعزو استيقاظ الرجل إلى هذا الضوء ؛ لكنه يذكر هذا الضوء بوصفه الدليل الذي قاد الرجل ، بينما كان لا يزال نائماً ، ليستنتج أن 'شمعة سقطت ورأى شيئاً مضيئاً بجوار الجثمان' .

١٩٢-السيمينار الحادي عشر ٥٧/٥٨ ؛ الترجمة بتصرف .

١٩٣-إن الجهد الذي يبذله فرويد ، لدفع واقع الحلم باتجاه الذاكرة ، باتجاه مناسبات في الواقع نطق فيها الطفل بالكلمات ، 'أبي' ، 'ألا يمكن أن ترى ... ؟' و 'إنني أحترق' ، دليل آخر على أهمية هذا الحلم كمثال آخر لمجموعة الأحلام التي أطلق عليها فرويد فيما بعد اسم 'الأحلام التكنية' : إن فرويد تواق للتأكد من عدم وجود أي قدر من غموض التفسير يتطرق إلى فهمنا للحلم . إنه ليس حلماً عن اتصال خارق للطبيعة ، يتصل فيه الطفل الميت بأبيه ليخبره أن جثمانه في الواقع ، في الغرفة المجاورة ، يحترق ، بينما كان الأب نائماً . قارن مناقشة 'الحلم التكنية' في الفصل الخامس ، حيث يناقش فرويد بالتفسير عن أي غموض ، باتجاه أن يكون حلماً يرتكز على ذكرى الموعد . إن فكرة لاكان عن المواجهة اقتراب مدسوس من هذه التيمة من تيمات فرويد .

١٩٤-السيمينار الحادي عشر ٥٧/٥٨ ؛ الترجمة بتصرف .

١٩٥-السيمينار الحادي عشر ٦٦/٦٨ ؛ تركت زلة لاكان بدون تصحيح ، افترضه أن الطفل ذكر ، إنه ابن الأب .

١٩٦-السيمينار الحادي عشر ٦٦/٦٩ .

الفصل السابع

أكتيون التحليل النفسى

مالكولم بوى

العنوان الأصى :

Epilogue

وهو الفصل الختامى فى :

Malcolm Bowie: Freud, Proust and Lacan: *Theory as fiction*,
Cambridge University Press 1987. pp.165-178; 211-213.

المتن من ص ١٦٥ إلى ص ١٧٨ ، والهوامش من ص ٢١١ إلى ص ٢١٣

لاشيء يكاد يبقى من صورتى الأصلية ؛

لم يعد كلامى سوى صوت مشوش

Marc-Antonie Charpentier: *Actéon*

سيكون من المناسب أن نفترض أن غريزة المعرفة *WiBtrieb* عند فرويد مارست شكلا من أشكال الضغط اليومي المتواصل على أولئك الذين كانت تُمنَل بالنسبة لهم شراهة العقل . مثلا ، على فرويد وبروست ولاكان . وسيكون من الملائم أيضا أن نفترض أن الحكايات والفرضيات المؤثرة للباحث عن المعرفة-البنيات الذهنية التى يُنتج بها تجريبيا لذات المعرفة باعتبارها تتابعات للذة سابقة مارست ضغطا مضادا على العالم . والملازمة هنا تتجاوز مسألة تقديم شعار بطولى فعال ، وحكاية تشبع الغرور لتعيد شحنه لمواصلة المراحل التالية من الغاية التى يسعى إليها . ويمكن أيضا ، نتيجة لتلك الصورة المزدوجة ، أن تكون تفسيرها وليدا للتفسير ذاته ، تفسيراً يمكن ، نتيجة له ، ادعاء فضيلتي الاقتصاد والأناقة وهما فضيلتان تحظيان بإعجاب واسع . عالم يُعرف ، رغبة تُعرف ، أداة ذهنية جاهزة للعمل ببراعة وتبصر...ومن هذا الحدس البسيط المأمول تنبثق ، نادرا ، مطاردة المعرفة على نحو ليس مأمونا ومتطورا ومشجعا .

وإذا تأملنا فرويد وبروست ولاكان باعتبارهم أعلاما نموذجيين فى التاريخ الحديث لغريزة المعرفة *WiBtrieb* ، وباعتبارهم منظّرين لحماسة تُدعم دعما ذاتيا بصورة غير محدودة-ومن الواضح أن الوصفين يبدوان كلاهما جديرين بالاهتمام بالنسبة لى-ربما يكون علينا أن نتوقف لنسأل عما إذا كانت فضيلتا الاقتصاد والأناقة بارزتين فى الحقيقة ضمن الفضائل التى تتمتع بها أعمالهم . إن كل كاتب من هؤلاء الكتاب يقدم لنا ، بالطبع ، لحظات مؤثرة عن التوافق *adequation* أو التناسب *commensurability* بين تقريره عن الخبرة وتقريره عن صياغة النظرية التى تحت عليها الخبرة : مازال لمثل هذه الابتكارات النظرية من قبيل عقدة أوديب والذاكرة اللاإرادية ومرحلة المرأة ، إذا اكتفينا بذكر أفضل ما شاع منها ، مازال لها قدرة

استثنائية حين نتذكر البراعة التي تحقق التواءم في كل حالة . إلا أن كل كاتب منهم مسكون أيضا بعفريت ، عفريت صغير ضال ، يبحث لتحطيم التوافق المقنع بين الخبرة والنظرية بغرس النظرية في الفائض . surplus وسيرى التعليق الهادف على هذه العملية أن نزوع العقول الخصبة إلى "الابتكار أو الهلاك" هو شعارهم . لكن لكل من فرويد وبروست ولاكان شهية أقوى مما يوحي بها هذا الكلام : علينا أن نوضح أن النظريات ، حتى أكثرها تعلُّقا بالذهن ، متقلبة أو قابلة للهدم خشية ألا تصبح النظريات الأخرى جديرة بالابتكار . وحيث أن نظريات الآخرين يدمرها غالبا مفكرون من هذا الطراز كتمهيد بسيط لترسيخ نظرياتهم الخاصة ، يكون للطاقة العدائية الموجهة ضد نظرياتهم بمجرد رسوخها ، يكون لها ، بكل معنى الكلمة ، غاية أوضح: إنها وسيلة لإطالة عمر رغبات المرء . وحين تصل النظرية والخبرة إلى اللحظة الخاصة بالتطابق الذي يبدو مؤكدا ، يصبح الشك ضرورة عاطفية .

يتحدث فرويد في الصفحات الأخيرة من بحث بعنوان "ملاحظات عن حالة من حالات عُصَاب الوسواس القهري Notes upon a Case of Obsessional Neurosis' (١٩٠٩) عن احتياج أحد مرضى العصاب إلى عدم التأكد وإلى الشك وعن الحيل المدروسة التي يُضطر غالبا إلى تبنيها ليبقى غير متأكد في عالم فيه أدوات دقيقة للقياس ومصادر المعلومات الموثوق فيها (x, 232) . وتجعله المعرفة الموثوق فيها في حالة هلع لا يوصف . لكن هذه الفقرة صدرت عن مرجعية إكلينيكية دقيقة ، وقد احتشدت بتلميحات إبستمولوجية عامة ، بحيث تصبح بورترتها منمنما لكل إنسان كمفكر . لقد عرف فرويد بوضوح ، ويتوقع من قارئه أن يدرك أن ذلك الميل في التفكير في العصاب عموما وفيما يتجاوزه-الذي ربما بواسطته يمضي عدم اليقين بعبادة حفظ الذات إلى حد تدمير الذات . إن عُصَاب الوسواس القهري ، كما يشرحه فرويد هنا ، مرض ذهني ، ويمكن لنا التفكير في "التفلسف" و"التنظير" و"التساؤل الفلسفي" كأسماء بديلة مناسبة . إلا أن التحليل النفسي ، مع ذلك ، كان "علما ذهنيا يجعل من الممكن فهم العمليات السوية والمرضية باعتبارها أجزاء من سياق الأحداث ، من ذلك السياق الطبيعي نفسه ("Goethe Prize Address"، (١٩٣٠) ، (XXI, 208)

إلا أن ذلك لا يقدم بالنسبة لى سوى مغزى واحدٍ للغاية لا يسمح لى بأن أقول فى هذه المرحلة من بحثى : إن تعليق فرويد "كتعليق بروس" أو "كتعليق لاكان" من حيث التشبيه الجاهز للأداء الذهنى "المرضى" بالأداء الذهنى "الطبيعى" أو الأداء "العصابى" بالأداء "النظري" ، إلا أننا نجد فى متناول أيدينا نقطة أقوى بكثير للمقارنة ، بمجرد أن نضع فى اعتبارنا التدمير الذاتى للعقل المُنظر ، ولاكان هو الذى يقدم ، فى مداعبة تراجيدية فى "الشئ الفرويدي" 'La Chose freudienne' ، أكثر الصور الخاضعة للتأمل المتطرف الذى يجد كل كاتب من هؤلاء الكتاب نفسه منقاداً إليه .

فى مقابل البورتريهات الذاتية الحربية التى يقدمها فرويد لقواد من قبيل موسى وهانيبال والاسكندر ونابليون ، يصفه لاكان بأنه أكتيون Actaeon ، اصطياد والتهم ، فى فقرة أشرتُ إليها من قبل^(١) وأقتبسها الآن كاملة :

ولكن إذا كان لابد من استعارة أكثر أهمية تكون فى صالح البطل ، فهى الاستعارة التى جعلنا نرى فى فرويد أكتيون تراوغه باستمرار كلابٌ تعقبها منذ البداية ، ويجاهد للعودة إلى المطاردة ، ، ولا يكون قادراً على التخفيف من سرعة المطاردة حيث لا يغريه سوى اشتهاؤه للإلهة . تغريه بحيث لا يستطيع التوقف إلى أن يصل إلى الكهوف حيث توجد ديانا الشتونية chthonian Diana فى الظلال الرطبة ، مما يجعلها تبدو وكأنها قاعدة لشعار الحقيقة ، تُقدم لظمنه ، مع السطح الأملس للموت ، تقدم الحدود شبه الصوفية لمعظم الخطاب المنطقى فى العالم ، بحيث نستطيع إدراك الموضع الذى يحلُ فيه الرمز مكان الموت لتتحقق لنا السيطرة على أول أودام الحياة .

وكما نعرف ، مازالت هذه الحدود ، ومازال هذا الموضع ، بعيدة عن متناول أيدي أتباعه ، إن كانوا قد قاموا فى الحقيقة بأية محاولة للبحث عنها ، وهكذا لا يكون فرويد هو أكتيون الذى تتمزق أوصاله هنا ، ولكنه كل محلٍ يمكن أن يضارع الاشتهاؤ الذى استهلكه والذى صنعه ، وبناء على الدلالة التى قدم بها جوردانو Giordano Bruno هذه الأسطورة فى Furori eroici ، يكون فريسة لكلاب أفكاره . (٤١٢)

إن المحتوى التاريخي للحكاية الأوفيدية Ovidian واضح وضوحاً تاماً : في أعمال فرويد وصل الخطاب العقلي والطموحات العلمية العقلية في القرن التاسع عشر إلى نقطة الذروة لكنها تجاوزت نفسها في هذه العملية وبدأت التحلل بصورة لا عودة فيها . إن ديانا ، ديانا لعبة هذا النص الطريف طرافة مهيبه وإلهة العقل اللاشعوري ، الإلهة التي تعيش تحت الأرض وتسكن كهف أفلاطون مؤقتاً ، قدمت فكرة عن عبء الأهمية وعدم الجدوى وهو عبء لا يحتمل . وقد جاء التحليل النفسي ، في حكاية رواها فرويد نفسه عن تدمير التقدير الذاتي للإنسان الأوربي الحديث ، باعتباره لطمة للتناسب الألفي millennial proportions: وكان النظير السيكلوجي للصفعات الكونية والبيولوجية التي تتابعت على أيدي كل من كوبرنيكوس ودارون (XII, 140-1 XIX, 221)⁽³⁾ ولكن بالرغم من أن التدمير الذي انصب على نرجسية الإنسان في عصر التحليل النفسي كان يمكن أن نتوقع تميزه النوعي عن ذلك التدمير الذي جاءت به الثورات العلمية السابقة-من منطلق أن التحليل النفسي أعلن أن عقل الإنسان مقسم ذاتياً بصورة متأصلة لا يمكن إصلاحها-إلا أن فرويد قدم غالباً تعاليمه الخاصة باعتبارها صريحاً لم يمسه ، بصورة تدعو للدهشة ، الطوفان الذي استتارته ، و(علينا أن نفترض) أن العقلانية العلمية التي دفعت كوبرنيكوس ودارون بعيداً عن مواصلة الحياة في الشكل الغامض على نحو خطير ، الشكل الذي بدا وكأن التحليل النفسي يتنبأ به ، وجدت تلك العقلانية في فرويد نصيراً جديداً لا يعرف معنى الخوف.

ومن الناحية الأخرى ، يُعتقد أن التحليل النفسي ، في نسخة لاكان للقصة نفسها وقد صاغها في إطار أسطوري أكثر وضوحاً ، ليس معرضاً للخطر فقط ولكنه يخلق دائماً بدون أمل في أي ملاذ سوى نهاية الفكرة . وليس هناك ما يدعو للدهشة في هذه التوسعات العقلانية والأخلاقية لقصة أوفيد ، حتى لو حدث ذلك في القرن العشرين حين لم تعد القصة رائجة . إن لاكان ، في الحقيقة ، يغرس نفسه هنا على نحو مباشر بصورة غير معتادة في تراث قديم . ووراء أكتيون لاكان ، يوجد أكتيون برونو ، الذي يعترف كما ينبغي :

أمد أفكارى إلى الفريسة المهيبة ،

وهى تشدنى إلى الخلف ، تقتلنى

بقرضها القاسى الفج .^(٤)

وبالضبط مثلما يوجد وراء أكتيون برونو أكتيون بوكاشيو Boccaccio

وأكتيون بترارك Petrarch (وكثير غيرهم) :

سأقول الحقيقة ، ربما تبدو كذبة

لأننى أشعر بالانسحاب من صورتى

إلى أيل وحيد يهيم

أنقل سريعا من غابة إلى أخرى

ومازلت أفرُّ من نباح كلايبى .^(٥)

إن لكان يشبه على وجه الخصوص برونو وبترارك من بين الحشد الكبير من أسلافه-فى هذه الصورة التى يقدم بها الموت بوصفه اختيارا ذاتيا لعقل يرغب فيه . إن العقل ، بالسماح لشهواته بمطاردة أهداف محددة-لورا Laura، الجمال السماوى ، اللاشعورى-يفضى بنا إلى دماره الخاص ؛ إن الخيالى عند الكتاب الثلاثة يدمج الطرق الجنسية والعقلانية فى صورة متكاملة للعقل باعتباره متعصبا وجشعا ومبددا لذاته فى كل مطارداته . يبتعد لكان ابتعادا تاما عن ديانا المعرفة، مفرطة العذرية ، تلك التى يشيدها لنفسه راوية كيركيجارد فى يوميات الفاسق *Diary of the Seducer*: "لست مهتما بالنظر إليها فى حمأها ، لست مهتما بذلك على الإطلاق ، لكننى أود أن أطرح عليها الأسئلة التى تحيرنى ." ^(٦) مرة أخرى لاشيء يدهشنا فى رغبة فرويد لكان Lacan's Freud فى النظر إلى الإلهة بالعيون والأسئلة معا-ربط فرويد نفسه بصورة غير مألوفة بين غريزة المعرفة *WiBtrieb* وغريزة النظر *Schautrieb* وصور الباحث عن المعرفة بوصفه طفلا يختلس النظر voyeur إلى ما يأتى به العمر. وبصورة مماثلة لإلاح أفكار الموت عند هيجل فى

النظام الرمزي الذي تشرف عليه ديانا الحديثة ، سيكون الوضع المتوقع لأي قارئ يطلع على كتابات . لكن ما يدهشني بوضوح هو أن فرويد الرمزي عند لاكان ، فرويد الذي تطارده أفكار هي موت التفكير وتدفعه رغبات تقضى على الرغبة إذا سمح لها بالسير في مسارها ، يجب أن يقدم إلى مهنة التحليل النفسي بوصفه نموذجاً للاستقامة وكان بحث "الشيء الفرويدي" La Chose freudienne في أول صورته . خطبة تذكارية في عيادة فيينا للطب النفسي وطب الأعصاب ، يكرر فيها لاكان توبيخ المستمعين إليه من الإكلينيكين نتيجة التناقض بين البطولة الفكرية التي تحلى بها فرويد والجبن الذي يتذرع به معظم الإكلينيكين ، بصرف النظر عما إذا كانوا فرويديين أم كانوا غير فرويديين . ويكمن فشل العرق الأخلاقي والطاقة الأخلاقية في مقاومتهم الاشتعال بنيران أفكارهم ، وفي رفضهم ، بمجرد الاشتعال ، أن يكونوا فرائس .^(٧) إنه طبٌ قوى حقاً .

وفي الفقرة الأخيرة من هذا البحث ، وهي فقرة يلخص فيها المواجهة المصيرية بين أكتيون وديانا ويبالغ فيها بصورة أكبر ، يتحول التهكم وتتحول العظة الأخلاقية إلى تلفظ نبوي فخيم : تبرهن الحقيقة على أنها معقدة في جوهرها ، وضیعة في مهامها وغريبة بالنسبة للواقع ، وحرون بالنسبة لاختيار الجنس sex ، 'مماثلة للموت ، وغير إنسانية تماماً ، وربما تكون ديانا ... وكان أكتيون يشعر بالذنب إلى درجة تحول بينه وبين اصطياد الإلهة ، الفريسة التي تصطاده ، ويا لك من صياد ، بالظل الذي تتحول إليه ، دع القطيع يمر ولا تسرع الخطى ، وسوف تدرك ديانا لأي شيء تكون كلاب الصيد ... (٤٣٦)

إن اللاشعوري مرة أخرى طرف مستحيل يقاد المحلل باتجاهه ويفر منه ، إلا أن الفقرة الأخيرة تحتوى على بؤرة جديدة : إنها محاولة لتصوير لحظة الهلع بين الكر والفر ، بين طور الإحياء وطور الإبادة في الصيد ، صيد الحقيقة . إن الحيل الأسلوبية التي تثير الارتباك فيما يكتبه لاكان في مواضع أخرى من كتابات تُستخدم هنا لتقديم مجموعة ملتبسة بالصورة المناسبة ، مجموعة مصحوبة بزهو الانتصار . من الفريسة ،

أكتيون أم ديانا ؟ إن التركيب التراكمى للجملة عند لاكان يسمح بكل من القراءتين . هل أكتيون صياد ماهر أم أيل محتضر ؟ إن أزمنة الفعل تجعله الصياد والأيل ، بصياغته فى لحظة غير محددة من المستقبل المضارع present futurity والماضى المستقبلى -future anteriority مثلما يرسل تيتان Titian فى رائحته ديانا وأكتيون وتوجد الآن فى أدينبرج ، يرسل نظرة الصياد الشاب ، تلك النظرة المشدوهة ، فى اتجاه الإلهة وفى اتجاه جمجمة الأيل وهى رمز للمصير الذى ينتظره بعد الموت . هل ينشأ إحساس أكتيون بالذنب نتيجة اصطياده للإلهة فى المقام الأول أم نتيجة لسبب آخر غير محدد ، يمنعه الآن من اصطيادها مرة أخرى ؟ إن عبارة "Trop coupable à courre la déesse" يشعر بالذنب بدرجة تحول بينه وبين اصطياذ الإلهة تحتوى على حرف جر غير مناسب-كما لو كان حرف الجر à محصلة التقاء القوى الدلالية لحرفى الجر الجائز استخدامهما هنا (pour و de) مما يجعل نوعى الإحساس بالذنب محتملين وعلى الدرجة نفسها من الصواب ؛ وتقدم عبارة " à courre" أيضا صدى لكل من chasse à courre ("الصيد") و être à court de ("يحتاج إلى") : علينا أن نظن أن أكتيون مضى إلى الغابات والحقول لأنه كان يحتاج إلى إلهة . وماذا عن تلك الكلاب التى يختم بها البحث ؟ إنها أفكار فرويد ، يفتنها اللاشعورى ، وتتقلب بصورة قاتلة إلى مؤلفها . لكن الهجوم الأساسى فيما يقدمه لاكان من ذم فى "الشيء الفرويدى" يوحى أيضا بأنها أفكار فرويد فى مظهر آخر-وقد قامت بتصنيفها منظمة دولية وأضفت عليها صبغة احترافية وتبددت بالتالى قوتها الأصلية . وفى القراءة الثانية يمثل القطيع النابج المحللين المعاصرين ، وقد أدركت ديانا أنهم بلا قيمة . وينتج عن هذا النوع من الالتباس على المستوى السيكولوجى تفكير يمثل فى الوقت ذاته رؤية وجدية ecstatic لعملية ذهنية غير محددة . إن السخرية المنصرمة هى التى تضيف على نشوة لاكان مذاقها المميز الأخير ، مذاق العناد والعدوانية .

"إن كل الدوافع هى فعليا دوافع موت" (٨٤٨) ، هكذا يقول لاكان فى "وضع اللاشعورى 'Position de l'inconscient' (١٩٦٠) .^(٩) وهكذا يكون لاكان ، حين يبدو أنه يضع عنصرا أساسيا من عناصر مبادئه المهنية تحت علامة ثانتوس

Thanatos ، قد أكد لبعض قرائه ما توقعوه لفترة طويلة على نحو مبهم : إن التحليل النفسى مهنة "مستحيلة" حقا ، علمُ ما لا يمكن تصوُّره ، عَرَضُ الداء الذى يبدو أنه يشخصه ، إنه فى أفضل الأحوال نسخة جديدة من السحر الذى يعالج الداء بما يسبب الداء نفسه homeopathic magic . إن مبالغة لاكان فى تناول أسطورة أكتيون ، وإلحاحه على أن موضوع الموت يجب أن يُقدَّم فى الديالوج التحليلى ولكن لا يمكن تقديمه ، إن هذه المبالغة وهذا الإلحاح يلفتان الأنظار إلى سمة من سمات فكر فرويد ، فكرة يتجاهلها من ينتقصون من قدره بقوة ، يُتَّهم فرويد غالبا بأنه مدُّ الأنساق التحليلية بدائرية ذاتية التحقق تحصُّنها ضد النقد العقلانى . إنه بالتأكيد ، فى تعليقاته على أن "مقاومة التحليل النفسى" بوصفها عَرَضاً لا يمكن تفسيره إلا بواسطة التحليل النفسى ، لا يهتم اهتماما جليا بمحو المنطق الهزيل : "إذا كنْتُ تعترض على ما أقول فإننى على صواب بالضرورة".^(١٠) ضد الاقتناع الذاتى بذلك ، وضد العجرفة والتعصب اللذين يتضحان فى مواضع أخرى من أعمال فرويد ، يقدم لنا لاكان نسخة من تفكير فرويد تبرز قدرته السلبية-قدرته على احتمال الكوارث التى يبتلى العقلُ المنظرُ نفسه بها . ينتقل لاكان بين المؤلفات الفرويدية من كتاب إلى آخر ، وينتبه إلى مساحات التردد فى كل نظرية من نظرياته فى لحظة من اللحظات وإلى تحولات تلك النظرية على مدار الزمن ، ويشير دون تعطف أو Schadenfreude ولكن بإحساس بأن الصواب يعاد اكتشافه فى العالم ، يشير إلى نزوع النظريات التحليلية إلى الانهيار أو الانفجار من الداخل .

إن رؤية لاكان لهذه النظريات in statu moriendi- محققة صوابها برفضها أن تكون صائبة-تحمل معها ، كما اقترحتُ فى فصل سابق ، خطر الدائرية وخطر الاقتناع الذاتى ("كلما كان تنظيرى أكثر تمزقا ، ورغبة ، ومحددا بعدد أكبر من العوامل ، وكلما زاد تعذر الإحاطة به وتعذرت قابليته للانتهاء ، كلما ازداد الشبه بينه وبين اللاشعورى الذى يفترضه تنظيرى").^(١١) إلا أن وصف اللاشعورى الفرويدى كما يقدمه لاكان من جديد يقبض على أحد أبعاد المشروع التحليلى باستبصار خارق . وينبثق المشروع مرة أخرى فى تعليق لاكان باعتباره مجموعة من المعايير العلاجية

والوقائية الصارمة بالنسبة للذكاء النظرى ومقدمة نقدية ، دقيقة وغير محددة الأمد ،
لأية إبستمولوجيا مستقبلية . إن اللاشعورى يمثل فى الوقت ذاته الموضوع الأسمى
للمعرفة والشرط المهيمن (المتحرر والمعوق) اللازم لمطاردة المعرفة . إنه موجود دائما
إلا أنه مراوغ ، بارز إلا أنه نتيجة لرغبة لا تُحس ، يخضع لنسقٍ إلا أنه مدمر للنسق ،
يُنطق صراحةً إلا أنه تهكمىً ironic بصورة لا يمكن علاجها ... يشيد لكان
اللاشعورى من كتلة متباينة من المواد الفرويدية والمواد الأخرى ، كتلة تقدم تلخيصا
مُقنعا لكل الإنتاج النظرى الذى قدمه فرويد . ومن هذا المنظور يمثل تاريخُ نظريات
فرويد تاريخَ البراءة المفقودة والغيرة الفكرية النهمة . إن شروحه ، دائما ، لا تبلغ
their explicanda ، أو تتجاوزها أو تطوقها . إن اللاشعورى هو ديانا فرويد
Freud's Diana ، ولورا his Laura ، وألبرتينه his Albertine القوة التى تدير
آلة نظرية لا تتوقف لأنها ترفض الكشف عن نفسها .

إن التحليل النفسى الذى يعاد تعريفه بهذه المصطلحات يذكرُ الذكاء النظرى،
باستمرار، بأنه مجسّدٌ وقاتلٌ ويقدمٌ من جديد فى نماذجهِ نفسها فهماً مشوشاً للتدفق
، إن إبستمولوجيا المستقبل التى يَعِدُ بها التحليل النفسى الآن هى تلك التى يمكنها
أن تتكيف مع الانقطاعات المتأصلة فى العقل البشرى ، ويمكنها أن تسمع لغة العقل
الذى يتشكل ، تلك اللغة المجنونة المترددة، وأن تتكلمها . لكن الجراح التى يدمى
التحليلُ النفسىُ نفسه بها ليست كلها من هذا النوع المفيد ، وسوف أوجز الآن بعض
الخصائص الأكثر قدرة على التدمير من بين الخصائص التى تميز أسلوب التحليل
النفسى فى التفكير ، فيما يبدو لى أنه يمثل نسقا متناميا من الجاذبية .

أولا ، إن الفرص الملائمة للنقد الذاتى ، الفرص التى استتبطها فرويد من
نماذجهِ الخاصة المتعاقبة فى الحياة الذهنية وأتاحها أمام صانعى النماذج عموما
كإشكاليات عامة فُقدتُ غالبا على نحو مفاجع فى مهنة التحليل النفسى . ربما نتوقع
من أنصار النظرية الفرويدية الذين تلقوا درسهام الأساسى من كتابات فرويد
نفسه-وليس من الكتب الدراسية والكتيبات التى تتناول التحليل النفسى-أن يمتلكوا

بصورة غير شائعة إحساسا حادا بالنظرية فى تحديداتها الثقافية المحلية وأن يسلموا بأن الصراحة النموذجية التى تتمتع بها نظريات ، من قبيل الأحلام والفتازيا ، ضمن بعض الخصائص الأخرى البارزة ، تشبع أمنيات المنظر . وربما نتوقع منهم أيضا أن يسلموا بأن مفاهيم التحليل النفسى ونماذجها ، حتى حين تكون قد تخلصت من تلك الأمنيات إلى حد بعيد ، أعراف مؤقتة ، مقدّر لها أن تُزاح بواسطة مفاهيم أخرى لها قوة تفسيرية أسمى-أو تكون مجرد مفاهيم أخرى . ولكن ، مع أن الفروع العلمية الأعلى التى اتخذ منها التحليل النفسى نموذجا له فى سنواته التكوينية واصلت بوضوح التبدل بتلك الطريقة ، إلا أن التحليل النفسى حمى مفاهيمه التأسيسية باحتراس يثير الحسد . يمكن ، بكل دقة ، أن تكون السلبية التى واجهها فرويد ضد نظرياته فى بعض لحظات الشك "البطولى" قد بدت وكأنها تمحو الحاجة إلى نقد ذاتى وإلى ابتكار المفاهيم باستمرار فى المهنة التى دشّنها . كان فرويد مؤسساً لأسلوب نظرى ذاتى الانعكاس ومؤسساً لمجموعة من التعاليم . وثبت للغالبية العظمى من خلفائه أن تكرار التعاليم أسهل من محاكاة الأسلوب . تتمتع سياسات المعرفة التحليلية بحدين متكاملين: التصاق دائم بالنماذج الأصلية فى الوسط المؤلف ، ورفض الدخول فى مناقشات تمهيدية وسط العلاقات الخارجية ، إذا تجاوزنا عن ذكر التعاون مع أنساق المفاهيم المتاخمة له أو عن ذكر التنافس المعلن معها . وما زالت هناك دروس تحررية يمكن أن يتعلمها من أعمال فرويد أولئك الذين يحصرون أنفسهم عمدا فى نسق مهنى سلطوى ابتدعه لنقل مفاهيمه .

ثانيا ، إن التحليل النفسى وضع نفسه ، بفصل العقل عن المجتمع والتاريخ تحديد *seelischer Apparat* لا اجتماعى ولا زمنى كموضوع أساسى للدراسة ، موقف المستقبل السلبى للرسائل المقنّعة المرسلّة من العالم العمومى المستبعد . وقد صبح (أو يود لو يبدو) مطبوعا على نحو مجهول تماما ، وهو يكيّف أدواته النظرية بحذر مع الاحتياجات المتذبذبة ، احتياجات "الروح" ، ويحمى بنشاط إجراءاته العلاجية ، بأنواع مذهلة من الممارسات الاجتماعية التفاعلية . لقد أصبح فى أسوأ الأحوال مزيجا من البلمس والقسوة بالنسبة للنفس *psyche* فى الرأس مالية

الاستهلاكية . وقد دخل هذا المعقل المدعى للتنوير ، هذا المصدر للإضاءة الذى أنتجه العقل وانقلب بعنف ضد العقل ، إلى التعقيد مع المهتوك *l'infâme* ؛ أصبحت تعبيراته الرقيقة عن العقل اللاشعورى بمثابة اللوح الأملس *tabula rasa* حالة افتراضية للعقل قبل استقباله أية انطباعات خارجية-المترج الذى تكتب عليه من جديد بعض الأساطير السائدة فى هذا العصر وبدون التعرض لأى شكل من أشكال التدقيق النقدي .

وتتمثل الخاصية الثالثة ، ويبقى أنها الخاصية الأكثر قدرة على التدمير ، فى أن التحليل النفسى انتقص بنشاط من شأن تلك المحددات الاجتماعية للبنية العقلية التى شعر بالاضطرار ، وإن لم يكن على مضض ، إلى وضعها فى الاعتبار . تحدث فرويد غالبا عن الحدود المشتركة بين الفرد والمجتمع ، وقد فعل ذلك بطريقة مبرمجة بصورة بارزة فى بداية سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا (١٩٢١):

إن التباين بين سيكولوجيا الفرد وسيكولوجيا المجتمع أو الجماعة ، وهو تباين قد يبدو للوهلة الأولى تباينا عظيم الأهمية ، يفقد قدرا كبيرا من حدته حين يخضع لفحص أدق . تهتم سيكولوجيا الفرد حقا بالإنسان الفرد وتكشف المسارات التى يسعى بواسطتها للعثور على إشباع لدوافعه الغريزية ؛ ولكن من النادر وفى ظل بعض الظروف الاستثنائية أن تكون سيكولوجيا الفرد فى وضع يجعلها تهمل علاقات هذا الفرد بالآخرين . إن الحياة العقلية للفرد تتضمن شخصا آخر دائما ، كنموذج ، كموضوع ، كمعين ، كخصم ؛ وهكذا تكون سيكولوجيا الفرد ، بهذا المعنى الموسع للكلمات والمبرر تماما ، سيكولوجيا المجتمع أيضا فى الوقت ذاته . (XVIII, 69)

لكن هذا البرنامج لم يُنجز ، ولم يتابع أحد من خلفاء فرويد مختلف التفاعلات والتحديدات المتبادلة ، التى يضع خطوطها هنا ، بتقديم أى شىء على قدر من الأهمية النظرية . إن تاريخ الثقافة الإنسانية يمثل غالبا ، بالنسبة للتحليل النفسى اليوم ، مجرد تاريخ للكبت ونتائجه ؛ والكبت-شأنه فى ذلك شأن الرغبة التى يسيطر

عليها-هو غالبا مجرد مُعطى سيكولوجى ، مجرد حقيقة عن الحياة الباطنية . وحيث أن المجتمعات كلها والجماعات الاجتماعية عوامل تتحكم فى رغبة الإنسان ، فإن التجمع يمارس ضغوطا مَرَضِيَّة محدَّدة بدلا من أن يبدو وكأنه يفتقر إلى القوة والترابط بوصفه مادة لموضوع إكلينيكي أو علمي . إن التبدل والتحرر من الأوهام بيدوان وكأنهما القَدَرُ الحتمى لآى منظرٍ ينظر إلى المجتمع من خلال عدسات من هذا النوع . إذن ، لماذا ينظر ؟ إن التحول الفرويدى المستسلم باتجاه العقل ، التحول الذى يُدرك بوصفه نسقا شبه تلقائى لقوى بينها علاقات متبادلة ، لم يتطور تطورا بارزا على يدى لاكان، بالرغم من إلحاحه على أن اللغة هى الحامل الحتمى للمعانى الاجتماعية إلى داخل العقل . إن "سلسلة الدوال" اللاكانية لا يمكن أن تقوم بأكثر من ربط عقل الفرد بالعالم الاجتماعى المحيط به حيث تشكلت السلسلة ، ولا يعنى هذا- فيما يتعلق بعدد كبير من مريدى لاكان-أن التحليل النفسى بلغ سن الرشد كنظرية اجتماعية . إن نظرية لاكان ، شأنها شأن نظرية فرويد ، تتيح بالطبع للقوى الاجتماعية الفرصة لتبدو عاملة فى إنتاج بعض صور الرغبة أو نزعاتها المستقرة نسبيا-يمكن أن ندعوها "أنماط العقل"-وهى نظرية مهمة أحيانا بصورة استثنائية فى دراسة موضوعات اجتماعية أو سياسية من قبيل الفاشية ، والجريمة الناتجة عن اضطرابٍ نفسى ، نظام الأقلية الجنسية sexual التمييز الجنسى sexual والعنصرى . ولكن مازال هناك عمل تفصيلى فى حاجة إلى الإنجاز ، عمل عن البنية الاجتماعية من ناحية وعن البنية النفسية التى يصفها التحليل النفسى من الناحية الأخرى-وفى أثناء ذلك تكون الشعارات السياسية السحرية من النوع الذى يقدمه التحليل النفسى بديلا هزिला لذلك العمل .

إن المشكلة مزدوجة : لقد فشل التحليل النفسى إلى حد بعيد فى تطوير بصائره الاجتماعية الباكرة ، وفشل أيضا ، وبصورة أكبر ، فى الرد على الانتقادات الباكرة التى وجهت إليه وكانت أكثر دقة . إن أعمالا من قبيل الفرويدية من منظور النقد الماركسى *Freudianism. A Marxist Critique* (١٩٢٧) لفولوزينوف Volozinov V.N.^(١٢) أو *Critique des fondements de la psychologie*

(١٩٢٨) لجورج بولتزر Politzer ، بكل ما تحمله من حماس ومغالاة تشير بعض الصعوبات الحاسمة ، وكان من الممكن ، إذا كانت قد وضعت فى الاعتبار تماما ، أن تكون ذات فائدة عظيمة بالنسبة للتحليل النفسى فى تنقيح النظرية وتوسيعها . وقد تمت الدعوة بانتظام منذ أوائل الثلاثينيات لوضع برنامج للبحث المشترك بين التحليل النفسى وعلم الاجتماع ، وربما كانت أكثر حماسا على أيدي كتاب ارتبطوا بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعى : على أيدي إريك فروم الشاب فى بحث بعنوان "منهج علم النفس الاجتماعى التحليلى ووظيفته" (١٩٣٢) وعلى أيدي أدورنو Adorno وهبرماس Habermas فى مناسبات عديدة .^(١٣) لكن التحليل النفسى المؤسسى "الرسمى" ، مع أنه استسلم للديالوج فى إجراءاته العلمية والإكلينيكية ، إلا أنه رفض بإصرار هذه الدعوات للديالوج مع جاره الأجدر بالاختيار من بين العلوم الإنسانية .

قلتُ فى التصدير إن هذا الكتاب لم يكن له أن يكون عملا نظريا ولا أنوى أن أحوله إلى ذلك فى هذه المرحلة المتأخرة من الكتاب ، بالرغم من أن الحاجة ملحة إلى نظرية متكاملة عن التفاعل بين البنية الاجتماعية والبنية النفسية . وأفضل ما يمكن أن أقوم به لتعزيز هذه الغاية فى نهاية دراسة سعت ، إلى حد ما ، إلى وصف التحليل النفسى بعمل بارز فى صورة حكاية نثرية ، ربما يتلخص ببساطة فى أن أذكر قارئى بقدرة بروسست ، فى وصف المشاعر والسلوك ، على العمل الفعال على تخوم المجتمع وعقل الفرد . وكمذكّر عنيد بهذا البعد ، أعود بإيجاز إلى أسطورة أكتيون ، لأضع الشفقة الذهنية لرؤية لاكان أمام الشبق فى رؤية بروسست ، الشبق الذى يحمل صبغة اجتماعية بشكل تام . وفى الفقرة التالية من افتتاحية *Sodome et Gomorrhe* ، يتحدث كارلوس مع جوبان عن المذاق والمناورات الجنسية ويسمعه الراوى صدفة :

كان أحد جرسونات الغرف معروفا بالنسبة لى ، وقد أشرتُ له إلى "قناص" صغير شيق ، وفتح لى أبواب العربة وظل حرونا بشأن اقتراحاتى . أخيرا ، قدّمتُ له ، وأنا ساخط وحتى أثبت له حسن نواياى ، مبلغا كبيرا بصورة تدعو للضحك مقابل أن يصعد السلالم ويتحدث معى فى غرفتى خمس دقائق .

انتظرتُ نون جدوى ، وإذ ذاك بلغ الاشمئزاز درجة جعلتني أعتادُ الخروج من باب الخدم حتى لا أرى تكشيرته الثقافية الخسيصة في وجه الآخر . علمتُ بعد ذلك أنه لم يهتم أبداً بأيّة ملاحظة من ملاحظاتي ، التي حُصرتُ ، أولاً بواسطة جرسون الغرفة الذي كان غيورا ، وثانياً بواسطة البواب النهارى الذى كان عفيفا ، وثالثاً بواسطة البواب الليلي الذى كان واقعا في عشق القناص الصغير واعتاد أن ينام معه في الساعة التي تستيقظ فيها ديانا . لكن اشمئزاضى استمر رغم كل شيء ، وكان عليهم إحضار الغلام إلى مثل طبق من لحم الغزال على صينية من الفضة ، وكان على معدتى أن تلفظه .^(١٤) (٦١٢ - ٦١٣)

إن أكتيون هنا مخلوق ينتمى إلى تاريخ اجتماعى مثمما هو مخلوق ينتمى إلى عالم الأسطورة : إن القناص *chasseur* ("الخادم" ، "الصياد") الذى يتحول إلى موضوع بارز للفضول الجنسى عند كارلوس يدعى بهذا الاسم لأن زيه الفندقى يذكر على الأقل برداء الصيد . إن أسلافه الذين كانوا يرتدون هذه الملابس كانوا جديرين بعمل فى العراء كسائسى خيل ، وبالتالي كان أسلافهم جديرين بالانتماء إلى طبقة وضيعة من الصيادين . إن لعب بروسى على القناص يعود بنا عبر الزمن التاريخى إلى عالم الأسطورة والخرافة ، وتحدد ديانا بروسى تحديدا مزدوجا بالطريقة نفسها : إنها الراعية المقدسة للبواب *concierge* ، ذلك الذكر الفاسق ، ولكنها أيضا ديانا دى بويتير Diana de Poitiers ، التى ذكرها كارلوس فى مستهل الفقرة ذاتها . والأوهيميرية *euhemerism* [نظرية تنسب إلى أهيميروس فى القرن الرابع قبل الميلاد تفسر الأساطير بأنها تعليقات تراثية على أشخاص وأحداث تاريخية-المترجم] التى يشير بها كارلوس هنا إلى الطبقات الأدنى فى رياضة العشق يشير بها أعضاء الطبقة الأرستقراطية المتحجرة فى مواضع أخرى من الرواية إلى أنفسهم : إن تقديس الذات مناوراة بارزة تشتري بها الأرستقراطية المتحللة الزمن . لكن بروسى ينظم فى خيوط السياسات الهزلية لمونولوج كارلوس بورتريها هزليا مساويا له عن النشاط الجنسى المختلس . يتذكر كارلوس أن أكتيون يصبح صالحا للأكل حين يتحول إلى أيل ، وعلى نحو ملائم يتخيل القناص مقتولا ومطبوخا ومقدما على طاولة . إن بروسى

هنا لا يستطيع ليونة الليبيدو ، تحول شهية مجسدة إلى أخرى فحسب ، ولكنه يستطيع أيضا الأساس الليبيدي للسلوك الاجتماعي-إن إدراك كارلوس يغمر في فنتازيا جنسية ولاشمنزازه المنحط على نحو أبسوردي من القناص الذي لا يستجيب لرغباته أسباب اجتماعية وعاطفية وجسدية في الوقت نفسه . إن أكتيون المخزي في رواية بروسست ، على العكس من أكتيون لاكان ، يُحدّد بعدة عوامل تحديدا رائعا ، وفي التنقل الانسيابي بين التاريخ والأسطورة ، بين الجنس والمجتمع ، بين الشهية العقلية والشهية الجسدية ، يقدم شعارا أغنى بكثير من الصياد الممزق ، في أعمال لاكان ، في غاية لم تنته في انتظار نظرية التحليل النفسي .

كان الموضوع الذي تناولته في هذه الصفحات يمثل إدراكا ذاتيا متقطعا لنظرية بوصفها اشتها . وينبثق جزء كبير من هذا الإدراك ، بالنسبة للكتاب الثلاثة [فرويد وبروست ولاكان ، والإشارة بالطبع إلى كتاب مالكولم بويي-المترجم] الذين تناولتهم، من الاكتشاف المتكرر لقابلية النظريات والمؤلفين للهدم . إن الكتاب الثلاثة جميعهم يلقون بأنفسهم في مهب الرياح على ذلك المحيط العقلي حيث يحول مشهد نظرية بلا نهاية التفكير باتجاه الموت . موت أسرع من هذا اللهو اللامتناهي في الحكايات... لكنّ للثلاثة جميعهم اشتها مضادا أيضا . إنهم يضعون النظرية كيقين مسبق مقابل النظرية كحكاية . لفرويد في حفريات ، وللراوى الغيور عند بروسست في ذكرياته اللاإرادية ، وللاكان في مواجهاته الخرساء مع الواقعي *réel* الذي يقع إلى الأبد بعيدا عن متناول اللغة ، لهم جميعا مدخل إلى ذلك "اليقين الذي يشبه المتعة" ، اليقين الذي يتحدث عنه الراوى . إن علمهم الجديد يبدأ في لعبة التصريح الذاتى للرغبة بين اليقين والانقراض ، بين الأساس الوطيد والطريق المسدود .

هوامش الفصل السابع

- ١- راجع ص ١٠٣ . من الأصل الإنجليزى ، فصل "لاكان" وهو الفصل الثانى من كتابنا .
- ٢- بالفرنسية فى المتن .
- ٣- للاطلاع على البعد الأسطورى فى "Three blows" لفرويد ، انظر ، Gillian Beer, Darwin's Plots, 12-13
- ٤ - هذه الفقرة من الجزء الأول ، الديالوج الرابع من *De gl'Heroici Furori* (١٥٨٥) هى إحدى الفقرات العديدة التى تتناول أكتيون الخيالى . والنص الإيطالى مقتبس عن نص هنرى ميشيل ، والترجمة عن بول يوجين ميمو . Memmo. وقد نشرت طبعة ميشيل التى تحتوى على ترجمة فرنسية كاملة قبل تأليف "الشيء الفرويدى" بعامين . إلا أن مذكراً موضوعياً أكبر باكتيون يُقدّم فى *Le Bain de Diane* حمّام ديانا من تأليف بيير كلوسوفسكى Klossowski وقد نشر فى العام الذى كُتب فيه بحث لاكان (١٩٥٦) وتقدم فقرات لاكان عن ديانا تعليقا (عن الأنواع) على البحث القصير الملغز الذى كتبه فرويد بعنوان "عظمة ديانا أهل أفسس" (١٩١١) (XII, 342-4) ، واستجابة لعقدة أكتيون *complexe d'Actéon* عند سارتر (الوجود والعدم ، ٦٦٧) : لا يُعاقب أكتيون سارتر على النظرة التى اختلسها ، على العكس من أكتيون أوفيد وأكتيون لاكان .
- ٥ - راجع *Rime sparse*, 23 (ص ٦٧ فى طبعة روبرت دورلنج المطبوعة بلغتين ، وعنها اقتبسنا النص والترجمة) . ويرجع تاريخ هذه القصيدة إلى عام ١٢٥٠ . ويشرح دورلنج فى مقدمة هذه الطبعة معالجة بترارك الدقيقة لأسطورة أكتيون وموضوعات أرفيدية أخرى (٢٧-٣٣) . ويحكى بوكاشيو الأسطورة مرة أخرى فى *Genealogie deorum gentilium libri* (الكتاب الخامس ، الفصل الرابع عشر) (Opera, X, 249) .
- ٦- راجع إما/أو ، الكتاب الأول ، ١٣٤ .
- ٧ - مصرحاً بما يدين به لكوسوفسكى فى حمّام ديانا (راجع الهامش رقم ٤) ، ينهى جين ستروبينسكى Starobinski مقالته "Psychanalyse et connaissance littéraire" (١٩٦٤) عن استدعاء أكثر اعتدالا لأكتيون فى دوره كراع فى التحليل النفسى:

Critiques, analystes, gardez allumée la lampe de Psyché, mais songez au destin d'Actéon!' (La relation critique, 285)

٨ - بالفرنسية فى المتن . الحذف موجود فى العبارة المقتبسة عن لاكان .

٩ - بالفرنسية فى المتن .

١٠ - انظر ، على سبيل المثال ، "خمسة مقالات فى التحليل النفسى" (١٩١٠) (XI, 39) ؛ "عوائق فى مسار التحليل النفسى" (١٩١٧) (XVII, 441-731) و"مقاومات التحليل النفسى" (١٩٢٥) (XIX, 213-222) .

١١ - انظر ص ١٢٩-١٣١ من الأصل الإنجليزى ، فصل بعنوان "لاكان" .

١٢ - لستُ ملماً بقصة نشر هذا العمل مترجماً ؛ ومن المحتمل أن ذلك العمل ، الذى كتب فى الأصل ونشر بالروسية فى الاتحاد السوفيتى ، لم يكن متاحاً حتى وقت قريب لمعظم الفرويديين الذين كان من الممكن أن يستفيدوا من قراءته .

١٣ - إن إنتاج الرغبة الذى كتبه ريتشارد ليشمان (١٩٨٢) يعتبر من أذع الانتقادات الماركسية الحديثة للتحليل النفسى . ويستقصى فيليب ريفف Rieff الخيوط المتفاوتة فى تأملات فرويد فى العلاقة بين التحليل النفسى والسياسة فى فرويد : عقل الأخلاقى ("السياسة والفرد" ، ٢٢٠ - ٢٥٦) وهو عمل مازال بارزاً ومازال وثيق الصلة بالموضوع المطروح .

١٤ - بالفرنسية فى المتن .

الرسالة المسروقة

إدجار آلان بو

فى باريس ، بعد أمسية عاصفة ومظلمة فى خريف ١٨ - ، كنتُ أستمتع بالتأمل
وتدخين الغليون ، فى صحبة صديقى س. أوجست دويين فى مكتبته الخلفية الصغيرة ،
أو خزانة الكتب ، فى الدور الثالث ، بالمنزل رقم ٣٣ ، شارع دانو ، بضاحية سان
جرمان . صممتنا صممتا مطبقا لساعة على الأقل ، وربما بدا كل منا ، لآى عابر ،
وكأنه مشغول فقط وعلى نحو متعمد بدوامات الدخان الذى عبأ جو الغرفة . إلا أن
ذهنى كان مشغولا بموضوع قضية ناقشناها فى وقت مبكر من الأمسية؛ أقصد
مسألة شارع مورج ، وسر قاتل مارى روجيه . وحين كنتُ أبحث المسألة فى رأسى ،
فُتِحَ بابُ غرفتنا ودخل شخص نعرفه منذ وقت طويل ، إنه مسيو ج - ، رئيس شرطة
باريس .

رحبنا به ترحيبا حارا ؛ كان الرجل ممتعا بقدر ما كان تافها ، ولم نكن قد
رأيناه منذ عدة سنوات . كنا نجلس فى الظلام ، وقام دويين ليضىء مصباحا ، ولكنه
جلس مرة أخرى قبل أن يضيئه حين قال ج - إنه يريد أن يستشيرنا ، أو أنه
بالأحرى يريد أن يسأل صديقى عن رأيه فى بعض الأعمال الرسمية التى أثارت قدرا
كبيرا من الاضطراب .

"إذا كانت مسألة تستدعى التفكير ،" علق دويين وتوقف عن إشعال الفتيل، "فمن
الأفضل أن نفحصها فى الظلام ."

"إنها مقولة أخرى من مقولاتك الغريبة ،" قال رئيس الشرطة وكان قد اعتاد أن
يصف كل ما لا يفهمه بأنه "غريب" ، ومن ثم عاش وسط حشد هائل من "الأمور
الغريبة ."

"هذا صحيح تماما" ، قال دويين وهو يقدم غليوننا لزائره ويقرب منه مقعدا وثيرا .
"إذن ، ما المشكلة ؟" سألتُ . "أليست جريمة قتل ؟"

"أوه ، لا ، إنها ليست شيئا من هذا القبيل . إنها مشكلة بسيطة للغاية فى
الواقع ، ولا أشك فى قدرتنا على حلها بأنفسنا حلا مُرضيا ؛ لكننى أظن أن دويين
يود سماع بعض التفاصيل ، لأنها شديدة الغرابة ."

"بسيطة وغريبة" ، قال دويين .

"لماذا ، نعم ؛ لكنها ليست كذلك تماما . الحقيقة أننا ارتبكنا جميعا ارتباكاً شديداً لأن الأمر بسيط للغاية ، ولكنه أصابنا بحيرة هائلة ."

"ربما هذه البساطة الشديدة فى الموضوع هى ما يجعلك غير قادر على اكتشافه"
، قال صديقى .

"ما هذا الهراء الذي تتنطق به!" ردَّ رئيسُ الشرطة ، وهو يضحك من أعماقه .

"ربما كان السرُّ أبسطَ من أن يتضح" ، قال دوبيين .

"أوه ، أيتها السماء ! من سمع بمثل هذه الفكرة ؟"

"أبسط من أن يحتاج إلى دليل."

"ها! ها! ها! - ها! ها! ها! - هو! هو! هو!" - قهقهه الزائر، وضحك

من أعماقه ، "أوه ، دويين ، ستكون السبب في موتي !"

"وبعد ، ما القضية ؟" سألت .

"سأحكي لكما"، ردَّ رئيس الشرطة، وهو ينفث نفثة تأملية طويلة وهادئة، ثم استقر في مقعده. "سأحكي لكما بإيجاز؛ ولكن قبل أن أبدأ أود أن أقول إنه أمر على قدر كبير من السرية، وسأفقد منصبى على الأرجح إذا علم أحد بأننى بحثُ به لأي شخص".

"ابدا"، قلت .

"أَوْ لَا تَبْدَأُ" ، قَالَ دُوبِين .

”حسنًا ؛ تلقيت معلومات شخصية ، من شخصية رفيعة المستوى ، بسرقة وثيقة على أقصى درجة من الأهمية من أحد الأجنحة الملكية . إن الشخص الذي سرقها شخص معروف ؛ وهو أمر لا يرقى إليه الشك ؛ فقد شوهد وهو يأخذها . ومن المعروف أيضا أنها لا تزال في حوزته .“

"كيف عرفت ذلك؟" سأل دويين .

"يمكن استنتاج ذلك بوضوح" ، رد رئيس الشرطة ، "من طبيعة الوثيقة ، ومن عدم ظهور بعض النتائج التي كانت ستظهر لو خرجت من حوزة السارق ؛-أى من استخدامه لها بالصورة التي ينوى عليها فى النهاية ."

"أفصح أكثر" ، قلتُ .

"حسنا ، يمكن أن أغامر بالقول إن الورقة تمنح الحائز عليها قدرة معينة فى جانب معين وتكون هذه القدرة على درجة هائلة من الأهمية . " وكان رئيس الشرطة مغرما بهذه الرطانة الديبلوماسية .

"لا أفهم حتى الآن" ، قال دوبيين .

"لا تفهم ؟ حسنا ؛ إن كشف الوثيقة لشخص ثالث ، سيبقى اسمه طى الكتمان ، قد يسىء إلى سمعة شخص يحتل أرفع المواقع ؛ وهذه الحقيقة تمنح الحائز على الوثيقة سطوة على الشخص رفيع المستوى الذى تتعرض سمعته وسلامه لخطر شديد ."

"لكن هذه السطوة" ، قاطعته ، "تعتمد على معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق . مَنْ يجسر-"

"اللى" ، قال ج- ، "هو الوزير د-، الذى يجسر على أى شىء ، سواء أكان لا يليق بالرجل أم يليق به . إن طريقة السرقة كانت تعتمد على الجسارة . إن الوثيقة التى نتحدث عنها-هى ، بصراحة ، رسالة-استلمتها الشخصية المسروقة بينما كانت بمفردها فى المخدع الملكى . وبينما كانت مستغرقة فى القراءة توقفت فجأة عن القراءة لدخول الشخص الآخر رفيع المستوى وكانت حريصة على إخفائها عن عينيه . وبعد محاولة متسربة وعقيمة للدفع بها فى أحد الأدراج، اضطرت إلى تركها فى موضعها على الطاولة ، مفتوحة كما كانت . وكان العنوان مكتوبا فى أعلى جزء من الرسالة ، ولم يكن المحتوى ظاهرا ، وما كان للرسالة أن تلفت الأنظار. وفى هذا الوقت يدخل الوزير د - . وفى الحال تقع عينه الحادة على الورقة ، ويتعرف على الخط الذى كُتب به العنوان ، ويلاحظ اضطراب الشخصية التى وُجِّهَتْ إليها الرسالة ،

ويسير أغوار سرها . وبعد بعض الإجراءات العملية ، التي أنجزها على عجل كعادته ، يكتب رسالة شبيهة إلى حد ما بالرسالة التي نحن بصددھا، يفتحها ويتظاهر بقراءتها ثم يضعها بجوار الأخرى . مرة أخرى ، يتحدث ، حوالى خمس عشرة دقيقة ، فى شئون عامة . أخيراً ، وهو يستأذن بالانصراف ، يأخذ من فوق الطاولة الرسالة التي ليست من حقه . وقد رأته المالكة الأصلية ، لكنها بالطبع لم تجسر على لفت الأنظار إلى هذا الفعل ، فى وجود الشخص الثالث الموجود بجوارھا . رحل الوزير ؛ تاركا رسالته – وهى عديمة الأهمية – على الطاولة .

"هنا ، من ثم" ، قال لى دوبين ، "لديك بكل دقة ما تحتاج إليه لتجعل السطوة كاملة – معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق ؛"

"نعم" ، رد رئيس الشرطة ؛ "وهكذا استُخدمتُ ، لعدة شهور مضت ، القدرة التي تحققت بهذه الوسيلة ، لتحقيق أغراض سياسية بالغة الخطورة . وكل يوم يزداد إيمان الشخصية المسروقة بضرورة استرداد رسالتها . ولكن لا يمكن أن يتم هذا ، بالطبع ، بصورة علنية . باختصار ، قادھا يأسھا إلى أن تكلفنى بالقضية ."

"طبقا لذلك" ، قال دوبين وسط دوائر الدخان الكاملة ، "أرى أن المطلوب وسيلة بارعة ولا يمكن تخيل أى شىء سوى ذلك ."

"إنك ترضى غرورى" ، رد رئيس الشرطة ؛ "لكن من المحتمل أن نكون قد فكرنا فى مثل هذا الرأى ."

"هذا واضح" ، قلتُ ، "كما تذكر ، مازالت الرسالة فى حوزة الوزير . وحيث أن هذه الحيازة ، وليس أى استخدام آخر للرسالة ، هى التي تمنح القدرة ، فإن هذه القدرة تنتهى مع استخدامها ."

"حقا" ، قال ج - ؛ "وبناء على هذا الاعتقاد تصرفت . كان اهتمامى الأول تفتيش قصر الوزير بكل دقة ؛ وكانت نقطة الضعف الأساسية تكمن فى ضرورة التفتيش بدون أن يعرف . والأهم ، أنه تم تحذيرى من الخطورة التي قد تنجم عن إعطائه مبررا للارتياح فى خطتنا ."

"لكنك" ، قلتُ ، "بارع تماما فى مثل هذه التحقيقات . لقد قامت الشرطة الباريسية بهذا العمل كثيرا من قبل ."

"أو ، نعم ؛ ولهذا لم ينتابنى اليأس . وقد منحتنى عادات الوزير ، أيضا ، مزية عظيمة . إنه كثيرا ما يغيب عن بيته طوال الليل . وعدد الرجال الذين يخدمونه ليس كبيرا على الإطلاق . إنهم ينامون على مسافة من جناح سيدهم ، وحيث أن معظمهم من نابولى ، فإنهم يسكرون بسهولة . لدى مفاتيح ، كما تعلمان ، يمكن أن أفتح بها أية غرفة أو خزانة فى باريس . لم تمر ليلة منذ ثلاثة شهور ، نون أن أنهمك ، شخصيا ، فى الجزء الأكبر منها ، فى تنقيب قصر د- . إن سمعتى مهمة ، وإذا كان لى أن أبوح بسر عظيم ، فإننى أذكر أن المكافأة هائلة . ومن ثم لم أتوقف عن البحث إلا حين اقتنعتُ تماما بأن اللصُ رجلٌ أكثر دهاء منى . وأظن أنى فتشتُ كل زاوية وركن فى المواضع التى من المحتمل أن يخفى الورقة فيها ."

"لكن أليس من الممكن" ، اقترحتُ ، "بالرغم من أن الرسالة قد تكون فى حوزة الوزير ، وأن ذلك ليس موضع شك ، إلا أنه أخفاها خارج المواضع الخاصة به؟"

"إنه احتمال واضح" ، قال بوبين . "إن الحالة الخاصة حاليا بأمر المحكمة، وخاصة تلك المؤامرات التى من المعروف أن د-متورط فيها ، تجعل الوجود الحالى للوثيقة-قابليتها للتأثير حين تُرى-نقطة تكاد تساوى فى الأهمية امتلاك الوثيقة ."

"قابليتها للتأثير؟" سألتُ .

"بمعنى ، قابليتها للتدمير" ، قال بوبين .

"حقا" ، علقْتُ ؛ "واضح من ثم أن الورقة فى مكان ما ، علينا استبعاد وجودها مع شخص الوزير ."

"تماما" ، قال رئيس الشرطة . "هوجم مرتين ، كما لو أن المسألة تمت بواسطة قطاع الطرق ، وفتش تفتيشا شخيصيا دقيقا أمام عينى ."

"كان عليك أن تجنب نفسك التعرض لمثل هذه المشاكل" ، قال بوبين . "د-، أظن أنه ليس أحقق على الإطلاق ، وإذا سلمنا بأنه ليس أحقق ، فإنه قد توقع بالضرورة مثل هذه الهجمات كشئ بديهى ."

"ليس أحمق على الإطلاق" ، قال ج- ، "لكنه شاعر ، وأعتقد أنه لا ينأى به عن الحماسة سوى ذلك ."

"حقا" ، قال دوبيين ، بعد أن سحب نفساً طويلاً وعميقاً من غليونه ، "مع أنني أشعر بالإثم من بعض الشعر الهزلي الذي نظمته أنا نفسي ."

"افترض أنك رويت بالتفصيل" ، قلتُ ، "خصوصيات ما قمتُ به من بحث ."

"الحقيقة أننا استغرقنا وقتاً كافياً ، وبحثنا في كل مكان . إنني خبرتني طويلاً بمثل هذه الأمور . فتشتُ المبنى بكامله ، غرفةً غرفةً ؛ مخصصاً ليالي أسبوعٍ كامل لكل غرفة . فحصنا ، أولاً ، أثاث كل جزء . فتحنا كل الأدراج التي من المحتمل أن توجد في أحدها ؛ وأظن أنكما تعرفان أنه من المستحيل أن يوجد درج سرى بالنسبة للشرطة المدربة تدريباً حقيقياً . إن أي شخص يخصص درجاً 'سرياً' لينقذ نفسه من هذا النوع من التفتيش يكون إنساناً غيبياً . إنها مسألة واضحة تماماً . ثمة قدر معين من المواضع-من الفراغ-نفتشه في كل خزانة . لدينا قواعد دقيقة . لا يفلت منا أصغر الأشياء . بعد الخزائن فتشنا المقاعد . دسنا في الوسائد الإبر الطويلة الدقيقة التي رأيتماني أستخدمها . أرحنا رؤوس الطاولات ."

"لماذا؟"

"أحياناً ، يُزاح رأس الطاولة ، أو أية قطعة مماثلة من الأثاث ، بواسطة شخص يود إخفاء شيء ؛ ثم يجوف الرجل ، ويضع ما يريد إخفاءه في التجويف ، ثم يعيد الرأس إلى ما كان عليه . وبالطريقة نفسها تستخدم قواعد أعمدة الأسرة ورؤوسها ."

"لكن ، ألا يمكن تحديد التجويف بواسطة الصوت ؟" سألتُ .

"لا سبيل إلى ذلك ، حين يوضع الشيء المراد إخفاؤه ، يمكن وضع كمية كافية من القطن حوله . إلى جانب أننا ، في هذه الحالة ، كنا مضطرين إلى العمل بدون إثارة أي قدر من الضوضاء ."

"لكنك لا تستطيع إزاحة - لا تستطيع تفتيش كل قطعة من قطع الأثاث التي يمكن عمل مخزن فيها بالطريقة التي ذكرتها . إن الرسالة يمكن ضغطها على هيئة لفافة لولبية رقيقة ، لا تختلف كثيراً من حيث الشكل أو الحجم عن إبرة كروشييه كبيرة ،

وبهذا الشكل يمكن دسها فى دعامة أى مقعد ، على سبيل المثال . هل فتشت كل مقعد جزءا جزءا ؟"

"لا ، بالتأكيد ؛ لكننا فعلنا ما هو أفضل من ذلك-فحصنا دعامات كل مقعد فى القصر، وبالطبع فحصنا كل المفاصل الموجودة بين قطع الأثاث ، بأقوى الميكروسكوبات . وما كان لنا أن نفشل فى تحديد أى أثر لاضطراب حديث على الفور . إن أية حُببية من رماد الحفر ، على سبيل المثال ، كانت ستنبو فى حجم تفاحة . إن أى خلل فى استخدام الغراء-أية فجوات غير معتادة-كان سيكتشف بالتأكيد ."

"أفترض أنك فتشت المرايا ، وبين الموائد والأطباق ، وقمت بجس الأسرة وفراشها ، كما فتشت الستائر والسجاجيد ."

"بالطبع ؛ وحين انتهينا تماما من فحص كل جزء من الأثاث على هذا النحو، فحصنا المنزل نفسه . قسمنا سطحه بالكامل إلى قطاعات ، ورقمناها ، حتى لا ننسى أى جزء ؛ ثم دققنا البحث فى كل بوصة من المبنى ، بما فى ذلك المنزلين الملتصقين به ، بالميكروسكوب ، كما سبق أن ذكرت ."

"المنزلان الملتصقان !" تعجبت ؛ لا بد أنكم عانيتم قدرا كبيرا من المشقة."

"عائينا ؛ لكن المكافأة المعروضة هائلة ."

"هل فتشت الأراضى الموجودة حول المنازل ؟"

"إن الأراضى كلها مرصوفة بالقرميد . وقد سببت لنا مشقة أقل نسبيا . فحصنا ما بين القرميد من طحالب ، ووجدنا كل شىء على ما يرام ."

"بالطبع ، فحصتم أوراق د - وكتب مكتبته ؟"

"بالتأكيد ؛ فتحنا كل رزمة وكل طرد ؛ لم نكتف بفتح كل كتاب ، لكننا قلبنا كل ورقة فى كل مجلد ، ولم نقنع بمجرد إلقاء النظرة ، كما هو معتاد فى بعض نوائر البوليس . قسنا أيضا سُمك غلاف كل كتاب ، بأكثر القياسات دقة وفحصناها بأكثر الميكروسكوبات دقة . وكان من المستحيل أن ننسى ملاحظة أى تدخل حديث فى أغلفة الكتب . وفحصنا بالإبر خمسة مجلدات أو ستة فحصا طوليا ودقيقا كانت قد جاءت من عند المجلد الكتب مباشرة ."

"هل فتشتم تحت السجاجيد؟"

"بدون شك . رفعنا كل سجادة ، وفحصنا حوافها بالميكروسكوب ."

"والورق الموجود على الحوائط؟"

"نعم ."

"هل نظرتم فى القباء؟"

"نظرنا ."

"قلتُ "إذن ، أخطأتم التقدير ، والرسالة ليست فى المبنى ، كما تفترضون ."

"أخشى أن تكون مصيبا فى ذلك" ، قال رئيس الشرطة . "والآن ، دوبيين، بما

تنصحنى؟"

"بتفتيش المبنى بدقة من جديد ."

"لا حاجة إلى ذلك على الإطلاق" ، ردُّ ج - . "إننى متأكد من أن الرسالة ليست

فى القصر بقدر ما أنا متأكد من أننى أتنفس ."

"ليس عندى نصيحة أفضل أقدمها إليك" ، قال دوبيين . "لديك ، بالطبع ، وصف

دقيق للرسالة؟"

"أوه نعم !" - وهنا بدأ رئيس الشرطة ، مبرزاً مذكرة ، يقرأ بصوت مرتفع تعليقا

دقيقا على المظهرين الداخلى والخارجى للوثيقة المفقودة . وبمجرد الانتهاء من قراءة

هذا الوصف ، رحل الجنتلمان الطيب مكتئبا بصورة لم أره عليها من قبل .

وبعد ذلك بحوالى شهر زارنا مرة أخرى ، ووجدنا مشغولين على نحو مشابه

تماما للصورة التى كنا عليها فى المرة السابقة . تناول غليوننا ومقعدا واشترك معنا

فى حوار عادى . وسألتُ أخيرا ، -

"حسنا ، ولكن يا ج - ، ماذا عن الرسالة المسروقة ؟ أعتقد أنك اقتنعت فى

النهاية أنه لا يوجد مكر يشبه مكر الوزير؟"

"عليه اللعنة ، أقول - نعم ؛ أعدتُ البحث كما اقترح دوبيين - لكن كل الجهود

ضاعت هباء ، كما توقعت ."

"هل قلتَ ما مقدار المكافأة المقدمة؟" سأل دوبيين .

"لماذا ، مبلغ كبير جدا - مكافأة هائلة حقا - لا أريد أن أقول كم بالضبط ؛ لكن يمكن أن أقول إنني لن أتوانى عن منح شيك بمبلغ خمسين ألف فرنك لأي شخص يستطيع أن يحصل لى على هذه الرسالة . الحقيقة ، إن أهميتها تزداد يوما بعد يوم ؛ وقد تمت مضاعفة المكافأة أخيرا . ولكن حتى لو تضاعفت ثلاث مرات فلن أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت ."

"لماذا ، نعم" ، قال دوبيين ، متشدقا ، بين زفرات الغليون ، "إننى فى الحقيقة - أظن ، يا ج - ، أظن أنه ربما كان من الممكن أن تفعل أكثر مما فعلت ، إيه؟"

"كيف ؟ - بأية طريقة ؟"

"لماذا - بَفْ ، بَفَرِ بما تستطيع الاستعانة بمستشار فى المسألة ، إيه ؟ - بَفْ ، بَفْ ، بَفْ . هل تذكر الحكاية التى يحكونها عن إبرنيثى ؟"

"لا ؛ ليشنق إبرنيثى !"

"للتأكد ! اشنقه والسلام . ولكن ، ذات مرة ، تصور بخيل غنى أنه يمكنه أن يتطفل على إبرنيثى ويأخذ رأيه فى موضوع طبي . واخترق ، لهذا الغرض ، محادثة عادية فى صحبة خاصة ، وعرض حكايته على الطبيب ، وكأنها حكاية شخص من صنع الخيال .

"سنفترض ، قال البخيل ، أنه كان يعانى من كذا وكذا ؛ والآن ، يا دكتور ، بماذا تنصحه أن يأخذ ؟"

"يأخذ ؛ قال إبرنيثى ، لماذا ، تأكد ، أنه لن يأخذ سوى نصيحة ."

"لكن ، قال رئيس الشرطة ، ببعض الغيظ ، "إننى أود تعاما أن آخذ بالنصيحة ، وأن أدفع المقابل . سأقدم حقا خمسين ألف فرنك لأي شخص يساعدنى فى هذه القضية ."

"فى هذه الحالة ،" رد دوبيين ، وفتح أحد الأدراج ، وأخرج دفتر الشيكات ، "يمكن أن تكتب شيكا بالمبلغ المذكور . وحين توقعه ، سأعطيك الرسالة ."

صُعِقْتُ . وبدأ رئيس الشرطة فى حالة ذهول تام . وبقي لعدة دقائق صامتا ومتصلبا وهو ينظر إلى صديقى فاغراً فاه نظرة ملؤها الشك ، وبدأت عيناه خارجتين من محجريهما ؛ ثم بدا وكأنه استعاد نفسه إلى حد ما ، أمسك بالقلم ، وبعد كثير من التردد والتحديق الأجوف ، كتب فى النهاية شيكا بخمسين ألف فرنك ووقعه ، وقدمه عبر الطاولة لدوبين . فحصه الأخير بعناية ووضعه فى دفتر شيكاته ؛ ثم فتح مكتبه ، وتناول رسالة سلمها لرئيس الشرطة . أمسك بها هذا الموظف فى نوبة من المتعة الكاملة ، فتحها بيد مرتعشة ، وألقى نظرة سريعة على محتواها ، وبعد ذلك ، اندفع شاقا طريقه إلى الباب ، وخرج فى النهاية بصورة فظة من الغرفة ومن المنزل ، ودون أن يتفوه بحرف منذ طلب منه دوبين أن يملأ الشيك .

حين رحل ، قدّم صديقى بعض التفسيرات .

"إن رجال البوليس الباريسى" قال ، "قادرون إلى حد بعيد على تنفيذ خططهم . إنهم يتميزون بالثابرة والبراعة والدهاء ، ومحكون تماما فى معرفة ما تتطلبه واجبات عملهم . وهكذا حين حكى ج-لنا بالتفصيل أسلوبه فى تفتيش الأثاث فى قصر د-، شعرتُ من أعماقى بالثقة فى أنه قام بفحص مقنع-بقدر إمكانيات رجاله." "بقدر إمكانيات رجاله ؟" تساءلتُ .

"نعم ،" قال دوبين . "إنهم استخدموا أفضل الإجراءات ونفذوها بإتقان مطلق . هل وضعت الرسالة فى المواضع التى قاموا بتفتيشها ، لو كان الأمر كذلك لعثروا عليها بالتأكيد ."

ضحكتُ من أعماقى-لكنه بدا جادا تماما فى كل ما قال .

"من ثم ، كانت الإجراءات ،" واصل كلامه ، "كانت إجراءات جيدة ، وقد نُفذتُ بإتقان ؛ ولكن عيبها كان يكمن فى أنها لا تصلح فى هذه الحالة ، ولا مع هذا الرجل . إن هذه المجموعة البارة من الإمكانيات تشبه فى يد رئيس الشرطة سرير بروكستيز [أبروكستيز : لص فى الأساطير الإغريقية كان يمتد أطراف ضحاياه أو يقطع أجزاء منها لكى يجعل طولهم يتناسب مع طول سريريه]-المترجم [يحاول أن يجعلها تتواءم مع

خطئه بالعنف . لكنه يقع فى الخطأ دائما حين يكون شديد العمق أو شديد التسطیح بالنسبة للقضية التى يتناولها ؛ وربما يكون كثير من التلاميذ منطقيين أكثر منه . عرفتُ تلميذا فى حوالى الثامنة من عمره ، أثار نجاحه فى التخمين فى لعبة 'جوز ولا فرد' إعجاب الجميع . إنها لعبة بسيطة ، تلعب بالبلى . يحتفظ لاعب فى يده بعدد من هذا البلى ، ويكون المطلوب من منافسه أن يقول ما إذا كان العدد زوجيا أم فرديا . وإذا كان التخمين صحيحا ، يكسب المخمن بلية ، وإذا كان خطأ يخسر بلية . والولد الذى أتحدث عنه ربح كل البلى فى المدرسة . بالطبع ، كانت لديه قاعدة للتخمين ؛ وكانت تعتمد على الملاحظة وتقدير ذكاء منافسيه . مثلا ، يسأل منافسه الساذج وهو يغلق قبضة يده ، 'جوز ولا فرد ؟' ويرد التلميذ ، 'فرد' ، ويخسر ؛ ولكنه يكسب فى المحاولة الثانية ، حيث يقول لنفسه ، 'كان العدد زوجيا فى المحاولة الأولى، وبراعته لا تكفى إلا لأن يضع فى يده عددا فرديا فى المحاولة الثانية ، ومن ثم سأخمن أن العدد فردى' - ويخمن أن العدد فردى ويكسب . ومع ساذج على النحو السابق، يقول لنفسه : 'يرى هذا الرفيق أننى خمنت فى المرة الأولى أن العدد فردى ، وفى المرة الثانية ، سيفترض من الوهلة الأولى إحداث اختلاف بسيط من الزوجى إلى الفردى ، كما فعل الساذج الأول ؛ ولكن تفكير الثانى سيجعله يظن أن هذا الاختلاف بسيط للغاية ، وسيقرر فى النهاية أن يجعل العدد زوجيا كما كان من قبل. ومن ثم سأخمن أن العدد زوجى' - ويخمن أن العدد زوجى ويكسب . والآن ماذا يكون هذا النمط من التفكير الذى يتمتع به تلميذ ، يدعو زملاؤه 'محظوظا' ، ماذا يكون فى التحليل النهائى ؟

"إنه بكل معنى الكلمة ، "قلتُ ، "تقمص ذكائه المنطقى لذكاء منافسه ."

"وعلى هذا النحو ، "قال دوبين ، "ويبحث أسلوب الولد ، الأسلوب الفعال عبر التقمص الذى كان وراء نجاحه ، توصلت إلى الإجابة التالية : 'حين أود أن أعرف مقدار حكمة شخص ما أو غبائه أو طيبته أو مقدار الشر الذى يحمله فى نفسه ، أو أن أعرف الطريقة التى يفكر بها فى هذه اللحظة ، أغير من تعبير وجهى ، بصورة صحيحة بقدر المستطاع ، بما يتلاءم مع طبيعة تعبير وجهه ، وبعد ذلك أنتظر لأرى أية أفكار أو آراء تنبثق من رأسى أو من قلبى ، وكأنها تقدر التعبير أو تناظره . ' إن

استجابة التلميذ تكمن فى قاع العمق الزائف الذى نسب إلى روشفوكو ولا بوجيف وميكافيللى وكمانيللا .

"والتقمص ، "قلت ، "يعتمد تقمص الذكاء المنطقى لمنافسه ، إذا كنت أفهم ما ترمى إليه فهما صحيحا ، على الدقة التى يقدر بها ذكاء المنافس ."

"إنه يعتمد على ذلك لأهميته العملية ،" رد دويين ؛ "وقد فشل رئيس الشرطة ورجاله مرات عديدة ، أولا ، بإهمال هذا التقمص ، وثانيا ، بالتقدير الخاطئ، أو بالأحرى لعدم وجود تقدير ، للعقل الذى يتعاملون معه . لم يهتموا إلا بأفكارهم الخاصة عن البراعة ، ولم يلتفتوا فى البحث عن شئ خبئ إلا إلى الأساليب التى قد يخبئون بها ذلك الشئ . وهم على صواب فى ذلك إلى حد بعيد-إن براعتهم تمثيل صادق لبراعة الجمهور ؛ ولكن حين يكون دهاء المجرم مختلفا فى طبيعته عن دهائهم ، فإن المجرم يتفوق عليهم ، بالطبع . ويحدث هذا دائما حين يكون متفوقا عليهم فى الدهاء ، ويحدث عادة حين يكون أقل منهم دهاء . لا تتنوع قاعدة التحقيقات التى يتبعونها ؛ وفى أفضل الأحوال ، حين يضطرون فى ظروف استثنائية - حين تكون المكافأة هائلة بصورة غير معتادة - يمتطون أساليب الممارسات القديمة أو يبالغون فيها ، ويون المساس بالقواعد التى يتبعونها . ماذا فعل ، على سبيل المثال ، فى حالة د-، لتعديل قاعدة العمل ؟ ماذا عن كل هذا الثقب والجس وسبر الأعماق والفحص بالميكروسكوب ، وتقسيم سطح المبنى إلى بوصات مرقمة-أليس ذلك مجرد مبالغة فى تطبيق إحدى القواعد أو مجموعة من قواعد التفتيش ، التى تعتمد على مجموعة من التصورات المتعلقة بالبراعة الإنسانية ، تلك القواعد التى اعتاد عليها رئيس الشرطة فى خدمته الروتينية الطويلة ؟ ألا ترى معنى بأنه يسلم بأن كل الرجال مازالوا يخفون الرسائل-ليس فى ثقب فى رجل مقعد-ولكن ، على الأقل ، فى ثقب غير مألوف أو ركن دون أن يتغير مغزى التفكير الذى يدفع إنسانا لإخفاء رسالة فى ثقب فى رجل مقعد ؟ وألا ترى معنى أيضا أن الزوايا النادرة التى تستخدم للإخفاء لا تتواءم إلا مع الحالات العادية ؛ حيث ، فى كل حالات الإخفاء ، يكون وضع المادة فى مكان خفى - وضعها بهذا الأسلوب النادر ، - وضعا محتملا ومفترضا ؛ وهكذا لا يعتمد اكتشافها على

الفتنة ، ولكنه يعتمد على دقة الباحثين وصبرهم وتصميمهم ؛ وحيث تكون الحالة مهمة ، - أو حين تكون مهمة في عيون السياسيين ، حين تكون المكافأة كبيرة ، - لا يُسمح أبداً بفشل الجهود التي تبذل لحل المسألة . وربما تكون قد فهمت الآن ما كنت أعنيه بأنه إذا كانت الرسالة المسروقة مخبأة في أى مكان من الأماكن التي خضعت لتفتيش الشرطة-وبتعبير آخر ، إذا كانت قاعدة إخفائها تخضع لقواعد رئيس الشرطة-فإن مسألة اكتشافها لن تكون موضع شك . لقد ارتبك هذا الموظف تماماً ؛ ويكمن المصدر الحقيقي للهزيمة التي منى بها في افتراض أن الوزير أحق ، لأنه نال بعض الشهرة كشاعر . كل الحمقى شعراء ؛ هذا ما يشعر به رئيس الشرطة ؛ ويشعر بالإثم تماماً من أمور لا تستدعي ذلك ومن ثم يستنتج أن الشعراء كلهم حمقى .

"ولكن هل هذا هو الشاعر حقاً ؟" سألت . "أعرف أنهما أخوان ؛ وقد حظى كل منهما بشهرة في الأدب . وأعتقد أن الوزير كتب عن حساب التفاضل بصورة علمية . إنه رياضي وليس شاعراً ."

"إنك مخطئ ؛ أعرفه معرفة جيدة ؛ إنه كلاهما . كشاعر وكرياضي ، لم يكن منطقياً على الإطلاق ، ومن ثم كان تحت رحمة رئيس الشرطة ."

"إنك تثير دهشتي ،" قلت ، "بهذه الآراء التي تعارض آراء الجميع . هل تعنى إغفال فكرة مستقرة تماماً عبر القرون . لقد اعتُبر المنطق الرياضي منطقاً رائعاً لسنوات طويلة ."

" *Il y a à parier*" رد بوبين مقتبساً عن 'Chamfort' *que toute idée publique, toute convention reçue, est une sottise, car elle a convenu au plus grand nombre* " أسلم بأن الرياضيين بذلوا كل ما في وسعهم لنشر الخطأ الشائع الذي تلمح إليه ، وهو ليس سوى خطأ يلبو في ذبوعه وكأنه حقيقة . بفن جدير بتعليل أفضل دسوا ، على سبيل المثال مصطلح 'التحليل' في تطبيقات الجبر . إن الفرنسيين مؤسسو هذه الخدعة الخاصة ؛ ولكن إذا كان للمصطلح أية أهمية-إذا كانت الكلمات تكتسب قيمة من التطبيق-فإن كلمة 'التحليل' تتضمن معنى 'الجبر' بقدر ما تتضمن الكلمة اللاتينية *ambitus* كلمة 'طموح' *ambition* ، وكلمة

'religio' كلمة 'دين' religion' ، أو تعبير 'homines honesti' مجموعة من الرجال الشرفاء .

"أرى أنك تعترض ، "قلتُ ، "على بعض المشتغلين بالجبر فى باريس ؛ ولكن عليك أن تواصل ."

"إننى أشك فى إمكانية ، وبالتالي فى قيمة ، هذا المنطق الذى يتأسس على أى صورة غير صورة المنطق المجرد . وأشك ، خاصةً ، فى المنطق الذى يستنتج من دراسة الرياضيات . إن الرياضيات هى علم الشكل والكمية ؛ والمنطق الرياضى مجرد منطق ينطبق على دراسة الشكل والكمية . ويمكن الخطأ الكبير فى افتراض أن حقائق ما يدعى الجبر المحض تمثل تجريداً لحقيقة عامة . وهو خطأ فظيع لدرجة تجعلنى أرتبك أمام الشيوع الذى حظى به . إن مبادئ الرياضة ليست مبادئ الحقيقة العامة . ما هو حقيقى فى علاقة - فى شكل وكمية - يكون غالباً غير حقيقى إلى حد بعيد بالنسبة للأخلاق ، على سبيل المثال . وفى هذا العلم الأخير من المعتاد تماماً أن يكون من غير الصحيح أن مجموع الأجزاء يساوى الكل . ويفشل هذا المبدأ فى الكيمياء أيضاً ؛ بالنسبة لعاملين ، لكل منهما قيمة معينة ، لا تساوى قيمتهما متحدين ، بالضرورة ، مجموع قيمتهما منفصلين . وهناك العديد من الحقائق الرياضية الأخرى لا تمثل الحقيقة إلا فى حدود علاقة . لكن الرياضى ينطلق ، بحكم العادة ، من حقائقه المحدودة ، وكأنها حقائق يمكن استخدامها عموماً بصورة مطلقة - كما يتخيلها العالم فى الواقع . يذكر برنت Bryant فى 'منهجه' العلمى ، مصدراً مماثلاً من مصادر الخطأ ، حين يقول 'مع أن تلفيقات باجان Pagan لا تُصدق ، إلا أننا ننسى أنفسنا باستمرار ، ونستخلص منها النتائج وكأنها واقع حقيقى . " إلا أن المشتغلين بالجبر ، وهم أنفسهم ليسوا إلا صورا أخرى من باجان ، يصدقون 'تلفيقات باجان' ولا يحدث الاستنتاج نتيجة السهو ، ولكنه يحدث خلال عدد لا يحصى من العمليات الذهنية الطائشة . باختصار ، لم أصادف أبداً الرياضى الذى يمكنه أن يثق فى الجذور المتساوية ، أو الرياضى الذى لم يصدق خفية أن $x^2 + px$ تساوى q بصورة مطلقة ودون شروط . اسأل أحد هؤلاء السادة المهذبين ، على سبيل الاختبار ، من

فضلك ، هل تصدق أن $px + x^2$ قد لا تساوى q فى بعض الحالات ، واجعله يفهم ما تعنيه ، واهرب بسرعة ، لأنه ، بدون شك ، سيحاول أن يصرك .

"أود أن أقول ،" واصل دوبيين كلامه ، بينما كنت غارقا فى الضحك من ملاحظاته الأخيرة ، "إذا كان الوزير مجرد رياضى ، ما اضطر رئيس الشرطة إلى إعطائى هذا الشيك . إننى أعرفه ، مع ذلك ، كرياضى وشاعر ، وقد جعلت إجراءاتى تتلاءم مع قدرته واضعا فى الاعتبار الظروف المحيطة به . لقد عرفت ، أيضا ، كرجل من رجال الحاشية ، وكمخادع جسور . وأرى أن رجلا من هذا الطراز لا يمكن ألا يدرك الأساليب البوليسية المعتادة فى العمل . ولا يمكن أن يفشل فى توقع الهجمات التى تعرض لها ، وقد أثبتت الأحداث أن لم يفشل فى توقعها . أظنه تنبأ حتما بالتفتيش السرى لبيته . وأرى أن غيابه المتكرر عن البيت فى الليل ، وقد رحب به رئيس الشرطة كظرف يساعده على نجاح مهمته ، أراه خدعة ، لجأ إليها ليقدم فرصة للبوليس للقيام بتفتيش دقيق ، وهكذا دفعهم سريعا إلى الاعتقاد بأن الرسالة لم تكن فى بيته . وقد شعرت أيضا ، أن كل هذه الأفكار ، التى عانيت فى توضيحها لك الآن ، واضعا فى الاعتبار القاعدة الثابتة للعمل البوليسى فى البحث عن المواد المخبأة-شعرت أن كل هذه الأفكار مرت بالضرورة فى عقل الوزير . مما جعله يتجنب بالضرورة كل الزوايا المعتادة فى عمليات الإخفاء . أظن أنه لا يمكن أن يكون ضعيفا بدرجة تجعله لا يرى أن أبعد التجويفات وأكثرها تعقيدا فى قصره ستكون مفتوحة ، شأنها فى ذلك شأن خزاناته الأكثر شهرة ، أمام عيون رئيس الشرطة ووسائل الجس والتتقيب والميكروسكوبات التى يستخدمها . وقد رأيت ، باختصار ، أنه سيدفع ، كأمر بديهى ، إلى البساطة ، إذا لم يلجأ إليها كاختيار درسه بقرو . ربما تتذكر كيف ضحك الوزير بيأس حين اقترحت عليه ، فى لقائنا الأول ، أن هذا اللغز الذى يحيره إلى هذا الحد قد يعود إلى كونه لغزا لا يحتاج حقا إلى دليل ."

"نعم ،" قلت ، "إننى أتذكر ضحكاته جيدا . لقد توقعت أنه ربما يصاب

بتشنجات."

"إن العالم المادى ،" واصل دوبيين كلامه ، "يزخر بنظائر تشبه تماما ما يوجد فى العالم الروحى ، وهكذا فإن بعض ألوان الحقيقة التى منحت لمبادئ البلاغة ، تلك الاستعارة ، أو البسمة ، قد تعزز برهاننا ، وبالمثل قد تزين وصفا . يبدو مبدأ *vis intertie* ، على سبيل المثال ، متماثلا فى الطبيعة وفى ما بعد الطبيعة . إنه ليس أكثر صحة فى الأولى ، أن الجسم الكبير أكثر صعوبة فى الحركة من الجسم الصغير ، وأن كمية الحركة تتناسب بالتالى مع هذه الصعوبة ، مما هو فى الأخيرة ، وبينما تكون العقول نوات القدرة الأكبر أكثر فعالية وأكثر ثباتا وأكثر تأثيرا فى حركتها من العقول محدودة القدرات ، إلا أنها تكون أقل استعدادا للحركة وأكثر ارتباكا وترددا فى الخطوات الأولى من تقدمها . مرة أخرى : هل لاحظت فى وقت من الأوقات أى لافتات الشوارع ، على أبواب المحلات ، أكثر إثارة للانتباه ؟"

"لم أعر المسألة أى اهتمام فى أى وقت ،" قلت .

"توجد لعبة من لعب الألغاز ،" استأنف كلامه ، "تلعب على خريطة . ويطلب فيها لاعب من آخر أن يعثر على كلمة معينة-اسم مدينة أو نهر أو ولاية أو مملكة - أية كلمة ، باختصار ، من على سطح الخريطة وهو عادة سطح مربك كثير الألوان . إن المستجد فى اللعبة يسعى عموما إلى إرباك منافسيه بأن يطلب منهم العثور على الأسماء المكونة من أصغر عدد من الحروف ؛ لكن المتمرس يختار الكلمات الطويلة المكونة من عدد كبير من الحروف تمتد من أحد طرفى الخريطة إلى طرفها الآخر . وهى ، مثل لافتات الشوارع والإعلانات المكتظة بالحروف ، لا تلاحظ لأنها شديدة الوضوح ؛ وهنا يكون الإغفال المادى ماثلا تماما لعدم الإدراك الأخلاقى الذى يعانى منه العقل حتى يهمل تلك الأشياء التى لا تحتاج إلى دليل لأنها واضحة على نحو مزعج للغاية . ولكن يبدو أن هذه النقطة ، تبدو ، إلى حد ما فوق مدارك رئيس الشرطة أو لا تتناسب معها . إنه لم يفكر أبدا فى أن من المحتمل ، أو من الممكن ، أن يكون الوزير قد وضع الرسالة أمام عيون العالم كله مباشرة ، بأفضل صورة تحول بين أى شخص من ذلك العالم ورؤية الرسالة .

"ولكن كلما فكرتُ أكثرُ فى البراعة الفائقة والمميزة التى يتمتع بها د-؛ وفى حقيقة أن الوثيقة يجب أن تكون دائماً فى متناول اليد ، إذا كان ينوى استخدامها لغرض مهم ؛ وفى الدليل القاطع ، الذى توصل إليه رئيس الشرطة ، بأنها لم تُخبأ فى حدود المواضع التى اعتاد هذا الضابط الكبير أن يفتشها-كلما كنتُ أكثرُ اقتناعاً بأن الوزير لجأ ، فى إخفاء هذه الرسالة ، إلى حيلة بارعة وهى ألا يخفيها على الإطلاق .

"وهذه الأفكار تنور فى رأسى ، أعددت نظارة ، خضراء ، واستدعيت فى صباح رائع ، بالصدفة تماماً ، إلى قصر الوزير . وجدت د- فى بيته ، مسترخياً يتثأب فى كسل ، كالمعتاد ، متظاهراً بأنه يعانى من إرهاق شديد ناتج عن عدم القدرة على التركيز . وربما كان يتمتع حقاً بأكثر ما يتمتع به إنسان من الحيوية-ولكن تلك الحيوية لا تظهر إلا بعيداً عن عيون الآخرين .

"وحتى أبداً بصورة طبيعية معه ، شكوتُ من ضعف عينيّ ، وعبرت عن أسفى لضرورة استخدام النظارة ، ومن تحتها فحصتُ المكان بحرص ودقة ، بينما كان يبدو أننى لا أهتم إلا بالحديث مع مضيفى .

"أوليت اهتماماً خاصاً لطاولة كتابة كان يجلس بجوارها ، كانت الطاولة كبيرة ، عليها بعض الرسائل المختلفة وأوراق أخرى وآلة موسيقية أو آلتين وبعض الكتب ، وقد وضع كل ذلك بون ترتيب . لكننى ، بعد فحص طويل ومتروّ تماماً ، لم أرَ عليها شيئاً يثير الريبة .

"ومن بعيد وقعت عيناي ، وهما تلفان الغرفة ، على حافظة مزخرفة من الورق المقوى لحفظ كروت الدعوات ، وكانت حافظة جميلة المنظر محدودة القيمة ، تتعلق متدلية فى ربطة زرقاء قذرة ، من يد برنزية أسفل رف فوق المدفأة . وفى هذه الحافظة ، التى تتكون من ثلاثة أقسام أو أربعة ، كان يوجد خمسة أو ستة من كروت الدعوات ورسالة وحيدة . وكانت الرسالة مطوية بإهمال ويعطوها قدر كبير من الغبار . وكانت مقطوعة من موضعين ، من الوسط-فيما يبدو ، فى المرة الأولى ، أنها محاولة لتمزيقها لأنها عديمة القيمة ، وقد تبذلت ، أو دُعِمتُ ، فى المرة الثانية . وكان عليها ختم كبير أسود ، يحمل اسم د- بصورة واضحة تماماً ، وكان موجهها ، بخط أنثوى صغير إلى

د-، الوزير ، نفسه . وكانت مدسوسة بدون اهتمام ، وقد تبدو وكأنها موضوعة بازدراء ، فى أحد الأقسام الرئيسية فى الحافظة .

"وبمجرد أن سقطت عيني على هذه الرسالة ، استنتجت أنها الرسالة التى كنتُ أبحث عنها . تأكد ، أنها كانت ، طبقا لكل الظواهر ، تختلف اختلافا جذريا عن تلك الرسالة التى قرأ رئيس الشرطة علينا وصفا دقيقا لها . كان الختم هنا كبيرا وأسود ، ويحمل اسم د - ؛ وهناك كان الختم صغيرا وأحمر ، يحمل توقيع نوق من عائلة س- . وكانت موجهة هنا إلى الوزير ، بخط أنثوى صغير ؛ وكانت هناك موجهة إلى شخصية ملكية معينة ، بخط واضح ومحدد ؛ يشكل الحجم نقطة التطابق الوحيدة . ولكن كانت ، من ثم ، هذه الاختلافات الجذرية المبالغ فيها ؛ القذارة ، حالة الورقة الممزقة التى يعلوها الغبار ، لا تتواءم إلى حدٍ بعيد مع العادات الأصيلة فى أسلوب د-، ومن ثم توحى بتصميم مالکها على الإيحاء بفكرة أن الوثيقة عديمة القيمة ؛ إن كل هذه الأشياء ، إضافة إلى وضع هذه الوثيقة فى حالة مزرية تحت عيون الجميع ، وبالضبط طبقا للاستنتاجات التى توصلت إليها سابقا ؛ أقول ، إن هذه الأشياء تعزز الشك تعزيزا قويا ، خاصة بالنسبة لشخص يتوقع سير الأمور على هذا النحو .

"أطلتُ زيارتي بقدر المستطاع ، وبينما كانت المناقشة بينى وبين الوزير محتدمة ، فى موضوع أعرف جيدا أنه لا يمكن أن يفشل فى إثارة اهتمامه ، كان كل انتباهي موجهها إلى الرسالة . وفى هذا الفحص ، غرست فى الذاكرة مظهرها الخارجى ، ووضع الحافظة ، وركزت طويلا على اكتشاف وسيلة لعدم ترك أدنى أثر للشك . وقد لاحظت وأنا أفحص حواف الورقة أنها متهرئة أكثر مما يبدو ضروريا . إنها تبدو فى تمزقها وكأنها ثنيت وضغطت فى دوسيه ، وأعيد طيها من جديد فى اتجاه عكسى ، بنفس التجهيزات أو الحواف التى شكلت الطية الأولى . وكان هذا الاكتشاف كافيا . كان واضحا بالنسبة لى أن الرسالة قلبت مثل قفاز ، من الداخل إلى الخارج ، وأعيد تطبيقها وختمها . تمنيتُ للوزير صباحا طيبا ، ورحلت فورا ، تاركا علبة النشوق الذهبية الخاصة بى على الطاولة .

"وفى صباح اليوم التالى ذهبتُ طلبا لعبة النشوق ، وواصلنا فى شغف تام
محادثة اليوم السابق . وبينما كنا منهمكين فى المناقشة ، سمعنا صوتا صاخبا ،
كأنه طلق نارى ، كان الصوت أتيا من تحت نوافذ الفندق مباشرة ، وسمعنا بعد ذلك
سلسلة من الصرخات المرعبة ، وصيحات الجماهير . اندفع د- إلى إحدى النوافذ
الكبيرة ، وفتحها باندفاع ، وأخذ ينظر إلى المشهد . وفى أثناء ذلك ، خطوت بضع
خطوات إلى حافظة الكروت ، وأخذت الرسالة ، ووضعتها فى جيبى ، ووضعت مكانها
رسالة تشبهها تماما (فيما يتعلق بالمظهر الخارجى) ، وكنت قد أعددتها بعناية فى
منزلى ؛ مقلدا توقيع د-، وجاهزا بختم من كسرة خبز .

"الفوضى التى أثرت فى الشارع كانت بسبب تصرفات مرعبة من رجل يحمل
بندقية ، أطلق منها عيارا وسط حشد من النساء والأطفال . وقد ثبت أنها كانت خالية
من الطلقات ، وكان هذا الرفيق يسير وكأنه مجنون أو سكران . وحين انصرف ، عاد
د- من النافذة ، وكنت قد تبعته مباشرة للاطمئنان على ما يجرى فى الشارع . وبعد
ذلك مباشرة قدمت له التحية وانصرفت . وكنت قد اتفقت مع هذا المجنون المزعوم
ودفعت له ."

"سألتُ : "ولكن ما الهدف من وضع رسالة بديلة تشبه الأولى تماما ؟ ألم يكن
من الأفضل أن تستولى عليها فى الزيارة الأولى وترحل ؟"

رد بوبين : "إن د- رجل يائس ، رجل فى موقع حساس . وقصره ، أيضا ، لا
يمكن أن يكون بدون حراس لرعايته . وإذا كنت قد قمتُ بالمحاولة التى تقترحها ،
فربما كنت لا أغادر قصر الوزير حيا . وربما لم يسمع عنى أهل باريس الطيبون بعد
ذلك . ولكن كان لدى موضوع آخر غير تلك الاهتمامات . تعرف مشاغلي السياسية .
وفى هذه الحالة كنتُ أعمل بالشروط التى وضعها تابع السيدة . على مدى ثمانية
عشر شهرا كانت تحت رحمة الوزير . وهى الآن تضعه تحت رحمتها ؛ وحيث أنه لا
يدرك أن الرسالة ليست فى حوزته ، فإنه سيواصل الابتزاز كما لو كانت فى حوزته .
وسيكون من الحتمى أن يؤدي ذلك إلى انهياره السياسى ذات يوم . وسيكون سقوطه ،
أيضا ، سقوطا بشعا . ويُفضلُ تماما أن نتحدث عن *the facilis descensus*

Averni ، ولكن فى كل أنواع التسلق ، كما يقول كتالنى فى الأغنية ، يكون الصعود أسهل بكثير من السقوط . وفى الحالة الراهنة لا أتعاطف مع من يسقط-أو على الأقل لا أشفق عليه . إنه ذلك المسخ البشع ، ذلك الرجل العبقري المجرد من المبادئ . إلا أننى أعترف ، مع ذلك ، بأننى أودُّ أن أعرف بدقة طبيعة أفكاره حين تتحداه تلك التى أطلق عليها رئيس الشرطة 'شخصية معينة' ، ويضطر إلى فتح الرسالة التى تركتها فى حافظة الكروت .

"كيف ؟ هل كتبت شيئاً معيناً فيها ؟"

"كيف - لا يبدو أن من الصواب أبداً أن تترك الرسالة بيضاء - إن ذلك سيبدو إهانة . فى فيينا ، أوقعنى دسفى موقف حرج ، وقد أخبرته فى هدوء تام بأننى لن أنسى له ذلك . وكما أتوقع فإنه سيشعر ببعض الفضول لمعرفة هوية الشخص الذى خدعه، وأظن أن من الشفقة به ألا تقدم له مفتاحاً . إنه على علم تام بخطى ، وقد نسخت الكلمات التالية فى وسط الورقة البيضاء عن مسرحية أرتيه *Atrée* لكريببون - Crébillon

[... تصميم وإن يكن مهلكاً

إلا أنه لا يليق بأرتيه ، إنه يليق بثيست]

الفهرس

الصفحة	الموضوع
3	إشارة المترجم
5	كرونولوجيا - دالان إفانز
13	الفصل الأول : بدلا من المقدمة - جون فورستر
75	الفصل الثانى : لاكان والعودة إلى فرويد - مالكولم بوى
129	الفصل الثالث : المحلل النفسى والكلمات - جون فورستر
181	الفصل الرابع : لاكان والأدب - مالكولم بوى
227	الفصل الخامس : الرسالة المسروقة وحالة بد - شوشانا فيلمن
253	الفصل السادس : وظيفة الزمن فى التحليل النفسى - جون فورستر
349	الفصل السابع : أكيئون التحليل النفسى - مالكولم بوى
371	الرسالة المسروقة (قصة قصيرة) - إيجار ألان بو

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوف	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل نصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / ولاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو العرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التفريات الليثية	أنثرو س. جوى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتمد عبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونستون وإيرين فرائك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب طرب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن الموين
الحركات الفنية	إنوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن يرنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فلروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب طوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر السائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شامين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	سمد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم النسوتى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر النيب
الوثنية والإسلام (ط٧)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحدائق	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحدائق	ألن تودين	ت : أنور مفتي
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
الذهب المزدوج	أوكتافير پاث	ت : المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	النوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
التراث المغنور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا لوما	ت : ماهر جويجاتي
الإسلام في البلدان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيع	ت : محمد براءة وعثمانى الخلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدميى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز ودوجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطولى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : هبرى محمد عبد الفنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
في مدح الكمل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد الطيف عبد الطيم
مختارات	فوناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
نقاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى قوائى القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد

السيدة لا تصلح إلا لرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى المجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكتز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأبيى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد رويرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بيريس أوسبينسكى	ت : سعيد القاننى وناصر حلاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
الجماعات المتخيلة	يندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات

(نخت الطبع)

المختار من نقد ت . س . إليوت	عالم التليفزيون بين الجمال والنف
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	حروب المياه
تاريخ السيئما العالمية	ثلاث زنبقات ووردة
مختارات من المسرح الإشبانى	الألب الأندلسى
صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر	الألب المقارن
الابتلاء بالتقرب	راية التمرد
طول الليل	السياسة والتسامح
نون والقلم	مساءلة العولة
الهب الأول	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى
أوبرا ماهر جوى	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٦٠٠ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (5 - 100 - 305 - 977 - I. S. B. N.)



The Seductions of Psychoanalysis

ولد جاك لاكان في باريس في إبريل من عام ١٩٠١ ، وتلقى تعليمه على أيدي اليسوعيين ، وتدرّب كطبيب ثم كطبيب نفسي ، وقدم أولى رسائله العلمية في عام ١٩٢٦ ، ثم قدم أطروحة الدكتوراه (١٩٣٢) عن ذهان البارانتويا وعلاقته بالشخصية . ومنذ البداية ، كان لاكان عضوا بارزا في الدوائر السريالية التي التفت حوله أندريه بريتون ، كان يكتب الشعر ويدعو الأصدقاء إلى عتابر المستشفى ، حيث زخرفوا الحوائط ومارسوا بعض التجارب في الكتابة التلقائية . وقد رفع لاكان شعار " العودة إلى فرويد " ، واتخذ في أعقاب فرويد ارتباطات صارمة للتحليل بين أعماله والابتدال والسهولة ، وغالبا ما يبدو هذا الكفاح لإعاقبة نقل أفكاره نقلا سطحيا وكأنه مجهود متعمد لتأتى غير مفهومة . ويبدو وكأنه يقول مثلما لا يمكن أن تصل إلى كهف اللاشعوري إلا بأن تكون داخله ، كذلك لا يمكن أن تفهم أعماله إلا بأن تكون قد فهمتها من قبل . يقدم لنا لاكان مفهوما جديدا للعلم والحقيقة ، إن حقيقة اللاشعوري هي الحقيقة الوحيدة الجديرة بهذا الاسم . إن اللاشعوري الذي يرغب ، واللغة التي هي بينه ، جمعان ، ومكونان من طبقات عديدة ، ولا يقبلان التصنيف ، إذن لماذا يتم تفضيل لغة متعددة العكافؤ على لغات تعبر عن شيء واحد في كل مرة ، أي على لغة المنطق ، أو تحليل المفاهيم ، أو الوصف الإمبريقي ، أو نظرية التحليل النفسي بصورتها التقليدية ؟ هل يمكن أن يرجع استخدام هذه اللغة ، التي تمنح أهدافا أكثر للرغبة التي تتضخ في الحركة داخلها ، إلى الاعتقاد بأنها تحافظ على اتصال أقرب وأقوى مع منبت الرغبة ؟ ولكنه منبت يوجد في كل المواضع ولا مفر منه .